و أما غيرهم فيقع منهـــم ما يسمى شفاعـــة تارة تصريحا و أخرى تلويحا كالشفاعة[١] العامة من نبينا صلى الله عليه و سلم فى الخلق عامة لفصل القضاء، و قوله صلى الله عليه و سلم[٢] فى ناس بأعيانهم[٣]: أصحابى إلىّ إلىّ، فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فيقول: فسحقا[٤] سحقاه [و -[٥]] قول إبراهيم عليه الصلاة و السلام "و من عصانى فانك غفور رحيم" ﴿شفعٰؤا﴾ ينقذونهم مما هم فيه و ما يستقبلونه[٦] و إتيانه بصيغة جمع الكثرة يمكن أن يكون لامفهوم له، لأن مورده رد اعتقادهم فى قولهم السالف، و يمكن أن يفهم أنه قد يقع من بعض من عدوه شفاعة. أو تلويح بها كقول عيسى عليه السلام "و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم".

و لما ذكر حال الشفعاء معهم، ذكر حالهم مـــع الشفعاء فقال: ﴿و كانوا﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿بشركآئهم﴾ أى خاصة ﴿كفرين ء﴾ أى متبرئين[٧] [منهم -[٥]] ساترين لأن يكونوا اعتقدوهم آلهة[٨] و عبدوهم جريا على عادتهم فيما لايغنيهم من[٩] العناد و البهت.

و لما كانت النفس ربما تشوفت إلى أنه هل يكون بعد إبلاسهم

(١) فى ظ و مد: من الشفاعة (٢) و الحديث مشهور (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بايهم - كذا (٤) فى ظ: سحقا (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل: « بلاجرام لكونه من أهل الشرك الخفى فقد يشفع فيه من رباه من الشهداء و العلماء و عامة المؤمنين » و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، والعبارة قد مرت قبيل بضعة أسطر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: متبرين.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اله (٩) من ظ و مد و فى الأصل: عن.

شيء آخر، قال مفيدا له مهولا باعادة ما مضى: ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾ أى و يا له من يوم، ثم زاد فى تهويله بقوله: ﴿ يومئذ يتفرقون ﴾ أى المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله و الكافرون فرقة لا اجتماع بعدها، هؤلاء فى عليين، و هؤلاء فى أسفل سافلين، حكى لى بعض القضاة من أصحابي - عفا الله عنه - و هو يبكى [1]أنه رأى مناما مهولا، و ذلك أنه رأى[1] القيامة قد قامت، و الناس يحشرون[2] - على ما وصف فى الأحاديث - فى صعيد واحد عرايا خائفين حائرين، يموج بعضهم فى بعض، فاذا[3] شخص ممن له أمر قد أشار بسوط معه و خط به [فى -[4]] الأرض فقسمهم قسمين فقال: هؤلاء مطيعون، و هؤلاء عصاة، قال: فكنت[5] فى العصاة، و فى الحال غاب [عنا -[4]] الطائعون، فلم نر منهم أحدا[6] ثم خط بذلك السوط مرة أخرى فقسمنا قسمين فقال: هؤلاء عصاة الأقوال، و هؤلاء عصاة الأفعال، قال: فكنت فى عصاة الأفعال، ثم غاب فى الحال عنا عصاة الأقوال، فلم نر منهم أحدا[6] و بقينا نحن منا الجالس و منا المضطجع، و نحن قليل بالنسبة إلى عصاة الأقوال، فبينا نحن كذلك إذ جاء آت إلى شخص [إلى -[4]] جانبي فأخذه[7] من كعبه ثم نشطه فأخرج جلده بمرة[8] واحدة كأنه جراب نزع عن شيء فيه يابس، فحصل لى من ذلك

(١ - ١) فى ظ: مناما رآه مهولا أن (٢) فى ظ و مد: محشورون.
(٣) فى ظ: فاذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: فكتب (٦) فى ظ: احد.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فاخذته (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مرة.

ذعر شديد، فبينا أنا كذلك إذ آتٍ جاءنى من ورائى، فألقى علىّ[1] جوخة فجعلها على أكتافى و أدارها على أفخاذى فسترنى بها و[2] لكن على غير هيئة لبس المخيط، قال: و استيقظت و أنا على ذلك فقصصته على بعض الصالحين فقال: احمد الله على كونك من عصاة الأفعال، و أخذ من سترنى بالجوخة على تلك الهيئة أنى أحج، فبشرنى بذلك فحججت[3] فى ذلك العام - و الله تعالى المسئول فى التوبة، فانه / الفعال لما يريد ١٢٢ / ﴿فاما الذين اٰمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿و عملوا﴾ تصديقا لإقرارهم ﴿الصّٰلحٰت﴾ أى كلها.

و لما تقدم هنا ذكر عمارة الأرض و إصلاحها للنبات و وعظ من جعلها أكبر همه بأنها لم تدم [له -[4]] و لا أغنت عنه شيئا، ذكر أنه جزى من أعرض عنها بقلبه لاتباع أمره سبحانه أعظم ما يرى من زهرتها و نضرتها و بهجتها على سبيل الدوام فقال: ﴿فهم﴾ أى خاصة ﴿فى روضة﴾ أى لا أقل منها [و هى -[4]] أرض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق و نبات معجب بهج[5] - هذا أصلها فى اللغة [و -[4]] قال الطبرى[6]: و لا تجد أحسن منظرا و لا أطيب نشرا من الرياض. ﴿يحبرون﴾ أى يسرون على سبيل التجدد كل وقت سرورا تشرق له الوجوه، و تبسم الأفواه، و تزهو العيون، فيظهر حسنها و بهجتها[7]، فتظهر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٢) سقطت الواو من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: محجتها (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع تفسير هذه الآية فى جامع البيان.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يبهجها.

النعمة بظهور آثارها على أسهل الوجوه و أيسرها ، قال الرازى فى اللوامع : و أصله - أى الحبرة - فى اللغة أثر فى حسن ، و قال غيره[1] : حبره - إذا سره سرورا تهلل له وجهه ، و ظهر فيه أثره . ﴿و اما الذين كفروا﴾ أى غطوا ما كشفته أنوار العقول ، ﴿و كذبوا﴾ عنادا ﴿بايٰتنا﴾ التى لا أصدق منها و لا أضوأ من أنوارها ، بما لها من عظمتنا ﴿و لقآئ الاخرة﴾ الذى لم يدع لبسا فى بيانه ﴿فاولٓئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿فى العذاب﴾ أى الكامل لا غيره[2] ﴿محضرون ۝﴾ [3]من أى محضر كان ، بالسوق الحثيث ، و الزجر العنيف ، فإذا وصلوا إلى مقره وكل بهم من يديم كونهم كذلك - لإفادة الجملة الاسمية الدوام ، فلا يغيبون عنه و لا يخفف عنهم ۝

و لما بين سبحانه المبدأ بخلق السماوات و الأرض ، و المعاد بالجنة و النار ، و أنهم كذبوا به ، و كان تكذيبهم به مستلزما لاعتقاد نقائص [كثيرة -[4]] منها العجز و إخلاف الوعد و ترك الحكمة[5] ، كان ذلك[6] سببا لأن ينزه سبحانه نفسه المقدسة و يأمر بتنزيهها ، لأن ذلك يدفع عن المنزه مضار الوعيد ، و يرفعه إلى مسار الوعد ، فقال ذاكرا من أفعاله العالية التى لامطمع[7] لغيره فى القدرة على شيء منها ما يدل على خلاف ذلك الذى يلزم اعتقادهم . لافتا الكلام عن صيغة العظمة [إلى أعظم منها بذكر الاسم الأعظم : ﴿فسبحٰن الله﴾ أى سبحوا الذى له جميع العظمة -[4]] بمجامع[8] التسبيح بأن تقولوا هذا القول الذى هو علمه ، فهو

(١) زيدت الواو فى ظ و مد (٢) فى ظ : لغيره (٣) زيد فى ظ و مد : اى (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : لحكمته ، و فى مد : لحكمة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : مطلع (٨) من مد و فى الأصل و ظ : بجامع .

منزه عن كل نقص ؛ ثم ذكر أوقات التسبيح إشارة إلى ما فيها من التغير الذى هو منزه عنه و[١] إلى ما يتجدد فيها من النعم و وجود الأحوال الدالة على القدرة على الإبداع الدال على البعث ، فقال دالا على الاستغراق بنزع الخافض مقدما المحو لأنه أدل على البعث الذى النزاع فيه و هو الأصل ، لافتا الكلام إلى الخطاب لأنه أشد تنبيها : ﴿حين تمسون﴾ أى أول دخول الليل بإذهاب النهار و تفريق النور ، فيعتريكم الملل ، و يداخلكم الفتور و الكسل ، على سبيل التجدد و الاستمرار ، و أكد الندب إلى التسبيح بإعادة المضاف فقال : ﴿و حين تصبحون ﴾ بتحويل الأمر فتقومون أحياء بعد أن كنتم أمواتا فتجدون نهارا قد أضاء بعد ليل كان دجا ، [فتفعلون ما هو سبحانه منزه عنه من الحركة و السعى فى جلب النفع و دفع الضرر ، و أرشد السياق إلى أن التقدير : و له الحمد فى هذين الجنسين -[٢]] .

و لما ذكر ما يدل على خصوص التنزيه، أتبعه ما يعرف بعموم الكمال ، فقال ذاكرا لوقت كمال النهار وكمال / الظلام ، و[٣] تذكيرا بما ١٢٣ /
يحدث عندهما للآدمى من النقص بالفتور و النوم اعتراضا بين الأوقات للاهتمام[٤] بضم التحميد إلى التسبيح : ﴿ و له ﴾ أى وحده [مع -[٢]] النزاهة عن شوائب النقص ﴿الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال .

و لما قدم سبحانه أن تنزهه ملأ الأزمان ، وكان ذلك مستلزما

---

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للاعتراض .

لملأ[1] الأكوان، وكان إثبات الكمال أبين شرفا من التنزيه[1] عن النقص، صرح فيه بالقبيلين فقال: ﴿في السموٰت﴾ أي الأجرام العالية كلها التي[2] تحريكها - مع أنها من الكبر في حد لايحيط به إلا هو سبحانه - سبب للامساء و الإصباح و غيرهما من المنافع ﴿و الارض﴾ التي فيها من المنافع ما يجل عن إحاطتكم به مع أنها بالنسبة إلى السماء كحلقة ملقاة في فلاة، و لو لا ذلك لظهر لكم ذلك برؤية ما وراءها كما [هو -[3]] شأن كل مظل مع كل مقل كما تشاهدون السحاب و نحوه.

و لما خص الإمساء و الإصباح، عمّ فقال معبرا بما يدل على الدوام، لأن وقت النوم الدال على النقص أولى باثبات الكمال فيه: ﴿و عشيا﴾ أي من الزوال إلى الصباح ﴿و حين تظهرون ﴿﴾ أي تدخلون في شدة الحر، [و سبحان الله في ذلك كله. فالآية من الاحتباك: ذكر التسبيح أولا دليلا على إرادته ثانيا، و الحمد ثانيا دليلا على إرادته أولا -[3]]، و لعل المراد بالإظهار[4] هنا ما هو أعم من وقت الظهر ليكون المراد به من حين يزول اسم الصباح من وقت ارتفاع الشمس إلى أن يحدث[5] اسم المساء، و هو من الظهر إلى الغروب - قاله[6] ابن طريف[7]

(١) في ظ و مد: التنزه (٢) في ظ و مد: إلى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: به (٥) في ظ: حدث (٦) في ظ: قال (٧) في الأصل: ابن ظريف. و التصحيح من كشف الظنون و هو عبد الملك بن طريف القرطبي المتوفى سنة ٤٠٠، و قال فيه: ذكره البقاعي في حاشية الألفية.

فى كتابه الأفعال و نقله عنه الإمام عبدالحق فى كتابه الواعى، و ذلك حين استبداد[1] النهار فيكون كماله فيما دون ذلك من باب الأولى، و هذا مع هذه الدقائق إشارة إلى الصلوات الخمس، أى سبحوه بالخضوع له بالصلاة فى وقت المساء بصلاة العصر و المغرب، و فى وقت الصباح بالصبح، و فى العشى بالعشاء، و فى الإظهار بالظهر، و فى هذا التخرج من الحسن بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى، فابتدأ سبحانه بالعصر التى قولها أصح[2] الأقوال، و دخول المغرب فى حيزها بطريق التبعية و القصد الثانى، و ثنى بالصبح و هى تليها فى الأصحية و هما القريبتان، لقوله صلى الله عليه و سلم: من صلى البردين دخل الجنة - رواه الشيخان[3] عن أبى موسى رضى الله عنه، «من صلى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها وجبت له الجنة» - أسنده صاحب الفردوس[4] عن عمارة بن[5] روية رضى الله عنه و رواه مسلم[6] و غيره عنه بلفظ: لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها - يعنى الفجر و العصر «كنا عند النبى صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة البدر[7]، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون فى رؤيته، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا لا تفوتنكم[8]، ثم قرأ "فسبح بحمد ربك

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشتد (٢) فى ظ: اصلح (٣) البخارى فى أبواب مواقيت الصلاة و مسلم فى أبواب المساجد (٤) راجع: ٣٠٢ / ب من مخطوطة تلخيص المسند (٥) وقع فى الأصل فقط. بنت - خطأ (٦) راجع ١/٢٢٨: باب فضل صلاتى الصبح و العصر (٧) ليس فى ظ و مد و صحيح البخارى، و لكنه ثبت فى نسخته (٨) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: لا تفوتكم.

قبل

قبل طلوع الشمس و قبل الغروب» رواه البخاري[1] عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه، و حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح[2] «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار و يجتمعون[3] فى صلاة الفجر و صلاة العصر» يدخل هنا .

و لما ذكر دلالة على البعث المستلزم للوحدانية مطلق التحويل الذى هو إحياء فى المعنى بعد إماتة، أتبعه الإحياء / و الإماتة حقيقة ، صادعا / ١٢٤ من ذكر البعث تصريحا بما كان ألقاه تلويحا فقال: ﴿يخرج الحى﴾ كالإنسان و الطائر ﴿من الميت﴾ كالنطفة و البيضة ﴿و يخرج الميت﴾ كالبيضة و النطفة ﴿من الحى﴾ عكس ذلك ﴿و يحى الارض﴾ باخضرار النبات .

و لما كان من الأراضى ما لاينبت إلا بعد مدة من إنزال المطر، و منها ما ينبت من حين إنزال المطر عقب تحطم ما كان بها[4] من النبات سواء، أسقط الجار هنا تنبيها على الأمر الثانى لأنه أدل على القدرة، فهو أنسب لهذا السياق و لمقصود السورة، و لأنه جعل[5] فيه قوة إحيائها على الدوام فقال: ﴿بعد موتها[6]﴾ بيبسه و تهشمه[6] . و لما كان التقدير: كذلك يفعل[7] على سبيل التكرر و أنتم تنظرون، عطف عليه قوله:

---

(١) راجع باب فضل صلاة العصر من المواقيت (٢) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: يخفصون (٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: منها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حصل (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يبسة و تمشية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تفعل .

﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل فعله هذا الفعل البديع من إخراجه لهذا الحى حسا و معنى من الميت ﴿ تخرجون ﴾ بأيسر أمر من الأرض[1] بعد تفرق أجسامكم فيها من التراب الذى كان حيا بحياتكم - هذا على قراءة الجماعة[2] بالبناء للمفعول . و بناه حمزة و الكسائى و ابن ذكوان بخلاف عنه للفاعل إشارة إلى أنهم لقوة تهيئهم[3] لقبول البعث صاروا كأنهم يخرجون بأنفسهم[4] - روى[5] عبد الله بن الإمام أحمد فى زيادات المسند عن لقيط ابن عامر رضى الله عنه أنــه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق رضى الله عنه ، قال : فخرجت أنا و صاحبى حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم لانسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه و سلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الغداة خطيبا إلى أن قال : [ألا -[6]] اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا ، [قال -[6]] : فجلس الناس فقمت أنا و صاحبى [حتى -[6]] إذا فرغ لنا فؤاده و بصره قلت[7] : يا رسول الله ! ما عندك من علم الغيب ، فضحك[8] لعمر الله[8] و هز رأسه فقال : ضن ربك بمفاتيح الخمس من الغيب فذكره حتى ذكر البعث قال : فقلت : يارسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا[9] الرياح

---

(١) فى ظ : الامر (٢) راجع نثر المرجان ٥/٢٨٤ (٣) من ظ و مد . وفى الأصل : تميتهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانعشهم (٥) زيد فى الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقلت (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل . لعمرا - كذا (٩) فى ظ و مد : تمزقنا .

 و البلى

و البلى و السباع ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله . الأرض أشرفت عليها [1]و هى مدرة بالية فقلت : لا تحيا أبدا ، ثم أرسل ربك عز و جل عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت[1] [عليها -[2]] و هى شرفة واحدة ، و لعمر إلهك لهو[3] أقدر على أن يجمعكم [من الماء -[4]] كما أنه يجمع نبات الأرض فتخرجون .

و لما كان التقدير : هذا من آيات الله [التى -[4]] تشاهدونها كل حين دلالة على بعثكم ، عطف عليه التذكير بما هو أصعب منه فى مجارى العادات فقال : ﴿ و من ءايٰته ﴾ أى على قدرته على بعثكم . و لما كان المراد إثبات قدرته سبحانه على بعثهم بعد أن صاروا ترابا [بايجاده لأصلهم من تراب -[4]] زيد على البعث[5] فى الإعجاب[6] بأنه لم يكن له أصل فى الحياة ، و كان فعله لذلك[7] إنما كان مرة واحدة ، قال معبرا بالماضى : ﴿ان خلقكم﴾ بخلق أبيكم آدم ﴿من تراب﴾ لم يكن له أصل اتصاف ما بحياة .

و لما كان ابتداء الإنسان من التراب فى غاية العجب ، أشار إلى ذلك بأداة البعد فقال : ﴿ثم﴾ أى بعد إخراجكم / منه ﴿اذآ انتم بشر﴾ / ١٢٥ أى فاجأتم[8] كونكم لكم بشرة هى فى غاية التماسك و الاتصال مع اللين

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : فهو (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : فى مره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاصحاب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاجتم .

عكس ما كان لكم من الوصف إذ[1] كنتم ترابا، و أسند الانتشار إلى المبتدأ المخاطب [لا -[2]] إلى الخبر لأن الخطاب أدل على المراد فقال: ﴿ تنتشرون ۝﴾ أي تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان إلى مكان مع العقل و النطق، و لم يختم هذه الآية[3] بما ختم به ما[4] بعدها دلالة على أنها جامعة لجميع الآيات، و دلالة على جميع الكمالات، و ختم ما بعدها بذلك تنبيها على أن[5] الناس أهملوا[6] النظر فيها على وضوحها، و كان من حقهم أن يجعلوها نصب أعينهم، دلالة على كل ما نزلت به الكتب، و أخبرت به الرسل، و كذلك[7] أكد في الإخبار إعلاما بأنهم صاروا لإهمالها في حيز الإنكار.

و لما كان أعجب من ذلك أن هذا الذي خلقه من التراب[8] ذكرا خلق منه أنثى، و جعلهما شبهي السماء و الأرض ماء و نبتا و طهارة و فضلا، قال: ﴿ و من ايٰته ﴾ أي على ذلك؛ و لما كان إيجاد الأنثى من الذكر خاصة لم يكن إلا مرة واحدة كالخلق من التراب، عبر بالماضي فقال: ﴿ ان خلق لكم ﴾ أي لأجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد، و في تقديم الجار دلالة على حرمة التزوج[9] من غير النوع، و التعبير بالنفس[10] أظهر في كونها من بدن الرجل في قوله: ﴿ من انفسكم ﴾ أي جنسكم بعد إيجادها من

(1) من ظ و مد، وفي الأصل: او (2) زيد من ظ ومد (3) من ظ ومد، وفي الأصل: الا (4) سقط من ظ ومد (5) سقط من ظ (6) في ظ: اهملوا. (7) في ظ ومد: لذلك (8) من ظ و مد، و في الأصل: تراب (9) من ظ و مد، و في الأصل: الزوج (10) في ظ: بالتنوين.

ذات أبيكم آدم عليه السلام ﴿ازواجا﴾ [1]إناثا هن[1] شفع لكم ﴿لتسكنوا﴾ مائلين ﴿اليها﴾ بالشهوة و الألفة، من قولهم: سكن إليه - إذا مال و انقطع و اطمأن إليه، و لم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها.

و لما كان المقصود بالسكن لا ينتظم إلا بدوام[2] الألفة [قال -[3]]: ﴿و جعل﴾ أى صير[4] بسبب الخلق على هذه الصفة ﴿بينكم مودة﴾ أى معنى من المعانى يوجب أن لا يحب واحد[5] من الزوجين أن يصل إلى صاحبه شيء يكرهه[6] مع ما طبع عليه الإنسان من محبة الأذى، و إنما[7] كان هذا معناه لأن مادة 'ودد' مستويا[8] و مقلوبا تدور على الاتساع و الخلو من [9]الدو و الدوية[9] بتشديد الواو و هى الفلاة، و الود و الوداد [قال فى القاموس: الحب -[3]]، و قال أبو عبد الله القزاز و نقله عنه الإمام عبد الحق فى واعيه: الأمنية، تقول[10]: وددت أن ذاك كان، و ذاك لاتساع مذاهب الأمانى، و تشعب أودية الحب، [و فى القاموس -[3]]: ودان: قرية قرب الأبواء وجبل طويل قرب فيد، والمودة: الكتاب - لاتساع الكلام فيه. و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء الحسنى: الود خلو [عن -[3]] إرادة المكروه، فاذا حصل إرادة الخير و إيثاره

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: انامنهن (٢) فى ظ: به دام (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصير (٥) فى ظ: واحدا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يكره (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مستوليا (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الدود و الدودية (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله.

كان حبا ، من لم يرد سواه فقد [١] ود ، و [١] من أراد خيرا فقد أحب ، و الود أول التخلص من داء أثر الدنيا بما يتولد لطلابها من [٢] الازدحام عليها من الغل و الشحناء ، و ذلك ظهور لما يتهيأ له من طيب الحب ، فمن ود لا يقاطع ، و من أحب واصل و آثر ، و الودود هو المبرأ من جميع جهات مداخل السوء ظاهره [٣] و باطنه [٣] .

و لما كان هذا المعنى الحسن لايتم إلا بارادة الخير قال : ﴿و رحمة [٤]﴾ أى [معنى - [٤]] يحمل كلا على أن يجتهد للآخر [٥] فى جلب الخير ، و دفع / الضير ، لكن [لما - [٤]] كانت إرادة الخير قد تكون بالمن ببعض ما يـــكره جمع بين الوصفين ، وهما من الله ، و الفرك - و هو البغض - من الشيطان . / ١٢٦

و لما كان ذلك من العظمة بمكان يجل [٦] عن الوصف ، أشار إليه بقوله مؤكدا لمعاملتهم له بالإعراض عما يهدى إليه معاملة من يدعى أنه جعل [٧] سدى من غير حكمة ، مقدما الجار إشارة إلى أن دلالاته فى العظم بحيث تتلاشى عندها كل آية ، و كذا غيره مما كان هكذا على نحو "و ما نريهم من اية الا و هى اكبر من اختها" : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى تقدم من خلق الأزواج [٥] على الحال المذكور و ما يتبعه من المنافع ﴿لآيت﴾ أى دلالات واضحات على قدرة فاعله و حكمته .

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : وردان (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجبل (٧) فى ظ : جعله .

و لما كان هذا المعنى [مع كونه -[1]] دقيقا [يدرك بالتأمل -[1]] قال: ﴿لقوم﴾ أي[2] رجال أو في حكمهم، لهم قوة و جد و نشاط في القيام بما يجعل إليهم[3] ﴿يتفكرون ه﴾ أي يستعملون أفكارهم على القوانين[4] المحررة و يجتهدون في ذلك .

و لما ذكر سبحانه الذكر و الأنثى، المخلوقين من الأرض، و كانت السماء كالذكر للأرض التي[5] خلق منها الإنسان، [و كان خلقهما مع كونهما مخلوقين من غير شيء أعجب من خلقه فهو أدل على القدرة، و كان خلق الأرض التي هي كالأنثى متقدما على عكس ما كان في الإنسان -[1]]، أتبعه ذكرهما بادئا بما هو كالذكر فقال مشيرا - بعد ما ذكر من آيات الأنفس - إلى آيات الآفاق: ﴿و من اٰيٰته﴾ أي الدالة على ذلك . و لما كان [6]من العجب[6] إيجاد الخافقين من العدم إيجادا مستمرا[7] على حالة واحدة، عبر بالمصدر فقال: ﴿خلق السمٰوٰت﴾ على علوها و إحكامها ﴿و الارض﴾ على اتساعها و إتقانها .

و لما كان من الناس من ينسب الخلق إلى الطبيعة، قال تعالى ذاكرا من صفات الأنفس ما يبطل تأثير الآفاق بأنفسها من غير خلقه و تقديره، و تكوينه و تدبيره: ﴿و اختلاف السنتكم﴾ أي لغاتكم و نغماتكم و هيئاتها، فلا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس و لا جهارة، [8] لا حدة[8] و لا رخاوة،

---

(1) زيد من ظ و مد (2) زيد في الأصل: ما، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (3) من ظ و مد، و في الأصل: لهم (4) من ظ و مد، و في الأصل: القواين (5) من ظ و مد، و في الأصل: الذى (6-6) في ظ و مد: المعجب (7) في مد: استمر (8-8) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

و لا لكنة و لا فصاحة ، و لا إسهاب و لا [١]وجازة ، و غير[١] ذلك من صفات النطق و أحواله ، و نعوتـــه و أشكاله ، و أنتم من نفس واحدة ، فلو كان الحكم للطبيعة لم يختلف لأنه [٢]لا اختيار[٢] لها مع أن نسبة الكل إليها واحدة .

• و لما كان لون السماء واحدا ، و ألوان الأراضي يمكن حصرها ، قال : ﴿ و الوانكم[٤] ﴾ أي اختلافا[٣] مع تفاوته و تقاربه لاضبط له مع وحدة النسبة ، و لولا هذا الاختلاف ما وقع التعارف ، و لضاعت المصالح ، و فاتت المنافع ، و طوى سبحانه ذكر الصور لاختلاف صور النجوم باختلاف أشكالها ، و الأراضي بمقادير الجبال و الروابي و أحوالها ، فلو كان الاختلاف لأجل الطبيعة فاما أن يكون بالنظر إلى السماء أو إلى الأرض ، فان كان للسماء فلونها واحد ، و إن كان للأرض فلون[٤] أهل كل قطر[٥] غير مناسب للون أرضهم . و أما الألسنة فأمرها أظهر .

و لما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لايختص بجنس من الخلق دون غيره قال : ﴿ ان في ذلك ﴾ أي الأمر العظيم العالي الرتبة في بيانه و ظهور برهانه ﴿ لأيٰت ﴾ أي دلالات عدة واضحة[٦] جدا على وحدانيته تعالى و فعله بالاختيار / و بطلان ما يقوله أصحاب الطبائع من / ١٢٧
تلك الاحتمالات التي هي مع خفائها واهية . و مع بعدها مضمحلة متلاشية

(١ - ١) من ظ و مد ، و في الأصل : و جاورة و كان - كذا (٢-٢) في ظ و مد : الاختيار (٣) من ظ ومد ، و في الأصل : اختلاف (٤) في ظ : فالوان (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : نظر (٦) في ظ : واضحات .

للعلمين

﴿ للعٰلمين ﴾ كلهم لايختص به صنف منهم دون آخر من جن و لا إنس و لا غيرهم، و فى رواية حفص عن عاصم [1] بكسر اللام حث للخاطبين على النظر ليكونوا من أهل العلم، و فى قراءة الباقين بالفتح إيماء إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لونطق الجماد لأخبر بمعرفته، ففيه إشارة إلى أنهم عدم، فلا تبكيت أوجع [2] منه .

و لما ذكر المقلة و المظلة و من فيهما، و بعض صفاتهم اللازمة، ذكر ما ينشأ عن كل من ذلك من الصفات المفارقة فقال: ﴿ و من اٰيٰته ﴾ أى [على - [3]] ذلك و غيره من أنواع القدرة و العلم ﴿ منامكم ﴾ أى نومكم و مكانه و زمانه الذى يغلبكم بحيث لاتستطيعون [4] له دفعا [4] .

و لما كان الليل محل السكن و الراحة و النوم، ذكر ما جعل من نوم [5] النهار أيضا لأن ذلك أدل على الفعل بالاختيار فقال: ﴿ باليل و النهار ﴾ أى الناشئين عن السماوات و الأرض باختلاف الحركات التى لاتنشأ إلا عن فاعل مختار و انقطاعكم بالنوم عن معاشكم [و كل ما يهمكم - [3]] و قيامكم بعد منامكم أمرا قهريا لا تقدرون على الانفكاك عن واحد [6] منهما أصلا ﴿ و ابتغآؤكم ﴾ أى طلبكم [7] بالجد و الاجتهاد ﴿ من فضله ﴾ بالمعاش فيهما، فالآية من الاحتباك : دل ذكر النوم على القيام منه، و دل [8]

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٢٨٦ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوقع (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : به رفعا (٥) سقط من ظ ، و جاءت الكلمة فى مد مضروبا عليها (٦) فى ظ و مد : احد (٧) فى ظ : طلابكم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر .

الابتغاء عــلى الانقطاع عنه ، حذف نهاية الأول و بداية الثانى ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم العالى[١] الرتبة من إيجاد النوم بعد النشاط ، و النشاط بعد النوم الذى هو الموت الأصغر ، و إيجاد كل من الملوين بعد إعدامهما ، و الجد فى الابتغاء مــع المفاوتة فى التحصيل ﴿ لأيٰت ﴾ أى عديدة على القدرة و الحكمة لاسيما البعث .

و لما كانت[٢] هذه الآيات فى دلالتها على ما تشير إليه من البعث و الفعل بالاختيار دقيقة لايستقل العقل[٢] بها دون توقيف من الدعاة لأنه قد يسند[٣] النوم و الابتغاء إلى العباد و لايتجاوز عن ذلك إلى الخالق إلا الأفراد من خلص العباد ، وكان النائم يقوم صافى الذهن فارغ السر نشيط البدن ، قال : ﴿ لقوم يسمعون ۝ ﴾ أى[٢] من الدعاة النصحاء سماع من انتبه من نومه لجسمه مستريح نشيط و قلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع من قبوله ، أو المعنى : لقوم هم أهل للسمع بأن يكونوا قد تنبهوا[٤] من رقادهم ، فرجعوا عن عنادهم ، إشارة إلى أن من لم يتأمل فى هذه الآيات فهو نائم لامستيقظ ، فهو غير متأهل لأن يسمع .

و لما ختم بالسمع آيــة جمعت آيات الأنفس و الآفاق لكونها [نشأت من أحوال البشر و الخافقين ، افتتح[٢] بالرؤية آية أخرى جامعة لهما لكونها ناشئة عنهما مع كونها -[٥]] أدل على المقصود جامعة بين[٦]

(١) فى ظ و مد : العلى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشتد (٤) فى ظ و مد : انتبهوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

[1]الترغيب و الترهيب[1] فقال: ﴿و من ءايٰته﴾ و لما كان لمعان البرق جديرا بالتماع البصر [عند -[2]] أول رؤية، و كان يتجدد فى حين دون حين، عبر بالمضارع حاذفا الدال على إرادة المصدر للدلالة على [3]التجدد المعجب[3] منه فقال: ﴿ يريكم البرق ﴾ أى على هيئات و كيفيات طالما شاهدتموها تارة تأتى بما يضر / و تارة بما يسر، و لذلك قال معبرا بغاية الإخافة[4] / ١٢٨ و الإطماع لأن الغايات هى المقصودة بالذات: ﴿ خوفا ﴾ أى للاخافة من الصواعق المحرقة ﴿ و طمعا ﴾ أى و للاطماع فى المياه الغدقة، و عبر بالطمع لعدم الأسباب الموصلة إليه.

و لما كان البرق غالبا من المبشرات بالمطر، و كان ما ينشأ عن[5] الماء أدل شيء على البعث، أتبعه شرح ما أشار إليه به من الطمع[6] فقال: ﴿ و ينزل ﴾ و لما كان إمساك الماء فى جهة العلو فى غاية الغرابة، قال محققا للمراد بالإنزال من الموضع الذى لايمكن لأحد غيره دعواه ﴿ من السمآء مآء ﴾.

و لما جعل سبحانه ذلك سببا لتعقب الحياة قال: ﴿ فيحى به ﴾ أى الماء النازل من [7]السماء خاصة لأن أكثر الأرض لاتسقى بغيره[7] ﴿ الارض ﴾ أى بالنبات الذى هو لها كالروح لجسد الإنسان. و لما كانت الأرض ليس لها من ذاتها فى الإنبات إلا العدم، و كان إحياؤها

(١ - ١) فى ظ و مد: الترهيب و الترغيب (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) فى ظ: التعجب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاضافة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: المطمع (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

به متكررا، فكان كأنه دائم، [و كان ذلك أنسب لمقصود السورة -[1]] حذف الجار قائلا : ﴿ بعد موتها[2] ﴾ أى يبسه و تهشمه ﴿ ان فى ذلك ﴾ [أى -[1]] الأمر العظيم العالى القدر ﴿ لأيت ﴾ لاسيما على القدرة على البعث . و لما كان ذلك ظاهرا كونــه من الله الفـاعل بالاختيار لوقوعه فى سحاب دون سحاب و فى وقت دون آخر و فى بلد دون آخر، و على هيئات من القوة و الضعف و البرد و الحر و غير ذلك من الأمر، و كان من الوضوح فى الدلالة على البعث بمكان لايخفى على عاقل قال : ﴿ لقوم يعقلون[2] ۝ ﴾ .

و لما كان جميـــع ما مضى من الآيات المرئيات ناشئا عن هذين الخلقين العظيمين المحيطين بمن أنزلت عليهم هذه الآيات المسموعات بيانا لمن أشكل عليه أمر الآيات المرئيات، ذكر [3]أمرا جامعا[3] للكل و هو من الوضوح بحيث لايحتاج إلى أكثر من العقل[4] المختوم به ما قبل فقال : ﴿ و من ايته ﴾ أى على تمام القدرة و كمال الحكمة .

و لما كانت هذه الآية فى[5] الثبات لا فى التجدد، أتى بالحرف الدال على المصدر ليسلخ الفعل عن[6] الاستقبال، و عبر بالمضارع لأنه لابد من إخراجهما عن هذا الوضع فقال : ﴿ ان تقوم ﴾ أى تبقى على ما تشاهدون من الأمر العظيم بلا عمد ﴿ السمآء ﴾ أفرد لأن السماء الأولى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : يتفكرون (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الاصل : امر جامع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : الفعل (٥) فى ظ و مد : من (٦) فى ظ . على .

لاتقبل

لا تقبل النزاع لأنها مشاهدة مع صلاحية اللفظ للكل لأنه جنس ﴿و الارض﴾ على ما لهما من الجسامة و الثقل المقتضى للهبوط ﴿بامره﴾ لابشيء سواه .

و لما لم يبق فى كمال علمه و تمام قدرته شبهة[1]، قال معبرا بأداة التراخى لتدل - مع دلالتها على ما هى له - على[2] العظمة، فقال دالا على أن قدرته على الأشياء كلها مع تباعدها على حد سواء، و أنه لا فرق عنده فى شمول أمره بين قيام الأحياء و قيام الأرض و السماء ﴿ثم[3] اذا دعاكم﴾ و أشار إلى هوان ذلك الأمر عنده بقوله: ﴿دعوة ق صلے من الارض ق صلے﴾ على[4] بعد ما بينها و بين السماء فضلا عن لعرش، و أكد ذلك بكونه مثل لمح البصر أوهو أقرب فقال معبرا بأداة الفجاءة: ﴿اذآ انتم تخرجون ه﴾ أى يتجدد لكم هذا الوصف بعد اضمحلالكم بالموت / و البلى، و يتكرر ١٢٩ / باعتبار آحادكم من غير تلبث و لا مهلة أصلا، إلا أن يترتب[5] على الأفضل فالأفضل لقوله صلى الله عليه و سلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض» كما دعاكم منها أولا [6]إذ خلقكم[6] من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، و أعرى[7] هذه عما[8] ختم به الآيات السالفة تنبيها على أنها مثل الأولى قد انتهت فى الظهور، و لاسيما بانضمامها إلى الأولى التى هى أعظم دال عليها إلى حد هو اضوأ من النور، كما تأتى الإشارة إليه فى آية "و هو اهون عليه".

(١) زيد فى ظ و مد: عبر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٣) ساقط فى الأصل فقط (٤) من ظ و مد، و فى الاصل: أى (٥) فى مد: تترتب.
(٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الخلقكم (٧) فى ظ: اجرى (٨) فى ظ: بما.

و لما ذكر تصرفه فى الظرف و بعض المظروف من الإنس و الجن ، ذكر قهره للكل فقال: ﴿ و له ﴾ أى [و حده - [1]] بالملك الأتم ﴿ من فى السمٰوٰت و الارض ؕ ﴾ أى كلهم ، و أشار إلى الملك بقوله : ﴿ كل له ﴾ أى وحده . و لما كان انقياد الجمع [2] مستلزما لانقياد المفرد دون [3] عكسه جمع فى قوله : ﴿ قٰنتون ۝ ﴾ اى مخلصون فى الانقياد ليس لأنفسهم و لا لمن سواه فى الحقيقة و الواقع تصرف بوجه ما إلا باذنه [4] ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما : مطيعون طاعة الإرادة و إن عصوا أمره فى العبادة - نقله عنه البغوى [5] و غيره و رجحه الطبرى و هو معنى ما قلت .

و لما كان هذا معنى يشاهده كل أحد فى نفسه مع ما جلى سبحانه من عرائس الآيات الماضيات ، فوصل الأمر فى الوضوح إلى حد عظيم قال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى يبدؤا الخلق ﴾ أى على سبيل التجديد كما تشاهدون ، و أشار إلى تعظيم الإعادة بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم يعيده ﴾ أى بعد أن يبيده .

و لما كان من المركوز فى فطر جميع البشر أن إعادة الشىء أسهل من ابتدائه قال [6] : ﴿ و هو ﴾ أى و ذلك الذى ينكرونه من الإعادة ﴿ اهون عليه ؕ ﴾ خطابا لهم بما [7] ألفوه و عقلوه [8] و لذلك أخر الصلة

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : الجميع (٣) فى ظ و مد : بدون . (٤) فى ظ و مد : بارادته (٥) راجع هامش اللباب ٥ / ١٧١ (٦) فى ظ : فقال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عقولهم - كذا .

لأنه لا معنى هنا للاختصاص الذى يفيده تقديمها .

و لما كان هذا إنما هو على طريق التمثيل لما يخفى عليهم بما هو جلى عندهم ، و كل من الأمرين بالنسبة إلى قدرته [على حد سواء لا شىء فى علمه أجلى من آخر ، و لا فى قدرته -[1]] أولى من الآخر ، قال مشيرا إلى تنزيه نفسه المقدسة عما قد يتوهمه بعض الأغبياء من ذلك : ﴿و له﴾ أى وحـــده ﴿المثل الاعلى﴾ أى الذى تنزه عن كل شائبة نقص ، و استولى على كل رتبة كمال ، و هو أمره الذى احاط بكل مقدور ، فعلم به إحاطته هو سبحانه بكل معلوم ، كما تقدم فى البقرة فى شرح المثل " الا له الخلق و الامر " .

و لما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة قال : ﴿فى السمٰوٰت و الارض ج﴾ اللتين[2] خلقهما و لم تستعصيا عليه ، فكيف يستعصى عليه شىء فيهما ، و قد قالوا : إن المراد بالمثل هنا الصفة ، و عندى[3] أنه يمكن أن يكون على حقيقته تقريبا لعقولنا ، فاذا أردنا تعرفه سبحانه فى الملك مثلنا[4] بأعلى ما نعلم من ملوكنا فنقول : الاستواء على العرش مثل للتدبير [و التفرد بالملك كما يقال فى ملوكنا : فلان جلس على سرير الملك ، بمعنى : استقل بالأمر و تفرد بالتدبير -[1]] و إن لم يكن هنا سرير[5] و لا جلوس ، و إذا ذكر بطشه سبحانه و أخذه لأعدائه فى نحو قوله تعالى " يد الله فوق ايديهم " " ان بطش ربك لشديد " مثلناه[6] بما لو قهر

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : عنده.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثلنا (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثلنا .

سلطان أعدائه بحزمه[١] و صحة تدبيره / و كثرة جنوده فقلنا "محق سيفه أعداءه" فأطلقنا سيفه على ما ذكر من قوته، و إذا قيل: تجرى بأعيننا، و نحو ذلك علمنا أنه مثل ما نقول[٢] إذا رأينا ملكا حسن التدبير لا يغفل عن شيء من أحوال رعيته فقلنا "هو فى غاية اليقظة" فأطلقنا اليقظة التى هى ضد النوم على حسن النظر و عظيم التدبير و شمول العلم، و هذه تفاصيل مما[٣] قدمت أنه مثله، و هو أمره المحيط الذى انجلى لنا به [غيب -[٤]] ذاته سبحانه، و هكذا ما جاء من أمثاله نأخذ من العبارة[٥] روحها فنعلم أنه المراد، و أن ذلك الظاهر ما ذكر إلا تقريبا للأفهام النقيسة[٦] على ما نعرف [٧]من أعلى الأمثال[٧]، و الأمر بعد ذلك أعلى مما نعلم، و لذلك قال تعالى: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿العزيز﴾ أى الذى إذا أراد شيئا كان له فى غاية الانقياد كائنا ما كان[٨] ﴿الحكيم ؏﴾ [أى -[٩]] الذى إذا[١٠] أراد شيئا أتقنه فلم يقدر غيره على[١١] التوصل إلى نقص شيء منه، و لا تتم حكمة هذا الكون على هذه الصورة إلا بالبعث، بل هو محط الحكمة الأعظم ليصل كل ذى حق إلى حقه بأقصى التحرير على ما نتعارفه و إلا لكان الباطل أحق من الحق و أكثر، فكان عدم هذا الموجود خيرا ١٣٠ /

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحزبه (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: يقول. (٣) فى ظ: ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العبادة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: النفيسه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كانت (٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى.

من

من وجوده و أحكم .

و لما بان من هذا أنه المتفرد فى الملك بشمول العلم و تمام القدرة و كمال الحكمة، اتصل بحسن أمثاله و إحكام[١] مقاله و فعاله قوله: ﴿ ضرب لكم ﴾ أى بحكمته فى أمر الأصنام [و -[٢]] بيان إبطال من يشرك بها و فساد قوله بأجلى ما يكون من التقرير: ﴿ مثلا ﴾ مبتدئا ﴿ من انفسكم[٣] ﴾ التى هى[٣] أقرب الأشياء إليكم، فأنتم لما تذكرون به أجدر بأن[٤] تفهموه .

و لما كان حاصل المثل أنه لا يكون مملوك كمالك، و كان التقرير أقرب إلى التذكير و أبعد عن التنفير[٥]، قال منكرا موبخا مقررا[٦]: ﴿ هل لكم ﴾ أى يا من عبدوا مع الله بعض عبيده ﴿ من ما ﴾ أى من بعض ما ﴿ ملكت ايمانكم ﴾ أى من العبيد أو[٧] الإماء الذين هم بشر مثلكم، و عم فى النفى الذى هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله: ﴿ من شركآء[٨] ﴾ [أى -[٢]] فى حالة من الحالات [يسوغ لكم بذلك أن تجعلوا لله شركاء -[٢]] ، و نبه على ما فى[٩] إيجاد الرزق ثم قسمته[١٠] بين الخلق و غير ذلك من شؤونه بقوله [التفاتا -[٢]] - بعد طول التعبير بالغيبة التى قد يتوهم معها بعد - إلى التكلم بالنون الدال مع القرب على العظمة و لذة[١١] الإقبال بالمخاطبة:

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: احكم (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: التغير .
(٦) من ظ ومد، و فى الأصل: مقرر (٧) فى ظ «و» (٨) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: شركائكم (٩) زيد فى الأصل: غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قسمه .
(١١) من ظ و مد، و فى الأصل: كذا .

﴿ فيما رزقنٰكم ﴾ أى بما لنا من العظمة من مال أو جاه مع ضعف ملككم فيه .

و لما كانت الشركة سببا لتساوى[1] الشريكين فى الأمر المشترك قال : ﴿ فانتم ﴾ أى معاشر الأحرار و العبيد . و لما كان ربما توهم أن "من شركاء" صفة لأولاد[2] من سراريهم، قدم الصلة دفعا لذلك فقال: ﴿ فيه ﴾ أى الشيء الذى وقعت فيه الشركة من ذلك الرزق خاصة لا غيره من نسب أو حسب و نحوهما [أو خفة فى بدن أو قلب أو طول فى عمر و نحوها، و أما أولادهم من السرارى فربما ساووهم فى ذلك و غيره من النسب و نحوه، و العبيد ربما ساووهم فى قوة البدن و طول العمر أو زادوا -[3]] ﴿سوآء﴾ ثم بين المساواة التى هى أن يكون حكم أحد القبيلين[4] فى المشترك على السواء كحكم الآخر لا يستبد أحدهما عن الآخر بشيء بقوله: ﴿ تخافونهم ﴾ أى معاشر السادة فى التصرف فى ذلك الشيء المشترك .

[و لما كانت أداة التشبيه أدل، أثبتها فقال -[3]] : ﴿ كخيفتكم انفسكم ﴾ أى كما تخافون بعض / من تشاركونه ممن يساويكم فى الحرية و العظمة ١٣١ أن تتصرفوا فى الأمر المشترك بشيء لا يرضيه و بدون إذنه، فظهر أن حالكم فى عبيدكم مثل [له -[3]] [5]فيمن أشركتموهم[5] به موضح لبطلانه، فاذا [لم -[3]] ترضوا هذا لأنفسكم و هو أن يستوى[6] عبيدكم معكم[7] فى

---

(١) فى ظ : للتساوى (٢) فى ظ : الاولاد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٤) فى ظ : القبيلتين (٥-٥) من ظ ومد، وفى الأصل : فيما اشتركتموه . (٦) فى ظ : يسوى (٧) سقط من ظ و مد .

الملك فكيف ترضونه بخالقكم فى هذه الشركاء التى زعمتموها فتسوونها به و هى من أضعف خلقه أفلا[1] تستحيون ؟

و لما كان هذا المثال، فى الذروة من الكمال، كان السامع جديرا بأن يقول : جل الله ! ما أعلى شأن هذا البيان ! هل يبين كل شيء هكذا ؟ فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان العالى ﴿ نفصل ﴾ أى نبين، لأن الفصل هو الميز و هو البيان، و ذلك على وجه عظيم - بما أشار إليه التضعيف مع التجديد و الاستمرار : ﴿ الأيٰت ﴾ أى الدلالات الواضحات . و لما كان البيان لا ينفع المسلوب قال : ﴿ لقوم يعقلون ۝ ﴾ إشارة إلى أنهم إن[2] لم يعملوا بمقتضى ذلك كانوا مجانين، لأن[3] التمثيل يكشف المعانى بالتصوير و التشكيل[4] كشفا لا يدع لبسا، فمن خفى عليه لم يكن له تميز[5] .

و لما كان جوابهم قطعا : ليس لنا شركاء بهذا الوصف، كان التقدير، فلم تتبعوا [6]فى الإشراك[6] بالله دليلا، فنسق عليه : ﴿ بل ﴾ و كان الأصل[7]: اتبعتم، و لكنه أعرض عنهم[8]، إيذانا بتناهى الغضب للعناد بعد البيان، و أظهر الوصف الحامل لهم على ذلك [تعميما و تعليقا للحكم به - [9]]

---

(١) فى ظ و مد : فلا - بحذف همزة الاستفهام (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : التشكيك (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : تميز (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل : بالاشراك. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : اصل (٨) من م - و تستأنف من هنا - و مد، و فى الأصل و ظ : عنه (٩) زيد من ظ و م و مد .

قال[1] : ﴿ اتبع ﴾ [أى بتكليف أنفسهم خلاف الفطرة الأولى - [2]] ﴿ الذين ظلموآ ﴾ أى وضعوا الشيء فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام ﴿ اهوآءهم ﴾ و هو ما يميل إليه نفوسهم .

و لما كان اتباع الهوى قد يصادف الدليل، و إذا لم يصادف و كان من عالم رده عنه علمه قال : ﴿ بغير علم ج ﴾[3] إشارة إلى بعدهم[4] فى الضلال لأن الجاهل يهيم[5] على وجهه [6]بلا مرجح غير الميل[6] كالبهيمة لا يرده شيء، و أما العالم فربما رده علمه .

و لما كان هذا ربما أوقع فى بعض الأوهام أن هذا بغير إرادته سبحانه ، دل بفاء السبب على أن التقدير : و هذا ضلال منهم بارادة الله[7]، [فلما أساءوا باعراقهم فيه كانت عاقبتهم السوء و الخذلان ، لأنهم أبعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى - [2]] : ﴿ فمن يهدى ﴾ أى بغير إرادة الله ، و لفت الكلام من مظهر العظمة إلى أعظم [منه - [2]] بذكر الاسم الأعظم لاقتضاء الحال له فقال : ﴿ من اضل الله ﴾ الذى له الأمر كله ، و دل بواو العطف على أن التقدير : ليس أحد يهديهم [لأنهم ابعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى فبعدوا عن أسباب النصر لأنهم صاروا على جرف هار فى كل أمورهم، فلذا حسن موضع تعقيبه بقوله - [2]] : ﴿ و ما لهم ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من نصرين ه ﴾ أى من الأصنام و لا غيرها[8] يخلصونهم مما هم فيه من

(١) زيد فى ظ : بل (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ : أى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل وم : بعضهم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يهتم. (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : بما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الخذلان

الخذلان و أسر الشيطان، و مما يسبيه من النيران، و نفى الجمع دون الواحد لأن العقل ناصرلهم بما هو مهيأ[١] له من الفهم و اتباع دليل السمع لو استعملوه، أو لأنه ورد[٢] جوابا لنحو "و اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا لعلهم ينصرون" [أو للاشارة إلى أن تتبع الهوى لا ينفع فى تلافى أمره الا أعوان كثيرون - ٣] و دل على نفى الواحد "لا تجزى نفس عن نفس" - الآية، و "ان الكٰفرين لامولى لهم" [و - ٤] "فما له من قوة و لا ناصر" فى أمثالها .

و لما تحررت الأدلة، و انتصبت الأعــلام، و اتضحت الخفايا، و صرحت الإشارات، و أفصحت الســن العبارات، أقبل على خلاصة الخلق، إيذانا / بأنه لايفهم ذلك حق فهمه غيره، فقال[٥] مسيا عن ذلك / ١٣٢ ممثلا لإقباله[٦] و استقامته و ثباته : ﴿ فاقم وجهك ﴾ أى قصدك كلـه ﴿ للدين ﴾ اى نصبا بحيث تغيب عما سواه، فلا تلتفت عنه أصلا فلاتنفك عن المراقبة، فان من اهتم بشيء سدد إليه نظره، و قوم له وجهه . ثم عرض بجلافة[٧] أهل الضلال و غشاوتهم، و كثافتهم و غباوتهم، و جمودهم و قساوتهم، بقوله : ﴿ حنيفا ﴾ أى حال كونك ميالا مع الدليل هينا[٨] لينا نافذ البصر نير[٩] البصيرة سارى الفكر سريع الانتقال طائر الخاطر،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : به مرتبا (٢) زيد فى الأصل : به، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) زيد من م. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ وم و مد، وفى الأصل : بخلافة (٨) فى م و مد : هشا (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بين .

ثم بين أن هذا الأمر فى طبع كل أحد[1] و إن كانوا فيه متفاوتين كما تراهم إذا كانوا صغارا أسهل شيء انقيادا ، و لكنهم لما يكشف لهم الحال فى كثير من الأشياء عن [أن -[2]] انقيادهم كان خطأ يصيرون[3] يدربون أنفسهم على المخالفة دائما حتى تصير لبعضهم طبعا تجريبا فيصير أقسى[4] شيء و أجمده[5] بعد أن كان أسهل شيء و أطوعه ، و أكثر ما يكون هذا من قرناء السوء الذين يقولون ما لايفعلون ، و لهذا نهى أن يوعد الطفل بما لاحقيقة له : روى أحمد[6] و ابن أبى الدنيا من[7] طريق الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال المنذرى[8] : و لم يسمع منه - أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من قال لصبى : تعال[9] هاك ! ثم[10] لم يعطه فهى كذبة ، و لأبى داود[11] والبيهقى و ابن أبى الدنيا عن مولى عبد الله بن عامر - [12]قال ابن أبى الدنيا : زياد عن عبد الله بن عامر[12] - أن أمه رضى الله عنها قالت له : تعال[13] أعطيك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : تمرا ، فقال : أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة[14] . فقال تعالى مبينا لهم صحة دينه بأمر هو فى

---

(١) فى ظ و مد : واحد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يصرون (٤) فى ظ و مد : أعسى (٥) فى ظ و مد : اجهده (٦) راجع مسنده ٤٠٢/٢ (٧) فى ظ : عن (٨) أراه فى الترغيب والترهيب (٩) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : تعالى (١٠) من ظ و م و مد المسند ، و فى الأصل « و » (١١) راجع سننه ٢ / ١٩٨ (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٣) من ظ و م و مد و السنن ، و فى الأصل : تعالى (١٤) و أخرجه الإمام أحمد أيضا فى مسنده ٣ / ٤٤٧ .

أنفسهم ، كما بين بطلان دينهم بأمر هو فى[1] أنفسهم : ﴿ فطرت الله ﴾ أى الزم فطرة الملك الذى لا راد لأمره ، و هى الخلقة [الاولى -[2]] التى خلق عليها البشر و الطبع الأول ، [و قال الغزالى فى آخر كتاب العلم من الإحياء[3] فى بيان العقل فى هذه الآية : أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أعنى أنها كالمتضمنة فيه[4] لقرب استعداده[5] للادراك - انتهى -[6]] ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ التى فطر الناس ﴾ أى كل من له أهلية التحرك[7] ﴿ عليها ﴾ كلهم الأشقياء و السعداء ، و[8]هى سهولة الانقياد وكرم الخلق الذى هو فى الصورة فطرة الإسلام ، و تحقيق ذلك أن المشاهد من جميع الأطفال سلامة الطباع و سلاسة[9] الانقياد [لظاهر الدليل -[2]] ، ليس منهم فى ذلك عسر كما فى الكبار إن تفاوتوا فى ذلك ، فالمراد بالفطرة قبولهم للحق و تمكنهم من إدراكه ، كما تجد الأخرس يدرك [أمر -[6]] المعاد إدراكا بينا ، و له فيه ملكة راسخة ، و هذا المعنى هو الذى أشار إليه حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين و حديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أحمد بن منيع أن النبى صلى الله عليه و سلم[10] قال :

---

(١) فى ظ ومد : من (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) ١/٦٤ (٤) فى الإحياء : فيها.

(٥) فى الإحياء : استعدادها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التحر (٨) سقطت الواو من ظ (٩) من م ومد ، و فى الأصل وظ: سلامة (١٠) و الحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه .

كل مولود يولد [١]على الفطرة[١] - و فى رواية للبخارى[٢] : ما من مولود إلا
يولد على الفطرة - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة
جمعاء[٣]، هل[٤] تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها. فذلك
الجدع و الوسم و شق الأذن و نحو ذلك مثال الأخلاق[٥] التى يتعلمها
/ الطفل ممن يعامله بها من الغش و الكذب و غير ذلك، و كذا حديث ١٣٣ /
عياض بن حمار[٦] المجاشعى[٧] رضى الله عنه فى مسلم فى صفة النار[٨] و النسائى
فى فضائل القرآن و أبى داود الطيالسى أن النبى صلى الله عليه و سلم
قال: كل مال نحلته[٩] عبدا حلال[١٠]، و إنى خلقت عبادى [١١]حنفاء كلهم[١١]
و أنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[١٢] عن دينهم، و حرمت عليهم ما أحللت
لهم، و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانه . و لكن الشيطان
لا يتمكن إلا باقدار الله له فى الحال بما يخلق فى باطن المخذول من الباعث
و فى الماضى من الطبائع التى هيأه بها لمثل ذلك كما أشار إليه قوله
صلى الله عليه و سلم المتفق عليه فى الصحيح عن على رضى الله تعالى عنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) أوردها فى تفسير هذه الآية من سورة الروم : ٢ / ٧٠٤ (٣) سقط من ظ (٤) من المراجع، و فى الأصل : حتى (٥) فى ظ : الاخلاق (٦) من م و مد و التهذيب، و فى الأصل : حماد، و فى ظ : عمار (٧) فى ظ : المحاسى (٨) باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة و أهل النار (٩) من م و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و ظ : يخلقة (١٠) فى ظ : حلالا (١١ - ١١) من م و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و ظ : كلهم حنفاء - (١٢) من المراجع، و فى الأصل : فاحالتهم.

اعملوا

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1]، و آية[2] سبحان "[3] كل يعمل على شاكلته" و ذلك أنه لما أخبرهم صلى الله عليه و سلم أن الله تعالى قد كتب أهل الجنة و أهل النار، فلا يزاد فيهم[4] و لا ينقص، قالوا: أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل؟. فالكتاب حجة عليهم، لأن مبناه على أن فلانا من أهل النار لكونه لم يعمل كذا وكذا، فأرادوا أن يجعلوه حجة لهم فأعلموا أن فى ذلك أمرين لا يبطل أحدهما الآخر: باطن هو العلة الموجبة فى حكم الربوبية و هو العلم، و ظاهر هو [5]السمة اللازمة[5] فى حق العبودية و هو العمل، و هو أمارة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم، عولموا[6] بذلك ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم، و رجاؤهم بالظاهر البادى لهم، و الخوف و الرجاء مدرجتا العبودية ليستكملوا بذلك صفة الإيمان، و نظير ذلك أمران: الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، و الأجل المحتوم مع المعالجة[7] [8]بالطب، فالمغيب[8] فيهما علة موجبة و الظاهر سبب مخيل، و قد اصطلح خواصهم و عوامهم على أن الظاهر منهما لا يترك بالباطن - ذكر معناه الرازى فى اللوامع عن الخطابى.

و لما كانت سلامة الفطرة الأولى أمرا[9] مستمرا، قال: ﴿لا تبديل﴾

---

(١) و الحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) رقم ٨٤ (٣) زيد فى ظ «قل» (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيه (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السنة اللازم (٦) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عملوا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العاجلة (٨-٨) فى ظ: بالطيب و المغيب (٩) سقط من ظ.

و لعظم المقام كرر الاسم الأعظم فقال: ﴿لخلق الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له، لا يقدر أحد[1] أن يجعل طفلا فى أول أمره خبيث الفطرة لا ينقاد لما يقاد[2] إليه و لا يستسلم لمن يربيه، و كلما[3] كبر و طعن فى السن رجع لما طبع عليه من كفر أو إيمان، أو طاعة أو عصيان، أو [4]نكر أو عرفان[4]، قليلا قليلا، حتى ينساق[5] إلى ذلك عند البلوغ أو بعده، فان مات قبل ذلك جوزى بما كان الله يعلمه منه أنه[6] يعمله طبعيا و يموت عليه كالغلام الذى قتله الخضر عليه السلام صح الخبر بأنه طبع على الكفر، و لا يعذب بما يكون عارضا منه و يعلم أنه سيكون لو كان كأبوى الغلام لما وقع التصريح به من أنه لو عاش لأرهقهما طغيانا و كفرا، فقد علم منهما الكفر حينئذ فلم يؤاخذا به لأنه عارض لا طبعى، فالعبرة بالموت، و من طبع على شيء لم يمت على غيره، فحقق هذا تعلم أنه لا تنافى بين شيء من النصوص لا من الكتاب[7] و لا من السنة - و الله الهادى. ١٣٤/

/و لما كان الميل مع[8] الدليل كيفما مال أمرا لا يكتنه قدره و لا ينال إلا بتوفيق من الله، أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم و[9] هو الاعتزاز للدليل و اتباع ما يشير إليه و يحث عليه

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ينقاد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لما (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: نكرا او عرفانا.
(٥) سقط من ظ ومد (٦) فى ظ: بانه (٧) ومن هنا سقطت صفحتان من مد.
(٨) زيد فى ظ: ان (٩) فى ظ: الذى.

﴿الدين القيم﴾ الذى لا عوج فيه ﴿و لكن اكثر الناس﴾ قد تدربوا فى اتباع الأهوية لما تقدم من الشبه[١] فصاروا بحيث ﴿لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم أصلا حتى يميزوا الحق من الباطل لما غلب عليهم من الجفاء.

و لما كان من الناس من منّ الله عليه بأن كان فى هذا الميدان، و سمت[٢] همته إلى مسابقة الفرسان، [٣]فلما رأى[٣] أنه لم يلتفت إليه، و لم يعول أصلا عليه[٤]، كادت نفسه تطير، و كانت عادة القوم أن يخاطبوا القوم لمخاطبة رئيسهم تعظيما له و حثا لهم على التحلى بما خص به، جُبرت قلوبهم و شرحت صدورهم فبينت لهم حال من ضمير " اقم " أو من العامل فى " فطرت " إعلاما بأنهم مرادون بالخطاب، مشار[٥] إليهم بالصواب، فقال: ﴿ منيبين ﴾ أى راجعين مرة بعد مرة بمجاذبة النفس و الفطرة الأولى ﴿اليه﴾ تعالى بالنزوع [٦]عما اكتسبتموه[٦] من ردىء الأخلاق إلى تلك الفطرة السليمة المنقادة للدليل، الميالة إلى سواء السبيل.

و لما لم يكن بعد الرجوع إلى المحجة[٧] إلا الأمر[٨] بلزومها خوفا من الزيغ عنها دأب المرة الأولى، قال عاطفا[٩] على " فاقم ": ﴿و اتقوه﴾ أى خافوا أن تزيغوا عن سبيله يسلكم فى أيدى أولئك المضلين، فاذا

(١) فى ظ: الشيعة، و فى م: الشبهة (٢) فى ظ: سمعت - خطأ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل: مشارا، و فى ظ: مشيرا (٦-٦) من م، و فى الأصل: كما اكتسبوه، و فى ظ: عما اقتموه (٧) من م، و فى الأصل و ظ: الحجة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الامن (٩) فى ظ: عطفا.

خفتموه فلزمتموها كنتم ممن تخلى عن الرذائل ﴿ و اقيموا الصلوٰة ﴾ تصيروا[1] ممن تحلى بالفضائل - هكذا دأب الدين أبدا تخلية ثم تحلية : أول الدخول إلى الإسلام التنزيه، و أول الدخول فى[2] القرآن الاستعاذة، و هو أمر ظاهر معقول، مثاله من أراد أن يكتب فى شيء إن مسح ما فيه من الكتابة انتفع بما كتب، و إلا أفسد الأول و لم يقرأ الثانى - والله الموفق

و لما كان الشرك [3]من الشر[3] بمكان ليس هو لغيره، أكد النهى عنه بقوله : ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى كونا ما ﴿ من المشركين ﴾ أى لاتكونوا ممن يدخل فى عدادهم بمواددة[4] أو معاشرة أو عمل تشابهونهم فيه فانه " من تشبه بقوم فهو منهم " و هو عام فى كل شرك سواء كان بعبادة صنم أو نار أو غيرهما، أو بالتدين بما يخالف النصوص من أقوال الأحبار و الرهبان و غير ذلك.

و لما كانوا يظنون أنهم على صواب، نصب لهم دليلا على بطلانه بما لا أوضح منه، و لا يمكن أحدا التوقف فيه، و ذلك أنه[5] لا يمكن أن يكون الشيء متصفا بنفى شيء و إثباته فى حالة واحدة فقال مبدلا : ﴿ من الذين فرقوا ﴾ لما فارقوا ﴿ دينهم ﴾ الذى هو الفطرة الأولى، فعبد كل قوم منهم شيئا و دانوا دينا غير دين من سواهم، و هو معنى ﴿ و كانوا ﴾ [أى -[6]] بجهدهم و جدهم فى [تلك-[7]] المفارقة المفرقة ﴿ شيعا ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و م : الى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٤) من ظ و م، و فى الأصل : بموادة (٥) فى ظ : لأنه، و فى م : بأنه (٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م.

أى

أى فرقا متحالفين، كل واحدة[١] منهم تشايع من دان بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا و استباحوا الدماء و الأموال، فعلم قطعا أنهم كلهم ليسوا على الحق .

و لما كان / هذا أمرا يتعجب من وقوعه، زاده عجبا بقوله استئنافا: / ١٣٥
﴿كل حزب﴾ أى منهم ﴿بما لديهم﴾ أى خاصة من خاص ما عندهم من الضلال الذى انتحلوه ﴿ فرحون ﴾ ظنا منهم[٢] أنهم صادفوا الحق و فازوا به دون غيرهم .

و لما حصل من هذا القطع من كل عاقل أن[٣] أكثر الخلق ضال، فكان الحال جديرا بالسؤال، عن وجه الخلاص من هذا الضلال، أشير إليه[٤] أنه لزوم الاجتماع، و بين ذلك فى جملة[٥] حالية من فاعل "فرحون" فقال تعالى: ﴿ و اذا ﴾ و كان الأصل: مسهم، و لكنه قيل [لأنه أنسب بمقصود السورة من قصر ذلك على الإنسان كما هى العادة فى أكثر السور أو غير ذلك من أنواع العالم -[٦]]: ﴿مس الناس﴾ تقوية لإرادة[٧] العموم [إشارة إلى كل من فيه أهلية النوس و هو التحرك، من الحيوانات العجم و الجمادات لو نطقت ثم اضطربت لتوجهت إليه سبحانه و لم تعدل عنه كما أنها الآن كذلك بألسنة أحوالها، فهذا هو الإجماع الذى لا يتصور معه نزاع -[٦]]

---

(١) من ظ، و فى الأصل و م: واحد (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ، و فى الأصل و م: بان (٤) فى ظ و م: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: علة. (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لادة

﴿ضر دعوا ربهم﴾ أى[1] الذى لم يشاركه[2] فى الإحسان إليهم أحد [فى جميع مدة مسهم بذلك الضر - بما أشار إليه الظرف -[3]] حال كونهم ﴿منيبين﴾ أى راجعين من جميع ضلالاتهم التى فرقتهم عنه ﴿اليه﴾ علما منهم بأنه لا فرج لهم عند شيء غيره، هذا ديدن الكل لايخرم عنه أحد منهم فى وقت من الأوقات، ولا فى [4]أزمة من الأزمات[4]، قال الرازى فى اللوامع فى أواخر العنكبوت: وهذا دليل على أن معرفة الرب فى فطرة كل إنسان، وأنهم إن غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء.

ولما كان كل واقع فى شدة مستبعدا كل استبعاد الخلاص منها قال: ﴿ثم﴾ بأداة البعد ﴿اذآ اذاقهم﴾ [مسندا الرحمة إليه تعظيما للأدب وإن كان الكل منه -[3]]. ولما كان السياق كله للتوحيد، فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه وضميره أتم قال: ﴿منه﴾ مقدما ضميره دالا بتقديم الجار على الاختصاص وأن ذلك لايقدر عليه غيره، وقال: ﴿رحمة﴾ أى خلاصا من ذلك الضر[5]، إشارة إلى أنه لو أخذهم بذنوبهم أهلكهم، فلا[6] سبب لإنعامه سوى كرمه، ودل على شدة إسراعهم فى كفران الإحسان بقوله معبرا بأداة المفاجأة: ﴿اذا فريق منهم﴾ أى [طائفة هى -[7]] أهل لمفارقة[8] الحق ﴿بربهم﴾ أى المحسن إليهم دائما، المجدد لهم

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لم يشرعه، وفى م: لم يشركه (٣) زيد من ظ. (٤-٤) من ظ وم، وفى الأصل: زمن من الازمان (٥) من ظ وم، وفى الأصل: الضراء (٦) فى ظ: ولا (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم، وفى الأصل: المفارقة.

هذا الإحسان من هذا الضر ﴿ يشركون ﴾ بدل[1] ما لزمهم من أنهم يشكرون[2] فعلم أن الحق الذى لامعدل عنه الإنابة[3] فى كل حال إليه كما أجمعوا فى وقت الشدائد عليه، و أن غيره مما فرقهم ضلال، لايعد له قبالا و لا ما [4]يعدله[4] قبال .

و لما كان [هذا -[5]] الفعل مما لايفعله إلا شديد الغباوة أو العناد، و كانوا يدعون أنهم أعقل الناس، ربا بهم عن منزلة البله إلى ما الجنون خير منه تهكما بهم فقال: ﴿ ليكفروا بمآ ﴾ [6]و لفت الكلام إلى مظهر العظمة فقال[6]: ﴿ ءاتينهم ﴾ أى من الرحمة التى من عظمتها أنه لايقدر عليها غيرنا أمنا من أن يقعوا فى شدة أخرى فنهلكهم بما أغضبونا، أو توسلا بذلك إلى أن[7] نخلصهم متى وقعوا فى أمثالها، فما أضل عقولهم و أسفه[8] آراءهم!

و لما كان فعلهم هذا سببا لغاية الغضب، دل عليه بتهديده ملتفتا إلى المخاطبة بقوله: ﴿ فتمتعوا وقفه ﴾ أى [بما -[9]] أردتم فيه بالشرك من اجتماعكم عند الأصنام و تواصلكم بها و تعاطفكم، و سبب عن[10] هذا التمتع قوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أى يكون لكم بوعد لاخلف فيه علم / فتعرفون إذا حل بكم البلاء و أحاط بكم جميعا المكروه[11] هل ينفعكم شيء ١٣٦/

---

(١) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م، و فى الأصل و ظ: يشركون (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الابه.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: يعدل له (٥) زيد من م (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) فى ظ: انهم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اسعة - كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) فى ظ: من (١١) زيدت الواو فى ظ .

من الأصنام أو من اتخذتم عنده يدا بعبادتها و وافقتموه فى التقرب إليها .

و لما بكتهم بقوله " هل لكم مما ملكت ايمانكم " و وصل به ما تقدم أنه فى غاية التواصل، عاد له ملتفتا إيذانا بالتهاون بهم إلى مقام الغيبة إبعادا لهم عن جنابه حيث جلى لهم هذه الأدلة و استمروا فى خطر إغضابه[1] بقوله: ﴿ ام انزلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عليهم سلطنا ﴾ أى دليلا واضحا قاهرا ﴿ فهو ﴾ أى ذلك السلطان لظهور بيانه ﴿ يتكلم ﴾ كلاما مجازيا بدلالته و إفهامه، و يشهد ﴿ بما ﴾ أى بصحة[2] الذى ﴿ كانوا ﴾ أى كونا راسخا ﴿ به ﴾ أى خاصة ﴿ يشركون ﴾ بحيث لم يجدوا بدا من متابعته لتزول عنهم الملامة، و هذه العبارة تدل على أنهم لازموا الشرك ملازمة صيرته لهم خلقا لا ينفك .

و لما بان بهذين المتعادلين أنه لم يضطرهم إلى الإشراك عرفٌ فى أنفسهم مستمر دائم، و لا دليل عقلى ظاهر، و لا أمر من الله قاهر، فبان انهم لم يتبعوا عقلا و لا نقلا، بل هم أسرى[3] الهوى المبنى على محض الجهل، و [كان -[4]] قد صرح بذلك عقب العديل[5] الأول، لمح هنا، و ترك التصريح به لإغناء الأول عنه، و استدل عليه بدليل خالفوا فيه العادة المستمرة، و الدلالة الشهودية المستقرة، فقال عاطفا على "و اذا مس" دالا على خفة أحلامهم[6] من وجه آخر غير الأول: ﴿ و اذا ﴾ معبرا

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اعضائه (٢) فى ظ: ما (٣) من م، و فى الأصل و ظ: اسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الدليل (٦) فى ظ: اخلاقهم .

بأداة

بأداة التحقيق إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النقمة، و أسند الفعل إليه في مقام العظمة إشارة إلى سعة جوده فقال: ﴿ اذقنا ﴾ [و جرى الكلام على النمط الماضي في العموم لمناسبة مقصود السورة في أن الأمر كله له في كل شيء فقال -[1]] : ﴿الناس رحمة﴾ أي نعمة من غنى و نحوه لاسبب لها إلا رحمتنا ﴿فرحوا بها﴾ أي فرح مطمئن بطر آمن [من -[2]] زوالها، ناسين شكر من أنعم بها، و قال: ﴿و ان﴾ بأداة الشك دلالة على أن المصائب أقل وجودا، و قال: ﴿ تصبهم ﴾ غير مسند لها إليه تأديبا لعباده[3] و إعلاما بغزير كرمه ﴿ سيئة ﴾ أي شدة تسوءهم من قحط و نحوه.

و لما كانت المصائب مسببة عن الذنوب، قال منبها لهم على ذلك منكرا قنوطهم و هم لا يرجعون عن المعاصي التي عوقبوا بسببها: ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ أي من المخالفات، مسندا له إلى اليد لأن أكثر العمل بها ﴿اذا هم﴾ أي بعد ما ساءهم وجودها مساءة نسوا[4] بها [ما -[5]] خولوا فيه من النعم و جملوا به من ملابس الكرم ﴿ يقنطون ه ﴾ أي فاجأوا اليأس، مجددين له في كل حين من أحيان نزولها[6] و إن كانوا يدعون ربهم في كشفها و يستعينونه[7] لصرفها مع مشاهدتهم لضد ذلك في كلا الشقين في أنفسهم و غيرهم متكررا. و لذلك أنكر عليهم عدم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و في الأصل: للعباد (٤) من ظ و م، وفي الأصل: نسبوا (٥) زيد من ظ وم (٦) في م: بروكها (٧) في م: يستغيثونه.

الرؤية دالا بواو العطف أن التقدير : ألم يروا فى أنفسهم تبدل الأحوال، قائلا[1] : ﴿ اولم يروا ﴾ أى بالمشاهدة و الإخبار رؤية متكررة، [فيعلموا علما هو فى ثباته كالمشاهد المحسوس، و عبر بالرؤية الصالحة للبصر و البصيرة لأن[2] مقصود السورة إثبات الأمر كله لله، و لا يكفى فيه إلا بذل الجهد و إمعان النظر، و السياق لذم القنوط الذى يكفى فى بقية المشاهدة لاختلاف الأحوال، بخلاف الزمر التى مقصودها الدلالة على صدق الوعد الكافى فيه مطلق العلم -[3]] .

[4] و لما كان فى البسط و القبض جمع بين جلال و جمال، لفت الكلام بذكر الاسم[5] الجامع فقال : ﴿ ان الله ﴾ بجلاله و عظمته ﴿ يبسط الرزق ﴾ أى يكثره ﴿ لمن يشآء ﴾ أى من عباده منهم و من غيرهم ﴿ و يقدر[4] ﴾ أى يضيق، و إن هذا شأنه دائما مع الشخص الواحد / فى أوقات متعاقبة متباعدة و متقاربة، و مع الأشخاص و لو فى ‎/١٣٧
الوقت الواحد، فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا[6] ، و لو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا، بل كان حالهم الصبر فى البلاء، و الشكر فى الرخاء، و الإقلاع عن السيئة التى نزل بسببها القضاء، فقد عرف من حالهم[7] أنهم متقيدون[7] دائما بالحالة الراهنة[8] . يغلطون فى الأمور المتكررة المشاهدة، فلا عجب فى تقيدهم فى إنكار البعث بهذه الحياة الدنيا .

---

(١) فى ظ : قايلا (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « الجامع فقال » ساقطة من ظ و مد . (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من م (٦) فى ظ و مد : لم ينظروا (٧-٧) فى ظ : يتقيدون (٨) فى ظ : الواهية .

و لما لم يغن عن[1] أحد منهم فى استجلاب الرزق [قوته -[2]] و غزارة عقله و دقة مكره [و كثرة -[3]] حيله ، و لا ضره ضعفه[4] و قلة عقله[4] و عجز حيلته ، و كان ذلك أمرا عظيما و منزعا مع شدة ظهوره و جلالته خفيا دقيقا كما قال بعضهم :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

أشار سبحانه إلى عظمته بقوله ، مؤكدا لأن عملهم فى شدة اهتمامهم[5] بالسعى فى الدنيا عمل من يظن أن تحصيلها إنما هو على قدر الاجتهاد فى الأسباب : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإقتار فى وقت و الإغناء فى آخر و التوسيع[6] على شخص و التقتير على آخر ، و الأمن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال فى النفس و الغير ، و اليأس من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج[7] و غير ذلك من أسرار[8] الآية ﴿ لأيٰت ﴾ أى دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى و تمام العلم و كمال القدرة ، و أنه لا فاعل فى الحقيقة إلا هو لكن ﴿ لقوم ﴾ أى ذوى همم و كفاية للقيام بما يحق لهم أن يقوموا فيه ﴿ يؤمنون ه ﴾ أى يوجدون هذا الوصف و يديمون[9] تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم

---

(١) فى ظ : عنهم (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهتام (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التوسع (٧) فى ظ : الفرح .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدعون .

من قيام الأدلة ، بادامة التامل و الإمعان فى التفكر ، و الاعتماد فى الرزق على من قال " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " أى من طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم إذا حصلت خوفا من زوالها إذا أراد القادر ، [و - [1]] لايغتمون بها إذا زالت رجاء فى إقبالها فضلا من الرازق[2] ، لأن « أفضل العبادة انتظار الفرج » بل هم بما عليهم[3] من وظائف العبادة واجبها و مندوبها معرضون عما سوا ذلك ، قد وكلوا أمر الرزق إلى من تولى[4] أمره و فرغ من قسمه و قام بضمانه ، و هو القدير العليم .

و لما أفهم ذلك عدم الاكتراث [5]بالدنيا لأن الاكتراث[5] بها لا يزيدها ، و التهاون بها لا ينقصها ، فصار ذلك لايفيد إلا تعجيل النكد بالكد و النصب ، و كان مما تقدم أن السيئة من أسباب المحق ، سبب عنه الإقبال على إنفاقها[6] فى حقوقها إعراضا عنها و إيذانا باهانتها و إيقانا بأن ذلك هو استبقاؤها و استثمارها و استنماؤها ، فقال خاصا بالخطاب[7] أعظم المتأملين لتنفيذ[8] أوامره لأن ذلك أوقع فى نفوس الأتباع ، و أجدر بحسن القبول منهم و السماع : ﴿فآت﴾ يا خير الخلق ! ﴿ذا القربىٰ حقه﴾ بادئا بــه لأنه أحق الناس بالبر ، [صلة - [1]] للرحم و جودا و كرما

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الرزاق (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤) فى ظ : ولى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : انفاقها (٧) زيد فى ظ : من (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتقيد .

و المسكين

﴿و المسكين﴾ سواء / كان ذا قربى أو لا ﴿و ابن السبيل﴾ و هو المسافر / ١٣٨
كذلك، و الحق الذى ذكر لهما[1] الظاهر أنه يراد به النفل لا الواجب، لعدم ذكر بقية الأصناف، و دخل الفقير[2] من باب الأولى.

و لما أمر بالإيتاء[3]، رغب فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أى الإيتاء العالى الرتبة ﴿خير﴾ و لما كان سبحانه أغنى الأغنياء فهو لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه لا رياء فيه[4]، قال معرفا أن ذلك ليس قاصرا على من خص بالخطاب بل[5] كل من تأسى به نالته بركته ﴿للذين يريدون﴾ بصيغة الجمع، و لما كان الخروج عن المال فى غاية الصعوبة[6]، رغب فيه بذكر الوجه الذى [هو -[7]] أشرف ما فى الشيء المعبر به هنا عن الذات و [بتكرير -[7]] الاسم الأعظم المألوف لجميع الخلق [فقال -[7]]: ﴿وجه الله ز﴾ أى عظمة الملك الأعلى، فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم على [كل -[7]] ما سواه فيخلصون له ﴿و اولئك﴾ العالو الرتبة لغناهم عن كل فان ﴿هم﴾ خاصة ﴿المفلحون ه﴾ [أى -[8]] الذين لا يشوب فلاحهم شيء من الخيبة، و أما غيرهم فخائب، أما[4] إذا لم ينفق فواضح، و أما من أنفق على وجه الرياء بالسمعة و الرياء فانه[9] خسر ماله، و أبقى عليه وباله، و أما من أنفق على وجه الرياء الحقيقى فقد صرح به تعريفا بعظيم فحشه

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ وم و مد فحذفناها (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل: الفقر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالايثار.
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: من (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الضعف (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وانه.

صارفا الخطاب[1] عن المقام الشريف الذى كان مقبلا عليه، تعريفا بتنزه[2] جنابه عنه، و[3] بعد تلك الهمة العلية و السجايا الطاهرة النقية منه، إلى جهة من يمكن ذلك منهم فقال: ﴿ و ما اتيتم ﴾ أى جئتم [أى فعلتم -[4]] - فى قراءة ابن كثير بالقصر[5] ليعم المعطى و الآخذ و المتسبب، أو[6] أعطيتم - فى قراءة غيره بالمد ﴿ من ربا ﴾ أى مال على وجه الربا المحرم أو[7] المكروه، و هو أن يعطى عطية ليأخذ فى ثوابها أكثر منها، و كان هذا مما حرم على النبى صلى الله عليه و سلم تشريفا له، و كره لعامة الناس، و على قراءة ابن كثير بالقصر المعنى: و ما جئتم به من إعطاء بقصد الربا ﴿ ليربوا ﴾ أى يزيد و يكثر ذلك الذى أعطيتموه أو فعلتموه، أو لتزيدوا أنتم ذلك - على قراءة المدنيين[8] و يعقوب بالفوقانية المضمومة، من: أربى ﴿ فى اموال الناس ﴾ [أى تحصل فيه زيادة تكون أموال الناس ظرفا لها، فهو كناية عن -[4]] أن الزيادة التى يأخذها المربى من أموالهم لا يملكها أصلا ﴿ فلا يربوا ﴾ أى يزكو و ينمو ﴿ عند الله ج ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق و كل صفات الكمال، و كل ما لا يربو عند الله فهو غير مبارك بل ممحوق لا وجود له، [9]فانه إلى فناء و إن كثر[9] "يمحق الله الربوا و يربى الصدقت".

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لخطاب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بتنزيه (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع نثر المرجان ٥/ ٢٩٨ (٦) فى ظ و م و مد "و" (٧) فى ظ و مد "و".
(٨) راجع نثر المرجان ٥/٢٩٩ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

و لما ذكر ما زيادته نقص، أتبعه ما نقصه زيادة فقال: ﴿و مآ اتيتم﴾ أى أعطيتم للاجماع على مده[1] لئلا يوهم القصر الترغيب فى أخذ الزكاة ﴿من زكوة﴾ أى صدقة، و عبر عنها بذلك ليفيد الطهارة و الزيادة، أى تطهرون بها أموالكم من الشبه، و أبدانكم من مواد[2] الخبث، و أخلاقكم من الغل و الدنس. و لما كان الإخلاص عزيزا، أشار إلى عظمته بتكريره فقال: ﴿تريدون﴾ [3]أى بها[3] ﴿وجه الله﴾ خالصا مستحضرين لجلاله و عظمته و كماله، و عبر عن الذات بالوجه لأنه الذى يجل / صاحبه و يستحى منه عند رؤيته و هو أشرف ما فى الذات. / ١٣٩

و لما كان الأصل: فأنتم، عدل به إلى صيغة تدل على تعظيمه بالالتفات إلى خطاب من بحضرته[4] من أهل قربه و ملائكته، لأن العامل يجب أن يكون له بعمله لسان [صدق -[5]] فى الخلائق فكيف إذا كان من الخالق، و بالإشارة إليه بأداة البعد إعلاما بعلو رتبته، و أن المخاطب بالإيتاء كثير، و العامل قليل و جليل، فقال: ﴿فاولئك﴾ و لعل إفراد المخاطب هنا للترغيب فى الإيتاء بأنه[6] لا يفهم ما لأهله حق فهمه سوى المنزل عليه هذا[7] الوحى صلى الله عليه و سلم ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿المضعفون﴾ أى الذين ضاعفوا أموالهم فى الدنيا بسبب ذلك بالحفظ و البركة، و فى الآخرة بكثرة الثواب عند الله من عشرة أمثال[8] إلى ما

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٠٠ (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: موارد (٣-٣) و رد فى مد بعد «وجه الله» (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحضر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لأنه (٧) فى ظ و مد: هنا (٨) من ظ م، و فى الأصل و مد: أمثاله.

لا حصر له كما يقال: مقو و موسر و مسمن و معطش - لمن له قوة و يسار و سمن فى إبله و عطش و نحو ذلك.

و لما وضح بهذا أنه لا زيادة إلا فيما يزيده الله، و[1] لا خير إلا فيما يختاره الله، فكان ذلك مزهدا فى زيادة الاعتناء بطلب[2] الدنيا، بين ذلك بطريق لا أوضح منه فقال: ﴿الله﴾ أى بعظيم جلاله لا غيره ﴿الذى خلقكم﴾ أى أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير لا تملكون شيئا.

و لما كان[3] الرزق موزعا بين الناس بل هو ضيق[4] على كثرته عن كثير[5] منهم، فكان رزق من تجدد - لا سيما إن كان[6] ابنا لفقير - مستبعدا، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ثم رزقكم﴾ و لما كانت[7] إماتة المتمكن من بدنه و عقله و قوته و أسباب نبله عجيبة، نبه عليها بقوله: ﴿ثم يميتكم﴾ و لما كان كل ذلك فى الحقيقة عليه هينا[8]، و كان الإحياء بعد الإماتة إن لم يكن أهون من الإحياء أول مرة كان مثله و إن استبعدوه قال: ﴿ثم يحييكم﴾.

و لما استغرق بما ذكر جميع ذواتهم و أحوالهم، و كان الشريك

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: الطلب (٣) زيد فى الأصل: التقدير، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صيف (٥) زيد فى ظ: كانت من اماتة المتمكن من بدنه وعقله وقوته (٦) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هنا.

من قام بشيء من العمل أو[1] المعمول فيه، و كان من المعلوم أنه ليس لشركائهم فى شيء من ذلك نوع صنع، قال منكرا عليهم: ﴿هل من﴾ و لما كان إشراكهم بما أشركوا لم تظهر له ثمرة إلا فى[1] أنهم جعلوا لهم جزءا من أموالهم، عبر بقوله: ﴿شركآئكم﴾ أى الذين تزعمونهم شركاء ﴿من يفعل من ذلكم﴾ مشيرا إلى علو رتبته بأداة البعد و خطاب الكل . و لما كان الاستفهام الإنكارى التوبيخى فى معنى النفى، قال مؤكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه و لو قل جدا: ﴿من شيء﴾ [أى -[2]] يستحق هذا الوصف الذى تطلقونه عليه .

و لما لزمهم قطعا أن يقولوا: لا[3] و عزتك! ما[4] لهم و لا لأحد منهم فى شيء من ذلك من فعل، أشار إلى عظيم ما ارتكبوه بما أنتجه هذا الدليل، فقال معرضا عنهم زيادة فى التعظيم و العظمة، منزها لنفسه الشريفة منبها على التنزيه ببعد رتبته الشماء من حالهم: ﴿سبحنه﴾ أى تنزه تنزها لا يحيط به الوصف [من أن يكون محتاجا إلى شريك، فان ذلك نقص عظيم . و لما كان من أخبر بأنه فعل شيئا أو يفعله كالإماتة و الإحياء بالبعث و غيره لا يحول بينه[5] و بينه[5] المقاوم من شريك و نحوه، قال -[6]]: ﴿و تعلى﴾ أى علوا لا تصل إليه العقول، كما دلت عليه صيغة التفاعل، و جرت قراءة حمزة و الكسائى بالخطاب على الأسلوب الماضى[7]، و أذنت

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٥ - ٥) ليس فى ظ .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من م .

/١٤٠ قراءة الباقين[١] بالغيب [٢] بالإعراض للغضب فى[٢] قوله / معبرا بالمضارع إشارة إلى أن العاقل من شأنه أنه[٣] لايقع منه شرك[٤] أصلا ، فكيف إذا كان على سبيل التجدد و الاستمرار: ﴿عما يشركون ه﴾ فى أن يفعلوا شيئا من ذلك أو[٥] يقدروا بنوع من أنواع القدرة على أن يحولوا بينه و بين شيء مما يريد ليستحقوا بذلك أن يعظموا نوع تعظيم، فنزهوه و عظموه بالبراءة من كل معبود سواه .

و لما بين لهم سبحانه [من - [٦]] حقارة شركائهم ما كان حقهم به أن يرجعوا ، فلم يفعلوا ، أتبعه ما أصابهم به على غير ما كان فى أسلافهم عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوا ، استعطافا للتوبة فقال: ﴿ ظهر الفساد ﴾ أى النقص فى جميع ما ينفع الخلق ﴿ فى البر ﴾ بالقحط[٧] و الخوف و نحوهما ﴿و البحر﴾ بالغرق و قلة الفوائد من الصيد و نحوه من كل ما كان يحصل منه قبل[٨] ، و قال البغوى[٩] : البر البوادى و المفاوز ، و البحر المدائن و القرى التى على المياه الجارية ، قال عكرمة: العرب تسمى المصر بحرا . ثم بين سببه بقوله: ﴿ بما ﴾ و لما أغنى السياق بدلالته على السيئات عن الافتعال قال: ﴿ كسبت ﴾ أى عملت

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٠١ و ٣٠٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ان (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : شربى (٥) من ظ و م و مد و فى الأصل « و » (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالحفظ (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٧٤ .

من الشر عملا هو من شدة ترامبهم إليه و إن كان على أدنى الوجوه بما أشار إليه تجريد الفعل كأنه مسكوب[1] من علو، و من شدة إتقان شره كأنه مسبوك[2].

و لما كان أكثر الأفعال باليد، أسند إليها ما يراد به الجملة مصرحا بعموم كل ما له أهلية التحرك فقال: ﴿ ايدى الناس ﴾ أى عقوبة لهم على فعلهم. و لما ذكر علته البدائية، ثنى بالجزائية فقال: ﴿ لنذيقهم ﴾ أى بما لنا من العظمة[3] فى رواية قنبل[4] عن ابن كثير بالنون لإظهار العظمة فى الإذاقة للبعض و العفو عن البعض، و قراءة الباقين بالتحتانية على سنن الجلالة الماضى[5]؛ و أشار إلى كرمه سبحانه بقوله: ﴿ بعض الذى عملوا ﴾ أى وباله و حره و حرقته، و يعفو عن كثير إما أصلا و رأسا، و إما عن[6] المعاجلة به و يؤخره إلى وقت ما فى الدنيا، أو إلى الآخرة، و المراد الجزاء بمثل أعمالهم جزاء لها[7] تعبيرا عن المسبب بالسبب الذى أتوه إلى الناس فيعرفوا[8] إذا سلبوا المال مقدار ما ذاق منهم ذلك الذى سلبوه، و إذا قتل[9] لهم حميم حرارة ما قاسى حميم من قتلوه، و نحو ذلك مما استهانوه لما أتوه إلى غيرهم من الأذى البالغ و هم يتضاحكون و يعجبون

(١) فى ظ: سكوب (٢) من ظ و مد، و فى الاصل وم: مسكوب (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) راجع نثر المرجان ٥/٣٠٢ (٥) فى ظ و مد: الماضية (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ: لهم. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فينصرفوا (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قيل.

من جزعه و يستهزؤن غافلين عن شدة ما يعانى من أنواع الحرق هو و من يعز عليه أمره، و يهمه شأنه، و يده قد غلها عن المساعدة العجز، و قصرها الضعف و القهر؛ ثم ثلث بالعلة الغائية فقال: ﴿لعلهم يرجعون ﴾ [أى - [1]] ليكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى رجوعه عن فعل مثل ذلك خوفا من أن يعاد لهم بمثل ذلك من الجزاء.

و لما كان الإنسان - لنقصه فى تقيده بالجزئيات - شديد الوقوف مع العقل التجربى، و كان علمهم بأيام الماضين و وقائع الأولين كافيا لهم فى العظة[2] للرجوع عن اعتقادهم، و التبرئ من عنادهم، و كانوا - لما لم يروا آثارهم / رؤية اعتبار، و تأمل و ادكار، عدوا ممن [3]لم يرها، فنبه[3] سبحانه /١٤١ على ذلك بالاحتجاب عنهم بحجاب العزة، أمرا له صلى الله عليه و سلم بأن يأمرهم بالسير للنظر، فقال تأكيدا لمعنى الكلام السابق نصحا لهم و رفقا بهم: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذين لا هم لهم إلا الدنيا، فلا[4] يعبرون فيما ينظرون من ظاهر إلى باطن: ﴿سيروا﴾ و أشار إلى إستغراق[5] ديار المهلكين كل [حد - [6]] ما حولهم من الجهات كما سلف فقال: ﴿فى الارض﴾ فان سيركم الماضى لكونه لم يصحبه عبرة[7] عدم.

و لما كان المراد الانقياد[8] إلى التوحيد، و كان قد ذكرهم بما أصابهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العظمة.
(٣ - ٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يرعاقبته (٤) فى ظ: فلم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الاستغراق (٦) زيد من ظ و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل: غيره (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالانقياد.

على

على نحو ما أصاب به الماضين قال: ﴿ فانظروا ﴾ بفاء التعقيب، و لما كان ما أحله بهم[1] فى غاية الشدة، عرفهم[2] بذلك، فساق[2] مساق الاستفهام تخويفا لهم من إصابتهم بمثله فقال: ﴿ كيف ﴾ و لما كان عذابهم مهولا، و أمرهم شديدا وبيلا، دل عليه بتذكير الفعل فقال: ﴿ كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد طوائف المعذبين، و كانوا بعض من مضى، فلم يستغرقوا الزمان، بعّض فقال: ﴿ من قبلُ ﴾ أى من قبل أيامكم أذاقهم الله وبال أمرهم، و أوقعهم فى حفائر مكرهم.

و لما كان هذا التنبيه كافيا فى الاعتبار، فكان سامعه جديرا بأن يقول: قد تأملت فرأيت آثارهم عظيمة، و صنائعهم مكينة، و مع ذلك فمدنهم خالية[3] و بيوتهم[4] خاوية[5]، قد ضربوا بسوط العذاب، فعمهم[6] الخسار و التباب، فما لهم عذبوا، فأجيب بقوله: ﴿ كان اكثرهم مشركين ﴾ فلذلك أهلكناهم و لم تغن عنهم كثرتهم، و أنجينا المؤمنين و ما ضرتهم قلتهم

و لما كانوا مع كثرة مرورهم على ديارهم، و نظرهم[7] لآثارهم، و سماعهم لأخبارهم، لم يتعظوا، أشير إلى أنهم عدم، بصرف الخطاب عنهم، و توجيهه[8] إلى السامع المطيع، فقال مسببا عما مضى من إقامة الأدلة

---

(١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: لهم (٢-٢) من ظ، وفى الأصل وم ومد: ذلك بسوقه (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: خاوية (٤) فى ظ ومد: بيوتها. (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: خالية (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فنهم (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تطيرهم (٨) من ظ وم و مد، وفى الأصل: توجيههم.

و الوعظ و التخويف: ﴿فاقم﴾ أي يا من لا يفهم عنا حق الفهم سواه، لأنا فضلناه على جميع الخلق ﴿وجهك﴾ أي لا تلفته أصلا ﴿للدين القيم﴾ الذي لا عوج فيه بوجه، بل هو عدل كله، من التبرئ من الأوثان إلى التلبس بمقام الإحسان، فالزمه و اجعله بنصب عينك لا تغفل عنه و لا طرفة عين، لكونه سهلا فيما تسبب الإعانة عليه في الظاهر [بالبيان الذي ليس معه خفاء، و في الباطن -[1]] بالجبل عليه حتى أنه ليقبله الأعمى و الأصم و الأخرس، و يصير فيه كالجبل رسوخا.

و لما كان حفظ الاستقامة عزيزا، أعاد التخويف لحفظ أهلها، فقال ميسرا الأمر[2] بعدم استغراق الزمان باثبات الجار، إشارة إلى الرضا باليسير من العمل و لو كان ساعة من نهار، بشرط الاتصال بالموت: ﴿من قبل﴾ [3]و فك[3] المصدر للتصريح بالاستقبال فقال: ﴿ان يأتي يوم﴾ أي عظيم، و هو يوم القيامة، أو الموت، و أشار إلى تفرده سبحانه في الملك بقوله: ﴿لا مرد له[4]﴾ و لفت الكلام في رواية قنبل[5] من [6]مظهر العظمة إلى أعظم منه لاقتضاء المقام ذلك[6] [و أظهر في رواية الباقين لئلا يتوهم عود الضمير إلى الدين فقال -[1]]: ﴿من الله﴾ و إذا لم يرده هو لوعده بالإتيان[7] به، و هو ذو الجلال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في ظ و مد: للامر (٣-٣) من م و مد، و فيه الأصل و ظ: ذلك (٤) وقع في ظ و مد قبل «من الله» مع تكراره فيه الأصل هناك (٥) و قد مضى في «ليذيقهم» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) في ظ: بالاثبات.

و الإكرام، فمن الذى يرده.

و لما حقق إتيانه[١]، فصل أمره مرغبا مرهبا، فقال: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ يأتى ﴿ يصدعون ﴾ أى تتفرق الخلائق [كلهم - [٢]] فرقة قد تخفى على بعضهم - بما أشار إليه الإدغام، فيقولون: ما لنا لا نرى / ١٠٢ رجالا كنا نعدهم من الأشرار.

و لما كان [المعنى - [٣]] أنهم فريق فى الجنة و فريق فى السعير، بين ذلك ببيان عاقبة سيه فى جواب من كأنه قال: إلى أين يتفرقون؟ قائلا: ﴿ من كفر ﴾ أى منهم [فعمل شيئا - [٣]] ﴿ فعليه ﴾ أى[٤] لا على[٥] غيره ﴿ كفره ﴾ [أى وباله - [٣]]، و على أنفسهم يعتدون [و لها يهدمون - [٣]] فيصيرون فى ذلك اليوم إلى[٥] النار التى هم بها مكذبون[٦]، و من كان عليه كفره الذى أوبقه إلى الموت، فلا خلاص له فيما بعد الفوت[٧]، و وحد الضمير ردا له على لفظ ["من" - [٢]] نصا على أن كل[٥] واحد مجزى بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع، و إفهاما لأن الكفرة[٨] قليل و إن كانوا أكثر من المؤمنين، لأنهم لا مولى لهم، و لتفرق كلمتهم "تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى" [الآية[٩]، و - [٢]] لأنه لا اجتماع بين أهل النار ليتأسى بعضهم ببعض، بل كل منهم فى شغل شاغل عن معرفة ما

(١) فى ظ: اتباته (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) سقط من م (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكذبون (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموت (٨) فى ظ: الكثرة.
(٩) آية ١٤ من سورة الحشر.

يتفق لغيره ﴿ و من عمل صالحا ﴾ [أى -[1]] بالإيمان و ما يترتب عليه ، و أظهر[2] و لم يضمر لئلا يتوهم عود الضمير على " من كفر " و بشارة بأن أهل الجنة كثير و إن كانوا قليلا ، لأن الله مولاهم فهو يزكيهم و يؤيدهم ، و فى جمع[3] الجزاء مع [4]إفراد الشرط[4] ترغيب فى العمل من غير نظر إلى مساعد[5] بأنه ينفع نفسه و غيره ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، و أقل ما ينفع والديه و شيخه فى [ذلك -[1]] العمل ، و عبر بالنفس[6] ليدل - بعد الدلالة على إرادة العامل و من شايعه حتى كان بحكم اتحاد القصد[7] إياه - على أن العمل الصالح يزكى النفوس و يطهرها[8] من رذائل الأخلاق ، فقال : ﴿ فلانفسهم ﴾ أى[9] خاصة أعمالهم [و لهم خاصة عملهم الصالح -[10]] و لأنفسهم ﴿ يمهدون ﴾ أى يسوون و يوطئون منازل فى القبور و الجنة ، بل[11] و فى الدنيا فان الله يعزهم بعز طاعته ، و الآية من الاحتباك : حذف أولا عدوانهم[12] على أنفسهم لما دل عليه من المهد ، و ثانيا كون العمل خاصا[13] بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة ، [و أحسن من هذا أن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يظهر .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : افراطه افرط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متاعه (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : المقصد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يطهر (٩) سقط من ظ و مد .
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عداوتهم (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خلقا .

يقال : ذكر الكفر الذى هو السبب دليلا على الإيمان ثانيا ، و العمل الصالح الذى هو الثمرة ثانيا دليلا على العمل السيء أولا -[١]] .

و لما فرغ من بيان تصدعهم ، ذكر علته فقال : ﴿ ليجزى ﴾ أى[٢] الله سبحانه الذى أنزل هذه السورة لبيان أنه ينصر أولياءه لإحسانهم لأنه مع المحسنين ، و لذلك اقتصر هنا على ذكرهم فقال : ﴿ الذين ءامنوا ﴾ أى[٣] و لو على أدنى الوجوه ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ و لما كانت الأعمال نعمة منه ، فكان الجزاء محض إحسان ، قال : ﴿ من فضله ﴾ .

و لما كان تنعيمهم من أعظم عذاب الكافرين الذين كانوا يهزؤن[٤] بهم و يضحكون منهم ، علله بقوله على سبيل التأكيد دفعا لدعوى من يظن أن إقبال الدنيا على العصاة لمحبة الله لهم : ﴿ انه لا يحب الكٰفرين ﴾ أى لا يفعل مع العريقين فى الكفر فعل المحب ، فلا يسويهم بالمؤمنين ، و علم من ذلك ما طوى من جزائهم ، فالآية من وادى الاحتباك ، و هو أن يؤتى بكلامين يحذف من[٥] كل منهما شيء و يكون نظمهما[٦] بحيث يدل[٧] ما أثبت فى كل على ما حذف من الآخر ، فالتقدير هنا بعد ما ذكر من جزاء الذين آمنوا أنه[٨] يحب المؤمنين / و يجزى الذين كفروا و عملوا / ١٤٣

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) سقط من ظ وم و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يميزون (٥) من ظ م و مد ، و فى الأصل : نظمها (٦) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٧) زيد فى ظ : لا .

السيئات بعدله لأنه[1] لايحب الكافرين، فغير النظم لبدل مع دلالته كما ترى على ما حذف على أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات، و هو بعينه إرغام الكافرين، [2]و عبر[2] فى شق المؤمنين بالمنتهى الذى هو المراد من محبة الله [لأنه - [3]] أسر. و فى جانب الكافرين بالمبدأ الذى هو مجاز لأنه أنكأ و أضر.

و لما ختم فى أول السورة الآيات الدالة على الوحدانية المستلزمة للبعث لأن[4] به تمام ظهور الحكمة، و انكشاف غطاء القلوب عن صفات العظمة، بأن قيام السماء و الأرض بأمره [و - [3]]، أتبع ذلك ما[5] اشتد التحامه به، و ختمه ببغض الكافرين بعد ذكر يوم البعث، أتبعه ذكر ما حفظ به قيام الوجود، و هو الرياح، بجعلها سببا فى إدرار النعم التى منها ما هو أعظم أدلة البعث و هو النبات، و هى[6] بجملتها دليل ذلك، و سبب القرار فى البر و السير[7] فى البحر الموصل[8] لمنافع بعض البلاد إلى بعض، و بذلك انتظم الأمر لأهل الأرض، فاستعمل[9] المؤمن منهم [2]ما رزقه سبحانه من العقل فى النظر فى ذلك حتى أداه إلى شكره فأحبه، و اقتصر الكافر على الدأب فيما يستجلب به[2] تلك النعم و يستكثرها، فأبطره ذلك فأوصله إلى كفره فأبغضه، و الرياح أيضا أشبه شىء

(١) فى ظ و مد : انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لأنه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بما (٦) فى ظ : هو (٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل : الستر. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الوصل (٩) فى ظ : فاستعمال.

بالناس، منها النافع نفعا كبيرا[1]، و منها الضار ضرا[2] كثيرا. [فقال -[3]]: ﴿و من ءايته﴾ أى الدلالات الواضحة الدالة على كمال قدرته و تمام علمه الدال على أنه هو وحده الذى أقام هذا الوجود، و كما أنه أقامه فهو يقيم وجودا آخر هو زبدة الأمر، و محط الحكمة، و هو أبدع[4] من هذا الوجود، يبعث فيه الخلق بعد فنائهم، و يتجلى لفصل القضاء بينهم، فيأخذ بالحق لمظلومهم من ظالمهم، ثم يصدعهم فيجعل فريقا [منهم -[3]] فى الجنة دار الإعانة و الكرامة، و فريقا فى السعير غار الإهانة و الملامة ﴿ان يرسل الريح﴾ على سبيل التجدد[5] و الاستمرار، و هى ما عدا الدبور المشار فى الحديث الشريف إلى الاستعاذة منها «اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا» و قد تقدم من شرحى لها[6] عند "و من يرسل الريح بشرا" فى النمل[7] ما فيه كفاية، و فى جمعها المجمع عليه هنا لوصفها[8] بالجمع[9] إشارة إلى باهر القدرة، فان تحويل الريح الواحدة من جهة إلى اخرى أمر عظيم لا قدرة لغيره عليه فى الفضاء الواسع، و كذا إسكانه، فكيف إذا كانت رياح متعاكسة. ففى إثارتها كذلك ثم إسكانها من باهر القدرة [ما -[3]] لا يعلمه إلا أولو البصائر ﴿مبشرت﴾ أى لكم[10] بكل ما فيه نفعكم من المطر و الروح و برد[11] الأكباد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل وم: كثيرا (٢) فى م: ضررا (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) زيد فى ظ: الحكمة (٥) فى ظ و مد: التجديد (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) آية ٦٣، و فى جميع النسخ: و من آياته أن يرسل (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: لوصفه. (٩) فى ظ و م و مد: بجمع (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكل. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: برود.

و لذة العيش .

و لما كان التقدير : ليهلك بها من يشاء من عباده ، أو ليدفع عنكم ما يحصل بفقدها من نقمته من الحر ، و ما يتبعه من انتشار المفسدات ، و اضمحلال المصلحات ، و طواه لأن السياق لذكر النعم ، عطف عليه قوله مثبتا اللام إيضاحا للمعطوف / عليه : ﴿و ليذيقكم﴾ [١] و أشار [١] إلى عظمة نعمه [٢] بالتبعيض في [٢] قوله : ﴿من رحمته﴾ [أي نعمه - [٣]] من المياه العذبة و الأشجار الرطبة ، و صحة الأبدان ، و خصب الزمان ، و ما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا خالقها ، و لا يتصورها حق تصورها إلا من فقد الرياح ، من وجود الروح و زكاء الأرض و إزالة العفونة [من الهواء - [٣]] و الإعانة على تذرية [٤] الحبوب و غير ذلك ، و أشار إلى عظمة هذه النعمة [٥] و [٦] إلى أنها [٦] صارت لكثرة الإلف مغفولا عنها باعادة اللام فقال : ﴿و لتجري الفلك﴾ أي السفن في جميع البحار و ما جرى مجراها عند هبوبها . ١٤٤

و لما أسند الجري [٧] إلى الفلك [٧] نزعه منها بقوله : ﴿بامره﴾ اي بما يلائم من الرياح اللينة ، و إذا أراد أعصفها فأغرقت ، أو جعلها متعاكسة فحيرت [٨] و رددت ، حتى يحتال الملاحون بكل حيلة على إيقاف

(١ - ١) في ظ : فاشار (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالتعبير .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تدربه .
(٥) في ظ و مد : النعم (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لانها .
(٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : للفلك (٨) من م و مد ، و في الأصل . لحربت ، و في ظ : لحرت .

السفن لئلا تتلف[1] .

و لما كان كل من[2] بجرد السير فى البحر و التوصل بـــه من بلد [إلى بلد -[3]] نعمة فى نفسه ، عطف على " لتجرى " قوله ، منبها باعادة اللام [4]إيضاحا للعطوف عليه[4] [على تعظيم النعمة -[3]] : ﴿ و لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا ماضيا بذلك السير ، و عظم ما عنده بالتبعيض فى قوله : ﴿ من فضله ﴾ مما يسخر[5] لكم من الريح بالسفر للتجر من بلد إلى بلد [6]و الجهاد و غيره[6] ﴿ و لعلكم ﴾ أى و لتكونوا إذا فعل بكم ذلك على رجاء [من -[3]] أنكم ﴿ تشكرون ه ﴾ ما أفاض عليكم سبحانه من نعمه ، [و دفع عنكم من نقمه -[3]] .

و لما كان التقدير : فمن شكر أذاقه من رحمته ، و من كفر أنزل عليه من نقمته ، و كان السياق كله لنصر أوليائه و قهر أعدائه ، و كانت الرياح مبشرات و منذرات كالرسل ، و كانت موصوفة بالخير كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها « فلرسول الله صلى الله عليه و سلم حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة[7] » ، و كانت فى كثرة منافعها و عمومها إن كانت نافعة ، و مضارها إن كانت ضارة ، أشبه شىء بالرسل فى إنعاش قوم و إهلاك[8] آخرين ، و ما ينشأ عنها كما

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : تتلقف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) فى ظ : سخر . (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و غيره و الجهاد و بلده (٧) أخرجه من طريق عبدان عن عبد الله فى أثناء بدء الوحى (٨) زيد فى ظ : قوم .

ينشأ عنهم، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان عن أبي موسى رضى الله عنه : البخاری فی العلم[1]، و مسلم فی المناقب[2] « مثل ما بعثنی الله به من الهدی و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت طائفة منها طيبة فقبلت الماء و أنبتت الكلاء و العشب الكثير، و كانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا، و أصاب منها طائفة أخرى إنما هی قيعان لا تمسك [3]ماء و لا[3] تنبت كلاء، فذلك مثل من فقه[4] فی دين الله و نفعه ما بعثنی الله به فعلم و علّم و مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذی أرسلت به » و لما كان الأمر كذلك، عطف على قوله "ينصر من يشاء" و قوله "ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى" أو على ما تقديره تسبيبا[5] عن قوله "فاقم وجهك للدين القيم" : فلقد[6] أرسلناك بشيرا لمن أطاع بالخير، و نذيرا لمن عصى / بالشر، قولَه مسليا لهذا النبي الكريم، / ١٤٥
عليه أفضل الصلاة و التسليم، و أتباعه، و لفت الكلام إلى مقام العظمة لاقتضاء سياق الانتقام لها[7]، و أكد إشارة إلى أن الحال باشتداده

(١) باب فضل من علم و علّم (٢) باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى و العلم (٣) من ظ و م و مد و الصحيحين، و فی الأصل : ماء — كذا (٤) فی ظ : تبعه (٥) من ظ و م و مد، و فی الأصل : سببا (٦) من ظ و م و مد، و فی الأصل : فقد (٧) العبارة من هنا إلى «إرسال البشر» ساقطة من ظ و مد.

وصل إلى حالة اليأس، أو لإنكار[1] كثير من الناس إرسال البشر: ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ بما لنا من العزة.

و لما كانت العناية بالإخبار بأن عادته[2] ما زالت قديما و حديثا على نصر أوليائه، قال معلما باثبات الجار أن الإرسال [بالفعل - [3]] لم يستغرق زمان القبل، أو أن الكلام فى خصوص الأمم المهلكة: ﴿من قبلك﴾ مقدما له على ﴿رسلا﴾ أو[4] للتنبيه على أنه خاتم النبيين بتخصيص[5] إرسال غيره بما قبل زمانه، و قال: ﴿الى قومهم﴾ إعلاما بأن بأس الله إذا جاء لا ينفع فيه قريب و لا بعيد، و زاد فى التسلية بالتذكير إشارة إلى شدة أذى القوم لأنبيائهم حيث لم يقل «إلى قومها».

و لما كان إرسال الله سببا[6] لامحالة للبيان الذى لا لبس معه قال: ﴿ فجآءوهم بالبينت ﴾ فانقسم قومهم إلى مسلمين و[7] مجرمين ﴿ فانتقمنا ﴾ أى فكانت معاداة المسلمين للجرمين فينا سببا لأنا انتقمنا بما لنا من العظمة ﴿من الذين اجرموا ﴾ لإجرامهم، و هو قطع ما أمرناهم بوصله اللازم منه وصل ما أمروا بقطعه، فوصلوا الكفر و قطعوا الإيمان، فخذلناهم و كان حقا علينا قهر المجرمين، إكراما لمن عادوهم فينا، و أنعمنا على الذين آمنوا فنصرناهم.

و لما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به، قدمه

---

(١) من م، و فى الأصل وظ و مد: لانكاد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عادت (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) فى ظ: اى (٥) فى ظ و مد: لتخصيص.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسببا (٧) زيد فى ظ: الى.

تعجيلا للسرور و تطييبا للنفوس فقال : ﴿ وكان ﴾ أى على سبيل الثبات و الدوام ﴿ حقا علينا ﴾ أى بما أوجبناه لوعدنا الذى لاخلف فيه ﴿ نصر المؤمنين ٥ ﴾ أى العريقين فى ذلك الوصف فى الدنيا و الآخرة ، لم يزل هذا دأبنا فى كل ملة على مدى الدهر ، فان هذا من الحكمة التى لاينبغى إهمالها ، فليعتد هؤلاء لمثل هذا ، و ليأخذوا لذلك أهبته[1] لينظروا من المغلوب و هل ينفعهم شيء ؟ و الآية من الاحتباك : حذف أولا الإهلاك الذى هو أثر الخذلان لدلالة النصر[2] عليه ، و ثانيا الإنعام لدلالة الانتقام عليه .

و لما أقام سبحانه الدليل على البعث و إقامة الوجود بتصريفه الرياح كيف شاء ، [و -[3]] أتبعه آية التسلية و التهديد ، وكان عذاب المذكورين فيها بالريح أو ما هى سببه[4] أو لها مدخل فيه ، أتبع ذلك الإعلام بانه مختص بذلك سبحانه تنبيها على عظيم آية الرياح للحض على تدبرها ، مؤكدا لأمر البعث و مصرحا به ، فقال ثانيا الكلام عن مقام العظمة الذى اقتضته النقمة إلى الاسم الأعظم الجامع الذى نظره إلى النعمة أكثر من نظره إلى النقمة : ﴿ الله ﴾ أى وحده ﴿ الذى يرسل ﴾ مرة بعد أخرى[5] لأنه المتفرد[6] بالكمال فلا كفوء له : ﴿ الريح ﴾ مضطربة

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهبة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النظر (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسببة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مرة (٦) فى ظ و مد : المنفرد .

هائجة

هائجة بعد أن كانت ساكنة، و فى قراءة الجمهور بالجمع[1] خلافا لابن كثير وحمزة و الكسائى[2] تنبيه على عظيم الصنع فى كونه يفعل ما ذكره بأى ريح اراد / ﴿ فتثير سحابا ﴾ لم يكن له وجود. / ١٤٦

و لما أسند الإثارة إلى الرياح، نزع الإسناد إليها فى البسط و التقطيع فانه[3] لم يجعل فيها قوة شيء من ذلك ليعلم أن الكل فعله فقال: ﴿ فيبسطه ﴾ بعد اجتماعه ﴿ فى السمآء ﴾ أى جهة العلو.

و لما كان أمر السحاب فى غاية الإعجاب فى وجوده بعد أن لم يكن و أشكاله و ألوانه [4]و جميع[4] أحواله فى اجتماعه و افتراقه [و كثافته -[5]] و رقته و ما فيه من مطر و رعد و برق و غير ذلك مما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى، أشار سبحانه إلى ذلك بأداة الاستفهام و إن كانوا قد عدوها [هنا -[5]] شرطية فقال: ﴿ كيف ﴾ أى كما ﴿ يشآء ﴾ فى أى ناحية [شاء قليلا -[5]] تارة كسيرة ساعة أو يوم، و كثيرا[6] أخرى كسيرة أيام على أوضاع مختلفة [7]تدلك قطعا[7] على أنه فعله وحده باختياره لا مدخل فيه لطبيعة و لا غيرها.

و لما كان المراد بذلك كونه على هيئة الاتصال، دل عليه بقوله: ﴿ و يجعله ﴾ أى إذا أراد ﴿ كسفا ﴾ أى قطعا غير متصل بعضها ببعض

---

(١) فى ظ ومد: بالفتح (٢) راجع نثر المرجان ٥/٢٠٧ (٣) فى ظ و مد: فكانه.
(٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى جمع (٥) زيد من ظ و م و مد.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كثير (٧ - ٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك عطفا.

اتصالا يمنع[1] نزول الماء ﴿ فترى ﴾ أى[2] بسبب إرسال الله له أو بسبب جعله ذا مسام و فرج يا من فيه اهلية[3] الرؤية، أو يا أشرف خلقنا الذى لايعرف هذا حق معرفته سواه ﴿ الودق ﴾ أى المطر المتقاطر القريب الواسع ﴿ يخرج من خلاله ج ﴾ أى السحاب الذى هو اسم جنس فى حالى الاتصال و الانفصال.

و لما كان سبحانه قد سبب عن ذلك سرور عباده لما يرجون من أثره و إن كانوا كثيرا ما يشاهدون تخلف الأثر لعوارض ينتجها[4] سبحانه، قال مسببا عن ذلك مشيرا بأداة التحقق إلى عظيم فضله و تحقق إنعامه: ﴿ فاذآ اصاب ﴾ [أى الله - [5]] ﴿ به من ﴾ أى أرض من ﴿ يشآء ﴾ و نبه على [أن - [5]] ذلك فضل منه لايجب عليه لأحد أصلا شيء[6] بقوله: ﴿ من عبادة ﴾ أى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم، و هم جديرون بملازمة شكره، و الخضوع لأمره، خاصا لهم بقدرته و اختياره، و بين خفتهم[7] باسراعهم إلى الاستبشار مع احتمال العاهات[8]، جامعا ردا على معنى "من" او على "العباد" لأن الخفة من الجماعة أفحش فقال: ﴿ اذا هم يستبشرون ﴾ أى يظهر عليهم البشر، و هو السرور الذى تشرق له البشرة حال الإصابة ظهورا بالغا عظيما [بما - [5]] يرجونه [مما - [9]] يحدث عنه من الأثر النافع من الخصب و الرطوبة و اللين؛

(١) فى ظ و مد: لايمنع (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى م و مد: يتيحها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ: شيئا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صفتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الغايات. (٩) زيد من ظ و مد.

ثم بين طيشهم وعجزهم بقوله: ﴿و ان﴾ أى و الحال أنهم ﴿كانوا﴾ فى الزمن الماضى كونا متمكنا فى نفوسهم، و بين قرب يأسهم من استبشارهم دلالة على سرعة انفعالهم[١] و كثرة تقلبهم بالجار، فقال: ﴿من قبل ان ينزل﴾ أى المطر بأيسر ما يكون عليه سبحانه ﴿عليهم﴾ ثم أكد عظم خفتهم و عدم قدرتهم بقوله: ﴿من قبله﴾ أى الاستبشار سواه من غير تخلل زمان يمكن أن يدعى لهم فيه تسبب فى المطر ﴿لمبلسين ه﴾ أى ساكتين على ما فى أنفسهم تحيرا و يأسا و انقطاعا، فلم يكن لهم على الإتيان بشىء من ذلك حيلة، و لا لمعبوداتهم صلاحية له[٢] باستقلال و لا وسيلة. / ١٤٧

و لما انكشف بذلك الغطاء، و زاحت الشبه، أعرض سبحانه عنهم على تقدير أن يكون "ترى" لمن فيه أهلية الرؤية[٣] إيذانا بأنه[٤] لا فهم [٥]لهم ملتفتا[٥] إلى خلاصة الخلق الصالح للتلق [عنه -[٦]] قائلا مسببا عن ذلك: ﴿فانظر﴾ و لما كان المراد تعظيم[٧] النعمة، و أن الرزق أكثر من الخلق، [عبر بحرف الغاية -[٦]] إشارة[٨] إلى تأمل[٩] الأقصى بعد تأمل الأدنى فقال: ﴿الى اثر﴾ و لما لم يكن لذلك سبب[١٠] سوى سبق رحمته لغضبه قال: ﴿رحمت الله﴾ الجامع لجامع العظمة، و أظهر و لم يضمر تنبيها على

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتصالهم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الرويا (٤) فى ظ و مد: بانهم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: له متلفتا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بعظم، و فى م: بعظيم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشار (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باهل - كذا (١٠) من ظ وم و مد، وفى الأصل: اثر.

ما فى ذلك من[1] تناهى العظمة فى تنوع الزروع بعد سقيا[2] الأرض و اهتزازها بالنبات و اخضرار الأشجار و اختلاف الثمار[3]، و تكون الكل من ذلك الماء.

و لما كان هذا من الخوارق العظيمة، و لكنه قد تكرر حتى صار مألوفا، نبه على عظمته بأنه أهل لأن يسأل عنه فقال: ﴿كيف يحيِ﴾ أى هـذا الأثر أو الله مرة بعـد أخرى ﴿الارض﴾ باخراج ما ذكر منها.

و لما كانت قدرته على تجديد إحيائها دائمة - على ما أشار إليه المضارع[4] و دعا إليه مقصود السورة[4]، أشار إلى ذلك أيضا[5] بترك الجار فقال: ﴿بعد موتها[4]﴾ بانعدام ذلك.

و لما كان هذا دالا على القدرة على إعادة الموتى و لابد لأنه مثله سواء، فان جميع ما لا ينبته الآدميون يتفرق فى الأرض بعد كونه هشيما تذروه الرياح، و يتفتت بحيث يصير ترابا، فاذا نزل عليه الماء عاد كما كان أو أحسن قال: ﴿ان ذلك﴾ أى العظيم الشأن الذى قدر على هذا ﴿لمحيِ الموتىٰ ج﴾ كلها من الحيوانات و النباتات، أى ما زال قادرا[6] على ذلك[7] ثابتا له[8] هـذا الوصف و لايزال ﴿و هو﴾ مع ذلك

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و م و مد: شقها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النهار (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من ظ و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قاصرا (٧) زيد فى الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى ظ و مد: على.

على

﴿على كل شيء﴾ من ذلك و غيره ﴿قدير﴾ لأن نسبة القدرة منه سبحانه إلى كل ممكن على حد سواء .

و لما كان تكرار مشاهدتهم لمثل هذا الاقتدار لايفيدهم علما بالله تعالى، دل على ذلك بقوله، لافتا الكلام إلى سياق العظمة تنبيها على عظيم عفوه سبحانه مع[1] تمام القدرة، مؤكدا له غاية التأكيد، تنبيها على أنه ليس من شأن العقلاء [2]عدم الاستفادة بالمواعظ، معبرا بأداة الشك، تنبيها على أن إنعامه أكثر من انتقامه، مؤكدا بالقسم[2] [3]لإنكارهم الكفر[3]: ﴿و لئن ارسلنا﴾ بعد وجود هذا الأثر الحسن ﴿ريحا﴾ عقيما ﴿فرأوه﴾ أى الأثر[4]، و يجوز أن يكون الضمير للريح من [5]التعبير بالسبب[5] عن المسبب ﴿مصفرا﴾ قد ذبل و أخذ فى التلف من شدة يبس الريح إما بالحر أو البرد ﴿لظلوا﴾ أى لداموا و عزتنا لهذا يجددون الكفر أبدا و إن كان «ظل» معناه: دام نهارا، و عبر بالماضى موضع المستقبل نحو «ليظلن و الله» تأكيدا لتحقيقه، و لعله عبر بالظلول لأن مدة النوم لا تجديد فيها للكفر، و لذلك أتى فيها[6] بحرف التبعيض حيث قال: ﴿من بعده﴾ أى بعد اصفراره ﴿يكفرون﴾ بيأسهم من روح الله و[7]جحودهم لما أسلف إليهم من النعم / بعد ما تكرر من تعرفه سبحانه /١٤٨

(١) فى ظ و مد «و» (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣-٣) من م، و فى الأصل: الانكارى - و بعده بياض قدر كلمة، و سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامر (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التسبب (٦) سقط من ظ و مد (٧) سقط من ظ .

إليهم بالإحسان، بعد [ما -[1]] التقت حلقتا البطان[2]، وكان [3]وكان[3]، فلا هم عند السراء بالرحمة شكروا، ولا عند الضراء بالنقمة صبروا، بل لم يزيدوا هناك على الاستبشار، ولا نقصوا هنا شيئا من تجديد الكفر والإصرار، فلم يزالوا لعدم استبصارهم على الحالة المذمومة، ولم يسبقوا[4] فى إزالة النقم، [ولا إنالة النعم، فكانوا أضل من النعم -[1]].

ولما كان هذا كله من حالهم فى سرعة الحزن والفرح فى حالتى الشدة والرخاء وإصرارهم على تجديد الكفر دليلا على خفة أحلامهم، وسوء تدبرهم[5]، فانهم لا للآيات المرئية يعون، ولا للتلوة عليهم يسمعون، سبب عن ذلك التعريف [6]بأن أمرهم[6] ليس لأحد غيره سبحانه وهو[7] قد جعلهم [أموات -[1]] المعانى، فقال ممثلا لهم بثلاثة أصناف من الناس، وأكده لأنهم ينكرون أن يكون حالهم كذلك والنبى صلى الله عليه وسلم شديد السعى فى إسماعهم والجهد فى ذلك: ﴿ فانك ﴾ أى استدامتهم لكفرهم هذا تارة فى الرخاء وتارة فى الشدة وقوفا مع الأثر من غير نظر ما إلى المؤثر وأنت تتلو عليهم آياته، وتنبههم على بدائع بيناته[8] بسبب أنك ﴿لا تسمع الموتى﴾ أى ليس فى قدرتك إسماع الذين لا حياة لهم، فلا نظر ولا سمع، أو موتى القلوب، إسماعا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: البطلان.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ، وكتب فوقه فى الأصل «كذا».
(٤) فى ظ و مد: لم يسعوا (٥) فى ظ: تدبيرهم (٦-٦) فى ظ: أن يامرهم.
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بيانه.

ينفعهم، لأنه مما اختص به سبحانه، و هؤلاء منهم من هم مثل الأموات لأن الله تعالى قد ختم على مشاعرهم[١] ﴿و لاتسمع﴾ أى أنت فى قراءة الجماعة غير ابن كثير[٢] ﴿الصم﴾ أى الذين لا سمع[٣] لهم أصلا، و ذكر ابن كثير الفعل من سمع و رفع الصم على أنه فاعل، فكان التقدير: فان من مات أو مات قلبه لايسمع و لايسمع الصم ﴿الدعآء﴾ إذا دعوتهم، ثم لما كان الأصم قد يحس بدعائك إذا[٤] كان مقبلا بحاسة بصره قال: ﴿اذا ولوا﴾ و ذكر الفعل و لم يقل: ولت، إشارة إلى قوة التولى[٥] لئلا يظن أنه[٦] أطلق على المجانبة مثلا، و لذا بنى من فاعله[٧] حالا هى[٨] قوله: ﴿مدبرين ه﴾.

و لما بدأ بفاقد[٩] حاسة السمع لأنها أنفع من حيث أن الإنسان إنما يفارق غيره من البهائم بالكلام، أتبعها حاسة البصر مشيرا بتقديم الضمير[١٠] إلى أنه صلى الله عليه و سلم يجتهد فى هدايتهم اجتهاد من كأنه يفعله[١١] بنفسه تدريبا لغيره فى الاقتصاد فى الأمور فقال: ﴿و مآ انت بهدِ العمى﴾ أى بموجد لهم هداية و إن كانوا يسمعون،

---

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: مسامعهم (٢) راجع نثر المرجان ٣١٢/٥. (٣) فى ظ: سماع (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أو (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل: القوى (٦) سقط من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: من (٩) من م و مد، و فى الأصل: تفاقد، و فى ظ: بها - كذا (١٠) فى ظ و مد: المضمر (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفعل.

هذا فى قراءة الجماعة غير حمزة[1]، و جعله حمزة فعلا مضارعا مسندا إلى المخاطب من هدى، فالتقدير: وما أنت تجدد هداية العمى ﴿عن ضللتهم[4]﴾ إذا ضلوا عن الطريق فأبعدوا و إن كان أدنى ضلال - بما أشار إليه التأنيث، و إن أتعبت[2] نفسك فى نصيحتهم، فأنهم لايسلكون السبيل إلا وأيديهم فى يدك[3] و متى غفلت عنهم و أنت لست بقيوم رجعوا إلى ضلالهم، فالمنفى فى هذه الجملة فى قراءة الجمهور ما تقتضيه الاسمية من دوام الهداية مؤكدا، و فى قراءة حمزة / ما يقتضيه المضارع من التجدد ١٤٩ / و فى التى قبلها ما تقتضيه الفعلية المضارعة من التجدد ما دام مشروطا بالإدبار، و فى الأولى تجدد السماع مطلقا فهى أبلغ ثم[4] التى بعدها، فمثول الصنف الأول [من -[5]] لايقبل الخير بوجه ما مثل أبى جهل و أبى بن خلف، و الثانى من [قد -[5]] يقارب [6]مقاربة ما[6] مثل عتبة ابن ربيعة حين كان يقول لهم: خلوا بين هذا الرجل و بين الناس، فان أصابوه فهو ما أردتم و إلا فعزه عزكم، و الثالث المنافقون، و عبر فى الكل بالجمع لأنه أنكا - و الله الموفق.

و لما كان ذلك[7] كناية عن إيغالهم فى الكفر، بينه [بيان أن المراد موت القلب وصممه وعماه لا الحقيق -[8]] بقوله: ﴿إن﴾ أى ما

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣١٢ (٢) فى ظ : اتعب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يديك (٤) فى ظ : من (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقاربه هنا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : هذا (٨) زيد من ظ و مد، و زيادة م ليست بمستبينة.

﴿ تسمع الا من يؤمن ﴾ أى يجـــدد إيمانه مع الاستمرار مصدقا ﴿ بـاٰيـٰتنا ﴾ أى فيه قابلية ذلك دائما ، فهو يذعن[1] للآيات المسموعة ، و[2] يعتبر بالآيات المصنوعة ، و أشار بالإفراد فى[3] الشرط إلى أن لفت الواحد عن رأيه أقرب من لفته و هو مع غيره ، و أشار بالجمع فى الجزاء إلى أن هذه الطريقة إن سلكت كثر التابع[4] فقال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن قبولهم لذلك أنهم ﴿ مسلمون ﴾ أى منقادون للدليل غاية الانقياد غير جامدين مع[5] التقليد .

و لما دل سبحانه على قدرته على البعث بوجوه من الدلالات ، تارة فى الأجسام ، و تارة فى القوى ، و أكثر على ذلك فى هذه السورة من الحجج البينات ، و ختم بأنه لا يبصر هذه البراهين إلا من حسنت طويته ، فلانت للأدلة عريكته ، و طارت فى فيافى المقادير بأجنحة العلوم[6] فكرته و رويته ، وصل بذلك دليلا جامعا بين القدرة على الأعيان و المعانى إبداء و إعادة ، و لذلك لفت الكلام إلى الاسم الجامع و لفته[7] إلى الخطاب للتعميم و الاستعطاف بالتشريف ، فقال مؤكدا إشارة إلى أن ذلك دال على قدرته على البعث و لابد و هم ينكرونها ، فكأنهم ينكرونه ، فانه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر : ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يذهن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : التتابع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقادير (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لفت .

الكمال [وحده - [١]] .

و لما كان تعريف الموصول[٢] ظاهرا غير ملبس ، عبر به دون اسم الفاعل فقال[٣] : ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى من العدم . و لما كان محط حال الإنسان و ما عليه أساسه و جبلته الضعف ، و أضعف[٤] ما يكون فى أوله قال[٥] : ﴿ من ضعف ﴾ أى مطلق - بما أشارت إليه قراءة حمزة و عاصم[٤] بخلاف عن حفص بفتح الضاد ، و قوى بما أشارت إليه قراءة الباقين بالضم ، أو من الماء المهين إلى ما شاء الله من الأطوار ، ثم [ما - [١]] شاء الله من سن الصبى .

و لما كانت تقوية [المعنى - [١]] الضعيف مثل إحياء الجسد الميت قال : ﴿ ثم جعل ﴾ عن سبب و تصيير بالتطوير فى أطوار الخلق بما يقيمه من الأسباب . و لما كان ليس المراد الاستغراق عبر بالجار فقال : ﴿ من بعد ﴾ و لما كان الضعف الذى تكون عنه القوة غير الأول ، أظهر و لم يضمر فقال : ﴿ ضعف قوة ﴾ بكبر العين و الأثر[٦] من حال الترعرع إلى القوة بالبلوغ إلى التمام فى أحد و عشرين عاما ، و هو ابتداء سن الشباب إلى سن الاكتمال ببلوغ الأشد فى [اثنين و - [١]] أربعين / عاما فلو [لا - [١]] تكرر مشاهدة ذلك لكان خرق العادة فى إيجاده /١٥٠ بعد عدمه[٧] مثل إعادة الشيخ شابا بعد هرمه ثم جعل من بعد قوة فى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المأمول .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : فقال (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاز (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عزمه .

شباب تقوى به القلوب، و تحمى له الأنوف، و تشمخ من جرائه[١] النفوس ﴿ ضعفا ﴾ ردا لما لكم إلى أصل حالكم .

و لما كان بياض الشعر يكون غالبا من ضعف المزاج قال: ﴿ و شيبة ﴾ و هى[٢] بياض فى الشعر ناشئ[٣] من برد فى المزاج و يبس يذبل بهما الجسم، و ينقص الهمة و العلم، و ذلك بالوقوف من الثالثة و الأربعين، و هو أول سن الاكتهال و بالأخذ فى النقص بالفعل بعد الخمسين إلى أن يزيد النقص فى الثالثة و الستين، و هو أول سن الشيخوخة، و يقوى الضعف إلى ما شاء الله تعالى .

و لما كانت هذه هى العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها[٤]، و كان من الناس من يطعن فى السن و هو قوى، أنتج ذلك كله[٥] - و لابد - التصرف[٦] بالاختيار مع شمول العلم و تمام القدرة فقال: ﴿يخلق ما يشآء﴾ أى من هذا و غيره ﴿و هو العليم﴾ أى البالغ العلم فهو يسبب ما أراد من الأسباب لما يريد إيجاده أو[٧] إعدامه ﴿القدير ﴾ فلا يقدر أحد على إبطال شيء من أسبابه، فلذلك لايتخلف شيء أراده عن الوقت الذى يريده فيه أصلا، و قدم صفة العلم لاستتباعها للقدرة التى المقام لها، فذكرها إذن تصريح بعد تلويح، و عبارة بعد إشارة .

(١) من م و مد، و فى الأصل: حره، و فى ظ: حرارة - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٣) فى ظ: تاتى (٤) فى ظ: ههنا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التعرف (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل: « و ».

و لما ثبتت قدرته على البعث و غيره ، عطف على قوله أول السورة "و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون" أو على ما تقديره : فيوم يريد موتكم تموتون ، لا تستأخرون عن لحظة الأجل و لاتستقدمون ، قولَه : ﴿و يوم تقوم الساعة﴾ أى القيامة التى هى إعادة الخلائق الذين[1] كانوا بالتدريج فى ألوف من السنين لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى فى أقل من لمح البصر ، و لذا سميت بالساعة إعلاما بيسرها عليه سبحانه ﴿يقسم المجرمون لا﴾ [أى - [2]] العريقون فى الإجرام جريا منهم على ديدن الجهل فى الجزم[3] بما لم يحيطوا به علما : ﴿ما﴾ أى أنهم ما ﴿لبثوا﴾ فى الدنيا و البرزخ ﴿غير ساعة[4]﴾ أى قدر يسير[4] من ليل أو نهار .

و لما كان هذا أمرا معجبا لأنه كلام كذب بحيث [5]يورث أشد[5] الفضيحة و الخزى[6] فى ذلك الجمع الأعظم مع أنه غير مغن شيئا ، استأنف قوله تنبيها على أنه الفاعل له : فلا عجب ﴿كذلك﴾ [7] أى مثل ذلك الصرف عن حقائق الأمور إلى شكوكها ﴿كانوا﴾ فى الدنيا كونا هو كالجبلة ﴿يؤفكون ۝﴾ أى يصرفون عن الصواب الذى منشأه تحرى الصدق و الإذعان للحق إلى الباطل الذى منشأه تحرى المغالبة بصرفنا لهم ،

---

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجرم (٤) فى م : السير (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : مورث لاشد ، و فى م و مد : يورث لأشد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجزا (٧) زيد فى ظ : و عبر بقوله اوتوا العلم تنبيها على شكر من - كذا ، و سيأتى .

فانه

فانه لافرق فى قدرتنا و علمنا بين حيـاة و حياة، و دار و دار، و لعله بنى الفعل للجهول إشارة إلى سهولة انقيادهم إلى الباطـــل مـــع أىّ صارف كان .

و لما وصف الجاهلين، أتبعه صفة العلماء فقال: ﴿ و قال الذين ﴾ [و - [١]] عبر بقوله: ﴿ اوتوا العلم ﴾ تنبيها على / شكر من آتاهموه، ١٥١ / و بناه للجهول إشارة إلى تسهيل أخذه عليهم من الجليل و[٢] الحقير، و أتبعه ما لا يشرق أنواره و يبرز ثماره غيره، فقال: ﴿ و الايمان ﴾ إشارة إلى تفكرهم فى جميع الآيات الواضحة و الغامضة مقسين كما أقسم[٣] أولئك محققين مقالهم مواجهين للجرمين تبكيتا و توبيخا مؤكدين ما أنكره أولئك: ﴿ لقد لبثتم فى كتب الله ﴾ أى فى إخبار قضاء[٤] الذى له جميع الكمال الذى كتبه فى كتابه الذى[٥] كان يخبر به فى الدنيا ﴿ الى يوم البعث ﴾ كما قال تعالى " و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون[٦] " و أما تعيين مدة اللبث فأخفاه عن عاده، و لما أعلم القرآن أن غاية البرزخ[٧] البعث، و صدق فى إخباره، سببوا عن ذلك قولهم: ﴿ فهذا ﴾ أى فتسبب ما كنا نقوله و تكذبونا فيه، نقول[٨] لكم الآن حيث لاتقدرون على تكذيب: هذا ﴿ يوم البعث ﴾ [أى - [١]] الذى آمنا به و كنتم

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: او (٣) فى ظ: انقسم (٤) سقط من ظ (٥) قدم «و» (٦) راجع سورة ٢٣ آية ١٠٠ (٧) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقول.

تنكرونه، قد كان طبق ما [كنا -[1]] نقوله لكم[2]، فقد تبين بطلان قولكم، و كنتم تدعون الخلاص فيه بأنواع من التكاذيب قصدا للغالبة، فما كنتم صانعين عند حضوره فاصنعوه الآن، تنبيها لهم على أنه لافائدة في تحرير مقـدار اللبث في الدنيا و لا في البرزخ، و إنما الفائدة في التصديق بما أخبر به الكتاب حيث كان التصديق نافعا. و لما كان التقدير: قد أتى كما كنا به عالمين، [3]فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتمونا في إخبارنا به فنفعكم ذلك الآن[3]، عطف عليه قوله: ﴿و لكنكم كنتم﴾ أي كونا هو كالجبلة لكم في إنكاركم له ﴿لا تعلمون ﴾ أي [ليس -[1]] لكم علم أصلا، لتفريطكم في طلب العلم من أبوابه، و التوصل[4] إليه بأسبابه، فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك اليوم.

و لما كان قوله تعالى " فاما الذين ءامنوا و عملوا الصلحت" في أشكالها من الآيات دالا على أن هذه الدنيا دار العمل[5]، و [أن -[1]] دار الآخرة دار الجزاء، و أن البرزخ هو[6] حائل بينهما، فلا يكون في واحدة منهما ما للأخرى، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فيومئذ ﴾ أي إذ تقوم الساعة، و تقع هذه المقاولة ﴿ لاينفع ﴾ [3]أي نفعا[3] [ما -[7]] ﴿ الذين ظلموا ﴾ أي وضعوا الأمور في غير مواضعها ﴿ معذرتهم ﴾ و هي ما تثبت عذرهم، و هو إيساغ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: التواصل (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الملك (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و مد.

التقصير لأنهم[1] لا عذر لهم و إن بالغوا فى إثباته، و العبارة شديدة جدا من حيث كانت تعطى أن من وقع منه ظلم ما يوما ما كان هذا حاله، و هى تدل على أنه تكون منهم معاذير[2]، و ترقق كثير، و تذلل كبير، فلا يقبل منه شيء - [3]هذا على قراءة الجماعة بتأنيث الفعل و هى[4] أبلغ من قراءة الكوفيين بتذكيره بتأويل العذر، لأنه إذا لم ينفع الاعتذار الكثير لم ينفع القليل [الذى -[5]] دل عليه[6] المجرد و لا عكس، و يمكن أن يكون قراءة الجمهور[7] متوجهة للكفرة و[8] قراءة الكوفيين للعصاة من المؤمنين، فان منهم من ينفعه الاعتذار فيعفى عنه، و يشهد لهذا ما / ورد فى آخر / ١٥٢
أهل النار خروجا [منها -[5]] أنه يسأل فى صرف وجهه [عنها -[5]] و يعاهد ربه سبحانه أنه [لا -[5]] يسأله غير ذلك، فاذا صرفه [9]عن ذلك[9] رأى شجرة عظيمة فيسأل أن يقدمه إلى ظلها فيقول الله: ألست أعطيت العهود[10] و المواثيق [أن لا تسأل -[5]]؟ فيقول: بلى! يا رب! و لكن لا أكون أشقى خلقك[11] - الحديث[12]، و فيه «و ربه يعذره» فهذا قد قبل عذره

---

(١) فى ظ و مد: لانه، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى م إلى «فى إثباته» (٢) فى ظ: مقادير (٣) العبارة من هنا إلى «وراء ذلك كله» ص ١٣٤ س ٢ ساقطة من م (٤) فى ظ: هو (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٧) راجع نثر المرجان ٥/ ٣١٦ (٨) فى ظ: فى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اليهود (١١) زيدت الواو فى ظ و مد (١٢) رواه البخارى فى العديد من مناسباته و مسلم فى أبواب الإيمان.

في الجملة، و لا يطلب منه أن يزيل العتب[1] لأن ذلك لا يمكن إلا بالعمل، و قد فات محله، فأتت المغفرة من وراء ذلك كله.

و لما كان العتاب من سنة الأحباب قال: ﴿و لا هم﴾ أي الذين وضعوا الأشياء في غير مواضعها ﴿يستعتبون﴾ أي يطلب منهم [2]ظاهرا أو باطنا بتلويح أو تصريح[2] أن يزيلوا ما وقعوا فيه عما[3] يوجب العتب، و هو الموجدة[4] عن تقصير يقع فيه المعتوب، لأن ذلك لا يكون إلا بالطاعة و قد فات محلها بكشف الغطاء لفوات الدار التي تنفع فيها الطاعات لكونها إيمانا بالغيب، و العبارة تدل على أن المؤمنين[5] يعاتبون عتابا يلذذهم.

و لما أبانت هذه السورة طرق الإيمان أيّ بيان، و ألقت على وجوه أهل[6] الطغيان غاية الخزي و الهوان، [و كان التقدير -[7]]: لقد أتينا في هذه السورة خاصة بعد عموم ما في سائر القرآن بكل حجة لا تقوم لها الأمثال، و لم[8] نبق لأحد عذرا و لا شيئا من إشكال، لكونها ليس لها في وضوحها مثال، عطف عليه قوله [9]صارفا الكلام[10] إلى مقام العظمة تقبيحا لمخالفتهم لما يأتي من قبله و ترهيبا[11] من الأخذ مؤكدا لأنهم

---

(١) في ظ و مد: العتب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) في ظ: ما. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: الموجودة (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: المؤمنون (٦) في ظ و م و مد: اولى (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: لا (٩) العبارة من هنا إلى «من الأخذ» ساقطة من م (١٠) في ظ: للكلام (١١) من ظ و مد، و في الأصل: ترغيبا.

ينكرون أن يكون فى القرآن دلالة. و من أقر منهم مع الكفر فكفره قائم مقام إنكاره: ﴿ و لقد ضربنا ﴾ .

و لما كانت العناية فيها بالناس أكثر، قال: ﴿للناس﴾ فقدمهم فى الذكر ﴿فى هذا القرآن﴾ أى عامة هذه السورة و غيرها ﴿من كل مثل﴾ [أى -[1]] معنى غريب هو أوضح و أثبت من أعلام الجبال، فى عبارة هى أرشق[2] من سائر الأمثال.

و لما كان المختوم على مشاعرهم منهم لايؤمنون بشىء[3]. وكان ذلك من أدل دليل على علمه تعالى و قدرته، قال مقسما تكذيبا لقولهم فى الاقتراحات[4] خاصا من أهل العلم و الإيمان رأسهم، دلالة على أن[5] التصرف فى القلوب من العظم بمكانة تجل عن الوصف، معبرا بالشرط إعلاما بأنه سبحانه لايجب عليه شىء، عاطفا على نحو: فلم ينفعهم شىء من ذلك: ﴿ و لئن جئتهم ﴾ أى الناس عامة[6] ﴿ بآية ﴾ أى دلالة واضحة على صدقك معجزة، غير ما جئتهم به مما[7] اقترحوه و وعدوا الإيمان به مرئية كانت أو مسموعة ﴿ ليقولن الذين كفروآ ﴾ أى حكمنا بكفرهم غلظة و جفاء، و دل على [فرط -[1]] عنادهم بقوله: ﴿ ان ﴾ أى ما . و لما كان التخصيص[8] بالغلظة أشد على النفس، ضم إليه اتباعه تسلية و بيانا لعظيم شقاقهم فقال: ﴿ انتم ﴾ أى أيها الآتى بالآية و أتباعه

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى ظ : اوثق (٣) فى ظ و مد : لشىء (٤) العبارة من هنا الى « شىء من ذلك » ساقطة من م (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٦) فى ظ : خاصة (٧) فى ظ : ما (٨) فى ظ : التخليص .

﴿ الا مبطلون ﴾ أى من أهل العراقة فى الباطل بالإتيان بما لا حقيقة له[١] فى صورة ما له حقيقة، و أما الذين آمنوا فيقولون : / نحن بهذه الآية مؤمنون. ١٥٣ /

و لما كان من أعجب العجب أن من يدعى العقل يصر على التكذيب بالحق، و لا يصغى لدليل، و لا يهتدى لسبيل، قال مستأنفا فى جواب من سأله[٢] : هل يكون مثل هذا الطبع ؟ و مرغبا فى العلم : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الطبع العظيم جدا. [٣]و لما كان كون الشيء الواحد لناس هداية و لناس[٤] ضلالة جامعا إلى العظمة تمامَ العلم و الحكمة، صرف الخطاب عنها إلى الاسم الأعظم الجامع فقال : ﴿ يطبع الله ﴾ أى الذى لا كفوء له، فمهما أراد كان، عادة مستمرة، و نبه على كثرة المطبوع عليهم بجمع الكثرة فقال : ﴿ على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ أى لا يجددون - أى[٥] لعدم القابلية - العلم[٦] بأن لا يطلبوا[٧] علم ما يجهلونه مما حققه هذا الكتاب من علوم [٨]الدنيا و الآخرة[٨] رضىً منهم بما عندهم من جهالات سموها دلالات، و ضلالات ظنوها هدايات و كمالات.

و لما كان هذا مذكرا[٩] بعظيم قدرته بعد الإياس من إيمانهم، سبب عنه قوله : ﴿ فاصبر ﴾ أى على إنذارهم مع هذا الجفاء و الرد بالباطل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : سال (٣) العبارة من هنا إلى « الجامع فقال » ساقطة من م (٤) فى ظ : الناس (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : العلم (٧) فى ظ : لا يطلبون. (٨-٨) فى ظ : الآخرة و الدنيا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مكرر.

و الأذى ، [1]فان الكل فعلنا لم يخرج منه[2] شيء عن إرادتنا .

و لما كان [3]قد تقدم[3] إليه بأنه لابد أن يظهر أمره على [كل -[4]] أمر ، علله بقوله مؤكدا [5]لأن إنفاذ[5] مثل ذلك فى محل الإنكار لعظم المخالفين و كثرتهم مظهرا غير مضمر[6] لئلا يظن التقييد بحيثية الطبع : ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فى [7]كل ما وعدك به الذى منه[7] نصرك و إظهار دينك على الدين كله و نصر من قارب أتباعك فى التمسك بكتاب من كتب الله و إن كان قد نسخ على من لا كتاب له ﴿حق﴾ أى ثابت جدا يطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان ، و تأتى به مطايا الحدثان .

و لما كان التقدير : فلا تعجل ، عطف عليه قوله : ﴿و لا يستخفنك﴾ أى يحملنك على الخفة و يطلب أن تخف باستعجال النصر خوفا من عواقب تأخيره أو بتفتيرك[8] عن التبليغ ، بل كن بعيدا منهم بالغلظة و الجفاء و الصدع بمر[9] الحق من غير محاباة ما ، بعدا لا يطمعون معه أن يحتالوا فى خفتك فى ذلك بنوع احتيال[10] ، و قراءة " يستحقنك[11] " من الحق

---

(١) العبارة من هنا إلى « عن إرادتنا » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قدم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) فى ظ : لا انفاذ ، و العبارة من هنا إلى « بحيثية الطبع » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مظهر (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتقصيرك ، و فى م : بتغييرك . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بمر (١٠) فى ظ : احتمال (١١) راجع روح المعانى ٦ / ٤٦٠ .

معناها[1] : أى لا يطلب منك الحق الذى هو الفصل العدل بينك و بينهم أى لا تطلبه أنت ، فهو مثل : لا أرينك ههنا تنهى نفسك و أنت تريد نهيه عن السكون بحيث تراه ، و النهى فى قراءة الجماعة[2] بالثقيلة أشد منه فى رواية رويس عن يعقوب بالخفيفة ، فقراءة الجماعة مصوبة إلى أصل الدين ، أى لا تفعل معهم فعلا يطمعهم فى أن تميل إليهم فيه ، و قراءة رويس إلى نحو الأموال فانه كان يتألفهم بالإيثار بها ، و لا شك أنه إذا آثرهم على أكابر المسلمين أطمعهم ذلك فى[3] أن يطلبوا أن يميل معهم ، و ما أفاد هذا إلا تحويل النهى ، و لو قيل : لا تخفن معهم ، لم يفد ذلك ، و لا يقال عكس هذا من أن النهى فى الثقيلة أخف لأنه نهى عن الفعل المؤكد فيبقى أصل الفعل . وكذا ما صحبه تأكيد خفيف ، و فى الخفيفة غير[4] المؤكد تأكيدا خفيفا فلا يبقى غير أصل الفعل فهو أبلغ ، لأن النون لم تدخل إلا / بعد دخول الناهى فلم تفد إلا قوة النهى[5] لا قوة المنهى / ١٥٤
عنه - و الله أعلم . ﴿ الذين لا يوقنون ع ﴾ أى أذى الذين لا يصدقون بوعودنا[6] تصديقا ثابتا[7] فى القلب[7] بل هم إما شاكون فأدنى شىء[8] يزلزلهم كمن يعبد الله على حرف ، أو مكذبون بنصر الله لأوليائه المؤمنين و لمن قاربهم فى التمسك بكتاب أصله صحيح ، فهم يبالغون فى العداوة و التكذيب حتى[9] أنهم ليخاطرون فى وعد الله بنصر الروم على فارس ،

---

(١) فى ظ و مد : بمعناها (٢) راجع نثر المرجان ٣١٨/٥ (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل « و » (٤) فى ظ و مد : عن (٥) فى م : الناهى (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بوعدنا (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقلب .
(٨) زيد فى ظ : من قولهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

كأنهم

كأنهم على ثقة و بصيرة من أمرهم فى أن ذلك لايكون ، فاذا صدق الله وعده فى ذلك باظهاره عن قريب علموا كذبهم عيانا ، و علموا - إن كان لهم علم - أن الوعد بالساعة لإقامة العدل على الظالم و العود بالفضل على المحسن كذلك يأتى و هم صاغرون ، و يحشرون [١]و هم[١] داخرون ، ["و -[٢]] سيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون" . فقد انعطف آخرها على أولها عطف الحبيب على الحبيب ، و اتصل به اتصال القريب بالقريب ، و التحم التحام النسيب بالنسيب .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٢٢٧ .

سورة لقمن عليه الصلاة و السلام[١]

مقصودها إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه فى أقواله و أفعاله ، و قصة لقمان المسمى به[٢] السورة دليل واضح على ذلك كأنه[٣] سبحانه لما أكمل ما أراد من أول القرآن إلى آخر براءة التى هى سورة غزو الروم ، و كان سبحانه قد ابتدأ القرآن [بعد أم القرآن - [٤]] بنفى الريب عن هذا الكتاب ، و أنه هدى للتقين[٥] ، و استدل على ذلك فيما تبعها من السور ، ثم ابتدأ سورة[٥] يونس بعد سورة غزو[٦] الروم باثبات حكمته ، و أتبع ذلك دليله إلى أن ختم سورة الروم ، ابتدأ دورا جديدا على وجه أضخم من الأول ، فوصفه فى أول هذه التالية للروم بما وصفه به فى يونس التالية لغزو الروم ، و ذلك الوصف هو الحكمة و زاد أنه هدى و هداية للحسنين ، فهؤلاء أصحاب النهايات ، و المتقون أصحاب البدايات .

و لما أثبت فى آل عمران أنه أنزل بالحق ، أثبت فى السجدة تنزيله و نفى الريب عن أنه من عنده ، و أثبت أنه الحق ، و استمر فيما بعد هذا من السور مناظرا فى الأغلب لما مضى كما يعرف ذلك بالإمعان فى التذكر و التأمل و التدبر : ﴿ بسم الله ﴾ الذى وسع كل شيء رحمة و علما

---

(١) الحادية و الثلاثون من سور القرآن ، و عدد آيها ثلاث و ثلاثون فى المكى و المدنى و أربع و ثلاثون فى عدد الباقين - كما فى روح المعانى ٦/٤٦١ .
(٢) فى مد : بها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غزوة .

﴿ الرحمن ﴾ الذى بث[١] بعموم حكمته[٢] شامل نعمته فى سائر بريته ﴿ الرحيم ﴾ الذى أنار لخاصته طريق جنته، فداموا [٣]و هاموا[٣] فى محبته.

لما ختمت الروم بالحث على العلم، و هو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم، و الأمر بالصبر و التمسك بما فيه من وعد. و النهى[٤] عن الإطماع لأهل الاستخفاف فى المقاربة لهم فى شيء من الأوصاف، و كان ذلك / هو / ١٥٥ الحكمة، قال أول هذه: ﴿ الٓمٓ ﴾ مشيرا بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل - لأنه الظاهر مع أنه الباطن - جبرءيل عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة و السلام بوحى ناطق من الحكم و الأحكام بما لم ينطق به من قبله إمام، و لا يلحقه فى ذلك شيء مدى الأيام، فهو المبدأ و هو الختام، و إلى ذلك أومأ تعبيره بأداة البعد [٥]فى قوله[٥]: ﴿ تلك ﴾ أى الآيات التى هى من العلو و العظمة بمكان لا يناله إلا من جاهد نفسه حتى هذبها بالتخلى عن جميع الرذائل، و التحلى بسائر الفضائل ﴿ ءايٰت الكتٰب ﴾ الجامع لجميع أنواع الخير ﴿ الحكيم ﴾ بوضع الأشياء فى حواق مراتبها[٦] فلا يستطاع نقض شيء من إبرامه، و لا معارضة شيء من كلامه، الدال ذلك على تمام علم[٧] منزله و خبرته[٨]، و شمول عظمته و قدرته، و دقيق صنائعه

(١) فى ظ: ثبت (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد: فهاموا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: نهى (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٦) زيد فى ظ: و مواضعها. (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خيرته.

فى بديع حكمته، فلا بــد من نصر المؤمنين و من داناهم فى التمسك بكتاب له أصل من عند الله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تـكرر الأمر بالاعتبار و الحض عليه و التنبيه بعجائب المخلوقات فى سورة الروم كقوله سبحانه " او لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السمٰوت و الارض و ما بينهما الا بالحق" و قوله " او لم يسيروا فى الارض" و قوله " الله يبدؤا الخلق ثم يعيده " و قوله " يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى" إلى قوله " كـذلك نفصل الأيٰت لقوم يعقلون " و هى عشر آيات تحملت من جليل الاعتبار و التنبيه ما لايبقى معه شبهة و لا توقف لمن وفق[1] إلى ما بعد هذا من آيات التنبيه و بسط الدلائل و ذكر ما فطر عليه العباد و ضرب الأمثال الموضحة [سواء -[2]] السبيل لمن عقل معانيها و تدبر حكمها إلى قوله " و لقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل " و هى إشارة إلى ما أودع الله كتابه المبين من مختلف الأمثال و شتى العظات و ما تحملت هذه السورة من ذلك، أتبع سبحانه ذلك بقوله الحق " الٓمّٓ تلك أيٰت الـكتٰب الحكيم " أى دلائله و براهينه لمن وفق[3] و سبقت له الحسنى و هم المحسنون الذين ذكرهم بعد، [و -[2]] وصف الـكتاب بالحكيم يشهد لما مهدناه، ثم أشار سبحانه إلى من حرم منفعته و الاعتبار به، و استبدل الضلالة بالهدى، و تنكب عن سنن[4]

(١) من م، و فى الأصل و ظ و مد : وقف (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وقف (٤) فى ظ : سكن .

فطرة

فطرة الله التي فطر الناس عليها فقال "و من الناس من يشتري لهو الحديث" - الآيات، ثم أتبع ذلك [بما يبكت -[1]] كل معاند، و يقطع بكل جاحد، فذكر[2] خلق السماوات[3] بغير عمد مرئية مشاهدة لايمكن في أمرها امتراء، ثم ذكر خلق الأرض و ما أودع فيها، ثم قال سبحانه "هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه" ثم اتبع ذلك بذكر من هداه سبيل الفطرة فلم تزغ[4] به الشبه[5] و لا تنكب سواء السبيل فقال "و لقد آتينا لقمن الحكمة" - الآية، لتأسيس من اتبع فطرة الله التي تقدم ذكرها في سورة الروم، ثم تناسق الكلام و تناسج[6] - انتهى.

و لما كان الإحسان ما دعت إليه سورة الروم من الإيمان بلقاء الله، منزها عن شوائب النقص، موصوفا[7] بأوصاف الكمال، معبودا[8] بما شرعه على وجه الإخلاص، و الانقياد مع الدليل كيفما / توجه، ١٥٦ /
و الدوران[9] معه كيفما دار، و كان ذلك هو عين الحكمة، قال تعالى: ﴿ هدى ﴾ أي حال كونها أو كونه بيانا متقنا ﴿ ورحمة ﴾ أي حاملا على القيام بكل ما دعا إليه، و التقدير على قراءة حمزة[10] بالرفع: هي أو[11]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: فقد (٣) زيد في الأصل: و الارض، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) في ظ: فلم تنزغ (٥) من م و مد: و في الأصل و ظ: الشبهة (٦) في ظ: تناسخ. (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م: موصوف (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: معبود (٩) من ظ وم و مد، و في الأصل: الدوار (١٠) راجع نثر المرجان ٥/٣١٩ (١١) سقط من ظ.

هو، [و -[1]] قال: ﴿للمحسنين﴾ إشارة إلى أن من حكمته أنه خاص في هذا الكمال وضعا[2] للشيء في محله بهذا الصنف، و هم الذين لزموا التقوى فأدتهم إلى الإحسان، و هو عبادته تعالى على المكاشفة و المراقبة فهي له أو هو لها آخر، ثم وصفهم [3]في سياق الرحمة و الحكمة و البيان بالعدل[3] بيانا لهم بما[4] دعت إليه سورة الروم من كمال الاحسان في معاملة الحق و الخلق اعتقادا و عملا فقال: ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ أي يجعلونها كأنها قائمة بفعلها بسبب إتقان جميع ما أمر به فيها و ندب إليه، و توقفت بوجه عليه، [5]على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها و الاستمرار، و لم يدع إلى التعبير بالوصف كالمقيمين داع ليدل[6] على الرسوخ لأن المحسن هو الراسخ في الدين رسوخا[7] جعله كأنه[7] يرى المعبود و دخل فيها الحج لأنه لايعظم البيت في كل يوم خمس مرات إلا معظم له بالحج فعلا أو قوة ﴿و يؤتون الزكوة﴾ أي كلها فدخل فيها الصوم لأنه لايؤدي زكاة الفطر إلا من صامه قوة أو فعلا.

و لما كان الإيمان اساس هذه الأركان، و كان الإيمان بالبعث جامعا لجميع أنواعه، و حاملا على سائر وجوه[8] الإحسان، و كان قد ختم الروم بالإعراض أصلا عمن ليس فيه أهلية الإيقان، قال: ﴿و هم﴾ أي خاصة

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: وصف
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) في ظ: مما (٥) العبارة من هنا إلى «يرى المعبود» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و في الأصل: يدل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: وجو.

لكمالهم فيما دخلوا فيه من هذه المعاني ﴿بالآخرة﴾ التي تقدم أن المجرمين عنها غافلون ﴿هم يوقنون ۝﴾ أي يؤمنون[١] بها إيمان موقن فهو لا يفعل شيئا ينافي الإيمان بها، و لا يغفل عنها طرفة عين، فهو في الذروة العليا من ذلك. فهو يعبد الله كأنه يراه، فآية البقرة بداية، و هذه نهاية.

و لما كانت هذه الخلال أمهات الأفعال، الموجبة للكمال، و كانت مساوية من وجه لآية البقرة [٢]ختمها بختامها[٢]، بعد أن زمها بزمامها، فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أي العالو الرتبة الحائزون[٣] من منازل القربة أعظم رتبة ﴿ على هدى ﴾ أي عظيم هم متمكنون منه تمكن المستعلي على الشيء[٤]، و قال: ﴿من ربهم﴾ تذكيرا [لهم -[٥]] بأنه لو لا إحسانه ما وصلوا إلى شيء، ليلزموا [٦]تمريغ الجباه[٦] على الأعتاب، خوفا من الإعجاب ﴿و اولٓئك هم ﴾ أي خاصة ﴿ المفلحون ۝﴾ أي الظافرون بكل مراد.

و لما كان فطم النفس عن الشهوات، أعظم هدى قائد[٧] إلى حصول المرادات، و كان إتباعها[٨] الشهوات أعظم قاطع عن الكمالات، و كان في ختام الروم أن[٩] من وقف مع الموهومات عن طلب

---

(١) في ظ: يوقنون (٢-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: حتم (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: حايزون (٤) من ظ وم، وفي الأصل ومد: شيء. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من وم و مد، وفي الأصل: تمزيق الحياة، و في ظ: تمريغ الحياة (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: قايدا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: اتباع (٩) سقط من ظ و مد.

المعلومات مطبوع على قلبه، و كان ما دعا إليه الكتاب هو[1] الحكمة التي نتيجتها الفوز، و ما دعا إليه اللهو هو السفه المضاد للحكمة، بوضع الأشياء في غير مواضعها، المثمر للعطب[2]، قال تعالى معجبا ممن يترك الجد إلى اللهو، و يعدل /عن[3] جوهر العلم إلى صدف[4] السهو، عاطفا على ما ١٥٧/ تقديره: فمن الناس من يتحلى بهذا الحال فيرقى إلى حلبة[5] أهل الكمال: ﴿و من﴾ و يمكن أن يكون حالا من فاعل الإشارة. أي أشير إلى آيات الكتاب الحكيم حال كونه هدى لمن ذكر و الحال أن من ﴿الناس﴾ أي الذين هم في أدنى رتبة[6] الإحساس، لم يصلوا إلى رتبة أهل الإيمان، فضلا عن مقام أولى الإحسان.

و لما كان التقدير: من يسير بغير هذا السير، فيقطع[7] نفسه عن كل خير، عبر عنه بقوله: ﴿من يشترى﴾ [أي - [8]] غير مهتد[9] بالكتاب و لا مرحوم[10] به ﴿لهو الحديث﴾ أي ما يلهى من الأشياء المتجددة التي تستلذ فيقطع بها[11] الزمان من الغناء و المضحكات و كل شيء لا اعتبار فيه، فيوصل النفس بما أوصلها إليه من اللذة إلى مجرد الطبع

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: فهو (٢) في ظ و مد: للعطف (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: من (٤) في ظ: صدق (٥) من ظ و م و مد، و في الاصل: حلية (٦) في ظ و مد: رتب (٧) زيد في الأصل: به، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م ومد، و في الاصل: مستحل (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: مرحوا. (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: به.

البهيمى فيدعوها إلى العبث[1] من اللعب كالرقص[2] و نحوه مجتهدا[3] فى ذلك معملا الحيل فى تحصيله باشتراء سببه، معرضا عن اقتناص العلوم و تهذيب النفس بها[4] عن الهموم[5] و الغموم، فينزل إلى أسفل سافلين[6] كما علا الذى[6] قبله بالحكمة إلى أعلى عليين - قال[7] ابن عباس رضى الله عنهما: نزلت فى رجل اشترى جارية تغنيه ليلا و نهارا، و قال مجاهد[7]: فى شرى القيان و المغنين و المغنيات، و قال[7] ابن مسعود: اللهو الغناء، و كذا قال ابن عباس و غيره.

و لما كان من المعلوم أن عاقبة هذه الملاهى الضلال، بانهماك النفس فى ذلك، لما طبعت عليه من الشهوة لمطلق البطالة، فكيف مع ما يثير ذلك و يدعو إليه من اللذاذة، فتصير أسيرة[8] الغفلة عن الذكر، و قبيلة الإعراض عن الفكر، و كان المخاطب بهذا الكتاب قوما[9] يدعون العقول الفائقة، و الأذهان الصافية[10] الرائقة، قال تعالى: ﴿ليضل﴾ من الضلال و الإضلال على القراءتين[11]، ضد[12] ما كان عليه المحسنون من الهدى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: العتب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كالرقعة (٣) فى ظ: مجتهلا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المهموم (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما علاء الدين (٧) راجع الدر المنثور ٥ / ١٥٩ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسير (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوم. (١٠) سقط من ظ (١١) راجع نثر المرجان ٥/٣٢١ (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند.

﴿عن سبيل الله﴾ أى الطريق [1]الواضح الواسع[1] الموصل إلى رضى الملك الأعلى المستجمع [لصفات -[2]] الكمال و الجلال و الجمال التى هم مقرون بكثير منها ، منبها لهم[3] على أن هذا مضل عن السبيل و لابد ، و أن ذلك بحيث لا يخفى عليهم ، فان كان [4]مقصودا لهم[4] فهو ما لايقصده من له عداد فى البشر ، و إلا كانوا من الغفلة و سوء النظر و عمى البصيرة بمنزلة هى دون ذلك بمراحل .

و لما كان المراد : من قصد الضلال عن الشيء ، ترك ذلك الشيء ، و كان العاقل لايقدم على ترك شيء إلا [5]و هو عالم[5] بأنه لا خير فيه قال : ﴿بغير علم ق﴾ و نكره ليفيد السلب العام لكل نوع من أنواع العلم ، أى لأنهم لا علم لهم بشيء من حال السبيل و لا حال غيرها ، علما يستحق إطلاق العلم عليه بكونه يفيد ربحا أو يبقى على رأس مال من دين أو دنيا ، فان هذا حال[6] من استبدل الباطل بالحق و الضلال بالهدى .

و لما كان المستهزئ بالشيء المحتقر له لايتمكن[7] من ذلك إلا بعد الخبرة التامة بحال ذلك الشيء و أنه لايصلح لصالحة[8] و لايروج له حال بحال قال[9] معجبا تعجيبا آخر أشد من الأول بالنصب عطفا[10] على "يضل"

(١ - ١) فى ظ و مد : الواسع الواضح (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقصود (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلم (٦) فى ظ و مد : شان (٧) فى ظ : لايمكن . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصالحة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فقال (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاطفا .

فى قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم، و بالرفع للباقين عطفا على "يشترى": ﴿ و يتخذها ﴾ أى يكلف نفسه ضد ما تدعوه إليه فطرته [الأولى -[1]] / أن يأخذ السبيل التى لا أشرف منها مع ما ثبت / ١٥٨ له من الجهل المطلق ﴿ هزوا ﴾ .

و لما أنتج له[2] هذا الفعل الشقاء الدائم، بينه بقوله، جامعا حملا[3] على معنى "من" بعد أن[4] أفرد حملا على لفظها، لأن الجمع فى مقام الجزاء أهول، و التعجيب من الواحد أبلغ[5]: ﴿ اولئك ﴾ أى[6] الأغبياء البعيدون عن[6] رتبة الإنسان، و تهكم[7] بهم بالتعبير باللام الموضوعة لما يلائم[8] فقال: ﴿ لهم عذاب مهين ﴾ أى يثبت لهم الخزى الدائم ضد ما كان للمحسنين[9] من الرحمة .

و لما كان الإنسان قد يكون غافلا، فاذا نبه انتبه، دل سبحانه على أن [هذا -[1]] الإنسان المنهمك[10] فى أسباب الخسران لا يزداد على مر[11] الزمان إلا مفاجأة لكل ما يرد عليه من البيان بالبغى و الطغيان، فقال مفردا للضمير حملا على اللفظ أيضا لئلا يتعلق متمحل بان المذموم إنما هو الجمع . صارفا الكلام إلى مظهر العظمة لما اقتضاه الحال[12] من الترهيب[12]:

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : حمل (٤) فى ظ ومد : ما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل . اهول (٦) فى ظ : من (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تهكم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لايلائم (٩) من ظ و مد، وفى الأصل وم : للمحسن (١٠) فى ظ و مد : انهمك . (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ممر (١٢ - ١٢) فى ظ : للترهيب .

﴿و اذا تتلى عليه ءايتنا﴾ اى يتجدد عليه تلاوة ذلك مع ما له من المظمة من أىّ تال كان و إن عظم ﴿ولّى﴾ أى بعد السماع، مطلق التولى سواء كان على[1] حالة[2] المجانبة أو [مدبرا -[3]] ﴿مستكبرا﴾ أى حال كونه طالبا للكبر موجدا له بالإعراض عن الطاعة تصديقا لقولنا آخر تلك "و لئن جئتهم بأية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون".

و لما كان السامع لآياته سبحانه جديرا بأن تكسبه رقة و تواضعا، قال تعالى دالا على أن هذا الشقى كان حاله عند سماعه و بعده كما كان قبل: ﴿كأن﴾ أى كأنه، أى[1] مشبها حاله بعد السماع حاله حين ﴿لم يسمعها﴾ فدل ذلك على أنه لم يزل على حالة الكبر لأنه شبه حاله[2] مع السماع بحاله مع عدم السماع، و قد بين[4] أن حاله مع السماع الاستكبار فكان حاله قبل السماع كذلك.

و لما كان من لم يسمع الشيء قد يكون قابلا للسمع، فاذا كلم من حد جرت العادة بأن يسمع منه سمع، بين أن حال هذا كما كان مساويا لما قبل التلاوة فهو مساو لما بعدها، لأن سمعه مشابه لمن به صمم، فالمضارع فى "يتلى" مفهم لأن الحال فى الاستقبال كهى[5] فى الحال فقال تعالى: ﴿كأن فى اذنيه وقرا ج﴾ أى صمما يستوى معه[6] تكليم غيره له و سكوته.

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: حال (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبين (٥) من ظ و م و مد، أى: كما هى، و فى الأصل: فهى (٦) زيد فى الأصل: حال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و لما

و لما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل نخوته و كبره و عظمته، وكان استمرار الألم أعظم كاسر لذوى الشمم، وكان من طبع الإنسان الاهتزاز لوعد الإحسان كائنا من كان نوع[1] اهتزاز قال: ﴿ فبشره ﴾ فلما كان جديرا بان يقبل - و لا يولى لظنه البشرى - على حقيقتها لأن من يعلم أنه أهل للعذاب بأفعاله الصعاب لايزال يتوالى عليه النعم مرة [2]بعد مرة[2] حتى يظن أو يكاد يقطع بأن المعاصى سبب لذلك و أنه - لما له عند الله من عظيم المنزلة - لايكره منه عمل[3] من الأعمال، قرعه بقوله: ﴿ بعذاب ﴾ أى عقاب مستمر ﴿ اليم ۝ ﴾.

و لما كانت معرفة ما لأحد الجزئين باعثة على[4] السؤال عما / للحزب /١٥٩
الآخر، وكانت إجابة السؤال عن ذلك من أتم الحكمة، استانف تعالى قوله مؤكدا [5]لأجل إنكار[5] الكفرة: ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى[6] تصديقا له ﴿ الصلحت ﴾ وضعا للشيء فى محله عملا بالحكمة ﴿ لهم جنت ﴾ أى بساتين ﴿ النعيم ۝ لا ﴾، فأفاد سبحانه باضافتها إليه أنه لا كدر فيها أصلا و لا شيء غير النعيم. و لما كان ذلك قد لا يكون دائما. و كان لا سرور بشيء[7] منقطع قال: ﴿ خلدين فيها ۖ ﴾ أى دائما.

و لما كانت الثقة بالوعد على قدر الثقة بالواعد، وكان إنجاز الوعد

---

(١) زيد فى ظ: من (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعده (٣) فى ظ: عملا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: عن (٥-٥) فى ظ: لانكار.
(٦) سقط من ظ و م و مد (٧) فى ظ: اشىء.

من الحكمة. قال مؤكدا لمضمون الوعد بالجنات: ﴿وعد الله﴾ الذى لا شىء أجل منه؛ فلا وعد أصدق من وعده، ثم أكده[1] بقوله: ﴿حقا﴾ أى ثابتا ثباتا لا شىء مثله، لأنه وعد من لا شىء مثله ولا كفوء له.

ولما كان النفس الغريب جديرا بالتأكيد. أتى بصفتين مما أفهمه الإتيان بالجلالة تصريحا بهما تأكيدا لأن هذا لابد منه فقال: ﴿وهو﴾ أى وعد بذلك والحال أنه ﴿العزيز﴾ فلا يغلبه شىء ﴿الحكيم﴾ أى المحكم لما يقوله ويعمله، فلا يستطاع نقضه ولا نقصه.

[2]ولما ختم بصفتى العزة - وهى غاية القدرة - والحكمة - وهى ثمرة العلم - دل[3] عليهما بإتقان أفعاله وإحكامها فقال: ﴿خلق السموٰت﴾ أى على علوها وكبرها وضخامتها ﴿بغير عمد﴾ وقوله: ﴿ترونها﴾ دال[4] على الحكمة، إن قلنا إنه صفة لعمد أو استئناف، إما إن قلنا [بالثانى فيكون - [5]] مثل هذا الخلق الكبير الواسع يحمل بمحض[6] القدرة، وإن قلنا بالأول[7] فتركيب مثله على عمد تكون فى العادة حاملة له وهى مع ذلك بحيث لا ترى أدخل فى الحكمة وأدق فى اللطافة والعظمة، لأنه

---

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اكد (٢) زيد فى الأصل: كان هذا التقدير بحكمته. ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: دلت (٤) من ظ وم ومد. وفى الأصل: دالا (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لمحض (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بالثانى.

يحتاج إلى عملين : تخفيف الكثيف و تقوية اللطيف .

و لما ذكر العمد المقلة[١]، اتبعه الأوتاد المقرة فقال : ﴿ و القى فى الارض ﴾ [أى -[٢]] التى[٣] انتم عليها ، جبالا ﴿ رواسى ﴾ و العجب أنها من فوقها و جميع الرواسى التى تعرفونها تكون من تحت[٤]، تثبتها عن ﴿ ان تميد[٥] ﴾ أى تمايل مضطربة ﴿ بكم ﴾ كما هو شأن ما على ظهر الماء .

و لما ذكر إيجادها و إصلاحها للاستقرار ، ذكر ما خلقت له من الحيوان فقال : ﴿ و بث فيها ﴾ أى فرق ﴿ من كل دآبة ﴾ و لما ذكر ذلك ، ذكر[٤] ما يعيش به ، فقال منبها لمظهر العظمة على أن ذلك و إن كان لهم فى بعضه تسبب [٤]لايقدر[٤] عليه إلا هو سبحانه : ﴿ و انزلنا ﴾ أى بما لنا من العزة اللازمة للقدرة ، و قدم [ما -[٢]] لاقدرة لمخلوق عليه بوجه فقال : ﴿ من السمآء مآء ﴾ و لما تسبب عن ذلك تدبير الأقوات ، و كان من آثار الحكمة التابعة للعلم ، دل عليه بقوله : ﴿ فانبتنا ﴾ أى[٦] بما لنا من العلو[٧] فى الحكمة ﴿ فيها ﴾ أى الأرض بخلط الماء بترابها ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف من النبات متشابه ﴿ كريم ۝ ﴾ بما له من البهجة و النضرة الجالبة للسرور و المنفعة و الكثرة الحافظة لتلك / الدواب . ١٦٠

و لما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته و حكمته ، ثبتت ألوهيته فألزمهم وجوب توحيده فى العبادة كما توحد بالخلق .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاقلة (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تميل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : العلم .

لأن ذلك عين الحكمة، كما كان خلقه لهذا الخلق على هذا النظام ليدل عليه سبحانه سرُّ الحكمة، فقال ملقنا للمحسنين من حزبه ما ينبهون به المخالفين موبخا لهم مقبحا لحالهم[1] فى عدولهم عنه مع علمهم بما له من التفرد بهذه الصنائع: ﴿هذا﴾ [أى -[2]] الذى تشاهدونه كله ﴿خلق الله﴾ [أى -[3]] الذى له جميع العظمة[4] فلا كفوء له.

و لما كان العاقل بل و غيره لاينقاد لشيء إلا إن رأى له فعلا يوجب الانقياد له، نبه على ذلك بقوله جوابا لما تقديره: فان ادعيتم لما دونه مما عبدتموه من دونه خلقا عبدتموه لأجله[5]: ﴿فاروني ما ذا خلق الذين﴾ زاد اسم الإشارة زيادة فى التقريع بتأكيد النفي المقصود من الكلام، و نبه على سفول رتبتهم بقوله[6] مضمرا لأنه[7] ليس فيما أسند إلى الاسم الأعظم حيثية يخشى من التقييد بها نقص: ﴿من دونه[4]﴾ فسألهم فى رؤية ما خلقوا إشارة إلى أنهم فعلوا معهم فعل من يعتقد أن لهم خلقا، فالمعنى أنكم غبنتم غبنا ما غبنه[8] أحد أصلا [9]بأن انقدتم لما لاينقاد له حيوان فضلا عن إنسان بكونه لا فعل له أصلا[9]، فكان من حقكم - إن كانت لكم عقول - أن تبحثوا أولا [هل -[3]] لهم أفعال أم لا؟ ثم إذا ثبت فهل هي[7] محكمة أم لا، ثم إذا ثبت فهل شاركهم غيرهم أم لا، و إذا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهم (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و مد: الكمال (٥) فى ظ و مد: من أجله (٦) العبارة من هنا إلى « بها نقص » ساقطة من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: غبنا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

ثبت

ثبت أن غيرهم شاركهم فأيهما أحكم، و أما أنكم تنقادون لهم و لافعل لهم أصلا ثم تقدرون أن[1] لهم أفعالا ترجونهم بها و تخشونهم، فهذا [ما -[2]] لايتصوره حيوان أصلا، و لذلك قال تعالى: ﴿بل﴾ منبها على أن الجواب: ليس لهم[3] خلق؛ بل عبدتهم أو أنتم فى جعلهم شركاء، هكذا كان الأصل، و لكنه قال: ﴿الظلمون﴾ أى العريقون فى الظلم، تعميما و تنبيها على الوصف الذى أوجب لهم كونهم ﴿فى ضلل﴾ عظيم جدا محيط بهم ﴿مبين ع﴾ أى فى غاية الوضوح، و هو كونهم يضعون الأشياء فى غير مواضعها، لأنهم فى مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب شمس الإيمان عنهم بجبال[4] الهوى فلا حكمة لهم.

و لما ثبتت حكمته سبحانه و أنه أبعدهم عنها[5] بما قضى عليهم من الجهل و غباوة العقل و آتاها[6] من تاب، و اعتصم بآيات الكتاب، توقع السامع الإخبار عن بعض من آتاه الحكمة من المتقدمين الذين كانوا من[7] المحسنين، فوضعوا الأشياء فى مواضعها بأن آمنوا و عملوا الصالحات، فقال صارفا وجه الكلام إلى مظهر العظمة تعظيما للحكمة عاطفا على قوله "و هو العزيز الحكيم" أو على مقدر تقديره: لأنا أضللناهم بحكمتنا و آتينا الحكمة الذين قبلوا آياتنا و أحسنوا التعبد لنا فما عبدوا صنما و لا مالوا إلى لهو[8]، لأن ذلك عين الحكمة لكونه [وضعا -[2]] للشىء فى محله، فهو

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: له (٤) فى ظ و مد: بخيال (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مع (٨) فى ظ و مد: الهوى.

تقرير لتخصيص النبى صلى الله عليه و سلم بالرسالة : ﴿ و لقد اٰتينا ﴾ بما
/١٦١ لنا من العظمة و الحكمة / ﴿ لقمن ﴾ و هو عبد من عبيدنا ﴿ الحكمة ﴾
و هو العلم المؤيد بالعمل و العمل المحكم بالعلم ، و قال الحرالى : هى العلم بالأمر الذى لأجله[1] وجب الحكم ، و الحكم الحمل على جميع أنواع الصبر و المصابرة ظاهرا بالإيالة[2] العالية ، و لا يتم الحكم[3] و تستوى[3] الحكمة إلا بحسب سعة العلم ، و قال ابن ميلق : إن مدارها على إصابة الحق و الصواب فى القول [و العمل -[4]] ، و لهذا قال ابن قتيبة : لا يقال لشخص حكيما[5] حتى تجتمع له[6] الحكمة فى القول و الفعل ، قال : و لا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بها - انتهى . و من بليغ حكمته ما أسنده صاحب الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه و سلم قال : حقا أقول ! لم يكن لقمان نبيا ، و لكن كان عبدا ضمضامة كثير التفكر[7] حسن اليقين ، أحب الله فأحبه ، فمنّ عليه بالحكمة ،[8] كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء ، قيل : يا لقمان ، هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب : إن خيرنى ربى قبلت العافية و لم أقبل البلاء ، و إن عزم علىّ فسمعا و طاعة ، فانى أعلم أنه[9] إن فعل ذلك ربى عصمنى و اعاننى ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم :

---

(١) فى ظ و مد : من أجله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالانالة
(٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لا تستوى (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) فى ظ و مد : حكيم (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفكر (٨) و من هنا أخرجه البغوى فى المعالم بهامش اللباب ١٧٨/٥ .
(٩) سقط من م و المعالم .

لم يا لقمان ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل و أكدرها ، يغشاه الظلم من كل مكان ، إن يعدل[1] فبالحرى أن ينجو ، و إن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، و من يكن فى الدنيا ذليلا خير[2] من أن يكون شريفا ، و من تخير[3] الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا و لا يصيب الآخرة ، فعجبت[4] الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها . و فى الفردوس عن[5] مكارم الأخلاق لأبى بكر بن لال عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم [قال - [6]] : الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى العزلة و واحد[7] فى الصمت ، [و قال لقمان -[6]] : لا مال كصحة و لا نعيم كطيب نفس ، و قال : ضرب الوالد لولده كالسماء للزرع ، و قيل له : أىّ الناس شر ؟ قال : الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا[8] ، و قيل له : ما أقبح وجهك ! فقال : تعيب النقش أو النقاش ، و قال البغوى[9] : إنه قيل له : لم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث و أداء الأمانة و ترك ما لا يعنيني - انتهى . فهو سبحانه من حكمته و حكمه[10] أن يرفع ما يشاء بما يعلمه منه[11] من سلامة الطبع و إن كان عبدا فلا بدع أن يختص

(١) فى المعالم : يعن— (٢) فى ظ : خيرا (٣) من مد و المعالم ، و فى الأصل و م : بخير ، و فى ظ : يختر (٤) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : تعجبت (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) من ظ و م و مد و مخطوطة تلخيص الفردوس ١٣٠ / ب ، و فى الأصل : واحدة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٧٨ (١٠) فى ظ : حكمته (١١) سقط من ظ .

محمدا صلى الله عليه و سلم ذا النسب العالى و المنصب المنيف فى كل خلق شريف بالرسالة من بين قريش و إن لم يكن من أهل الدنيا المتعظمين بها، قال ابن ميلق: من حكمته سبحانه أن يجمع بين أثرى عدله و فضله، و أن يعاقب بينهما فى الظهور فيــذل و يعز و يفقر[1] و يغنى و يسقم و يشفى و يفنى و يبقى إلى غير[2] ذلك. فما من سابق عدل إلا له لاحق فضل، و لاسابق فضل إلا له لاحق عدل، غير أن أثر العدل و الفضل قد يتعلق بالبواطن [3]خاصة، و قد يتعلق أحدهما بالظاهر و الآخر بالباطن[3]، و قد يكون اختلاف تعلقهما فى حالة واحدة، و قد يكون على البدل، و على قدر تعلق الأثر [السابق يكون تعلق الأثر -[4]] اللاحق. و لما كانت الحكمة قاضية بذلك، أجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم، ثم عقب ذلك بإيراد آثار[5] فضله على بواطنهم و ظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الإلهية تفويض ممالك الأرض / ١٦٢ للمستضعفين فيها كالنجاشى حيث بيع فى صغره، و ذلك كثير موجود بالاستقراء، فمن كمال تربية[6] الحكيم لمن يريد إعلاء شأنه أن يجرى على ظاهره من أثر العدل ما فيه تكميل لهم و تنوير لمداركهم و تطهير لوجودهم و تهذيب و تاديب - إلى غير ذلك من فوائد التربية، و من تتبع أحوال الأكابر من آدم عليه السلام و هلم جرا رأى من حسن

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفتقر (٢) فى ظ و مد: سابق. (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: ايثار (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رتبة.

بلاء

بلاء الله سبحانـه و تعالى لهم ما يشهد[1] لما قررته بالصحة[2] إن شاء الله تعالى - انتهى[3] .

و لما كانت الحكمة هى الإقبال على الله قال: ﴿ ان اشكر ﴾ و هو و إن كان تقديره: قلنا له كذا، يؤول إلى «آتيناه الشكر» و صرف[4] الكلام إلى الاسم الأعظم الذى لم يتسم به غيره سبحانه دفعا للتعنت، و نقلا عن مظهر العظمة [إلى - [5]] أعظم منها فقال: ﴿ لله [4] ﴾ بان وفقناه[6] له بما سببناه له من الأمر به لأن الحكمة فى الحقيقة هى القيام بالشكر لا الإيصاء به، و يمكن أن تكون [«أن» - [5]] مصدرية، و يكون التقدير: آتيناه إياها بسبب الشكر، و عبر بفعل الأمر إعلاما بان شكره كان لامتثال الأمر ليكون أعلى .

و لما كان التقدير: فبادر و شكر. فما نفع إلا نفسه، كما أنه لو كفر ما ضر إلا نفسه، عطف عليه [معرفا - [5]] أنه غنى عن شكر الشاكرين قوله معبرا بالمضارع الدال على أن[2] من أقبل عليه - فى أىّ زمان كان - يلقاه[7] و يكون معروفه له[3] دائما بدوام العمل: ﴿ و من يشكر ﴾ أى يجدد الشكر و يتعاهد به نفسه كائنا من كان ﴿ فانما يشكر ﴾ أى يفعل ذلك ﴿ لنفسه ج ﴾ أى فانما ينفع نفسه، فان الله يزيده من فضله فان الله

---

(١) من ظ وم ومد، و فى الأصل: يشهدون (٢) زيد فى ظ: لهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: صرح (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م ومد، و فى الأصل: وقفنا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتلقاه .

شكور مجيد ﴿و من كفر﴾ فانما يضر نفسه، و عبر بالماضى إشارة إلى أن من وقع منه كفر و لو مرة جوزى بالإعراض عنه ﴿فان الله﴾ عبر بالاسم الأعظم لأنه فى سياق الحكمة، و الحكيم من أدام[1] استحضار صفات الجلال و الجمال فغلب خوفه رجاءه ما دام فى دار الأكدار ﴿غنى﴾ عن الشكر و غيره ﴿حميد﴾ أى له جميع المحامد و إن كفره جميع الخلائق[2]، فان تقدير الكفر عليهم بحيث لايقدرون على الانفكاك عنه من جملة محامده بالقدرة و العزة و الفهم و العظمة. و يجوز - و هو أقرب - أن يعود "غنى" إلى الكافر و "حميد" إلى الشاكر، فيكون اسم فاعل، فيكون التقدير: [3]و من[3] كفر فانما يكفر على نفسه؛ ثم سبب عن الجملتين و [هما -[4]] كون عمل كل من الشاكر و الكافر لايتعداه قوله "فان الله غنى" [أى -[4]] عن شكر الكافر "حميد" للشاكر، و الآية على الأول من الاحتباك: تخصيص الشكر بالنفس أولا يدل على حذف مثله من الكفر ثانيا، و إثبات الصفتين ثانيا يدل على حذف مثلهما أولا.

و [لما -[4]] كان الإنسان لايعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله و أفعاله، و لاصدق الكلام [و حكمته -[4]] إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل[5] عليه ما تسمع من أحواله و أفعاله[6] فى توفية حق الله و حق الخلق الذى هو مدار الحكمة. عطف عليه قوله: ﴿و اذ﴾

(1) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دام (2) فى ظ و مد: الخلق (3-3) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فمن (4) زيد من ظ و م و مد (5) من م، و فى الأصل و ظ و مد: لينزل (6) فى ظ و مد: أقواله.

أى و اذكر بقلبك لتتعظ[١] و بلسانك لتعظ غيرك - بما أنك رسول - ما كان حين ﴿قال لقمٰن لابنه﴾ ما[٢] يدل على شكره فى نفسه[٣] و امره به[٣] لغيره فانه لا شكر يعدل البراءة من الشرك ، و فيه حث على التخلق بما مدح به لقمان بما يحمل على الصبر و الشكر[٤] و المداومة[٤] على كل خير ، و على تأديب الولد ، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه فقال : ﴿و هو يعظه﴾ أى يوصيه بما ينفعه و يرقق قلبه / و يهذب نفسه ، و يوجب له الخشية و العدل . / ١٦٣

و لما كان أصل توفية حق الحق تصحيح الاعتقاد و إصلاح العمل ، و كان الأول أهم ، قدمه[٥] فقال : ﴿يٰبنىّ﴾ لخاطبه بأحب ما يخاطب به ، مع إظهار الترحم و التحنن و الشفقة ، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح ﴿لا تشرك﴾ أى [لا -[٦]] توقع الشرك لا جليا و لا خفياء و لما كان فى تصغيره الإشفاق عليه ، زاد ذلك بابراز الاسم الأعظم الموجب لاستحضار جميع الجلال ، تحقيقا لمزيد الإشفاق ، فقال : ﴿بالله[٤]﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ، ثم علل هذا النهى بقوله : ﴿ان الشرك﴾ أى بنوعيه ﴿لظلم عظيم ۝﴾ أى[١] فهو ضد الحكمة ، لأنه وضع الشيء فى غير محله ، فظلمه ظاهر من جهات عديدة جدا ، أظهرها أنه تسوية المملوك الذى ليس له من ذاته إلا العدم فلا نعمة منه أصلا[٧] بالمالك الذى له وجوب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمداومة (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الوجود ، فلا خير و لا نعمة إلا منه ، و فى هذا تنبيه لقريش و كل سامع على[1] أن هذه وصية لايعدل عنها ، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب ، و أن آباءهم لو كانوا حكماء[2] ما فعلوا إلا ذلك ، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة و الباطنة[3] الدينية و الدنيوية ، العاجلة و الآجلة ، وهو الأمن و الهداية " الذين أمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون " فانه لما نزلت تلك الآية كما فى صحيح البخارى فى غير موضع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنه ليس بذاك[4]، ألم تسمع إلى قول لقمان " ان الشرك لظلم عظيم " .

و لما ذكر سبحانه و تعالى ما أوصى به ولده من شكر المنعم الأول الذى لم يشركه فى إيجاده أحد ، و ذكر ما عليه[5] الشرك من الفظاعة و الشناعة [6]و البشاعة ، أتبعه[6] سبحانه وصيته للولد بالوالد لكونه[7] المنعم الثاني المتفرد سبحانه بكونه [جعله -[8]] سبب وجود الولد اعترافا[9] بالحق

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حكمك (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد وصحيح البخارى - تفسير هذه السورة ، و فى الأصل و م و نسخة من الصحيح : بذلك (٥) زيد فى ظ و مد : من (٦ - ٦) فى ظ و م و مد : وصيته سبحانه . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكون (٨) زيد من ظ و م و مد . (٩) فى ظ : اعتزازا .

و إن

و إن صغر لأهله [1]و إيذانا[1] بأنه لايشكر الله من لايشكر الناس، و تفخيما لحق الوالدين، لكونه قرن عقوقهما بالشرك، و إعلاما بأن الوفاء شيء واحد متى نقص شيء منه تداعى سائره[2] كما فى الفردوس عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن[3] النبى صلى الله عليه و سلم قال: لو أن العبد لقى الله بكمال ما افترض عليه ما خلا بر الوالدين ما دخل الجنة، و إن بر الوالدين لنظام[4] التوحيد و الصلاة و الذكر، و لذلك لفت الكلام إلى مظهر العظمة ترهيبا من العقوق و رفعا لما لعله يتوهم من أن[5] الانفصال عن الشرك لايكون إلا بالإعراض[6] عن جميع الخلق.

و لما قد يخيله الشيطان من أن التقيد[7] بطاعة الوالد شرك، مضمنا تلك الوصية إجادة لقمان عليه السلام فى تحسين الشكر[8] و تقبيح الشرك لموافقته لأمر رب العالمين، و إيجاب امتثال ابنه لأمره، فقال مبينا حقه و حق كل والد غيره. و معرفا قباحة من أمر ابنه بالشرك / لكونه / ١٦٤
منافيا للحكمة التى أبانها لقمان عليه السلام، و تحريم امتثال الابن لذلك و وجوب مخالفته لأبيه فيه تقديما لأعظم الحقين، و ارتكابا لأخف الضررين: ﴿و وصينا﴾ أى قال لقمان ذلك لولده[9] نصحا له و الحال

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فايذانا (٢) من مد. و فى الأصل و ظ و م: بشايره (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بنظام (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باعراض (٧) من مد. و فى الأصل و ظ و م: التقييد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشرك (٩) فى ظ: لابنه.

أنا[1] بعظمتنا وصينا ولده به بنحو ما أوصاه به فى حقنا - هكذا كان الأصل، و لكنه عبر بما يشمل[2] غيره فقال: ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع على لسان أول نبى أرسلنا و هلم جرا[3] و بما ركزناه[3] فى كل فطرة من أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿ بوالديه ج ﴾ فكأنه قال: إن لقمان عرف نعمتنا عليه و على أبناء نوعه لوصيتنا لأولادهم بهم فشكرنا[4] و لقمن[5] عنا نهيهم[6] بذلك عن الشرك لأنه كفران لنعمة المنعم، فانتهى فى نفسه و نهى ولده، فكان بذلك حكيما.

و لما كانت الأم فى مقام الاحتقار لما للأب[7] من العظمة[7] بالقوة و العقل و الكد عليها و على ولدها، نوه بها و نبه[8] على ما يختص به من أسباب وجود الولد و بقائه[9] عن الأب بما حصل لها[10] من المشقة بسببه و ما لها إليه من التربية. فقال معللا أو مستأنفا: ﴿ حملته امه وهنا ﴾ أى حال كونها ذات وهن تحمله فى أحشائها، و بالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف بتضاعفه كلما أثقلت ﴿ على وهن ﴾ أى هو قائم بها من نفس خلقها و تركيبها إلى ما يزيدها التمادى بالحمل، ثم أشار إلى ما لها عليه من المنة بالشفقة و حسن الكفالة و هو لايملك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل: يشتمل (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل: ربما ركزنا، وفى ظ: و بما كرمنا. (٤) من ظ وم و مد، و فى الاصل: فيشكرنا (٥) فى ظ و مد: لقمن (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بنهيهم (٧-٧) فى ظ: بالعظمة (٨) زيد فى الأصل: بها، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نقله (١٠) فى ظ: له.

لنفسه شيئا بقوله : ﴿ و فصٰله ﴾ أى فطامه من الرضاعة بعد وضعه .

و لما كان الوالدان يعدان وجدان[1] الولد من أعظم أسباب الخير و السرور ، عبر فى أمره بالعام الذى تدور مادته على السعة لذلك و ترجية لهما[2] بالعول[3] عليه و تعظيما لحقهما[4] بالتعبير بما يشير إلى صعوبة ما قاسيا[5] فيه باتساع زمنه[6] فقال : ﴿ فى عامين ﴾ تقاسى فيهما فى منامه و قيامه ما لايعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، و فى التعبير بالعام أيضا إشارة إلى تعظيم منتها بكونها تعد[7] أيام رضاعه - مع كونها اضعف ما يكون فى تربيته - أيام سعة و سرور ، و التعبير بـ «فى» مشير إلى أن الوالدين لهما أن يفطماه قبل تمامها على حسب ما يحتمله حاله ، و تدعو إليه المصلحة من أمره .

و لما ذكر الوصية واشار إلى أمهات أسبابها ، ذكر الموصى به فقال مفسرا لـ «وصينا[8]» : ﴿ان اشكر﴾ و لما كان الشكر منظورا إليه أتم نظر ، قصر فعله ، أى أوجد هذه الحقيقة و لتكن من همك . و لما كان لابد له من متعلق ، كان كأنه قال : لمن ؟ فقال مقدما ما[9] هو أساس الموصى به فى الوالدين ليكون معتدا به ، لافتا القول إلى ضمير الواحد من غير تعظيم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وحدان (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لها (٣) فى ظ و م و مد : بالعون (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : بحقهما (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قاسا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزمن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (٨) فى ظ : اوصينا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما .

تنصيصا على المراد: ﴿لى﴾ أى[١] لأنى المنعم بالحقيقة ﴿ولوالديك[٤]﴾ لكونى جعلتهما سببا لوجودك و الإحسان بتربيتك، و ذكر الإنسان بهذا الذكر فى سورة الحكمة إشارة إلى أنه أتم الموجودات حكمة، قال الرازى فى آخر سورة الأحزاب من لوامعه: الموجودات كلها كالشجرة، و الإنسان ثمرتها، و هى كالقشور و الإنسان / لبابها، و كالمبادئ و الإنسان ١٦٥ /
كمالها، [و -[٢]] من أين للعالم ما للانسان؟ بل العالم العلوى فيه، و ليس فى العالم العلوى ما فيه، فقد جمع ما[٣] بين العالمين بنفسه و جسده، و استجمع الكونين بعقله و حسه. و ارتفع[٤] عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به وحيا قوليا، و سلم الأمر لمن له الخلق و الأمر تسليما اختياريا طوعيا. ثم علل الأمر بالشكر محذرا فقال: ﴿الىّ﴾ لا إلى غيرى ﴿المصير ه﴾ أى فأسئلك عن ذلك كما كانت منهما البداءة ظاهرا[٥] بما جعلت[١] لهما من التسبب فى ذلك، فيسئلانك عن القيام بحقوقهما و إن قصرت فيها[٦] شكواك إلى الناس و أقاما عليك الحجة و أخذا بحقهما.

و لما ذكر سبحانه وصيته بهما و أكد حقهما، أتبعه الدليل على ما ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك فقال: ﴿و ان جاهدك﴾ أى مع ما أمرتك به من طاعتهما، و أشار بصيغة المفاعلة إلى مخالفتهما و إن بالغا [٧]فى الحمل[٧] على ذلك ﴿[٨]علىٓ ان تشرك بى[٨]﴾ و أشار بأداة

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فارتفع (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظاهر.
(٦) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فيهما (٧ - ٧) فى ظ و مد: بالحمل.
(٨-٨) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «لأجل الفتنة» ص ١٦٧ س ٨.

الاستعلاء

الاستعلاء إلى أنه لامطمع لمن أطاعهما فى ذلك و لو باللفظ فقط ان يكون فى عداد المحسنين و إن كان الوالدان فى غاية العلو و التمكن من الأسباب الفاتنة له بخلاف سورة العنكبوت فانها لمطلق الفتنة. و ليست لقوة الكفار، فعبر [فيها -[1]] بلام العلة[2]، إشارة إلى مطلق الجهاد الصادق [3]بقويه و ضعيفه[3]، ففى الموضعين نوع رمز إلى أنه إن ضعف [عنهما -[1]] أطاع[4] باللسان، و لم يخرجه ذلك عن الإيمان، كما أخرجه [هنا -[1]] عن الوصف بالإحسان، و لذلك حذر فى الآية التى بعد تلك من النفاق لأجل الفتنة، و أحال سبحانه على اتباع الأدلة على حكم ما وهب من العقل عدلا و إنصافا فقال[5]: ﴿ما ليس لك به علم﴾ إشارة إلى أنه لايمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شىء من الشرك بنوع من أنواع الدلالات بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذى تطابقت عليه العقول، و تظافرت عليه من الأنبياء و الرسل النقول، و [6]أما الوجه[6] الذى سماه أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد توحيدا[7] فقد كفى فى أنه ليس به علم إطباقهم على أنه خارج عن طور العقل، مخالف لكل ما ورد عن الأنبياء من نقل، و إن لبسوا بادعاء متابعة بعض الآيات كما بينه كتابى الفارض، فلا يمكن أن يتمذهب به أحد إلا بعد الانسلاخ من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد.
(٣-٣) فى ظ: بقوته وضعفه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطاع.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قال (٦-٦) فى ظ: انما التوجه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توجدا.

العقل و التكذيب بالنقل، فلم يناد أحد على نفسه بالإبطال ما نادوا به [على -[١]] أنفسهم[٢] و لكن من يضلل[٣] الله فما له من هاد[٤] .

فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع، قال مسببا عنه : ﴿فلا تطعهما﴾ أى فى ذلك و لو اجتمعا على المجاهدة لك عليه ، بل خالفهما ، و إن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به ، لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة[٥] حامل على محض الجور و السفه ، ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط فى التقليد[٦] لآبائهم فى ذلك .

و لما كان هذا قد يفهم الإعراض عنهما رأسا فى كل أمر إذا خالفا فى[٧] الدين ، أشار إلى أنه ليس مطلقا فقال : ﴿و صاحبهما فى الدنيا﴾ اى فى أمورها[٨] التى لا تتعلق بالدين [٩]ما دامت حياتهما[٩] .

و لما كان المبنى على النقصان عاجزا عن الوفاء بجميع الحقوق ، خففه عليه بالتنكير[١٠] فى قوله : ﴿ معروفا ﴾ أى[١١] برهما إن كانا على دين / يقران عليه و معاملتهما بالحلم و الاحتمال و ما يقتضيه مكارم الأخلاق / ١٦٦ و معالى الشيم ، قال ابن ميلق : و يلوح من هذه المشكاة تعظيم الأشياخ الذين كانوا فى العادة سببا لإيجاد القلوب فى دوائر التوحيد العلمية و العملية

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يضل (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا هادى له (٥) فى ظ : الى الحكمة (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : التقلد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه فى (٨) فى ظ : امورهما (٩-٩) فى ظ و م و مد : ما دمت حيا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتكبر . (١١) سقط من ظ .

- يعنى فى سوق هذه الوصية هـذا المساق اعظم تنبيه على أن تعظيم الوسائط من الخلق ليس مانعا من الإخلاص فى التوحيد ، قال ابن ميلق : و من هنا زلت أقدام أقوام تعمقوا فى دعوى التوحيد حتى أعرضوا عن جانب الوسائط فوقعوا[1] فى الكفر من حيث زعموا التوحيد ، فان تعظيم المعظم فى الشرع تعظيم لحرمات الله ، و امتثال لأمر الله ، و لعمرى إن هذه المزلة ليتعثر بها تباع إبليس حيث أبى أن يسجد لغير الله ، ثم قال ما معناه : و [2]هؤلاء قوم[2] أعرضوا عن تعظيم الوسائط زاعمين الغيرة على مقام التوحيد ، و قابلهم قوم اسقطوا الوسائط جملة و قالوا : [إنه [3]] ليس فى الكون إلا هو ، و هم أهل الوحدة المطلقة ، و الكل على ضلال ، و الحق الاقتصاد و العدل فى إثبات الخالق و توحيده ، و تعظيم من أمر بتعظيمه من عبيده .

و لما كان ذلك قد يجر[4] إلى نوع وهن فى الدين ببعض محاباة ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و اتبع ﴾ أى بالغ فى أن تتبع ﴿ سبيل ﴾ أى دين وطريق ﴿ من اناب ﴾ أى أقبل خاضعا ﴿ الى ج ﴾ لم يلتفت إلى عبادة غيرى ، و هم المخلصون من أبويك و[5] غيرهما ، فان ذلك لا يخرجك[6] عن برهما و لا عن توحيد الله و الإخلاص له ، و فى هذا حث على معرفة الرجال بالحق ، و أمر بحك المشايخ و غيرهم على محك الكتاب و السنة ، فمن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوقفوا (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اقوام (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : يخرج (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : لايخرجنك .

كان عمله موافقا لها اتبع، و من كان عمله مخالفا لها اجتنب.

و لما كان التقدير: فان مرجع أموركم كلها فى الدنيا إلىّ، عطف عليه قوله: ﴿ ثم الىّ ﴾ أى فى الآخرة، لا إلى غيرى[1] مرجعك - هكذا كان الأصل، و لكنه جمع لإرادة التعميم فقال معبرا بالمصدر الميمى الدال على الحدث[2] و زمانه و مكانه: ﴿ مرجعكم ﴾ حسا و معنى، فأكشف الحجاب ﴿ فانبئكم ﴾ أى أفعل فعل من يبالغ فى التنقيب و الإخبار عقب ذلك و بسببه، لأن ذلك أنسب شيء للحكمة و [3]إن كان[3] تعقيب كل شيء بحسب ما يليق به ﴿ بما كنتم ﴾ بما هو لكم كالجبلة ﴿ تعملون ﴾ أى تجددون عمله من صغير و كبير، و جليل و حقير، و ما كان فى جبلاتكم مما[4] لم يبرز إلى الخارج، فأجازى من اريد، و أغفر لمن اريد[5]. فاعد لذلك عدته[6]، و لا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه و يجازى على مثاقيل الذر من أعماله، و لعله عبر [7]عن الحساب[7] بالتنبئة لأن العلم بالعمل[8] سبب للمجازاة عليه أو[9] لأنه جمع[10] القسمين، و محاسبة السعيد العرض فقط بدلالة التضمن و محاسبة الشقى بالمطابقة.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحديث (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: ما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يريد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عدة (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالحساب (٨) فى ظ و مد: بالعلم (٩) فى ظ «و» (١٠) زيد فى الأصل: بين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و لما

و لما فرغ من تأكيد ما قاله لقمان عليه السلام فى الشكر و الشرك فعلم ما أوتى من الحكمة، و ختمه بعد الوصية بطاعة الوالد بذكر دقيق الأعمال و جليلها، و أنها فى علم الله سواء، حسن [جدا -[1]] الرجوع إلى تمام بيان حكمته[2]، فقال بادئا بما يناسب ذلك من دقيق العلم و محيطه المكمل لمقام التوحيد، و عبر بمثقال الحبة[3] لأنه أقل ما يخطر غالبا بالبال، و هى من أعظم حاث على التوحيد الذى مضى تأسيسه: ﴿ يٰبنى ﴾ متحببا مستعطفا، مصغرا[4] له بالنسبة إلى حمل شىء من غضب الله تعالى / مستضعفا: ١٦٧/ ﴿انهآ﴾ أى العمل، و أنث لأنه فى مقام التقليل[5] و التحقير، و التأنيث أولى بذلك. و لأنه يأول بالطاعة و المعصية و[6] الحسنة و السيئة[6] ﴿ان تك﴾ و أسقط النون لغرض الإيجاز فى الإيصاء بما ينيل المفاز، و الدلالة على أقل الكون و اصغره ﴿مثقال﴾ أى وزن، ثم حقرها بقوله: ﴿حبة﴾ و زاد فى ذلك بقوله: ﴿من خردل﴾ هذا على قراءة الجمهور[7] بالنصب، و رفع المدنيان على معنى أن الشأن و القصة العظيمة أن توجد فى وقت من الأوقات هنة هى أصغر شىء و احقره - بما أشار إليه التأنيث.

و لما كان قد عرف [أن - [1]] السياق لما ذا، أثبت النون فى قوله مسبيا عن صغرها: ﴿فتكن﴾ إشاره إلى ثباتها فى مكانها. و لتزداد تشوف[8] النفس إلى محط الفائدة و يذهب الوهم[9] كل مذهب لما علم من

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: حكمه (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: الجنة (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م ومد (٥) فى م: التعليل (٦-٦) فى م: السيئة والحسنة (٧) راجع نثر المرجان ٥/٣٢٩ (٨) فى ظ: تشوق (٩) زيد فى ظ: عن.

أن المقصد عظيم بحذف[1] تلك النون و إثبات هذه ، و عسّرها بعد أن حقرها بقوله معبرا عن أعظم الخفاء و أتم الاحراز : ﴿ فى صخرة ﴾ أى أى أىّ صخرة كانت و لو أنها أشد الصخور و اقواها و أصغرها و أخفاها .

و لما أخفى وضيق[2] ، اظهر و وسع ، و رفع و خفض ، ليكون أعظم لضياعها لحقارتها فقال : ﴿ او فى السمٰوٰت ﴾ أى فى أىّ مكان كان منها على سعة أرجائها و تباعد أنحائها ، و أعاد « أو »[3] نصا على إرادة كل منهما عـــلى حدته ، و الجار تأكيدا للمعنى فقال : ﴿ او فى الارض ﴾ [أى -[4]] كذلك ، و هذا كما ترى لاينفى أن تكون الصخرة فيهما او فى إحداهما[5] ، و عبر له[6] بالاسم الأعظم لعلو[7] المقام فقال : ﴿ يات بها الله ﴾ بعظم جلاله ، و باهر كبريائه و كماله ، بعينها لايخفى عليه و لا يذهب شيء منها ، فيحاسب عليها[8] ، ثم علل ذلك من علمه و قدرته بقوله مؤكدا إشارة إلى [أن - [9]] إنكار ذلك لما له من باهر العظمة من دأب النفوس إن [لم - [9]] يصحبها التوفيق : ﴿ ان الله ﴾ فأعاد الاسم الأعظم تنبيها على استحضار العظمة و تعميما للحكم ﴿ لطيف ﴾ أى عظيم المتّ[10]

---

(١) فى ظ و مد : لحذر (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احدهما (٦) سقط من ظ و مد . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليناسب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (٩) زيد من ظ وم و مد (١٠) من ظ وم و مد ، و فى الأصل بياض ، و فى ظ : المتبر - كذا .

بالوجوه الخفية الدقيقة الغامضة فى بلوغه إلى أىّ أمر أراده حتى يهتد[1] الطريق الموصل فيما يظهر للخلق ﴿ خبيرۢ ﴾ بالغ العلم بأخفى الأشياء، فلا يخفى عليه شيء[2]، و لا يفوته أمر.

و لما نبهه[3] على إحاطة علمه سبحانه و إقامته للحساب، أمره بما يدخره لذلك توسلا إليه، و تخضعا لديه، و هو رأس ما يصلح بـه العمل و يصحح التوحيد و يصدقه، فقال[4]: ﴿ يٰبُنَىَّ ﴾ مكررا للمناداة على هذا الوجه تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة ﴿ اقم الصلوٰة ﴾ أى بجميع حدودها و شروطها و لا تغفل عنها، سعيا فى نجاة نفسك و تصفية سرك، فان [5]إقامتها - و هى[5] الإتيان بها على النحو[6] المرضى - مانعة من الخلل فى العمل " ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر " لأنها الإقبال على من وحدته فاعتقدت أنه الفاعل وحده و أعرضت عن كل ماسواه لأنه فى التحقيق عدم، و لهذا الإقبال و الإعراض كانت ثانية التوحيد. و ترك[7] ذكر الزكاة تنبيها على أن من حكمته تخليه و تخلى ولده من[8] الدنيا حتى عما / يكفيهم لقوتهم. / ١٦٨

و لما امره بتكميله فى نفسه بتكميل نفسه توفية[9] لحق الحق، عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق[10]، و ذلك أنه لما

(١) فى ظ: يصد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: نبه. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قال (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقمتها و هو (٦) فى ظ: الوجه (٧) فى ظ: لترك (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عن (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: توفيقه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحق.

كان الناس في هذه الدار سفرا، وكان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ أوشك أن يؤخذ هو، أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه، وقدمه - وإن كان من جلب المصالح - لأنه يستلزم ترك المنكر، وأما ترك المنكر فلا[1] يستلزم فعل الخير، فانك إذا قلت: لا تأت منكرا، لم يتناول ذلك في العرف إلا الكف عن فعل المعصية، لا فعل الطاعة، فقال: ﴿ وأمر بالمعروف ﴾ أي كل من تقدر على أمره تهذيبا لغيرك شفقة على نفسك بتخليص أبناء جنسك.

ولما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها إلى ربهم، وكانت المعاصي مفسدة لها، وكان فساد السفينة مغرقا لكل من فيها: من أفسدها ومن أهمل المفسد ولم يأخذ على يده، وكان الأمر بالمعروف نهيا عن المنكر، صرح به [فقال - [2]]: ﴿ وانه ﴾ أي كل من قدرت على نهيه ﴿ عن المنكر ﴾ حبا لأخيك ما تحب لنفسك، تحقيقا لنصيحتك، وتكميلا لعبادتك، لأنه ما عبد[3] الله أحد ترك غيره يتعبد لغيره، ومن هذا الطراز قول أبي الأسود[4] رحمه الله تعالى:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

لأنه امره أولا بالمعروف، وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر، فاذا أمر نفسه ونهاها، ناسب أن [5]يأمر غيره[5] ينهاه، وهذا وإن كان

(1) في ظ: لا (2) زيد من ظ وم ومد (3) من ظ ومد، وفي الأصل وم: عند (4) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي، والبيت الآتي من أشهر أبياته (5-5) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بامره

من قول لقمان عليه السلام إلا أنـــه لما كان فى سياق[1] المدح له كنا مخاطبين به .

و لما كان القابض على دينه فى غالب الآزمان كالقابض على الجمر، لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة لاسيما[2] إن أمرهم و نهاهم، قال تعالى : ﴿ و اصبر ﴾ صبرا عظيما بحيث يكون مستعليا ﴿ على مآ ﴾ أى الذى ، و حقق بالماضى أنه[3] لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة ، فقال : ﴿ اصابك ﴾ أى فى عبادتك من الأمر [بالمعروف -[4]] و غيره[5] سواء كان بواسطة العباد أو لا كالمرض[6] و نحوه ، و قد بدأ هذه الوصية بالصلاة و ختمها بالصبر لأنهما[7] مـــلاك الاستعانة " و استعينوا بالصبر و الصلوة " و اختلاف المخاطب فى الموضعين أوجب اختلاف الترتيبين ، المخاطب هنا مؤمن متقلل ، و هناك كافر متكثر .

و لما كان ما أحكمه له[8] عظيم الجدوى ، و جعل ختامه الصبر الذى هو ملاك الأعمال و التروك كلها ، نبهه[9] على ذلك بقوله على سبيل التعليل و الاستئناف إيماء إلى التبجيل : ﴿ ان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى أوصيتك به لاسيما[10] الصبر على المصائب[11] : ﴿ من عزم الامور ﴾ أى

(١) زيد فى ظ : الكلام (٢) فى ظ : و لا سيما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لانه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيدت الواو فى ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمرض (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانها . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نبه (١٠) زيد فى الاصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المصاب .

معزوماتها، تسمية لاسم المفعول او الفاعل بالمصدر، أى الأمور[١] المقطوع بها المفروضة [٢]أو القاطعة[٢] الجازمة بجزم فاعلها . أى التى هى أهل لأن يعزم عليها العازم[٣]، و ينحو إليها بكليته الجازم، فلا مندوحة فى
١٦٩ / تركها بوجه من الوجوه فى ملة / من الملل .

و لما كان من [٤]آفات العبادة[٤] لاسيما الأمر و النهى - لتصورهما بصورة الاستعلاء - الإعجاب الداعى إلى الكبر، قال محذرا من ذلك معبرا عن الكبر بلازمه، لأن نفى الأعم نفى للأخص، منبها على أن المطلوب فى الأمر و النهى اللين لا الفظاظة و الغلظة الحاملان على النفور[٥]: ﴿ و لاتصعر[٦] خدك ﴾ أى لا تمله متعمدا إمالته بامالة العنق متكلفا لها صرفا عن الحالة القاصدة، و أصل الصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه . و قرأ نافع و أبو عمرو و حمزة و الكسائى : تصاعر، و المراد بالمفاعلة و التفعيل تعمد فعل ذلك لأجل الكبر حتى يصير خلقا . و المراد النهى عما يفعله المصعر من الكبر - و الله أعلم .

و لما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التى لاتذم ، أشار إلى المقصود بقوله تعالى : ﴿ للناس ﴾ بلام[٧] العلة ، أى لا تفعل ذلك

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامر (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقاطعة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العار (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انا بالعبادة - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامور المنفرة (٦) من ظ وم ومد . وفى الأصل : لاتصاعر ، و راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٥/٣٣٠ (٧) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : لام -

لاجل

لأجل الإمالة عنهم، و ذلك لايكون إلا تهاونا بهم من الكبر، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر و لا علو، [1]و أتبع[1] ذلك ما يلزمه فقال: ﴿و لاتمش﴾ و لما كان فى أسلوب التواضع و ذم الكبر، ذكره بأن أصله تراب، و هو لايقدر أن يعدوه فقال: ﴿فى الارض﴾ و أوقع المصدر موقع الحال أو العلة فقال: ﴿مرحا﴾ أى اختيالا و تبخترا، أى لاتكن[2] منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشى أشر و بطر و تكبر، فهو جدير بأن يظلم صاحبه و يفحش و يبغى، بل امش هونا فان ذلك يفضى [بك -[3]] إلى التواضع، فتصل إلى كل خير، فترفق بك الأرض إذا صرت فيها حقيقة بالكون فى بطنها.

و لما كانت غاية ذلك الرياء للناس و الفخر عليهم المثمر لبغضتهم الناشئة عن بغضة الله تعالى، علله[4] بقوله مؤكدا لأن كثيرا من الناس يظن أن إسباغ النعم الدنيوية من محبة الله: ﴿ان الله﴾ أى الذى لاينبغى الكبر إلا له لما له من العظمة المطلقة. و لما كان حب الله الذى[5] يلزمه حب الناس محبوبا للنفوس، و كان فوات[6] المحبوب أشق على النفوس من وقوع[7] المحذور، وكانت "لا" لاتدخل إلا على[5] المضارع المستقبل قال: ﴿لايحب﴾ أى فيما يستقبل من الزمان، و لو قال "يبغض" لاحتمل التقييد بالحال. و لما كان النشر المشوش أفصح لقرب الرجوع

(١-١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فاتبع (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علل (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: فوت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وقع.

تدليا فيما ترقى فيه المقبل قال: ﴿كل مختال﴾ أى[1] مراء للناس فى مشيه تبخترا يرى له فضلا على الناس فيشمخ بأنفه، و ذلك فعل المرح ﴿فخور﴾ يعدد مناقبه، و ذلك فعل المصعر، لأن ذلك من الكبر الذى تردى به سبحانه و تعالى فمن نازعه إياه قصمه[2].

و لما كان النهى عن ذلك أمرا بأضداده، وكان الأمر باطلاق الوجه يلزم [منه -[3]] الإنصاف فى الكلام، وكان الإنصاف [4]فى الكلام[4] و المشى لا على طريق المرح [5]و الفخر ربما[5] دعا إلى الاستماتة فى المشى و الحديث أو الإسراع فى المشى و [6]السر و الجهر بالصوت[6] فوق الحد، قال محترسا فى الأمر بالخلق الكريم عما يقارب[7] الحال الذميم: ﴿و اقصد﴾ أى اعدل و توسط ﴿فى مشيك﴾ لا إفراط و لا تفريط / مجانبا لوثب الشطار[8] و دبيب المتماوتين[9]، و عن ابن مسعود: كانوا ينهون عن خبب اليهود و دبيب النصارى، و القصد فى الأفعال كالقسط فى الأوزان - قاله الرازى فى اللوامع، و هو المشى الهون [الذى -[3]] ليس فيه تصنع للخلق [10]لا بتواضع و لا بتكبر[10] ﴿و اغضض﴾ أى انقص، و لأجل ما ١٧٠

(١) زيد فى ظ: كل (٢) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفخور بما (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشد و الجهد بالقوت (٧) فى ظ: قارب (٨) فى ظ ومد: الشيطان (٩) من مد، وفى الأصل و ظ و م: المتمارتين (١٠-١٠) من ظ وم و مد، و فى الأصل: تواضع و لا تكبر.

ذكر

ذكر[1] قال: ﴿من صوتك﴾ باثبات "من" أى لئلا يكون صوتك منكرا، و تكون برفع الصوت فوق الحاجة حمارا، و أما مع الحاجة كالأذان فهو مأمور به.

و لما كان رفع الصوت فوق العادة منكرا كما كان خفضه دونها[2] تماوتا [3]أو دلالا[3] و تكبرا، و كان قد أشار إلى النهى عن هذا بـ «من» فأفهم[4] أن الطرفين[5] مذمومان، علل النهى [6]عن الأول[6] دالا[7] بصيغة "أفعل" [8]على اشتراك الرفع كله فى النكارة ذاكرا أعلاها تصويرا له بأقبح صورة تنفيرا[9] عنه فقال: ﴿ان انكر﴾ أى أفظع و أبشع و أوحش ﴿الاصوات﴾ [أى كلها -[10]] المشتركة فى النكارة برفعها فوق الحاجة، و أخلى[11] الكلام عن لفظ التشبيه فأخرجه[12] مخرج الاستعارة تصويرا لصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النهاق[13] و جعل المصوت كذلك حمارا، مبالغة فى التهجين، و تنبيها على أنه من كراهة الله له بمكان [فقال -[10]]: ﴿لصوت الحمير﴾ [14]أى هذا الجنس، لما له[14] من الغلو

---

(١) فى ظ: ذكره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دونهما (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و اذلالا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: افهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطريقين (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اولا (٧) فى ظ: وأتى (٨) زيد فى ظ: تنبيها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تغيرا (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انحل (١٢) فى ظ و مد: و أخرجه (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النفاق (١٤-١٤) فى ظ و مد: لما له أى هذا الجنس.

المفرط من غير حاجة، و اوله زفير و آخره شهيق، و هما فعل أهل النار. و أفرده ليكون نصا على إرادة الجنس لئلا يظن أن الاجتماع شرط فى ذلك. و [1]لذكر الحمار[1] مع ذلك من بلاغة الذم و الشتم ما ليس لغيره، و لذلك يستهجن[2] التصريح باسمه، و هذا يفهم أن الرفع مع الحاجة غير مذموم فانه ليس بمستنكر و لامستبشع، و لقد دعت هذه الآيات إلى معالى الأخلاق، و هى أمهات الفضائل الثلاث: الحكمة و العفة و الشجاعة، و أمرت بالعدل فيها. و هى[3] وظيفة التقسيط الذى هو الوسط الذى هو مجمع الفضائل، و نهت عن مساوئ الأخلاق، و هى الأطراف التى هى مبدأ الرذائل الحاصل بالإفراط و التفريط. فاقامة[4] الصلاة التى هى روح العبادة المبنية على العلم هى سر الحكمة و الأمر و النهى، أمر بالشجاعة و نهى عن الجبن، و فى النهى عن التصعير[5] و ما معه نهى عن التهور، و القصد فى المشى و [الغض فى -[6]] الصوت أمر بالعفة و نهى عن الاستماتة و الجمود و الخلاعة و الفجور. و فى النهى عن الاستماتة نهى عما قد يلزمها من الجربزة، و هى الفكر بالمكر المؤدى إلى اللعنة، و عن الانحطاط إلى البله و البلادة و الغفلة، و الكافل بشرح هذا ما قاله الشيخ سعد الدين التفتازانى فى الكلام على الإجماع من تلويحه. قال: إن الخالق تعالى و تقدس قد ركب فى الإنسان ثلاث قوى: إحداها[7]

(١ - ١) فى ظ: ذكر الحمير (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد. (٣) فى مد: هو (٤) فى ظ: و اقامة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الصغير (٦) زيد من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احدها.

مبدأ إدراك الحقائق، و الشوق إلى النظر فى العواقب، و التمييز بين [١]المصالح و المفاسد[١]، و يعبر عنها بالقوة النطقية و العقلية و النفس[٢] المطمئنة الملكية، و الثانية مبدأ جذب[٣] المنافع و طلب الملاذ من المآكل و المشارب / و غير ذلك، و تسمى القوة الشهوية و البهيمية و النفس الامارة، و الثالثة ١٧١ /
مبدأ الإقدام على الأهوال و الشوق إلى[٤] التسلط و الترفع، و هى القوة الغضبية و السبعية و النفس اللوامة، و يحدث من اعتدال الحركة الأولى الحكمة، و الثانية العفة، و الثالثة الشجاعة. فأمهات الفضائل هى هذه الثلاث[٥]، و ما سوى ذلك إنما هو[٦] من تفريعاتها و تركيباتها، و كل منها محتوش بطرفى إفراط و تفريط هما رذيلتان، أما الحكمة فهى معرفة الحقائق على ما هى [عليه -[٧]] بقدر الاستطاعة، و هى العلم النافع المعبر [٨]عنه بمعرفة[٨] النفس ما لها و ما عليها المشار إليه بقوله تعالى "و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا" و إفراطها الجربزة، و هى استعمال الفكر فيما لا ينبغى كالمتشابهات، و على وجه لاينبغى، كمخالفة الشرائع - نعوذ بالله من علم لاينفع، قلت: و هى بجيم ثم مهملة ثم موحدة ثم زاى مأخوذة من الجربز - بالضم، و هو الخب، أى الخداع الخبيث -

---

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الصالح و الفاسد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العر - كذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جلب (٤) زيد فى الاصل: التوصل و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٥) فى ظ و م و مد: الثلاثة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: هى.
(٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) فى ظ: عن معرفة.

و الله أعلم ، و تفريطها الغباوة التي هي تعطيل القوة الفكرية بالإرادة و الوقوف عن اكتساب العلوم النافعة ، و أما الشجاعة فهي انقياد السبعية للناطقة ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب في الأمور الهائلة ، حتى يكون فعلها جميلا ، و صبرها محمودا ، و إفراطها التهور ، أي الإقدام على ما لا ينبغي ، و تفريطها الجبن ، أي الحذر عما لا ينبغي ، و أما العفة فهي [انقياد - [1]] البهيمية للناطقة ، لتكون تصرفاتها بحسب اقتضاء الناطقة ، لتسلم عن استعباد [2] الهوى إياها ، و استخدام اللذات ، و إفراطها الخلاعة و الفجور ، أي الوقوع في ازدياد اللذات على ما يجب ، و تفريطها الجمود ، أي السكوت عن طلب اللـــذات بقدر ما رخص فيـــه العقل و الشرع إيثارا لا خلقة ، فالأوساط فضائل ، و الأطراف رذائل ، و إذا امتزجت الفضائل الثلاث [3] حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هي العدالة ، فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة ، أي في قوله تعالى "و كذلك جعلنكم امة وسطا " و إليه أشير بقوله عليه الصلاة و السلام «خير الأمور أوساطها» ، و الحكمة في النفس البهيمية بقاء البدن الذي هو مركب النفس الناطقة ليصل بذلك إلى كمالها اللائق بها ، و مقصدها المتوجه [4] إليه ، و في السبعية كسر البهيمية و قهرها [5] و دفع الفساد المتوقع من استيلائها ، و [6] اشتراط التوسط [6] في أفعالها لئلا تستعبد الناطقة [7] هواهما و تصرفاهما [7]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و في الأصل و ظ و مد : استبعاد .
(٣) في كل النسخ : الثلاثة (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التوجه .
(٥) في ظ : فترها (٦-٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اشتراط المتوسط .
(٧-٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هواها و تصرفاتها .

عن

عن كمالها و مقصدها - انتهى .

و لما انقضت هذه الجمل، رافعة أعناقها على المشترى و زحل، قابلة[1] لمن يريد علمها مع الكسل. و الضجر فى الفكر و الملل، و أين الثريا من يد المتناول[2]، و كان قد أخبر سبحانه و تعالى فى أول السورة أن الآيات المسموعة هدى لقوم و ضلال لآخرين، و كان من الغرائب أن شيئا واحدا يؤثر[3] شيئين متضادين، و أتبع ذلك ما دل على أنه / من / ١٧٢ بالغ الحكمة بوجوه مرضية مشرقة مضيئة، لكنها بمسالك دقيقة و[4] إشارات خفية، إلى أن ختم بالنهى عن التكبر. و رفع الصوت فوق الحاجة، إشارة إلى أن فاعل ما لا حاجة إليه غير حكيم، و كان التكبر على الناس و التعالى عليهم من آثار الفضل فى النعمة، و كانت العادة جارية بأن الملك يخضع له تارة لمجرد عظمته، و تارة خوفا من سطوته، و تارة رجاء لنعمته، أبرز سبحانه و تعالى غيب ما وصف به الآيات المسموعة من تأثير الضدين فى حالة واحدة فى شاهد الآيات المرئية على وجه يدل على استحقاقه، لما أمر به لقمان عليه السلام من العبادة و التذلل، و أن[5] إليه المرجع، و هو عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، و أن كل ما[6] ترى خلقه مذكرا بأن النعمة إنما هى منه، فلا ينبغى لأحد أن يفخر بما آتاه غيره، و لو وكل فيه إلى نفسه لم يقدر على شيء منه، محذرا من سلبها

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قايلة (٢) فى ظ و مد : التناول (٣) زيد فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) سقطت الواو من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م : انه (٦) فى ظ : شيء .

عن المتكبر[١] و إعطائها للذليل[٢] المحتقر، فقال: ﴿ الم تروا ﴾ أى تعلموا علما هو فى ظهوره كالمشاهدة[٣] أيها المشترون لهو الحديث، المتكبرون[٤] على المقبلين على الله، المتخلين عن الدنيا، الذين قلنا لهم ردا عن[٥] الشرك و إبعادا عن الهوى و الإفك " هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين
٥ من دونه" ﴿ان الله﴾ أى[٦] الحائز لكل كمال ﴿ سخر لكم ﴾ أى خاصة ﴿ ما فى السموٰت ﴾ بالإنارة و الإظلام، و الحر و البرد و غير ذلك من الإنعام، و أكده[٧] باعادة الموصول و الجار، لأن المقام حقيق به فقال: ﴿ و ما فى الارض ﴾ بكل ما يصلحكم فتعلموا أن الكل خلقه، ما لأحد ممن دونه [٨]فيه شيء[٨]، و أنه محيط بكل شيء قدرة و علما، فهو
١٠ قادر على تعسيره[٩] كما قدر على تسخيره، و قوى على نزعه من القوى و[١٠]دفعه للضعيف و[١٠]هو يرجعكم إليه فينبئكم بما[١١] كنتم تعملون و يحضره لكم و إن كان فى أخفى الأماكن ﴿و اسبغ﴾ أى أطال و أوسع و أتم و أفضل عن قدر الحاجة و أكمل ﴿ عليكم ﴾ أيها المكلفون ﴿نعمه﴾ [أى -[١٢]]

---

(١) فى ظ و مد: التكبر (٢) فى ظ و مد: المتذلل (٣) فى ظ: كالمشاهد. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المنكرون (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل و م و مد: أكد (٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيء فيه (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تغيره (١٠ - ١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نزعه من الضعيف (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (١٢) زيد من ظ و م و مد.

واحدة تليق بالدنيا - فى قراءة الجماعة[١] باسكان العين و [تاء -[٢]] تأنيث منصوبة منونة تنوين تعظيم، مشيرا إلى أنها ذات أنواع كثيرة جدا، بما دلت عليه قراءة المدنيين و أبى عمرو و حفص عن عاصم بجعل تاء التأنيث ضميرا له سبحانه مع فتح العين ليكون جمعا ﴿ ظاهرة ﴾ و هى ما تشاهدونها متذكرين لها ﴿ و باطنة[٥] ﴾ و هى ما غابت عنكم[٣] فلا تحسونها، أو تحسونها[٣] و هى خفية عنكم، لا تذكرونها إلا بالتذكير، و كل منكم يعرف ذلك على الإجمال، فاعبدوه لما دعت إليه مجلة[٤] لقمان عليه السلام لتكونوا من المحسنين، حذرا من سلب نعمه، و إيجاب نقمه، و يجوز أن تكون الآية[٥] دليلا على قوله تعالى "خلق السموٰت بغير عمد ترونها".

و لما كان التقدير: و مع كون كل منكم أيها الخلق يعرف أن ذلك نعمة منه سبحانه تعالى وحده، فمن الناس من أذعن و أناب، و سلم[٦] لكل ما دعا[٧] إليه كتابه الحكيم، على لسان رسوله النبي الكريم، / فكان من الحكماء[٨] المحسنين فاهتدى، عطف عليه قوله[٩] مظهرا موضع ضمير [ضمير -[١٠]] المخاطبين بما يشير إليه النوس: ﴿ و من الناس ﴾ أى الذين هم أهل الاضطراب، و يمكن أن يكون حالا من "الم تروا" و يكون / ١٧٣

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٢٢ (٢) زيد من ظ وم و مد (٣-٣) من ظ وم و مد، وفى الأصل: فلا تحسوها او تجسوها - كذا (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: اسلم (٧) من ظ وم و مد، وفى الأصل: غا - كذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحتماء (٩) العبارة من هنا إلى « النوس » ساقطة من م (١٠) زيد من ظ و مد.

"الم تروا" دليلا على أول السورة، أى أشير إلى الآيات حال كونها هدى لمن ذكر و الحال أن من الناس من يشترى اللهو، ألم تروا دليلا على [أن - [1]] من الناس المعاند بعد وضوح الدليل أن الله سخر لكم جميع العالم و أنعم عليكم بما أنعم و الحال أن من الناس ﴿من[2] يجادل﴾ فلا لهو أعظم من جداله، و لا كبر مثل كبره، و لا ضلال مثل ضلاله، و أظهر لزيادة التشنيع على هذا المجادل، و إشارة إلى قبح[3] المجادلة من غير نظر إلى النعم أيضا فقال تعالى: ﴿فى الله﴾ المحيط [4]بكل شىء[4] علما و قدرة.

و لما كان سبحانه فى ظهور وجوده[5] و أوصافه بحيث لايخفى بوجه، و كان المجادل قد يكون فهما، قال: ﴿بغير﴾ [6]أى بكلام متصف بأنه غير[6] ﴿علم﴾ أى بل[7] بألفاظ هى فى ركاكة معانيها لعدم استنادها إلى حس و لا عقل ملحقة بأصوات الحيوانات العجم، فكان بذلك حمارا تابعا للهوى.

و لما كان المعنى قد يظهر بطلانه لبعض القاصرين، لوروده على لسان من لايعتبر، فاذا أضيف إلى كبير، تؤمل و لم يبادر إلى رده لاستعظامه، فظهر على طول حسه، قال [6]معبرا بأداة النفى الحقيقية به، لأن الموضع لها، و عدل عنها أولا لئلا يظن أن المذموم إنما هو المجادل إذا كان غير متصف بالعلم[6]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقبح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وجود (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) سقط من ظ.

[و إن كان جداله متصفا بالعلم -[1]] : ﴿ و لا هدى ﴾ أى وارد عمن[2] عهد منه سداد الأقوال و الأفعال بما أبدى من المعجزات و الآيات البينات، فوجب أخذ أقواله مسلمة و إن لم يظهر معناها .

و لما كان القول قد يكون مقبولا لاستناده إلى الله تعالى و إن لم يكن أصلا معقولا، قال: ﴿ و لا كتب ﴾ أى من الله ؛ و وصفه بما هو لازمه لاينفك عنه فقال: ﴿ منير ه ﴾ أى بين غاية البيان، مبين لغيره على عادة بيان الله سبحانه و تعالى، أو يكون أريد بالوصف الإعجاز لإظهاره قطعيا أنه من الله، فانه ليس كل كتاب الله كذلك .

و لما كان المجادل بغير واحد من هذه الثلاثة تابعا هواه[3] مقلدا مثله قطعا، و كان حال المجادلين هـذا لظهور أدلة الوحدانية عجبا، عجب منهم تعجيبا[4] آخر باقامتهم على الضلال مع إيضاح الأدلة فقال: ﴿ و اذا قيل ﴾ أى من أىّ قائل كان . و لما كان ضلال الجمع أعجب من ضلال الواحد، [و كان التعجيب من جدال الواحد -[5]] تعجيبا من جدال الاثنين فأكثر[6] من باب الأولى، [أفرد أولا -[5]] و جمع هنا فقال: ﴿لهم﴾ أى للمجادلين هذا الجدال: ﴿اتبعوا مآ ﴾ [7] أى ابذلوا جهدكم فى تبع الذى، و أظهر لزيادة التشنيع أيضا فقال[7]: ﴿انزل الله﴾ الذى خلقكم و خلق آباءكم الأولين، و هو الذى لا عظيم إلا هو ﴿قالوا﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: على (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ: تعجبا.
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قاله.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م .

جمودا : لانفعل[١] ﴿ بل نتبع ﴾ و إن جاهدنا[٢] بالأنفس و الأموال ﴿ ما وجدنا عليه اٰبآءنا[٤] ﴾ لأنهم أثبت منا عقولا ، و أقوم قيلا ، و أهدى سبيلا .

و لما كانوا لا يسلكون طريقا حسيا[٣] بغير دليل ، كان التقدير : /١٧٤ أتتبعونهم لو كان الهوى يدعوهم فيما وجدتموهم / [عليه -[٤]] إلى ما يظن فيه الهلاك ، لكونه بغير دليل ، فعطف عليه قوله[٥] : ﴿ ا و لو كان الشيطٰن ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، و هو أعدى أعدائهم ، دليلهم فهو ﴿ يدعوهم ﴾ [٦] إلى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمان فيؤديهم ذلك ﴿الى عذاب السعير ه ﴾ و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم فى ضلالهم و أنه مستمر ، و أطلق العذاب على سببه .

و لما كان التقدير : فمن جادل فى الله [٧]فلا متمسك[٧] له ، عطف عليه قوله فى شرح حال أضدادهم : ﴿ و من يسلم ﴾ أى فى الحال أو الاستقبال ﴿ وجهه ﴾ أى قصده و توجهه و ذاته كلها . و لما كان مقصود السورة إثبات الحكمة ، عدى الفعل بـ « إلى » تنبيها على إتقان الطريق بالوسائط من النبى أو الشيخ و حسن الاسترشاد فى ذلك ، فقال معلقا بما تقديره : سائرا و واصلا ﴿ الى الله ﴾ الذى له صفات الكمال ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعقل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جاهدوا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسنا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فلم يبق لنفسه أمر أصلا ، فهو لا يتحرك إلا بأمر من أوامره سبحانه ﴿ وهو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ محسن ﴾ أي مخلص بباطنه كما أخلص بظاهره، فهو دائما في حال الشهود ﴿ فقد استمسك ﴾ أي أوجد الإمساك بغاية ما يقدر عليه من القوة في بادئة الأمور لترقية نفسه من حضيضها إلى أوج الروح على أيدى المسلكين الذين اختارهم لدينه ، العارفين بأخطار السير و عوائق الطريق ﴿ بالعروة الوثقى[1] ﴾ التي هي أوثق ما يتمسك به فلا سقوط له أصلا ، [2]فليسرك شكره[2] فان ربه[3] يعليه إلى كل مراد ما دام متمسكا بها تمثيلا لحال هذا السائر بحال من سقط في بئر ، أو أراد أن يرقى جبلا ، فادلى له صاحبه حبلا ذا عرى فأخذ بأوثقها . فهو يعلو به إذا جره صديقه ، و هو قادر [على جره -[3]] لامحالة من غير انفصام ، لأن متمسكه في غاية الإحكام .

و لما كان الكل صائرين إليه ، وافدين عليه : من استمسك بالأوثق ، و من استمسك بالأوهى ، و من لم يتمسك بشيء ، إلا أن الأول صائر مع السلامة ، و غيره مع العطب ، قال مظهرا تعظيما للأمر و لئلا [4]يقيد بحيثية[4] عاطفا على ما تقديره : فيصير إلى الله سالما ، فالى الله عاقبته لامحالة : ﴿ و الى الله ﴾ أي الملك الأعظم وحده[5] تصير ﴿ عاقبة الامور ﴾ أي كما أنه كانت منه بادئتها ، و إنما خص العاقبة لأنهم مقرون بالبادئة .

(٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الاصل . فليسرك امر (٢) في ظ : ربك (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) بياض في ظ و مد . و زيد في الأصل بعده : قال » و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م .

و لما ذكر المسلم ذكر الكافر فقال: ﴿ و[1] من كفر ﴾ أى ستر ما أداه إليه عقله من أن الله لاشريك له، و أنه لاقدرة [أصلا -[2]] لأحد سواه، و لم يسلم وجهه إليه، فتكبر على الدعاة و أبى[3] أن ينقاد لهم، اتباعا لما قاده إليه الهوى، بأن جعل لنفسه اختيارا و عملا فعل القوى القادر، فقد ألقى نفسه فى كل هلكة لكونه لم يتمسك شىء ﴿ فلا يحزنك ﴾ أى يهمك و يوجعك، [4]و افرد الضمير باعتبار لفظ "من" لإرادة التنصيص على كل[5] فرد فقال: ﴿ كفره ﴾ [6]كائنا من كان[6] فانه لم يفتك شىء فيه خير و لامعجز لنا ليحزنك، و لاتبعة عليك بسببه، و فى التعبير هنا بالماضى و فى الأول بالمضارع بشارة بدخول كثير فى هـذا الدين، و انهم لايرتدون بعد إسلامهم، و ترغيب فى الإسلام لكل / من كان خارجا ١٧٥ / عنه، فالآية من الاحتباك: ذكر الحزن ثانيا[7] دليلا على حذف ضده أولا[8]، و ذكر الاستمساك أولا دليلا على حذف ضده ثانيا.

و لما كان الحزن بمعنى الهم، حسن التعليل بقوله [9]التفاتا إلى مظهر العظمة التى هذا[10] من أخفى[11] مواضعها، و جمع لأن الإحاطة بالجمع أدل على العظمة: ﴿ الينا ﴾ أى خاصة بما لنا من العظمة التى لاتثبت لها الجبال

(١) ليست الواو فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابى (٤) العبارة من هنا إلى « فرد فقال » ساقطة من م. (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اولا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثانيا (٩) العبارة من هنا إلى « على العظمة » سقطت من م (١٠) فى ظ: هو (١١) من ظ و مد. و فى الأصل و م: احق

﴿مرجعهم﴾ أى رجوعهم [١]و زمانه و مكانه أى[١] معنى فى الدنيا و حسا يوم الحساب، لا إلى غيرنا. و لما بين أنهم فى قبضته، و أنه لا بد من بعثهم، بين أن السبب فى ذلك حسابهم لتظهر الحكمة [فقال - [٢]] : ﴿ فننبئهم ﴾ بسبب إحاطتنا بأمرهم و عقب رجوعهم ﴿ بما عملوا [٤] ﴾ أى و نجازيهم عليه إن أردنا.

و لما كان معنى التضعيف : نفعل معهم فعل منقب عن الأمور مفتش[٣] على جليها، خفيها، جليلها[٤] و دقيقها، فلا نذر شيئا منها، علله بقوله [٥]معبرا بالاسم [الأعظم - [٦]] المفهم للعظمة و غيرها [١]من صفات الكمال التى من أعظمها [١]العلم، لفتا للكلام عن العظمة التى لا تدل على غيرها [١] إلا باللزوم، مؤكدا لإنكارهم شمول علمه : ﴿ان الله عليم﴾ أى محيط العلم بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ بذات الصدور ﴾ أى بالأعمال التى هى صاحبتها، و مضمرة و مودعة فيها، فناشئة عنها من قبل أن تبرز إلى الوجود، فكيف بذلك بعد عملها[٧].

و لما تشوف المسلم إلى إهلاك من هذا شأنه و إلى العلم بمدة ذلك، و كان من طبع الإنسان العجلة، أجاب من يستعجل بقوله [٨]عائدا إلى مظهر العظمة التى يتقاضاها إذلال العدو و إعزاز الولى[٨] : ﴿ نمتعهم قليلا ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل : بفتش (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : جليها. (٥) العبارة من هنا إلى « شمول علمه » ساقطة من م (٦) زيد من مد (٧) من م و مد و فى الاصل و ظ : علمها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م.

[أي -[1]] من الزمان و من الحظوظ و إن جل ذلك عند من لا علم له، فلا تشغلوا أنفسكم بالاستعجال عليهم فان كل آت قريب.

[2]و لما كان [3]إلجاء المتجبرين[3] إلى العذاب أمرا مستبعدا، أشار بأداة البعد إلى ما يحصل عنده من صفات الجلال، التي[4] تذل الرجال، و تدك[5] الجبال، وفيه أيضا إشارة إلى استطالة[6] المحسنين[7] من تمتيعهم[8] و إن كان قليلا في الواقع، أو[9] عند الله فقال: ﴿ثم نضطرهم﴾ أي نأخذهم أخذا لا يقدرون على الانفكاك عنه بنوع حيلة، [10]و أشار إلى طول إذلالهم في مدة السوق[11] بحرف الغاية، فكان المعنى: فنصيّرهم بذلك الأخذ ﴿إلى عذاب غليظ ﴾ أي شديد ثقيل، لا ينقطع عنهم أصلا و لا يجدون لهم منه مخلصا من جهة من جهاته. فكأنه[12] في شدته و ثقله جرم غليظ[13] جدا إذا برك على شيء لا يقدر على الخلاص منه.

و لما كان من أعجب العجب مجادلتهم مع إقرارهم بما يلزمهم به

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى «عند الله فقال» ساقطة من م.
(٣-٣) من ظ و مد، و في الأصل: الحال بير - مع تخلل البياض (٤) من ظ و مد، و في الأصل: بني (٥) من مد، و في الأصل: تدل، و في ظ: تذل (٦) من ظ و مد، و في الأصل: استطابة (٧) زيد في الأصل: له، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و في الأصل: تمتعهم.
(٩) في ظ «و» (١٠) العبارة من هنا إلى «فكان المعنى» ساقطة من م (١١) من ظ و م، و في الأصل: الشوق (١٢) من ظ و مد، و في الأصل وم: فكان-
(١٣) في ظ و مد: عظيم.

قطعا التسليم فى أنه الواحد لاشريك له و أن له[1] جميع صفات الكمال فله[2] الحمد كله[3]، قال: ﴿ و لئن ﴾ أى يجادلون أو[4] يقولون: بل نتبع آباءنا و الحال أنهم إن ﴿ سألتهم من خلق السمٰوٰت ﴾ بأسرها ﴿ و الارض ﴾ و جميع[5] ما فيها ﴿ ليقولن ﴾[6] و لما كان الأنسب للحكمة التى هى مطلع السورة الاقتصار على محل الحاجة، لم يزد هنا على المسند[7] إليه بخلاف الزخرف[8] التى مبناها الإبانة، فقال لافتا القول عن[9] العظمة إلى أعظم منها فقال: ﴿ الله ﴾ [أى -[10]] [11]المسمى بهذا الاسم الذى جمع مسماه بين الجلال و الإكرام[11]، فقد أقروا بأن كل ما أشركوا به بعض خلقه / و مصنوع من مصنوعاته. ١٧٦ /

و لما كانوا يعتقدون أن شركاءهم تفعل لهم بعض الأفعال، فلذلك كانوا يرجونهم و يخافونهم، كما أن ذلك واضح فى قصة عم أنس الصم و غيرها، أمره صلى الله عليه و سلم بأن يعلمهم أنه لاخلق لغيره و لا أمر، بل هو مبدع كل شيء فى السماوات و الأرض كما أبدعهما[12]، و أن من

---

(١) تأخر فى الأصل عن «الكمال» و الترتيب من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: «و» (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ «و» (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جمع (٦) العبارة من هنا إلى «أعظم منها فقال» سقطت من م (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: المستند (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الزجر، و راجع من الزخرف آية ٩ (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: الى (١٠) زيد من ظ و مد. (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م (١٢) فى ظ و مد: ابتدعهما.

جملة ذلك بما يستحق به الحمد سبحانه قهرهم على تصديقه صلى الله عليه و سلم [بمثل -[1]] هذا الإقرار و هم فى غاية التكذيب، فقال مستأنفاً[2]: ﴿قل الحمد﴾ أى الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ﴿لله[2]﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة الكاملة من غير تقييد بخلق الخافقين و لا غيره «الأمر أعظم من مقالة قائل[3]» كما أحاط بما تعلمونه من خلق السماوات و الأرض، فهو فاعل الأفعال كلها، كما أنه خالق الذوات كلها، و لا شريك له فى شيء من الأمر، كما أنه لا شريك له فى شيء من الخلق.

و لما كانوا يظنون أن أصنامهم تصنع شيئاً كما قالت امرأة ذى النور الدوسى رضى الله عنه: هل[4] يخشى على الصبية من ذى الشرى، و كما قال قوم ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه لما سب آلهتهم: اتق[5] الجذام اتق[5] البرص، و كما قال سادن العزى، و كما قالت ثقيف فى طاغيتهم، حتى أنهم قالوا عند ما سويت بالأرض: و الله ليغضبن[6] الأساس، حتى حمل ذلك المغيرة بن شعبة رضى الله عنه على أن حفر الأساس، و كانوا إذا مستهم الضراء لاسيما فى البحر تبرأوا منها، و أسندوا الأمر إلى من هو له كما [7]هو مضمون التوحيد[8]، فكان ربما قال قائل استناداً[9] إلى ذلك:

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من م (٣) العبارة من «أى الذى» فى م و من «من غير» فى ظ ساقطة إلى هنا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بل (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اتقى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليقضين (٧) العبارة من هنا إلى «بالتحميد» ساقطة من ظ و مد. (٨) فى م: التحميد (٩) من م، و فى الأصل: اسنادا.

إنهم

إنهم ليعلمون ما أثبت بالتحميد، قال: ﴿ بل اكثرهم لايعلمون ﴾ أى أن الله هو المتفرد بكل شيء كما أنه تفرد بخلق السماوات و الأرض، و أنه لايكون شيء إلا باذنه لأنهم لايعملون بما يعلمون من ذلك، و علم لايعمل به عدم، بل العدم[1] خير منه، و كان [2]القليل هم[2] المقتصدون عند النجاة من الشدة[3] كما سيأتى آنفا، أو[4] يكون المعنى أنه لاعلم لهم أصلا إذ لو كان لهم علم لنفعهم فى علمهم بالله، أو فى أنهم لايقرون بتفرده سبحانه بالخلق و الرزق، فيكون ذلك موجبا لتناقضهم و ملزما[5] لهم بالإقرار بصدقك فى الحكم بوحدانيته على الإطلاق. و لما أثبت لنفسه سبحانه الاحاطة بأوصاف الكمال، شرع يستدل على ذلك، فقال مبينا أن ما أخبر أنــه صنعه فهو[6] له: ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بجميع أوصاف الكمال خاصة دون غيره ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ كلها. و لما تحرر بما تقدم أنهم عالمون مقرون بما يلزم عنه وحدانيته، لم يؤكد باعادة "ما" و[7] الجار، [8]بل قال[8]: ﴿ و الارض ﴾ أى[6] كلها كما كانتا مما صنعه، فلا يصح أن يكون شيء من ذلك له شريكا.

و لما ثبت ذلك أنتج قطعا قوله: ﴿ان الله﴾ [9]أى الملك الأعظم[9] ﴿ هو ﴾ أى وحده، و أكد لأن[10] ادعاءهم الشريك يتضمن إنكار غناه،

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العلم (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القيل هو - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ و مد « و ».
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ملزوما (٦) سقط من ظ (٧) سقطت الواو من ظ و م (٨-٨) فى ظ و مد: فقال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م.
(١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان.

و لذلك أظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن كل ما وصف به فهو ثابت له مطلقا من غير تقييد بحيثيته ﴿ الغنى ﴾ مطلقا، لأن جميع الأشياء له و محتاجة إليه، و ليس / محتاجا إلى شيء أصلا. و لما كان الغنى قد ١٧٧ / لايوجب الحمد قال: ﴿ الحميد ﴾ أى[1] المستحق لجميع المحامد، لأنه المنعم على الإطلاق، المحمود بكل لسان ألسنة الأحوال و الأقوال، و لو كان نطقها ذما فهو حمد من حيث أنه هو الذى أنطقها، و من قيد الخرس أطلقها.

و لما كان الغنىّ قد يكون ماله محصورا كما فى السماوات و الأرض الذى قدم أنه له، و المحمود قد يكون ما يحمد عليه مضبوطا مقصورا[1]. أثبت أنه على غير ذلك، [بل -[2]] لا حد اغناه، و لا ضبط لمعلوماته و مقدوراته الموجبة لحمده و لا تناه، فقال: ﴿ و لو ﴾ أى له الصفتان المذكورتان و الحال أنه لو ﴿ان ما فى الارض ﴾ أى كلها، و دل على الاستغراق و تقصى[3] كل فرد فرد[1] من الجنس بقوله: ﴿ من شجرة ﴾ حيث وحدها ﴿ اقلام ﴾ أى و الشجرة يمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع[4] شجرات، و أن ما فى الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام ﴿ و البحر ﴾ أى و الحال أن البحر، و على قراءة البصريين[5] بالنصب[6] التقدير: و لو أن البحر ﴿ يمده ﴾ أى يكون مددا[7] له و زيادة فيه ﴿من بعده ﴾ أى

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل وظ و م: يقضى (٤) فى ظ: السبع (٥) راجع نثر الرجان ٥/٣٢٨ (٦) سقط من م. (٧) فى ظ و م و مد: مداد.

من ورائه ﴿ سبعة ابحر ﴾ فكتب[1] بتلك الأقلام و ذلك المداد الذى الأرض كلها له دواة كلماتِ الله ﴿ ما نفدت ﴾ و كرر الاسم الأعظم تعظيما للمقام فقال[2] مظهرا للاشارة[3] مع التبرك[4] إلى عدم التقيد بشيء و إن جل[5]: ﴿ كلمت الله ﴾ و فنيت الأقلام و المداد، و أشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل فيفهم العجز عن الكلم من باب الأولى، و يتبع الكلمات الإبداع، فلا تكون كلمة إلا لاحداث شأن من الشؤون " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " و علم من ذلك نفاد الأبحر كلها لأنها محصورة، فهى لا تفى بما ليس بمحصور ، فيا لها من عظمة لا تتناهى ! و من كبرياء لا تجارى و لا تضاهى، لاجرم كان نتيجة ذلك قوله مؤكدا لأن ادعاءهم الشريك إنكار للعزة، و عدم البعث إنكار للحكمة: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما[6] من غير قيد أصلا[6] ﴿ عزيز ﴾ أى يعجز كل شيء و لايعجزه شيء ﴿ حكيم ه ﴾ يحكم[7] ما أراده، فلا يقدر أحد على نقضه، و لاعلم لأحد من خلقه إلا ما علمه، و لاحكمة لأحد منهم إلا بمقدار ما أورثه، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر الأقلام دليلا على

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكتب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقام (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشارة (٤) فى ظ و مد: التبرى (٥) العبارة من « مظهرا » إلى هنا ساقطة من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) سقط من ظ و مد.

حذف مدادها[1]، و ذكر السبعة [في -[2]] مبالغة الأبحر دليلا على حذفها في الأشجار، و هو من عظيم هـــذا الفن، و علم أيضا من[3] السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة لاحقيقتها، و أن المراد بجمع القلة في "أبحر" الكثرة، لقرينة المبالغة، و بجمع القلة في "كلمٰت" حقيقتها لينتظم المعنى، و كل ذلك سائغ شائع[4] في لغة العرب .

و لما ختم بهاتين الصفتين بعد إثبات القدرة على الإبداع من غير انتهاء، ذكر بعض آثارهما[5] في البعث الذى تقدم أول السورة و أثناءها ذكره إلى[6] أن حذرهم به في قوله "الينا مرجعهم" فقال: ﴿ما خلقكم﴾ أى كلكم في عزته و حكمته إلا كخلق[7] نفس واحدة، و أعاد النافى نصا على كل واحد

١٧٨ / من الخلق و البعث على حدته / فقال: ﴿و لا بعثكم﴾ كلكم ﴿الا كنفس﴾ أى كبعث نفس[8]، و بين الإفراد تحقيقا للمراد، و تأكيدا للسهولة فقال: ﴿واحدة﴾ فان كلماته مع كونها غير نافدة نافذة[4]، و قدرته مع كونها باقية بالغة، فنسبة القليل و الكثير إلى قدرته على حد سواء، لأنــه لا يشغله شان عن شأن؛ ثم دل على ذلك بقوله مؤكدا لأن تكذيبهم لرسوله و ردهم لما شرفهم بـه يتضمن الإنكار لأن يكونوا[9] بمرأى منه

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: مرادها (٢) زيد من ظ وم و مد. (٣) زيد في ظ : هذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : آثارها (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : خلق، و العبارة من بعده إلى « على حدته فقال» ساقطة من م (٨) زيد في الأصل : واحدة؛ و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها، و العبارة من هنا إلى «للسهولة فقال» ساقطة من م (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل : يكون .

و مسمع: ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿سميع﴾ أى بالغ السمع يسمع كل ما يمكن سمعه من المعانى فى [١]آن واحد[١] لا يشغله شىء منها عن غيره ﴿بصيره﴾ بليغ البصر يبصر كذلك كل ما يمكن أن يرى من الأعيان و المعانى، و من كان كذلك كان محيط العلم بالغه[٢] شامل القدرة تامها، فهو يبصر جميع الأجزاء من كل ميت، و يسمع كل ما يسمع من معانيه، فهو باحاطة علمه و شمول قدرته يجمع تلك الأجزاء، و يميز بعضها من بعض، و يودعها تلك المعانى، فاذا هى أنفس قائمة كما كانت أول مرة فى أسرع من لمح البصر.

و لما قرر هذه الآية الخارقة، دل عليها بأمر [محسوس -[٣]] يشاهد كل يوم مرتين، مع دلالته على تسخير ما فى السماوات و الأرض، و إبطال قولهم "ما يهلكنا الا الدهر" بأنه، هو الذى أوجد الزمان بتحريك الأفلاك، خاصا بالخطاب من لا يفهم ذلك[٤] حق فهمه غيره، أو عاما كل عاقل، إشارة إلى أنه فى دلالته على البعث فى غاية الوضوح فقال: ﴿الم تر﴾ أى يا من يصلح لمثل هذا الخطاب، و يمكن أن يكون للنبى صلى الله عليه و سلم لأنه لا يعلم ذلك من المخلوقين حق علمه غيره.

و لما كان [٥]البعث مثل[٥] إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه، فكان إنكاره[٦] إنكارا لهذا، نبه على ذلك بالتأكيد[٧] فقال: ﴿ان الله﴾ [أى -[٣]]

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوواحه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالغ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البعث قبل (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التاكيد.

بجلاله و عز كماله ﴿ يولج ﴾ أى يدخل[1] إدخالا لا مرية فيه ﴿ الّيل فى النهار ﴾ فيغيب فيه بحيث لا يرى شىء منه، فاذا النهار [قد -[2]] عم الأرض كلها أسرع من اللمح ﴿ و يولج النهار ﴾ أى يدخله كذلك ﴿ فى الّيل ﴾ فيخفى حتى لا يبقى له أثر؛ فاذا الليل قد طبق الآفاق[3]: مشارقها و مغاربها فى مثل الطرف، فيميز سبحانه كلا منهما - و هو مغنى من المعانى - من الآخر بعد اضمحلاله، فكذلك الخلق و البعث فى قدرته بعزته و حكمته لبلوغ سمعه و نفوذ بصره. و لما كان هذا معنى من المعانى يتجدد فى كل يوم و ليلة، عبر فيه[4] بالمضارع.

و لما كان النيران جرمين عظيمين قد صرفا على طريق معلوم بقدر لا يختلف، عبر فيهما بالماضى عقب ما هما آيتاه[5] فقال: ﴿ و سخر الشمس ﴾ آية للنهار بدخول الليل فيه ﴿ و القمر ﴾ آية لليل كذلك؛ ثم استأنف ما سخرا فيه[5] فقال: ﴿ كل ﴾ أى منهما ﴿ يجرى ﴾ [أى[6]] فى فلكه سائرا متماديا [و -[2]] بالغا و منتهيا.

و لما كان محط مقصود السورة الحكمة، و كانت هذه الدار مرتبطة بحكمة الأسباب و التطوير، و المد فى الإبداع و التسيير، كان الموضع[7] لحرف الغاية فقال: ﴿ الى[7] اجل مسمى ﴾ لا يتعداه فى منازل معروفة فى جميع الفلك لا يزيد و لا ينقص، هذا يقطعها فى الشهر [مرة -[2]] و تلك

---

(١) زيد فى م: اى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالافاق (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الوضع.

فى / السنة مرة، لايقدر واحد منهما أن يتعدى طوره، و لا أن ينقص / ١٧٩ دوره، و لا أن يغير سيره.

و لما بان بهذا التدبير المحكم، فى هذا[1] الخلق الأعظم، شمول علمه و تمام قدرته، عطف على[2] " ان الله "، قوله مؤكدا لأجل أن أفعالهم أفعال من ينكر علمه بها: ﴿ و ان الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال المذكورة و غيرها، و قدم الجار إشارة إلى تمام علمه[3] بالأعمال - كما مضت الإشارة إليه غير مرة، [و عم بالخطاب بيانا لما قبله و ترغيبا و ترهيبا -[4]] فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أى[5] فى كل وقت على سبيل التجدد ﴿ خبير ﴾ لايعجزه شيء [منه -[4]] و لايخفى عنه، لأنه الخالق له كله دقه و جله، و ليس للعبد فى إيجاده غير الكسب لأنه لايعلم مقدار الحركات و السكنات فى شيء منه، و لو كان هو الموجد له لعلم ذلك لأنه لايقدر على الإيجاد ناقص العلم أصلا، و كم[6] أخبر سبحانه فى كتبه و على لسان أنبيائه بأشياء مستقبلة من أمور العباد، فكان ما قاله كما قاله، لم[7] يقدر أحد [منهم -[8]] أن يخالف فى شيء مما قاله، فتمت كلماته، و صدقت إشاراته و عباراته، و هذا دليل آخر على تمام القدرة على البعث و غيره باعتبار أن الخلائق فى جميع الأرض يفوتون الحصر، و كل منهم

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذه (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العلم.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ: كما (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا (٨) زيد من ظ و م و مد.

لاينفك فى كل لحظة عن[1] عمل من حركة و سكون، و هو سبحانه الموجد لذلك كله فى [كل - [2]] آن دائما ما تعاقب الملوان، و بقى الزمان، لايشغله شان منه عن شأن، و قد كان الصحابة رضى الله عنهم لما خوطبوا[3] بهذا فى غاية العلم [به - [2]] لما ذكر من دليله، و لما شاهدوا من إخبار النبى صلى الله عليه و سلم عن مغيبات تتعلق بأناس غائبين و أناس حاضرين، منهم البعيد جدا و المتوسط و القريب، و غير ذلك من أحوال توجب القطع لهم بذلك، هذا علمهم فكيف يكون علم المخصوص فى هذه الآية بالخطاب صلى الله عليه و سلم، مع ما يشاهد من آثاره سبحانه و تعالى، و يطلع عليه من إبداعه فى ملكوت السماوات و الأرض و غير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه و تعالى من عالم الغيب و الشهادة.

و لما ثبت[4] بهذه الأوصاف الحسنى و الأفعال العلى أنه لا موجد بالحقيقة إلا الله قال: ﴿ ذلك ﴾ أى ذكره لما ذكر من الأفعال الهائلة و الأوصاف[5] الباهرة ﴿ بان ﴾ [أى - [2]] بسبب أن ﴿ الله ﴾ [أى - [2]] الذى لاعظيم سواه ﴿ هو ﴾ وحده ﴿ الحق ﴾ أى الثابت بالحقيقة و ثبوت غيره فى الواقع عدم، لأنه مستفاد من الغير، و ليس له الثبوت من ذاته[6]، و منه ما أشركوا به، و لذلك أورده بالنص، فقال صارفا للخطاب

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حواطوا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اثبت (٥) من مد، و فى الأصل و ظ وم: الافاضات (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دابه.

الماضى

الماضي إلى الغيبة على قراءة البصريين[1] و حمزة و حفص عن عاصم إيذانا بالغضب، و قراءة الباقين على الأسلوب الماضي ﴿ و ان ما يدعونَ ﴾ أي هؤلاء المختوم على مداركهم، و أشار إلى سفول رتبتهم بقوله: ﴿ من دونه ﴾ .

و لما تقدمت الأدلة الكثيرة على بطلان آلهتهم بما لا مزيد عليه، كقوله " هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه "[2] و أكثر هنا من إظهار الجلالة موضع الإضمار تنبيها على عظيم المقام[2] لم تدع حاجة / ١٨٠
إلى التأكيد بضمير الفصل فقال: ﴿ الباطل ﴾ أي العدم حقا، لا يستحق أن تضاف إليه الإلهية بوجه من الوجوه، و إلا لمنع [من -[3]] شيء من هذه الأفعال مرة من المرات. فلما وجدت على هذا النظام علم أنه الواحد الذي لا مكافئ له.

و لما كانوا يعلونها عن مراتبها و يكبرونها بغير حق، قال: ﴿ و ان الله ﴾ أي الملك الأعظم[4] وحده. و لما كان النيران مما عبد من دون الله، وكانا قد جمعا [5]علوا وكبرا[5]، وكان ليس لهما من ذاتهما[6] إلا العدم فضلا عن السفول و الصغر، ختم بقوله: ﴿ هو العلي الكبير ﴾ أي عن أن يدانيه في عليائه ضد. أو يباريه[7] في كبريائه ند.

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٤٠ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: كبرا و علوا (٦) في ظ: ذاتهم (٧) من ظ و مد، و في الأصل وم: يقاربه.

و لما تضمنت الآية ثلاثة أشياء، أتبعها دليلها[1]، فقال منبها على أن سيرنا فى الفلك مثل سير النجوم فى الفلك، و سير أعمارنا فى فلك الأيام حتى يولجنا فى بحر الموت مثل سير كل من الليل و النهار فى فلك الشمس حتى يولجه فى الآخر فيذهب حتى كأنه ما كان، و لو لا تفرده بالحقية و العلو و الكبر[2] ما استقام ذلك، خاصا بالخطاب أعلى الناس، تنبيها على أن هذه الآية لكثرة الألف لها أعرض عن تأملها، فهو فى الحقيقة [حث -[3]] على تدبرها، و يؤيده[4] الإقبال على الكل عند تعليلها[5]: ﴿ الم تر ان الفلك ﴾ أى السفن كبارا و صغارا ﴿ تجرى ﴾ أى بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله فى البر، و عبر بالظرفية[6] إشارة إلى أنه ليس لها من ذاتها إلا الرسوب [فى الماء -[3]] لكثافتها و لطافته فقال: ﴿ فى البحر ﴾ [أى -[3]] على وجه الماء، [و عبر عن الفعل بأثره لأنه أحب فقال -[7]]: ﴿ بنعمت الله ﴾ أى برحمة[8] الملك الأعلى المحيط علما و قدرة و إحسانه، مجددا ذلك على مدى[9] الزمان عليكم فى تعليمكم صنعها[10] حتى تهيأت لذلك على يدى أبيكم نوح العبد الشكور عليه السلام ﴿ ليريكم من اٰيٰته ﴾ أى عجائب[11] قدرته و دلائله [التى -[3]] تدلكم على

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دليلا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكبرياء (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يويد (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل: تعليله (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالظرف فيه (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد: بإنعام (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امد (١٠) فى ظ و م و مد: صنعتها (١١) فى ظ: عجيب

أنه الحق الذى أثبت بوجوب[1] وجوده ما ترون من الأحمال الثقال[2] على وجه الماء الذى ترسب فيه الإبرة فما دونها، و هى مساوية لغيرها فى أن الكل من التراب، فما فاوت بينها إلا هو بتمام قدرته و فعله بالاختيار.

و لما كان هذا أمرا إذا جرد النظر فيه عن كونه قد صار مألوفا بهر العقول و حير الفهوم، أشار إليه بقوله مؤكدا تنبيها عما هم فيه من الغفلة عنه، [3]لافتا الخطاب بعد الجمع إلى الإفراد تنبيها على دقة الأمر و أنه[4] - و إن كان يظن أنه ظاهر - لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه و سلم: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر الهائل البديع الرفيع ﴿لأيت﴾ أى دلالات واضحات على ما له من صفات الكمال[5] فى عدم غرقه و فى سيره إلى البلاد الشاسعة، و الأقطار البعيدة، و فى كون سيره ذهابا و إيابا تارة بريحين، و أخرى[6] بريح واحدة، و فى إنجاء أبيكم نوح عليه السلام و من أراد الله من خلقه [به - [7]] و إغراق غيرهم من جميع أهل الأرض، و فى غير ذلك من شؤونه، و أموره و فنونه، و نعمه [و فتونه - [8]] و إن كان أكثر ذلك قد صار مألوفا لكم فجهلتم أنه من ١٨١
خوارق العادات، و نواقض المطردات[9]. و علم من ختام التى قبلها أن

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بوجود (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المثقلات (٣) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » ساقطة من م. (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ و م: تارة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ وم ومد، و فى الأصل: المضطردات.

المراد - بقوله جامعا لجميع الإيمان الذى هو نصفان : نصف صبر، و نصف شكر، و ذلك تمام صفة المؤمن [1]مظهرا موضع "لك" أو "لكم" - ما أفاد الحكم بكل من شاركه صلى الله عليه و سلم فى الوصفين المذكورين[1] : ﴿ لكل صبار ﴾ إدامة الفكر فى هذه النعم و استحضارها فى الشدة و الرخاء، و أنها من عند الله، و أنه لا يقدر عليها سواه، و الإذعان له فى جميع ذلك، حفظا لما دل عليه العقل من أخذ الميثاق بالشكر، و أن لا يصرف الحق إلى غير أهله، فيلزم عليه الإساءة إلى المحسن ﴿ شكور ۝ ﴾ عليه مبالغ فى كل من الصبر و الشكر، و علم من صيغة المبالغة فى كل منهما أنه لا يعرف فى الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه فى الشدة إلا من[2] طبعهم [الله -[3]] على ذلك و وفقهم له و أعانهم عليه بحفظ العهد و ترك النقض جريا مع ما[4] تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة، و قليل ما هم[4] [و -[5]] قال الرازى فى اللوامع : و كيفما كان فالصبر هو الثبات فى مراكز العبودية، و الشكر رؤية النعمة من المنعم الحق و صرف نعمه إلى محابه.

و لما كانوا يسارعون إلى الكفر بعد انفصالهم من هذه الآية[6] العظيمة، و إلباسهم هذه النعمة الجسيمة، التى عرفتهم ما تضمنته[7] الآية السالفة من حقيته[8] وحده و علوه و كبره و بطلان شركائهم، أعرض عنهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من م و مد (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الإياب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م : تضمنتهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : حقيقته.

وجه

وجه[1] الخطاب لأنهم لم يرجعوا بعد الوضوح إيذانا باستحقاق شديد الغضب و العذاب، فقال معجبا [2]عاطفا على ما تقديره: و أما غير الصبار الشكور فلا يرون ما فى ذلك من الآيات فى [حال -[3]] رخائهم: ﴿و اذا غشيهم﴾ أى علاهم و هم فيها حتى صار كالمغطى لهم، لأنه منعهم من أن تمتد[4] أبصارهم كما كانت ﴿ موج ﴾ أى هذا الجنس[5]، و لعله أفرده لأنه لشدة اضطرابه و إتيانه شيئا فى أثر شيء متتابعا [6]يركب بعضه[6] كأنه شيء واحد، و أصله من الحركة و الازدحام ﴿ كالظلل ﴾ [أى -[7]] حتى كان كأطراف الجبال المظلة[8] لمن يكون إلى جانبها، [و للاشارة إلى خضوعهم غاية الخضوع كرر الاسم الأعظم فقال -[3]]: ﴿دعوا الله﴾ [أى -[3]] مستحضرين لما يقدر عليه الإنسان من كماله بجلاله و جماله، عالمين بجميع مضمون الآية السالفة من حقيته و علوه و كبره و بطلان ما يدعون من دونه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ لايدعون شيئا سواه بألسنتهم و لا قلوبهم لما اضطرهم إلى ذلك من آيات الجلال، و قسرهم عليه من العظمة و الكمال، [9]و اقتضى الحال فى سورة الحكمة حذف ما دعوا به لتعظيم الأمر [فيه -[3]] لما اقتضاه من الشدائد لتذهب النفس فيه كل مذهب.

و لما كان القتل بالسيف أسهل عندهم من أن يقال عنهم: إنهم

---

(١) فى ظ: بوجه (٢) العبارة من هنا إلى «رخائهم» ساقطة من م (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: تميل (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م. (٧) زيد من م و مد (٨) فى م: كالمظلة (٩) العبارة من هنا إلى «كل مذهب» ساقطة من م.

اقروا بشيء هم له منكرون[1] لأجل الخوف خوف السبة[2] بذلك و العار[3] حتى قال من قال: لولا أن يقال[4] "إنى ما أسلمت إلا جزعا من الموت فيسب بذلك بنى من بعدى" لأسلمت . بين لهم سبحانه أنهم وقعوا بما فعلوا عند خوف الغرق فى ذلك، و أعجب منه رجوعهم إلى الكفر عند الإنجاء، لما فيه مع[5] ذلك من كفران الإحسان الذى هو عندهم من أعظم الشنع، فقال دالا بالفاء على قرب استحالتهم و طيشهم و جهالتهم : / ﴿فلما نجّٰهم﴾ ١٨٢ /
أى خاصهم رافعا لهم، تنجية لهم[6] عظيمة بالتدريج من تلك الأهوال ﴿الى البر﴾ نزلوا[7] عن تلك المرتبة التى أخلصوا فيها الدين، و تنكبوا سبيل المفسدين [8]و انقسموا قسمين[8] ﴿فمنهم﴾ أى تسبب عن نعمة الإنجاء و ربط بها إشارة إلى أن المؤثر لهذا الانقسام إنما هو الاضطرار إلى الإخلاص فى البحر[9] و النجاة منهم أنه كان منهم ﴿مقتصد﴾ متكلف للتوسط[10] و الميل للاقامة[11] على الطريق المستقيم، و هو الإخلاص فى التوحيد الذى ألجأه إليه الاضطرار، و هم قليل - بما[12] دل عليه التصريح بالتبعيض، و منهم جاحد للنعمة ملق لجلباب الحياء فى التصريح بذلك،

---

(١) فى ظ : ينكرون (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الشبه (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المعاد (٤) زيد فى ظ : قولا (٥) فى ظ : من (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تولوا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) زيد فى ظ : التوحيد إليه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوسط (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الى الاقامة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما .

و هو الأكثر – كما مضت الإشارة إليه ، [و –[1]] دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض ، و ما يقتصد إلا كل صبار شكور ، إما حالا و إما مآلا {و ما يجحد} [2]و خوف الجاحد بمظهر[3] العظمة التي من شأنها الانتقام ، فقال صارفا القول[4] إليه : {بآيتنا} أي ينكرها مع عظمها و لاسيما بعد الاعتراف بها {الا كل ختار} أي شديد الغدر عظيمه لما نقض من العهد الهادي إليه العقل و الداعي إليه الخوف {كفور ه} أي عظيم الكفر لإحسان من هو متقلب في نعمه ، في سره و علنه ، و حركاته و سكناته ، و لانعمة إلا و هي منه ، و من هنا جاءت المبالغة في الصفتين ، و علم أنهما[5] طباق [6]و مقابلة[6] لختام التي قبلها ، و أن الآية من الاحتباك : دل ذكر المقتصد أولا على "و منهم جاحد" ثانيا ، و حصر الجحود[7] في الكفور ثانيا على حصر الاقتصاد في الشكور أولا ، قال البغوي[8] : قيل : نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين[9] هرب رضي الله عنه عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف – يعني : فقال الركاب على عادتهم : أخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم ههنا شيئا – فقال عكرمة رضي الله عنه : لئن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى محمد و لأضعن يدي في يده ، فسكنت الريح ، فرجع عكرمة رضي الله عنه إلى مكة فأسلم و حسن إسلامه ، و قال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « القول إليه » ساقطة من م.
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لنظهر (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : العظمة (٥) من ظ و مد ، و في الأصل و م : انها (٦ – ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) في ظ و م و مد : الجحد (٨) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٨٢ (٩) ليس في المعالم .

مجاهد : مقتصد فى القول ، [مضمر للكفر ، و قال الكلبي : مقتصد فى القول - ١] أى من الكفار ، لأن بعضهم كان أشد قولا و أعلى فى الاقتراء من بعض .

و لما ظهرت ٢ بما ذكر فى هذه السورة دقائق الحكمة ، و انتشرت فى الخافقين ألوية العظمة و نفوذ الكلمة ، و أعربت ألسن ٣ القدرة عن دلائل الوحدانية ، فلم تدع شيئا من العجمة ، فظهر ٤ كالشمس أنه لابد من الصيرورة إلى يوم الفصل و ختم بالمكذب ، أمر سبحانه عباده عامة عاصيهم و مطيعهم بالإقبال عليه ، و خوفهم ما ٥ هم صائرون إليه ، مناديا لهم بأدنى أوصافهم لما لهم من الذبذبة كما عرف به الحال الذى شرح ٦ آنفا فقال : ﴿ يٰأيها الناس ﴾ أى عامة ، ٧ و لفت الكلام إلى الوصف المذكر ٨ بالإحسان ترغيبا و ترهيبا فقال : ﴿اتقوا ربكم﴾ / أى الذى لا إله [لكم - ٩] غيره ، لأنه لا محسن إليكم غيره ، اتقاء يدوم و أتم فى غاية الاجتهاد فيه ، لا كما فعلتم عند ما رأيتم من أهوال البحر . ١٨٣ /

و لما كانت وحدة [الإله - ١٠] الملك توجب الخوف منه ، لأنه لامكافئ له ، و كان إن عهد منه أنه لايستعرض عبادة لمجازاتهم على

(١) زيد من المعالم (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ظهر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السنة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فظهرت . (٥) فى ظ : بما (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى «ترهيبا فقال» ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المذكور (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد من م .

أعمالهم

أعمالهم لايخشى كما يخشى[١] إذا علم منه أنه يسترضيهم قال: ﴿و اخشوا يوما﴾ لايشبه الأيام، و لايعد هول البحر و لاغيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه.

و لما كان المجرم إذا علم أن له عند الملك من يدفع [عنه -[٢]] فتر[٣] ذلك من خوفه، و كان ما بين الوالد و الولد[٤] من الحنو و الشفقة و العطف و الرحمة الداعية إلى المحاماة[٥] و النصرة و الفداء بالنفس و المال أعظم مما[٦] بين غيرهما، فاذا انتفى إغناء أحدهما عن الآخر انتفى غيرهما بطريق الأولى قال: ﴿لا يجزى﴾ أي يغني فيه، و لعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام في هذه[٧] الدار أسبابا ستر قدرته بها، فصار الجاهل يحيل الأمر عليها و يسنده إليها، و أما هناك[٨] فتزول الأسباب، و ينجلي غمام الارتياب، و يظهر اختصاص العظمة برب الأرباب.

و لما كانت شفقة الوالد - مع شمولها لجميع أيام حياته - أعظم، [فهو يؤثر حياة ولده على حياته و يؤثر أن يحمل بنفسه الآلام و الأموال -[٢]] بدأ به فقال: ﴿والد﴾ كائنا من كان ﴿عن ولده﴾ [أي - [٢]] لايوجد منه[٩] و لا يتجدد في وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء

---

(١) زيد في ظ: انه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: فتره (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: الوالد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: المحاباة (٦) في ظ و مد: ما (٧) في ظ: هذا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: هنا (٩) سقط من ظ.

و إن تحقق أن الولد منه، و التعبير بالمضارع إشارة إلى أن الوالد لايزال تدعوه الوالدية إلى الشفقة على الولد، و تجدد عنده العطف و الرقة، [1]و المفعول إما محذوف لأنه أشد فى النفى و آكد، و إما مدلول عليه بما فى الشق الذى بعده[1].

و لما كان الولد لايتوقع منه الإغناء عن والده فى المزاهز إلا بعد بلوغه، أخره فى عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال: ﴿و لا مولود﴾ أيّ مولود كان ﴿هو جازٍ عن والده﴾ و إن علم أنه بعضه[2] ﴿شيئا[4]﴾ من الجزاء، و فى التعبير بـ «هو» إشعار بأن المنفى[3] نفعه بنفسه، ففيه ترجية بأن الله قد يأذن له فى نفعه إذا وجد الشرط، و عبر هنا بالاسم الفاعل لأن الولد من شأنه أن يكون ذلك له ديدنا لما لأبيه عليه من الحقوق، و الفعل يطلق على من ليس من شأنه الاتصاف بمأخذ اشتقاقه، فعبر به فى الأب لأنه لاحق للولد[4] عليه يوجب عليه[5] ملازمة الدفع عنه، و يكون ذلك من شأنه و مما يتصف به فلا ينفك عنه، و ذلك كما أن الملك لو خاط صح أن يقول فى تلك الحال: إنه يخيط، و لايصح "خياط" لأن ذلك ليس من صنعته، و لا من شأنه.

و لما كان من المعلوم أن لسان حالهم[6] يقول: هل هذا اليوم كائن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: بضعة. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النهى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوالد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حللم – كذا.

حقا؟ أجيب هذا السؤال بقوله مؤكدا لمكان[1] إنكارهم، [2]لافتا القول إلى
الاسم الأعظم[3] لاقتضاء [4]الوفاء له[4]: ﴿إن وعد الله﴾ الذى له جميع
معاقد[5] العز / و الجلال ﴿حق﴾ يعنى أنه سبحانه قد وعد به على جلال ١٨٤ /
جلاله، و عظيم قدرته و كماله، فكيف يجوز أن يقع فى وهم فضلا
عن أوهامكم أن يخلفه مع [أن - [6]] أدناكم - أيها العرب كافة -
لايرى أن يخالف وعده و إن ارتكب[7] فى ذلك الأخطار، و عانى فيه
الشدائد الكبار، فلما ثبت أمره، و كان حبهم لسجن هذا الكون المشهود
ينسيهم ذلك اليوم، [8]لما جعل سبحانه فى هذا الكون من المستلذات، تسبب
عنه قوله: ﴿فلا تغرنكم﴾ مؤكدا[3] لعظم الخطب ﴿الحيوٰة الدنيا وقفه﴾
أى بزخرفها، و [لا - [9]] ما يبهج من[10] لا تأمل له من فانى رونقها،
[11]و كرر الفعل و التأكيد إشارة إلى أن ما لهم من الإلف بالحاضر[12] مُعمٍ لهم
عما فيه من الزور، و الخداع الظاهر و الغرور، فقال مظهرا غير مضمر
لأجل زيادة التنبيه و التحذير: ﴿و لايغرنكم بالله﴾ الذى لا أعظم منه
و لامكافئ له مع ولايته لكم ﴿الغرور ﴿﴾ [أى - [6]] الكثير الغرور

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بمكان (٢) العبارة من هنا إلى «الوفاء له» ساقطة من م (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل: ما عاقد، و فى ظ: منافاة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: اختلف (٨) زيدت الواو فى ظ (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمن (١١) العبارة من هنا إلى «و التحذير» ساقطة من م (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الحاضر.

المبالغ فيه. و هو الشيطان الذى لا أحقر منه، لما جمع من البعد و الطرد و الاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها، و يلهيكم به من تعظيم قدرها، و ينسيكموه من كيدها و غدرها، و تعبها و شرها، و أذاها وضرها[1]، فيوجب ذلك لكم الإعراض عن ذلك اليوم، فلا تعدونه معادا، فلا تتخذون له[2] زادا، لما اقترن بغروره[3] من حلم[4] الله و إمهاله، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه[5]: الغرة بالله أن يعمل المعصية و يتمنى المغفرة

و لما كان من الأمر الواضح أن لسان حالهم بعد السؤال عن تحقق ذلك اليوم يسأل عن وقته كما مضى فى غير آية، و يأتى [فى -[6]] آخر التى بعدها، إما تعنتا و استهزاء و إما حقيقة، أجاب عن ذلك ضاما إليه أخواته من مفاتيح الغيب المذكورة فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما الآتى، لما فى ذلك من الحكمة التى سيقت لها السورة، مرتبا لها على الأبعد فالأبعد عن علم الخلق، فقال مؤكدا لما يعتقدون فى كهانهم[7] مظهرا الاسم الأعظم غير مضمر لشدة اقتضاء المقام له: ﴿ان الله﴾ أى بما له من العظمة وجميع أوصاف الكمال ﴿عنده﴾ أى خاصة، و لو قيل "له" مثلا ما أفاد الحضور، و لو قيل "لديه" لأوهم التعبير بلدى[8]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بغروركم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حكم (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٨٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل: كهانتهم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلد.

التى

التى هى للحضور أن ذلك كناية عن قربها جدا، و[1] أوهم أن علمه تعالى يتفاوت تعلقه بالأشياء بخصوص أو عموم لأجل أن " لدى " أخص من 'عند' فكانت 'عند' أوفق للمراد، فانها أفادت التمكن من العلم مع احتمال تأخرها [و سلمت -[2]] من تطرق احتمال فاسد إليها ﴿علم الساعة﴾ أى وقت قيامها، لا علم لغيره بذلك أصلا.

و لما كان سبحانه قد نصب عليها أمارات توجب ظنونا فى قربها، و كشف بعض أمرها، عبر تعالى[3] بالعلم، و لما كانوا قد ألحوا[4] فى السؤال عن وقتها، و كانت[5] أبعد الخمس عن علم الخلق، و كانت شيئا واحدا لا يتجزى " فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة " أبرزها سبحانه فى جملة[6] اسمية دالة على الدوام و الثبوت على طريق الحصر، و هذا هو المفتاح الأول من مفاتيح الغيب ينفتح به من العلوم ما يجل عن الحصر عن قيام الأنفس بأبدانها، ماثلة على مذاقها بجميع أركانها، و أشكالها و ألوانها، و سائر شأنها، و طيران الأرواح بالنفخ[7] إليها و احتوائها عليها على اختلاف أنواعهم، و تغاير صورهم و أطوالهم، و تباين ألسنتهم و أعمالهم، إلى[8] غير ذلك من الأمور، و عجائب المقدور، / ثم سعيهم إلى الموقف ثم ١٨٥ / وقوفهم، ثم[9] حسابهم إلى استقرار الفريقين فى الدارين، هذا إلى موجهم

(١) فى مد: او (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سقط من م (٤) فى ظ و م ومد: ألحفوا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٦) فى ظ: جمل.
(٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالفتح (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل "و" (٩) سقط من ظ.

من شدة الزحام ، و الكروب العظام ، بعضا فى بعض . يطلبون من يشفع لهم فى الحساب حتى يقوم المصطفى صلى الله عليه و سلم المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون إلى انتقاض السماوات ، و انكدار ما فيها من النيرات ، و نزول الملائكة بعد قيامهم من منامهم ، و هم من لايحصى أهل سماء منهم ، كثرة ، [1]كيف و قد[1] أطت السماء و حق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم إلا [و -[2]] فيه ملك قائم يصلى ، هذا إلى تبدل الأراضى و زوال الجبال ، و نسف الأبنية و الروابى و التلال ، و غير ذلك مما لا[3] يعلمه حق علمه إلا هو سبحانه .

المفتاح الثانى : آية الله فى خلقه على قيام الساعة ، و أدل الأدلة عليه[4] و هو إنزال المطر الذى يكشف عن الاختلاط فى أعماق الأراضى بالتراب الذى كان نباتا ثم إعادته نبتا [كما -[2]] كان من قبل على اختلاف ألوانه ، و مقاديره و أشكاله ، و أغصانه و أفنانه[3] ، و روائحه و طعومه . و منافعه و طبائعه - إلى غير ذلك من شؤونه ، و أحواله و فنونه ، التى لايحيط بها علما إلا خالقها و مبدعها و صانعها .

و لما كانوا ينسبون الغيث[5] إلى الأنواء أسند الإنزال إليه سبحانه ليفيد الامتنان ، و عبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال : ﴿ و ينزل الغيث ﴾ بلام الاستغراق القائمة مقام التسوير[6] بـ « كل »

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل : و كيف ، و فى ظ : فكيف و قد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عليها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغيب (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التنوين .

و قد أفاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته و مكانه و مقداره و غير ذلك من شؤونه ، فان من فعل شيئا حقيقة لم يعلم أحد وقت فعله قبل وقوعه إلا من قبله .

المفتاح الثالث : علم الأجنة و هو[1] فى الرتبة الثانية فى الدلالة[2] على البعث الكاشف عن تخطيطها و تصويرها ، و تشكيلها و تقديرها ، على وصفى الذكورة و الأنوثة ، مع الوضوح أو الإشكال ، و[3] الوحدة أو الكثرة ، و التمام أو النقص - إلى ما هناك من اختلاف المقادير و الطبائع ، و الأخلاق و الشمائل ، و الأكساب[4] و الصنائع ، و التقلبات فى مقدار العمر و الرزق فى الأوقات و الأماكن - و غير ذلك من الأحوال التى[5] لا يحصيها إلا بارئ النسم ، و محيي الرمم[6] . و لما كانت للخلق فى ذلك لكثرة الملابسات و المعالجات ظنون فى وجود الحمل أولا ، ثم فى كونه ذكرا أو أنثى ثانيا ، و نحو ذلك بما[7] ضرب عليه من الأمارات الناشئة عن طول التجارب ، و كثرة الممارسة ، [عبر -[8]] بالعلم فقال : ﴿و يعلم ما فى الارحام﴾ من ذكر أو أنثى حى أو ميت و غير ذلك ، و صيغة[9] المضارع لتجدد الأجنة شيئا فشيئا وقتا بعد وقت ، و الكلام فى اللام و الاختصاص

---

(١) فى ظ : هى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الادلة (٣) فى ظ : او .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاكتساب (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرخايم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ : بصيغة .

بالعلم كالذى قبله سواء.

المفتاح الرابع: الكسب الناشئ عما فى الأرحام الفاتح[1] لكنوز السعادة و آفات الشقاوة و المسفر عن حقائق الضمائر فى صدقها عند البلاء و كذبها، و عن مقادير العزائم و رتب الغرائز، و عن أحوال الناس عند[2] ذلك فى الصداقة و العداوة و الذكاء و[3] الغباوة و الصفاء و الكدر و السلامة و الحيل، و غير ذلك من الصحة و العلل، فى اختلاف الأمور، و عجائب المقدور، فى الخيور و الشرور، مما[4] لايحيط به إلا مبدعه، و غارزه فى عباده و مودعه[5]، و لكون الإنسان - مع أنه[6] ألصق الأشياء به و ألزمه له - لايعلمه مع إيساعه الحيلة [فى -[7]] / معرفته، عبر فيه بالدراية لأنها تدل على الحيلة بتصريف الفكر و إجالة الرأى - كما تقدم فى سورة يوسف عليه السلام - أن مادة 'درى' تدور على الدوران، و من لوازمه إعمال الحيلة و إمعان النظر، فهى أخص من مطلق العلم فقال: ﴿ و ما تدرى نفس ﴾ أى من الأنفس البشرية و غيرها ﴿ ما ﴾ و أكد المعنى بـ 'ذا' و تجريد الفعل فقال: ﴿ ذا تكسب غدا ﴾ أى فى المستقبل من خير أو شر بوجه من الوجوه، و[6] فى نفى علم ذلك عن العبد مع كونه ألصق الأشياء به دليل ظاهر على نفى علم ما قبله عنه لأنه أخفى منه، و قد تقدم إثبات علمه له[6] سبحانه و تعالى، فصار على طريق الحصر،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المفتاح (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عما. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبدعه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد.

و علم

و علم أيضا أنه لا يسند[1] إلى العبد الأعلى طريق الكسب لأنه لو كان مخلوقا له لعلمه قطعا، فثبت أنه سبحانه و تعالى خالقه، فعلم اختصاصه بعلمه من هذا الوجه أيضا .

المفتاح الخامس: مكان الموت الذى هو ختام الأمر الدنيوى و طى سجل الأثر الشهودى، و ابتداء الأمر الأخروى المظهر لأحوال البرزخ فى النزول مع المنتظرين لبقية السفر إلى دائرة[2] البعث و حالة الحشر إلى ما هنالك من ربح و خسران، و عز و هوان، و ما للروح من الاتصال بالجسد و الرتبة فى العلو و السفول، و الصعود و النزول، إلى ما وراء ذلك إلى ما لا آخر له مما لا يعلم تفاصيله و جمله و كلياته و جزئياته إلا مخترعه و بارئه و مصطنعه[3] .

و لما كان لا يعلمه الإنسان بنوع حيلة مع شدة حذره منه [و حبه -[4]] لو أنفق جميع ما يملكه لكى يعلمه، عبر عنه بما عبر عن الذى قبله فقال مؤكدا باعادة النافى و المسند: ﴿ و ما تدرى ﴾ و أظهر لأنه أوضح و أليق بالتعميم فقال: ﴿ نفس ﴾ أى من البشر و غيره ﴿ بأىّ ارض تموت[4] ﴾ و لم يقل: بأىّ وقت . لعدم القدرة على الانفكاك عن الوقت مع القدرة على الانفكاك عن مكان معين، و إحاطة العلم بكراهة كل أحد للموت، فكان [ذلك -[5]] أدل دليل على جهله بموضع[6]

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينسب (٢) فى ظ و مد: دارة (٣) من م و مد، و فى الأصل وظ: مصطفيه (٤) زيد من ظ وم و مد (٥) زيد من م و مد (٦) فى ظ: موضع .

موته إذ لو علم به لبعد عنه و لم يقرب منه ، و قد روى البخارى[١] حديث المفاتيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ " ان الله عنده علم الساعة" الآية ، و له[١] عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث سؤال جبرئيل عليه السلام النبى صلى عليه و سلم عن أشراط الساعة فأخبره ببعضها و قال[٢]: خمس لا يعلمهن إلا الله «إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث» - إلى آخر السورة ، فقد دل الحديث قطعا على أن الآية فيما[٣] ينفرد سبحانه و تعالى بعلمه ، و قد رتبها سبحانه[٤] هذا الترتيب [٥]لما تقدم[٥] من الحكمة و علم سر إتيانه بها تارة فى جملة اسمية و تارة فى فعلية ، و تارة ليس فيها ذكر للعلم ، و أخرى يذكر فيها ، و يسند إليه سبحانه ، لكن لا على وجه الحصر ، و تارة بنفى العلم عن غيره فقط من غير / إسناد للفعل إليه ، و علم سر قوله "بأىّ ارض" ٨٧١ /
دون ' أىّ وقت ' ، كما فى بعض [طرق -[٦]] الحديث .

و لما [٧]كان قد[٧] أثبت سبحانه لنفسه اختصاص العلم عن الخلق بهذه الأشياء ، أثبت بعدها ما هو أعلم منها لتدخل فيه ضمنا فيصير مخبرا

---

(١) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٤ (٢) زيد فى ظ : فى (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

بعلمه لها مرتين ، فقال على وجه التأكيد لأنهم ينكرون بعض ما يخبر به ، و ذلك يستلزم إنكارهم لبعض علمه : ﴿ اَنّ الله ﴾ أى المختص بأوصاف الكمال و العظمة و الكبرياء و الجلالَ ﴿ عليم ﴾ أى شامل العلم للأمور كلها ، كلياتها و جزئياتها ، فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن الغير فى هذه الخمس تارة نصا و أخرى بطريق الأولى أو باللازم ، فانطبق الدليل على الدعوى - و الله الموفق .

و لما أثبت[1] العلم على هذا الوجه ، أكده لأجل ما سيقت له السورة بقوله : ﴿ خبير ع ﴾ أى يعلم خبايا الأمور ، و خفايا الصدور ، كما يعلم ظواهرها و جلاياها ، كل عنـــده على حد سواء ، فهو الحكيم فى ذاته و صفاته ، و لذلك أخفى هذه المفاتيح عن عباده ، لأنه لو أطلعهم عليها لفات كثير من الحكم ، باختلاف هذا النظام ، على ما فيه من الإحكام ، فقد انطبق آخر السورة - باثباته الحكمة باثبات العلم [و الخبر -[2]] مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة - على أولها المخبر بحكمة صفته التى من علمها حق علمها ، و تخلق بما دعت إليه و حضت عليه لاسيما الإيقان بالآخرة ، كان حكيما خبيرا عليما مهذبا [مهديا -[2]] مقربا عليا ، فسبحان من هذا كلامه ، و تعالى كبرياؤه و عز مرامه ، [3]و لا إله غيره و هو اللطيف[3] .

---

(١) فى ظ : ثبت (٢) زيد من ظ و م و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة الم السجدة[1]

مقصودها إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة و النجاة من النار، و اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه [آيتها -[2]] من الإخبات و ترك الاستكبار، و [كذا -[3]] تسميتها بالم تنزيل فانه مشير إلى تأمل جميع السورة، فهو[4] في غاية الوضوح في هذا المقصود ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام العزيز الغفار ﴿ الرحمن ﴾ بعموم البشارة و النذارة ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى أسكن[5] فى قلوب أحبابه الشوق إليه و الخشوع بين يديه ﴿ الم ج ﴾ تقدم فى البقرة و غيرها شيء من أسرار هذه الأحرف، و مما[6] لم يسبق أنها إشارة إلى أن الله المحيط فى علمه و قدرته و كل شأنه أرسل جبرءيل عليه السلام إلى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه و سلم بكتاب معجز دال باعجازه على صحة رسالته، و وحدانية من أرسله، و عدله فى العاصين، و فضله على المطيعين، و سرد سبحانه هذه الأحرف فى أوائل أربع من هذه السور، فزادت على الطواسين بواحدة، و ذلك بقدر[7] العدد الذى يؤكد به، و زيادة مبدأ العدد إشارة إلى أن التكرير لم يرد به مطلق التأكيد، بل دوام التكرير،

---

(١) الثانية والعشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع استثناء بعض الآى، و هى تسع و عشرون آية فى البصرى و ثلاثون فى الباقى - راجع روح المعانى ٦/٤٩٨ (٢) زيد من ظ وم ومد، إلا أن فى الأولى: آياتها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: فهى (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل: سكن. (٦) فى ظ: ما (٧) فى ظ: مقدار.

إشارة إلى أن هذه المعانى فى غاية الثبات لا انقطاع لها -[1]و الله الهادى[1] .

/ و لما كان المقصود فى التى قبلها إثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب /١٨٨ الذى [2]هو بيان[2] كل شىء الملزوم لتمام[3] العلم و كمال الخبرة الذى[4] ختمت به بعد أن أخبر أنه سبحانه مختص بعلم المفاتيح بعد أن أنذر بأمر[5] الساعة، فثبت بذلك و ما قبله أنه ما أثبت شيئا فقدر[6] غيره من أهل الكتاب و لا غيرهم على نفيه، و لا نفى شيئا[7] فقدر غيره على إثباته و لا إثبات شىء منه، كانت[8] نتيجة ذلك أنه لا يكون شىء من الأشياء دقيقها و جليلها إلا بعلمه سبحانه و تعالى، و أجلّ ذلك[9] إنزال هذا الذكر الحكيم الذى[10] فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته[11] له بأنه من عند الله، فلذلك قال: ﴿تنزيل الكتب﴾ أى الجامع لكل هدى على ما ترون من التدريج من السماء ﴿لا ريب فيه﴾ أى فى كونه من السماء لأن نافى الريب و مميطه و هو الإعجاز معه لا ينفك عنه، فكل ما يقولونه مما يخالف ذلك تعنت أوجهل من غير ريب، حال كونه ﴿من رب العلمين ؏﴾ أى الخالق لهم المدبر لمصالحهم، فلا يجوز فى عقل و لا يخطر فى بال و لا يقع فى وهم و لا يتصور فى خيال [[12]- أنه يترك خلقه - و هو المدبر الحكيم -

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢-٢) فى ظ و م و مد: فيه تبيان (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بتمام (٤) فى ظ: التى (٥) فى ظ: بعلم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لقدر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شىء (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شىء (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معارضة (١٢) زيد من ظ و م و مد.

من غير كتاب يكون سبب إبقائهم أو] أن[1] يصل شيء[2] من كتابه[2] إلى هذا النبي الكريم بغير أمره، فلا يتخيل أن[3] شيئا منه ليس بقول الله، ثم لا يتخيل أنه كلامه تعالى و لكنه أخذه من بعض أهل الكتاب، لأن هذا لا يفعل مع ملك فكيف بملك الملوك، فكيف بمن هو عالم بالسر و الجهر، محيط علمه بالخفي و الجلي[4]، فلو ادعى عليه أحد ما لم يأذن فيه لما أيده بالمعجزات.

و لما أقره على ذلك المدد المتطاولات، و لا سيما إعجاز كل ما ينسبه إليه بالمعجزات، و[5] يدعيه عليه، و[3] هذا غاية ما في آل عمران كما كان أول لقمان غاية أول القرآن المطلق. و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما انطوت سورة الروم على ما قد أشير إليه من التنبيه بعجائب ما أودعه سبحانه في عالم السماوات و الأرض، و على ذكر الفطرة، ثم اتبعت بسورة لقمان تعريفا بأن مجموع تلك الشواهد من آيات الكتاب و شواهده و دلائله، و أنه قد[6] هدى من شاء[6] إلى سبيل الفطرة و إن لم يمتحنه بما امتحن به كثيرا ممن ذكر، فلم يغن عنه و دعى فلم يجب، و تكررت عليه الإنذارات فلم يصغ [لها -[7]] لأن[8] كل ذلك من الهدى و الضلال واقع بمشيئته و سابق إرادته، و اتبع سبحانه

---

(١) في ظ و مد: انه (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل وم: منه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد. و في الأصل: الجليل (٥) سقط من ظ و م و مد. (٦-٦) في ظ: يهدي من يشاء (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) في ظ و مد: ان.

ذلك بما ينبه المعتبر على صحته فقال "و من يسلم وجهه الى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى" فأعلم سبحانه أن الخلاص و السعادة فى الاستسلام له[1] و لما يقع من أحكامه، و عزى نبيه صلى الله عليه وسلم و صبره بقوله "و من كفر فلا يحزنك كفره" ثم ذكر تعالى لجأ الكل قهرا و رجوعا بحاكم اضطرارهم لوضوح الأمر إليه تعالى فقال "و لئن سالتهم من خلق السموت و الارض ليقولن الله" ثم وعظ تعالى الكل بقوله "ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة" أى أن ذلك لايشق عليه سبحانه و تعالى و لايصعب، و القليل و الكثير سواء، ثم نبه بما يبين ذلك من إيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل و جريان الفلك بنعمته "ذلك بان الله هو الحق"، ثم أكد ما تقدم من رجوعهم فى الشدائد إليه فقال "و اذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" فاذا خلصهم / سبحانه و نجاهم عادوا[2] إلى سيئ أحوالهم، هذا / ١٨٩ و قد عاينوا رفقه بهم و أخذه عند الشدائد بأيديهم و قد اعترفوا بأنه خالق السماوات و الأرض و مسخر[3] الشمس [4] و القمر[4]، و ذلك شاهد من حالهم بجريانهم على [ما - [5]] قدر لهم و وقوفهم عند حدود السوابق "و من يسلم وجهه الى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى" ثم عطف سبحانه على الجميع فدعاهم إلى تقواه، و حذرهم يوم المعاد و شدته، و حذرهم من الاغترار، و أعلمهم أنه المتفرد بعلم[6] الساعة،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عاد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : سخر.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : علمى.

و إنزال الغيث، و علم ما في الأرحام، و ما يقع من المكتسبات، و حيث يموت كل من المخلوقات. فلما كانت سورة لقمان - بما بين من مضمونها - محتوية من[1] التنبيه و التحريك على ما ذكر، و معلمة بانفراده سبحانه بخلق الكل و ملكهم[2]، أتبعها تعالى بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب، و أنه من عنده و أن ما انطوى عليه من الدلائل و البراهين يرفع كل ريب، و يزيل كل شك، فقال "الٓمٓ تنزيل الكتٰب لا ريب فيه من رب العٰلمين ام يقولون افترٰىه بل هو الحق من ربك" أي أيقع منهم هذا بعد وضوحه و جلاء شواهده، ثم اتبع ذلك بقوله "[ما لكم من دونه من ولي و لا شفيع" و هو تمام لقوله "و من يسلم وجهه الى الله" و لقوله -[3]] "و لئن سالتهم من خلق السمٰوٰت و الارض ليقولن الله" و لقوله "و إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله [4]مخلصين له الدين[4]" و لقوله "اتقوا ربكم ما لكم من دونه من ولي و لا شفيع افلا تتذكرون" بما ذكرتم، ألا ترون أمر لقمان و هدايته بمجرد دليل فطرته، فما لكم بعد التذكير و تقريع الزواجر و ترادف الدلائل و تعاقب الآيات تتوقفون[5] عن السلوك[6] إلى ربكم و قد أقررتم بأنه خالقكم، و لجأتم إليه عند احتياجكم؟ ثم أعلم نبيه صلى الله عليه و سلم برجوع من عاند و إجابته حين لا ينفعه رجوع، و لا تغني عنه إجابة، فقال "و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم"

(١) في ظ: على (٢) في ظ و مد: هلكهم (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٥) في ظ: يتوقعون، و في مد: متدفقون (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الشكوك.

ثم

ثم أعلم سبحانه أن الواقع منهم إنما هو بإرادته و سابق من حكمه، ليأخذ الموفق الموقن نفسه بالتسليم فقال " و لو شئنا لأتينا كل نفس هدٰيها " كما فعلنا بلقمان و من أردنا توفيقه، ثم ذكر انقسامهم بحسب السوابق فقال " افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون " ثم ذكر مصير الفريقين و مآل الحزبين، ثم اتبع [ذلك -[1]] بسوء حال[2] من ذكر فأعرض فقال " و من اظلم ممن ذكر بٰايٰت ربه ثم اعرض عنها " و تعلق الكلام إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان [هذا -[3]] الذى قدمه أول السورة على هذا الوجه برهانا ساطعا و دليلا قاطعا على أن [هذا -[3]] الكتاب من عند الله، كان - كما حكاه البغوى[4] و الرازى فى اللوامع - كأنه قيل: هل آمنوا به؟ ﴿ ام يقولون ﴾ مع ذلك الذى لايمترى[5] فيه عاقل ﴿ افترٰىه ج ﴾ أى تعمد كذبه .

و لما كان الجواب : إنهم ليقولون: افتراه، و كان جوابه[6]: ليس هو مفترى لما هو مقارن له من الإعجاز، رتب عليه قوله : ﴿ بل هو الحق ﴾ أى الثابت ثباتا لايضاهيه ثبات شيء من الكتب قبله، كائنا ﴿ من ربك ﴾ / المحسن إليك بإنزاله و إحكامه، و خصه بالخطاب إشارة إلى[7] أنه لايفهم ١٩٠ /

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل : مال (٣) زيد من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٨٣ (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل : لايجترى (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل : الجواب . (٧) سقط من ظ .

حقيقته حق الفهم سواه •

و لما ذكر سبحانه إحسانه إليه صلى الله عليه و سلم صريحا ، أشار بتعليله إلى إحسانه [به -[1]] أيضا إلى كافة العرب ، فقال مفردا النذارة لأن المقام [2]لما بمقتضى[2] ختم لقمان : ﴿ لتنذر قوما ﴾ أى ذوى[3] قوة و جلد و منعة و صلاحية للقيام بما أمرهم به ﴿ مآ اتىهم من نذير ﴾ أى رسول فى هذه الأزمان القريبة لقول ابن عباس رضى الله عنهما[4] إنه المراد الفترة ، و يؤيده إثبات الجار فى قوله : ﴿ من قبلك ﴾ [أى بالفعل -[5]] شاهدوه أو شاهده آباؤهم . و إما بالمعنى و القوة فقد كان فيهم دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيّره عمرو بن لحى ، و كلهم كان يعرف ذلك و أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لم يعبد صنما و لا استقسم بالأزلام ، و ذلك [6]كما قال[6] تعالى " و ان من امة الا خلا فيها نذير[6] " أى شريعته و دينه ، و النذير ليس مخصوصا بمن باشر - نبه على ذلك أبو حيان[7] . و يمكن[8] أن يقال : ما أتاهم من ينذرهم على خصوص ما غيروا من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و أما إسماعيل ابنه عليه السلام فكان[9] بشيرا لا نذيرا ، لأنهم ما خالفوه ، و أحسن من ذلك كله ما نقله البغوى[4] عن ابن عباس رضى الله عنهما و مقاتل أن ذلك

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما يقتضى (٣) فى ظ : ذى (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٨٣/٥ . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٦) سورة ٣٥ آية ٢٤ (٧) راجع البحر المحيط ١٩٧/٧ (٨) زيد فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ و م و مد : فقد كان .

فى الفترة التى كانت بين عيسى و محمد صلى الله عليهما و سلم ، فانه قد نقل أن عيسى عليه السلام لما ارسل رسله[1] إلى الآفاق أرسل إلى العرب رسولا .

و لما ذكر علة الإنزال ، أتبعها علة الإنذار فقال : ﴿لعلهم يهتدون ۝﴾ أى ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، و أما التوحيد فلا عذر لأحد فيه بما[2] أقامه الله من حجة العقل مع ما أبقته الرسل عليهم الصلاة و السلام آدم فمن بعده من واضح النقل بآثار دعواتهم[3] و بقايا دلالاتهم[4] ، و لذلك قال النبى صلى الله عليه و سلم لمن سأله عن أبيه : أبى و أبوك فى النار[5] ، و قال : لا تفتخروا بآبائكم الذين مضوا فى الجاهلية فو الذى نفسى بيده لما تدحرج الجعل خير منهم[6] - فى غير هذا من الأخبار القاضية بأن كل من مات قبل دعوته على الشرك فهو للنار[7] .

و لما تقرر بما سبق فى التى قبلها من اتصافه تعالى بكمال العلم أنه من عنده و بعلمه لا محالة ، و كان هذا أمرا يهتم بشأنه و يعتنى[8] بأمره ، لأنه عين المقصود [الذى -][9] ينبنى عليه أمر الدين ، و ختم ما ذكره من أمره ههنا باقامة اهتدائهم مقام الترجى بانذاره صلى الله عليه و سلم ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رسوله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعواهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالتهم (٥) راجع مسالك الحنفاء للسيوطى ١٥ ، و أصل الرواية عند مسلم (٦) راجع مسند الإمام أحمد ١/٣٠١ (٧) بهامش م : رواه الطيالسى عن ابن عباس رضى الله عنهما (٨) فى ظ : يعنى (٩) زيد من ظ و م و مد .

أتبعه بيان ذلك الدليل بإيجاد عالم الأشباح و الخلق ثم عالم الأرواح و الأمر، و إحاطة العلم بذلك كله على وجه يقود تأمله إلى الهدى، فقال مستأنفا شارحا لأمر يندرج فيه إنزاله ¹معبرا بالاسم الأعظم¹ لاقتضاء الإيجاد و التدبير على وجه الانفراد له: ﴿ الله ﴾ أى الحاوى لجميع صفات الكمال وحده: ﴿ الذى خلق السموٰت ﴾ كلها ﴿ و الارض ﴾ بأسرها ﴿ و ما بينهما ﴾ من المنافع العينية² و المعنوية.

و لما كانت / هذه الدار مبنية على حكمة الأسباب كما أشير إليه ١٩١/
فى لقمان، و كان الشيء إذا عمل بالتدريج كان [أتقن -³]، قال: ﴿ فى ستة ايام ﴾ كما يأتى تفصيله فى فصلت، و قد كان قادرا على فعل ذلك فى أقل من لمح البصر، [و يأتى فى فصلت سركون المدة ستة -⁴].

و لما كان تدبير هذا و حفظه و تعهد مصالحه و القيام بأمره أمرا - بعد أمر إيجاده - باهرا، أشار إلى عظمته بأداة التراخى [و التعبير بالافتعال -⁴] فقال: ﴿ ثم استوىٰ على العرش ﴾ أى [استواء لم يعهدوا مثله و هو أنه -⁴] أخذ فى [تدبيره و -³] تدبير [ما حواه -⁴] بنفسه، لا شريك له و لا نائب عنه و لا وزير، كما تعهدون من ملوك الدنيا إذا اتسعت ممالكهم، و تباعدت اطرافها، و تناءت أقطارها، و هو معنى قوله تعالى استئنافا جوابا لمن كأنه قال: العرش بعيد عنا جدا فمن استنابه ⁵فى أمرنا⁵، و لذلك [لفت - ³] الكلام إلى⁶ الخطاب لأنه اقعد

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الغيبية (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بأمرنا (٦) فى ظ: ف.

ق

في التنبيه: ﴿ [1]ما لكم[1] من دونه ﴾ لأنه كل ما سواه من دونه و تحت قهره، و دل على عموم النفي بقوله: ﴿ من ولي ﴾ أي يلي أموركم و يقوم بمصالحكم و ينصركم إذا حل بكم شيء مما تنذرون به ﴿ و لا شفيع ﴾ يشفع عنده في تدبيركم أو في أحد منكم بغير إذنه، [و هو كناية عن قربه من كل شيء و إحاطته به، و أن إحاطته بجميع خلقه على حد سواء لا مسافة بينه و بين شيء أصلا -[2]] .

و لما كانوا مقرين بأن الخلق خلقه و الأمر أمره، عارفين بأنه لا يلي وال من قبل ملك من الملوك [3]إلا بحجة[3] منه يقيمها على [أهل-[4]] البلدة التي أرسل إليها أو ناب فيها، و لا يشفع شفيع فيهم إلا و له إليه وسيلة، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم في قوله: ﴿ افلا تذكرون ۝ ﴾ أي تذكرا[5] عظيما بما أشار إليه الإظهار ما [6]تعلمونه من[6] أنه الخالق وحده، و من أنه لا حجة لشيء مما أشركتموه بشيء مما أهلتموه[7] له و لا وسيلة لشيء [منهم إليه يؤهل بها في الشفاعة فيكم و لا أخبركم أحد منهم بشيء -[4]] من ذلك، فكيف تخالفون في هذه الأمور - التي هي أهم المهم، لأن عاقبتها خسارة الإنسان نفسه، فضلا عما دونها - عقولكم و ما جرت به عوائدكم، و تعللون فيها بالمحال، و تقنعون بقيل و قال،

(١-١) ليس ما بين الرقمين في الأصل فقط (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: لايحجبه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: تذكيرا (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: تعلمون (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: اهملتموه.

و تخاطرون فيه[1] بالأنفس و الأولاد و الأموال .

و لما نفى أن يكون له شريك أو[2] وزير في الخلق، ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم الذي أبدعه في ستة أيام من عالم الأرواح و الأمر، فقال مستأنفا مفسرا للمراد بالاستواء: ﴿يدبر الامر﴾ أي كل أمر هذا العالم [3]بأن يفعل في ذلك فعل الناظر في أدباره لإتقان خواتمه و لوازمه. كما نظر في أقباله لإحكام[3] فواتحه و عوازمه، لا يكل شيئا منه[4] إلى شيء من خلقه، قال الرازي في اللوامع: و هذا دليل على [5]أن استواءه[5] على العرش بمعنى إظهار القدرة، و العرش مظهر التدبير لا مقر المدبر .

و لما كان المقصود للعرب إنما [هو -[6]] تدبير ما تمكن [7]مشاهدتهم له[7] من العالم قال مفردا: ﴿من السمآء﴾ أي فينزل ذلك [الأمر -[6]] الذي أتقنه كما يتقن من ينظر في أدبار ما يعلمه[8] ﴿الى الارض﴾ غير متعرض إلى ما فوق ذلك، على أن السماء تشمل كل عال فيدخل جميع العالم .

و لما كان الصعود أشق من النزول على ما جرت به العوائد، فكان بذلك مستبعدا، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ثم يعرج﴾ أي[9] يصعد

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: فيها (٢) في ظ: و (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: منها (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: استوى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: مشاهدته لهم (٨) في ظ: لايعمله (٩) في ظ: تم .

الأمر الواحد - وهو من الاستخدام الحسن - إليه، أى بصعود الملك إلى الله، أى إلى الموضع الذى شرفه أو أمره بالكون فيه كقوله تعالى "انى ذاهب الى ربى[1]" "و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله[2]" و نحو ذلك، أو إلى الموضع الذى أبتدأ منه نزول التدبير / ١٩٢
وهو السماء كأنه صاعد فى معارج، و هى الدرج على ما تتعارفون[3] بينكم، فى أسرع من لمح البصر {فى يوم} من أيام الدنيا {كان مقداره} لو كان الصاعد[4] واحدا منكم على ما تعهدون {الف سنة مما تعدون ه} من سنيكم التى تعهدون، و الذى دل على هذا التقدير شىء من العرف و شىء من اللفظ، أما اللفظ فالتعبير بـ «كان» مع انتظام الكلام بدونها لو أريد غير ذلك، و أما العرف [فهو -[5]] أن الإنسان[6] المتمكن يبنى البيت العظيم العالى فى سنة مثلا، فاذا فرغه صعد إليه خادمه إلى أعلاه فى أقل من درجتين من درج الرمل، فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنائه[7] إلا جزءا لا يعد، هذا و هو خلق محتاج فما ظنك بمن خلق الخلق فى ستة أيام و هو غنى عن كل شىء قادر على كل شىء[7]! و ظاهر العبارة أن هذا التقدير بالألف لما بين السماء و الأرض بناء على [أن -[5]] البداية و الغاية لا يدخلان، فاذا أردنا تنزيل هذه الآية على آية سأل[8] أخذنا

(١) سورة ٣٧ آية ٩٩ (٢) سورة ٤ آية ١٠٠ (٣) من م و مد، و فى الأصل: يتعارون، و فى ظ: لعارفون - كذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المصاعد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع آية ٤ من سورة المعارج

هذا بالنسبة إلى صعود أحدنا مستويا لو أمكن، و جعلت الأرض واحدة في العدد[1]. و أول تعددها كما قيل باعتبار الأقاليم، و زيد عليه مقدار ثخن السماوات و ما بينهما، و زيد[2] على المجموع[2] مثل نصفه لمسافة الانحناء في بناء الدرج و التعريج الذي هو مثل محيط الدائرة بالوتر الذي قسمها بنصفين[3] ليمكن الصعود منا، و هو مقدار نصف مسافة الاستواء و شيء يسير، لأنك إذا قسمت دائرة بوتر كان ما[4] بين رأسي الوتر من محيط نصف الدائرة بمقدار ذلك الوتر مرة و نصفا[5] سواء يزاد عليه يسير لأجل تعاريج الدرج، فإذا فعلنا ذلك كان ما بين أحد سطحي الكرسي المحدب و ما يقابله من[4] السطح الآخر بحسب اختراقه من جانبيه و اختراق أطباق[6] السماوات السبع: الأربعة عشر، اثنين و ثلاثين ألف سنة، لأنه يخص كل سماء ألفان. لأنه فهم من هذا السياق أن من مقعر السماء إلى سطح الأرض الذي نحن عليه مسيرة ألف سنة، و [بعد -[7]] ما بين كل سمائين كبعد ما بين [السماء و الأرض، و ثخن كل سماء كذلك، فيكون بعد ما بين أحد -[7]] سطحي الأرض إلى سطح الكرسي الأعلى ستة عشر ألف سنة، و بعد[8] ما بين سطح الأرض الآخر إلى أعلى سطح الكرسي

(١) من ظ و م و مد. و في الأصل: العدل (٢ - ٢) في ظ و مد: عليه.
(٣) في ظ: نصفين (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: نصف (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الطباق (٧) زيد من ظ و م و مد.
(٨) زيد في الأصل: ما بين السماء و الأرض و ثخن كل سماء كذلك فيكون بعد - و لعلها تأخرت.

من

من الجانب الآخر كـــذلك ، ثم يزاد على المجموع و هو اثنان و ثلاثون ألف سنة مسافة ثخن الأرض و هى[1] ألف سنة ليكون المجموع[2] ثلاثة و ثلاثين[3] ألف سنة يزاد عليه ما للتمريج[4] ، و هو نصف تلك المسافة و شىء يكون سبعة عشر ألف سنة[5] . فذلك خمسون ألف سنة ، و إنما جعلت سطح الكرسى الأعلى النهاية ، لأن العادة جرت أن لا يصعد إلى عرش الملك غيره ، و أن الأطماع تنقطع[6] دونه ، بل و[7] لا يصعد إلى كرسيه ، و سيأتى اعتبار ذلك [فى ـ[8]] الوجه الأخير ، و إن قلنا[8] : إن الأراضى سبع على[9] أنها كرات مترتبة متعالية غير متداخلة ، و أدخلنا العرش فى العدد فنقول : إنه مع الكرسى و السماوات تسعة ، فجانباها المحيطان[10] بالأرض ثمانى عشرة طبقة ، و الأراضى[11] سبع ، فتلك خمس و عشرون طبقة ، فكل[12] واحدة - مع ما بينها و بين الأخرى على ما هو ظاهر الآية - ألفان ، فنضعف هذا العدد ، فيكون خمسين / ألفا ، و هذا / ١٩٣
الوجه أوضح الوجوه و أقربها إلى مفهوم الآيـــة ، و لا يحتاج معه إلى زيادة لأجل انعطاف الدرج ، و يجوز أن نقول : إن السر ـ و الله أعلم ـ

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : هو (٢) فى ظ وم ومد : الجميع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثلاثون (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتصريح (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منقطع . (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظننا (٩) فى ظ وم و مد : غير (١٠) فى ظ و مد : المحيطة (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل وم : اراضى (١٢) فى ظ و مد : لكل

فى جعل ما مسيرته خمسمائة سنة - كما فى الحديث - ألف سنة لأجل التدريج[1]، و الحديث ليس[2] نصا[3] فى سير[3] معين حتى يتحامى تأويله [بل -[4]] قد ورد بألفاظ متغايرة منها خمسمائة، و منها اثنتان و سبعون سنة، و منها إحدى[5] و سبعون إلى غير ذلك، فلا بد أن يحمل كل لفظ على سير فنقول: الخمسمائة للصاعد فى درج مستقيم كدرج الدقل مثلا، و الاثنتان و سبعون لسير الطائر، و الألف كما فى الآية لدرج منعطف، و يدل عليه ما رواه الترمذى - و قال: إسناده حسن - عن عبد الله بن عمرو بن العاص[6] رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: لو أن رصاصة[7] مثل هذه - و أشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت[7] من السماء إلى الأرض، و هى مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، و لو[7] أنها أرسلت من رأس السلسلة[8] لسارت[7] أربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها. [أو تقول: إن الألف لجملة التدبير بالنزول و العروج[9]] - و الله أعلم، و إن جعلنا البداية داخلة فتكون الألف من سطح الأرض الذى نحن عليه إلى محدب السماء لتتفق الآية مع الحديث القائل بأن[10] بين الأرض و السماء خمسمائة سنة، و ثخن السماء كذلك،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: التصريح (٢) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسير (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) فى ظ و م و مد: أحد (٦) راجع أبواب صفة جهنم من جامع الترمذى ٢ / ٨٣ (٧) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد و الجامع (٨) من ظ و م ومد والجامع، و فى الأصل: التسلسلة (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ان.

و كذ

و كذا بقية السماوات و العرش ، أدخلنا العرش فى العـــدد و قلنا : إن الأراضى سبع متداخلة كالسماوات ، كل واحدة[1] منها فى التى تليها ، فالتى نحن فيها أعلاها و محيطة بها كلها ، فهى بمنزلة العرش للسماوات ، فتكون السماوات السبع من جانبيها بأربعة عشر ألفا ، و الأراضى كذلك ، فذلك ثمانية و عشرون ألفا ، و العرش و الكرسى من جانبيها بأربعة ، فذلك اثنان و ثلاثون ألفا يضاف إليها[2] ما يزيده انحناء المعارج الذى يمكن لنا معه[3] العروج ، و هو نصف مسافة الجملة و شىء ، فالنصف ستة عشر ألفا ، و نجعل الشىء الذى لم يتحرر[4] لنا ألفين ، فذلك ثمانية عشر[2] ألفا إلى اثنين و ثلاثين ، فالجملة خمسون ألفا ، و يمكن أن يكون ذلك بالنسبة إلى السماوات مع الأراضى ، و الكل متطابقة متداخلة ، فتلك ثمان و عشرون [طبقة من سطح السماء السابعة الأعلى إلى سطحها الأعلى من الجانب الآخر ، فذلك ثمانية و عشرون - [5]] [6] ألف سنة[6] ، لكل جرم خمسمائة ، و لما بينه و بين الجرم الآخر كذلك فذلك [ألف - [5]] ، فضعفه بالنسبة إلى الهبوط و الصعود فيكون ستة و خمسين[7] ألفا [8] حسب منه خمسون ألفا[8] و ألغى الكسر ، لكن هذا الوجه مخالف لظاهر الآية التى[2] فى سورة سأل ، و هى[9] قوله تعالى " تعرج الملئكة و الروح اليه فى

(١) فى ظ : واحد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يتحر (٥) زيد من ظ و م و مد .
(٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ألفا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خمسون (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو .

يوم كان مقداره خمسين الف سنة" فانه ليس فيها ذكر الهبوط -
و الله أعلم . و كل من [١]هذه الوجوه أقعد مما قاله البيضاوى[٢] فى سورة
سأل، و أقرب للفهم و العرف ، فان كان ظاهر حاله أنه جعل الثمانية
عشر ألفا[٣] من أعلى[٣] سرادقات العرش إلى أعلى سرادقاته من الجانب
الآخر ، و لا دليل [على -[٤]] هذا و لا عرف يساعد فى صعود الخدم[٥]
إلى أعلى السرادق ، و هو الأعلى منه ، و العلم عند الله تعالى ، و روى
إسحاق بن راهويه عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
و سلم قال : ما بين سماء الدنيا إلى الأرض خمسمائة سنة ، و [ما -[٤]]
بين كل سماء إلى التى تليها خمسمائة / سنة إلى السماء السابعة ، و الأرض /١٩٤
مثل[٦] ذلك ، و ما بين السماء السابعة إلى[٧] العرش مثل [جميع -[٤]] ذلك .
و اعلم أن القول بأن الأراضى سبع هو الظاهر لظاهر قوله تعالى " الله
الذى خلق سبع سموٰت و من الارض مثلهن " و يعضده ما رواه
الشيخان[٨] و [غيرهما عن -[١]] عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى
الله عليه و سلم قال[٩] : من ظلم قدر[١٠] شبر من الأرض[١١] طوقه الله[١٢] من

---

(١) العبارة من هنا إلى « كان ظاهر » ساقطة من ظ و مد (٢) فى تفسيره أنوار التنزيل (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : الخدام (٦) فى ظ : بمثل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٨) البخارى فى أبواب المظالم وبدء الخلق ، و مسلم فى أبواب المساقاة . (٩) فى الأصل بياض ملأناه من جميع المراجع (١٠) كذا فى نسخة مسلم ، و فى جميع المراجع : قيد (١١) من المراجع ، و فى الأصل و ظ : ارض (١٢) ثابت فى نسخة مسلم ، و ساقط من جميع المراجع .

سبع

سبع أرضين، و فى رواية للبغوى[1]: خسف به إلى سبع أرضين[2]، و روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن المؤمن إذا حضره الموت - فذكره إلى أن قال: و أما الكافر إذا قبضت نفسه ذهب به إلى الأرض فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحا أنتن من هذه[3]، فيبلغ بها إلى [الأرض -[4]] السفلى - قال المنذرى[5]: و هو عند ابن ماجه بسند صحيح، و يؤيد من[6] قال: إنها متطابقة متداخلة كالكرات[7] و بين كل أرضين فضاء كالسماوات ما روى الحاكم و صححه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الأرضين بين كل أرض إلى التى تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا منها على ظهر حوت - إلى آخره. و هو فى آخر الترغيب للحافظ المنذرى فى آخر أهوال القيامة فى سلاسلها و أغلالها[8]، و روى أبو عبيد [القاسم -[4]] بن سلام فى غريب الحديث[9] عن مجاهد رحمه الله أنه قال: إن الحرم حرم مناه من السماوات السبع و الأرضين السبع، و أنه رابع أربعة عشر بيتا، فى كل سماء بيت، و فى كل أرض بيت، لو سقطت لسقط بعضها على بعض - مناه يعنى قصده و حذاءه.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البغوى (٢) و أخرجه البخارى أيضا من طريق سالم عن أبيه - راجع باب ماجاء فى سبع أرضين - بدء الخلق (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى الترغيب و الترهيب ص ٦٢٥ (٦) فى ظ: ما (٧) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد.
(٨) راجع ص ٦٦٤ (٩) راجع ٤ / ٤٢٣ .

و فى مجمع الزوائد[١] للحافظ نور الدين الهيثمى أن الإمام أحمد روى من طريق الحكم بن عبد الملك و هو ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ مرت سحابة فقال[٢]: هل تدرون ما هذه؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[٣]: العنان و زوايا الأرض، يسوقه الله إلى من لا يشكره و لا يدعوه، أ تدرون ما هذه فوقكم؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: الرفيع موج مكفوف، و سقف محفوظ، أ تدرون كم بينكم و بينها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: أ تدرون ما الذى[٤] فوقها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم[٥]! قال: سماء أخرى، أ تدرون كم [٦]بينكم و بينها[٦]؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: [مسيرة -[٧]] خمسمائة عام - حتى عد سبع سماوات [ثم -[٨]] قال: [٩]هل تدرون[٩] ما فوق ذلك؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[١٠]: العرش، قال[١١]: أتدرون كم [١٠]بينه و بين السماء السابعة؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: [مسيرة -[١٢]] [١٣]خمسمائة عام، ثم قال: ما هذه تحتكم؟ قلنا: الله و رسوله أعلم؟ قال[١٣]:

---

(١) راجع ٧ / ٢٠. (٢) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: قال. (٣) زيد فى الأصل: الرفيع موج مكفوف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و المجمع فحذفناها (٤) فى م: التى (٥) العبارة من « قال الرفيع » إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) من ظ و المجمع، و فى الأصل: بينها و بينهما، و فى م و مد: بينها و بينها (٧) زيد من ظ و المجمع (٨) زيد من ظ و م و مد و المجمع. (٩-٩) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: أترون (١٠) سقط من ظ. (١١) ليس فى المجمع (١٢) زيد من م و مد و المجمع (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أرض، قال: أتدرون ما تحتها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[1]: أرض آخرى، أتدرون كم بينهما؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين، ثم قال: و أيم الله لو دليتم بحبل لهبط، ثم قرأ "هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم[2]" قال: رواه الترمذي غير أنه ذكر [أن -[3]] بين كل أرض و الأرض[4] الأخرى خمسمائة عام، و هنا سبعمائة، و قال في آخره[5]: لو دليتم بحبل لهبط على الله. و لعله أراد: [على -[6]] عرش الله / او على حكمه [7]و علمه[7] / ١٩٥
و قدرته، يعني أنه في ملكه و قبضته ليس خارجا[8] عن شيء من أمره - و الله أعلم[4]، و رأيت[9] في جامع الأصول لابن الأثير بعد إيراده[10] هذا الحديث [ما نصه -[6]]: قال أبو عيسى: قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم الآية تدل على أنه أراد: لهبط على علم[4] الله و قدرته و سلطانه و يكون مؤيدا للقول بأنها كرات متطابقة متداخلة - و الله أعلم - ما روى[11] أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما السماوات السبع و الأرضون السبع في العرش إلا كحلقة ملقاة في[12] فلاة. و لم يقل: كدرهم - مثلا، و كذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) آية ٣ من سورة الحديد (٣) زيد من المجمع (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد و المجمع، وفي الأصل: آخر. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد في الأصل: منها، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ليس (١٠) من ظ وم ومد، و في الأصل: ايراد (١١) زيد في الأصل عن، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (١٢) زيد في الأصل: ارض، و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها.

ما روى محمد بن أبي عمر و إسحاق بن راهويه و أبو بكر ابن أبي شيبة و أحمد بن حنبل و ابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه حديثا طويلا فيه ذكر الأنبياء، و فيه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: تدرى ما مثل السماوات و الأرض في[1] الكرسى؟ قلت: لا، إلا [أن -[2]] تعلمنى مما[3] علمك الله عز و جل، قال: مثل السماوات و الأرض فى الكرسى كحلقة ملقاة فى[4] فلاة، و إن فضل الكرسى على السماوات و الأرض كفضل الفلاة على تلك الحلقة. و أصله عند النسائى و الطيالسى و أبي يعلى، وكذا ما روى[5] صاحب الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما السماوات السبع[6] فى عظمة الله إلا كجوزة معلقة. و قوله تعالى[7] "وسع كرسيه السموات و الارض" يدل على أن الكرسى محيط بالكل من جميع الجوانب [و قوله[8] تعالى "ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموت و الارض فانفـــذوا" صريح فى ذلك، فان النفوذ يستعمل فى الخرق لاسيما مع التعبير بـ «من» دون «فى»، وكذا قوله[9] فى السماء «و مالها من فروج» -[10]] - و الله الموفق.

و لما تقرر هذا من عالم الأشباح و[11] الخلق، ثم عالم الأرواح و الأمر، فدل ذلك على شمول القدرة، وكان شامل[12] القدرة[13] لابد و أن يكون

---

(١) زيد فى الأصل: الأرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: ما (٤) زيد فى الأصل: أرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رواه (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٢ آية ٢٥٥ (٨) سورة ٥٥ آية ٣٤ (٩) سورة ٥٠ آية ٦ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (١١) فى ظ: فى (١٢) فى ظ ومد: الشامل (١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

محيط

محيط العلم، كانت نتيجته لا محالة: ﴿ذلك﴾ أى الإله العالى المقدار، الواضح المنار ﴿علم الغيب﴾ الذى تقدمت[1] مفاتيحه آخر التى قبلها من الأرواح و الأمر و الخلق.

و لما قدم[2] علم الغيب لكونه أعلى، و كان العالم به قد لا يعلم المشهود لكونه لا يبصر قال[3]: ﴿و الشهادة﴾ من ذلك كله التى منها تنزيل القرآن عليك و وصوله إليك ﴿العزيز﴾ الذى يعجز كل شيء و لا يعجزه شيء. و لما كان ربما قدح متعنت فى عزته باهمال[4] العصاة قال: ﴿الرحيم﴾ [أى[5]] الذى خص أهل التكليف من عباده بالرحمة فى إنزال الكتب على ألسنة الرسل، و أبان لهم ما ترضاه الإلهية، بعد أن عم جميع الخلائق بصفة الرحمانية بعد الإيجاد من الإعدام بالبر و الإنعام.

و لما ذكر[6] صفة الرحيمية صريحا لاقتضاء المقام إياها، أشار إلى صفة الرحمانية فقال: ﴿الذى احسن[7] كل شيء[7]﴾ و لما كان هذا الإحسان عاما، خصه بأن[8] وصفه - على قراءة المدنى و الكوفى[9] - بقوله: ﴿خلقه﴾ فبين أن ذلك بالإتقان و الإحكام، كما فسر به ابن عباس[10] رضى الله عنهما من حيث التشكيل و التصوير، و شق المشاعر، و تهيئة المدارك، و إفاضة

---

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تقدست (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: قدر (٣) العبارة من هنا إلى «العصاة قال» ساقطة من ظ و مد (٤) فى م: بامهال (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: ان.

(٩) راجع نثر المرجان ٥/١٣٥. (١٠) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٨٤.

المعانى . مع المفاوتة فى جميع ذلك ، و إلى هذا أشار الإبدال فى قراءة الباقين ، و عبر بالحسن لأن ما كان على وجه الحكمة كان حسنا و إن رآه [1]الجاهل القاصر[1] قبيحا .

و لما كان الحيوان أشرف الأجناس ، و كان الإنسان أشرفه ، خصه بالذكر ليقوم[2] دليل الوحدانية بالأنفس كما قام قبل بالآفاق[3] ، فقال دالا على البعث : ﴿ و بدأ خلق الانسان ﴾ أى الذى[4] هو المقصود الأول بالخطاب بهذا القرآن ﴿ من طين ج ﴾ أى مما ليس له أصل فى الحياة بخلق آدم عليه السلام منه[5] .

/ و لما كان قلب[6] الطين إلى هذا الهيكل على هذه الصورة بهذه المعانى أمرا هائلا ، أشار[7] إليه بأداة البعد فى قوله : ﴿ ثم جعل نسله ﴾ /١٩٦
[8] أى ولده[8] الذى ينسل أى يخرج ﴿ من سللة ﴾ أى من شىء مسلول أى منتزع منه ﴿ من مآء مهين ج ﴾ أى حقير و ضعيف [8]و قليل مراق مبذول[8] ، فعيل بمعنى مفعول ، و أشار إلى عظمة ما بعد ذلك من خلقه و تطويره[9] بقوله : ﴿ ثم سوٰه ﴾ أى عدله لما يراد منه بالتخطيط و التصوير و إبداع المعانى ﴿ و نفخ فيه من روحه ﴾ الروح ما يمتاز به الحى من

(١-١) فى م و مد : القاصر الجاهل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ليقوى . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالاتفاق (٤) زيدت الواو فى ظ . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشار (٨-٨) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تصويره .

الميت، و الإضافة للتشريف، فيا له من شرف ما أعلاه[1] إضافته إلى الله .

و لما ألقى السامعون لهذا الحديث أسماعهم، فكانوا جديرين بأن يزيد المحدث لهم إقبالهم و انتفاعهم[2]، لفت إليهم الخطاب قائلا: ﴿و جعل﴾ أي بما ركب في البدن من الأسباب ﴿لكم السمع﴾ [أي -[3]] تدركون به المعاني المصوتة، [4]و وحده لقلة[4] التفاوت فيه إذا[5] كان سالما ﴿و الابصار﴾ تدركون بها[6] المعاني و الأعيان القابلة، [و لعله قدمها لأنه ينتفع بهما حال الولادة، و قدم السمع لأنه يكون إذ ذاك أمتن من البصر. و لذا تربط القوابل العين لئلا يضعفها النور، و أما العقل فانما يحصل بالتدريج فلذا أخر محله فقال -[7]]: ﴿و الافئدة﴾ أي المضغ[8] الحارة المتوقدة المتحرقة، و هي القلوب المودعة غرائز العقول المتباينة فيها أيّ تباين؛ قال الرازي في اللوامع: جعله - أي[9] الإنسان - مركبا من روحاني و جسماني[10]، و علوي و سفلي، جمع فيه بين العالمين بنفسه[2] و جسده، و استجمع الكونين بعقله و حسه، و ارتفع عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به [11]وحيا قوليا، و سلم[11] الأمر لمن له الخلق و الأمر

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: اهل (٢) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: وحدها لقوة (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: اذ (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: به (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: المتسع - كذا (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م ومد، و في الأصل: حيواني (١١-١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: و خلق السماء يسلم.

تسليما اختيارا طوعيا . و [لما ـ[1]] لم يتبادروا إلى الإيمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال : ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ أى و كثيرا ما تكفرون .

و لما كانوا قد قالوا : محمد ليس برسول ، و الإله ليس بواحد ، و البعث ليس بممكن ، [2]فدل على صحة الرسالة بنفي الريب عن الكتاب ، ثم على الوحدانية بشمول القدرة و إحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم ، و[3] ختم بالتعجيب من كفرهم ، [4]وكان[4] استبعادهم للبعث ـ الذى هو الأصل الثالث ـ من أعظم كفرهم ، قال معجبا منهم فى[5] إنكاره بعد التعجيب فى قوله "أم يقولون افترئه". لافتا عنهم الخطاب إيذانا بالغضب من قولهم : ﴿ و قالوآ ﴾ منكرين لما ركز[6] فى الفطر الأُوَل[7]، و نبهت[8] عليه الرسل ، فصار[9] بحيث لا ينكره عاقل ألم[10] بشيء من الحكمة : ﴿ ءاذا ﴾ أى أنبعث [إذا ـ[1]] ﴿ ضللنا ﴾ أى ذهبنا و بطلنا و غبنا ﴿ فى الارض ﴾ بصيرورتنا ترابا مثل ترابها ، لايتميز بعضه من بعض : قال أبو حيان تبعا[11] للبغوى و الزمخشرى و ابن جرير الطبرى و غيرهم : و أصله من ضل الماء فى اللبن ـ إذا ذهب[11]. ثم كرروا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « من كفرهم » ساقطة من م (٣) سقط من ظ (٤ ـ ٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل : فان (٥) فى ظ: من. (٦) من م ومد . وفى الأصل وظ : ذكر (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الاولى (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل : المحت (٩) فى ظ ومد : فصارت. (١٠) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (١١) فى ظ و م و مد : فيه ، و ليست الزيادة فى البحر المحيط ٧ / ٢٠٠ .

لاستفهام الإنكارى زيادة فى الاستبعاد فقالوا : ﴿ ءانا لفى خلق جديد ؁﴾ هو محيط بنا و نحن مظروفون له .

و لما كان قولهم هذا يتضمن إنكارهم القدرة ، و كانوا يقرون بما يلزمهم منه الإقرار بالقدرة على البعث من خلق الخلق / و الإنجاء من ١٩٧ / كل كرب و نحوَ ذلك ، اشار إليه بقوله : ﴿ بل ﴾ أى ليسوا[1] بمنكرين لقدرته سبحانه ، بل ﴿ هم بلقآئ ربهم ﴾ المحسن بالإيجاد و الإبقاء مسخرا لهم كل ما ينفعهم فى الآخرة للحساب احياء سويين كما كانوا فى الدنيا ، و الإشارة بهذه الصفة إلى أنه لايحسن بالمحسن أن ينغص[2] إحسانه بترك القصاص[3] من الظالم الكائن فى القيامة ﴿ كفرون ؁ ﴾ أى منكرون للبعث عنادا ، ساترون لما فى طباعهم من أدلته ، لما غلب عليهم من الهوى القائد لهم إلى أفعال منعهم من الرجوع عنها الكبرُ عن قبول الحق و الأنفة من الإقرار بما يلزم منه نقص العقل .

و لما ذكر استبعادهم ، و أتبعه عنادهم ، و كان إنكارهم[4] إنما هو بسبب اختلاط الأجزاء بالتراب بعد انقلابها ترابا ، فكان عندهم من المحال تميزها من بقية التراب ، دل على أن ذلك عليه[5] هين بأن نبههم[6] على ما هم مقرون به مما هو مثل ذلك بل أدق ، فقال مستأنفا : ﴿ قل ﴾ أى

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينقض (٣) زيد فى ظ و مد : الكائن (٤) فى ظ : انكاره (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تنبههم .

جوابا لهم عن شبهتهم: ﴿يتوفّكم﴾[1] أى يقبض أرواحكم كاملة من أجسادكم بعد أن كانت مختلطة بجميع [أجزاء -[2]] البدن، لا تميز لأحدهما عن الآخر بوجه تعرفونه بنوع حيلة ﴿ملك الموت﴾ ثم أشار إلى أن فعله بقدرته، و أن ذلك[3] عليه فى غاية السهولة، ببناء[4] الفعل لما لم يسم فاعله فقال: ﴿الذى وكل بكم﴾ أى وكله الخالق لكم بذلك، و هو عبد من عبيده، ففعل ما أمر به، فاذا البدن ملقى لا روح فى شىء منه و هو على حاله كاملا[5] لا نقص فى شىء منه يدعى الخلل بسببه، فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده صرفه فى ذلك فقام به على ما ترونه مع أن ممازجة الروح للبدن أشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب لأنه ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم و نحوه، فكيف يستبعد شىء من الأشياء على رب العالمين، و مدبر الخلائق أجمعين؟

فلما قام هذا البرهان القطعى الظاهر مع دقته لكل أحد على قدرته التامة على تميز ترابهم من تراب الأرض، و تميز بعض ترابهم من بعض، و تميز تراب كل جزء من أجزائهم جل أو دق[6] عن بعض، علم أن التقدير: ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم أول مرة، فحذفه كما هو

(١) تكرر فى ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بناه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كاول (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

عادة القرآن فى حذف كل ما دل عليه السياق و لم يدع داع إلى ذكره[1] فعطف عليه قوله: ﴿ ثم الي ربكم ﴾ أى الذى ابتدأ خلقكم و تربيتكم وأحسن إليكم غاية الإحسان ابتداء، لا إلى غيره، بعد إعادتكم ﴿ ترجعون ؏ ﴾ بأن يبعثكم كنفس واحدة فاذا أنتم بين يديه، فيتم إحسانه و ربوبيته بأن يجازى كلا[2] بما فعل، كما هو دأب الملوك مع عبيدهم، لايدع أحد[3] منهم الظالم من عبيده مهملا.

و لما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه و لا لبس، شرع يقص[4] بعض أحوالهم عند ذلك، فقال عادلا عن خطابهم استهانة [بهم -[5]] و إيذانا بالغضب، و خطابا للنبى صلى الله عليه و سلم تسلية له، أو لكل من يصح خطابه، عاطفا على ما تقديره: فلو رأيتهم و قد بعثرت القبور، و حصل ما فى / الصدور. و هناك[6] أمور أى أمور، موقعا[7] المضارع فى حيز[7] ما / ١٩٨ من شأنه الدخول على الماضى، لأنه لتحقق[8] وقوعه كأنه قد كان، و اختير التعبير به لترويح النفس بترقب رؤيته حال[9] سماعه، تعجيلا للسرور بترقب المحذور لأهل الشرور: ﴿ و لو ترى ﴾ أى تكون أيها الرائى من أهل الرؤية لترى حال المجرمين ﴿ اذ المجرمون ﴾ أى القاطعون لما أمر الله

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذكر (٢) فى ظ: كل - كذا (٣) من م و مد، و فى الأصل وظ: أحدا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى. (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: هال (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للمضارع مع خبر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تحقق (٩) من م و مد، و فى الأصل: بحال من، و فى ظ: حال من.

به أن يوصل بعدا[1] أن وقفوا بين يدى ربهم ﴿ ناكسوا رءوسهم ﴾ أى مطاطؤها[2] خجلا و خوفا و خزيا[3] و ذلا [4]فى محل المناقشة[4] ﴿عند ربهم[5]﴾ المحسن إليهم المتوحد بتدبيرهم، قائلين بغاية الذل و الرقة: ﴿ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ ابصرنا ﴾ ما كنا نكذب به ﴿ و سمعنا ﴾ أى[5] منك و من ملائكتك و من أصوات النيران و غير ذلك ما كنا نستبعده، فصرنا على غاية العلم[6] بتمام قدرتك و صدق وعودك[7] ﴿ فارجعنا ﴾ بما لك من هذه الصفة المقتضية للاحسان، إلى دار الأعمال ﴿نعمل صالحا﴾ ثم حققوا هذا الوعد بقولهم على سبيل التعليل مؤكدين لأن حالهم كان حال الشاك الذى يتوقف المخاطب فى إيقانه: ﴿ انا موقنون ۝﴾ أى ثابت [الآن -[8]] لنا الإيقان[9] بجميع ما أخبرنا به عنك مما كشف عنه العيان، اى لو رأيت[10] ذلك لرأيت أمرا لا يحتمله من هوله و [11]عظمه عقل[11]، و لا يحيط به وصف.

و لما لم يذكر لهم جوابا[12]، علم أنه لهوانهم، لأنه ما جرأهم على[13]

(١) فى ظ: بل (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مطاطيون (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حزنا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٧) فى ظ: وعدك (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الايمان (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رأيته. (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عقله (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حواب (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى.

العصيان إلا صفة الإحسان. فلا يصلح لهم إلا الخزى و الهوان، و لأن[1] الإيمان لايصح إلا بالغيب[2] قبل العيان.

و لما كان ربما وقع فى وهم أن ضلالهم مع الإمعان فى البيان، لعجز عن هدايتهم أو توان، قال[3] عاطفا [على [4]] ما تقديره: إنى[5] لا أردكم لأنى لم أضلكم فى الدنيا للعجز عن هدايتكم فيها، بل لأنى لم أرد إسعادكم، و لو شئت لهديتكم، [صارفا القول إلى مظهر العظمة لا قتضاء المقام لها -[4]]: ﴿و لو شئنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى تأبى[6] أن يكون لغيرنا شىء يستقل به [7]أو يكون[7] فى ملكنا ما لا نريد ﴿لأتينا كل نفس﴾ أى مكلفة لأن الكلام فيها ﴿هدٰيها﴾ أى جعلنا هدايتها و رشدها و توفيقها للايمان و جميع ما يتبعه من صالح الأعمال فى يدها متمكنة منها.

و لما استوفى الأمر حده من العظمة، لفت الكلام إلى الإفراد، دفعا للتعنت و تحقيقا لأن المراد بالأول العظمة فقال: ﴿و لٰكن﴾ أى لم أشأ ذلك لأنه ﴿حق القول منى﴾ و أنا من[8] لا يخلف الميعاد، لأن الإخلاف إما لعجز أو نسيان أو حاجة و لا شىء من ذلك يليق بجنابى، أو يحل بساحتى، و أكد لأجل إنكارهم فقال مقسما: ﴿لاملئنّ جهنم﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالمغيب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانى (٦) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممن.

التى هى محل إهانتى و تجهم أعدائى بما تجهموا أوليائى ﴿من الجنة﴾ أى الجن طائفة إبليس ، وكأنه أنثهم[1] تحقيرا لهم عند من يستعظم أمرهم لما دعا[2] إلى تحقيرهم من مقام الغضب[3] و بدأ بهم لاستعظامهم لهم[4] و لأنهم الذين أضلوهم ﴿و الناس اجمعين ﴾ حيث قلت لإبليس : " لاملئن جهنم منك و ممن تبعك منهم اجمعين " فلذلك شئت كفر الكافر و عصيان
/١٩٩ العاصى / بعد أن جعلت لهم اختيارا ، و غيبت العاقبـة عنهم ، فصار الكسب ينسب إليهم[5] ظاهرا ، و الخلق فى الحقيقة و المشيئة لى[3] .

و لما تسبب عن هذا القول الصادق أنه لا محيص عن عذابهم ، قال مجيبا[6] لترقبهم إذ ذاك نافيا لما[7] قد يفهمه كلامهم من أنه[8] محتاج إلى العبادة : ﴿ فذوقوا ﴾ أى[3] ما كنتم تكذبون به منه بسبب ما حق منى من القول ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ نسيتم لقآء يومكم ﴾ [و أكده ـ[9]] و بين لهم[10] بقوله : ﴿هذا ج﴾ أى عملتم ـ فى الإعراض عن الاستعداد لهذا الموقف الذى تحاسبون فيه و يظهر فيه العدل ـ عمل الناسى له مع أنـه مركوز فى طباعكم[11] أنه لا يسوغ لذى علم و حكمة أن يدع عبيده

---

(١) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعاهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى م : إياهم (٥) سقط من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : معجبا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٨) زيد فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ذلهم . (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : طباعهم .

يمرحون فى أرضه و يتقلبون فى رزقه، ثم لا يحاسبهم[1] على ذلك و ينصف مظلومهم، فكان الإعراض عنه مستحقا لأن يسمى نسيانا من هذا الوجه أيضا، و من جهة أنه لما ظهر له من البراهين ما ملأ الأكوان صار كأنه ظهر و روى ثم نسى. ثم علل ذوقهم لذلك أو[2] استأنف لبيان المجازاة به مؤكدا فى مظهر العظمة قطعا لأطماعهم فى الخلاص، و لذا عاد[3] إلى مظهر العظمة فقال: ﴿ انا نسينكم ﴾ أى عاملناكم بما لنا من العظمة و لكم من الحقارة معاملة[4] الناسى لكم، فأوردناكم النار كما أقسمنا أنه ليس أحد إلا يردها، ثم أخرجنا أهل ودنا و تركناكم[5] فيها [تركـ -[6]] المنسى.

و لما كان ما تقدم من أمرهم بالذوق مجملا، بينه بقوله مؤكدا له[7]: ﴿ و ذوقوا عذاب الخلد ﴾ أى المختص بأنه لا آخر له. و لما كان قد خص [السبب -[6]] فيما مضى، عم هنا فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ تعملون ه ﴾ من أعمال من لم يخف أمر البعث ناوين أنكم لا تنفكون عن ذلك.

و لما كان قوله تعالى "بل هم بلقاء ربهم كفرون" قد أشار إلى أن الحامل لهم على الكفر الكبر، و ذكر سبحانه أنه قسم الناس قسمين

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يحاسبون - كذا (٢) فى ظ و مد «و».
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م: اعاد (٤) تقدم فى الأصل على «بما لنا»، و الترتيب من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تركنا.
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم.

لأجل الدارين. تشوفت النفس إلى ذكر علامة أهل الإيمان كما ذكرت علامة أهل الكفران، فقال معرفا أن المجرمين لاسبيل إلى إيمانهم "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه": ﴿ انما يؤمن بٰايٰتنا ﴾ الدالة على عظمتنا ﴿ الذين اذا ذكروا بها ﴾ من أيّ مذكر كان، في أيّ وقت كان، قبل كشف الغطاء و بعده ﴿ خروا سجدا ﴾ أي بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد، خضعا لله من شدة تواضعهم و خشيتهم و إخباتهم له خضوعا ثابتا دائما ﴿ و سبحوا ﴾ أي أوقعوا التنزيه عن كل شائبة نقص من ترك البعث المؤدي إلى تضييع الحكمة و من غيره متلبسين[1] ﴿ بحمد ﴾[2] و لفت الكلام إلى الصفة المقتضية لتنزيههم وحمدهم تنبيها لهم فقال[2]: ﴿ ربهم ﴾ أي باثباتهم له الإحاطة بصفات الكمال. و لما تضمن هذا تواضعهم، صرح به في قوله: ﴿ و هم لايستكبرون السجدة ﴾ أي لا يحدثون طلب الكبر عن شيء مما دعاهم إليه[3] الهادي و لايوجدونه[3] خلقا لهم راسخا في ضمائرهم.

/٢٠٠ و لما كان المتواضع ربما نسب إلى الكسل، نفى ذلك/ عنهم بقوله مبينا[4] لما تضمنته[4] الآية السالفة من خوفهم: ﴿ تتجافى ﴾ أي ترتفع ارتفاع مبالغ في الجفاء ـ بما أشار إليه[5] الإظهار، و بشر بكثرتهم بالتعبير[6]

(١) في م و مد: ملتبسين (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «في قوله»، و الترتيب من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: ادعا ولا يحدثونه ـ كذا (٤-٤) من ظ وم ومد. وفي الأصل: تضمنت (٥) زيد في ظ و مد: من (٦) من ظ وم و مد، و في الأصل: بالتبصير.

بجمع الكثرة فقال: ﴿ جنوبهم ﴾ بعد النوم ﴿ عن المضاجع ﴾ أى الفرش الموطأة الممهدة التى هى [محل -[1]] الراحه و السكون و النوم[2]، فيكونون عليها كالملسوعين، لا يقدرون على الاستقرار عليها، فى الليل الذى هو موضع [3]الخلوة و محط اللذة[3] و السرور بما تهواه النفوس، [قال الإمام السهروردى فى الباب السادس و الأربعين من عوارفه عن المحبين: قيل: نومهم نوم الفرقى، و أكلهم أكل المرضى، و كلامهم ضرورة، فمن نام عن غلبة بهمّ مجتمع متعلق بقيام الليل وفق لقيام الليل، و إنما النفس إذا طمعت و وطنت على النوم استرسلت فيـــه، و إذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل فى الاستقرار، و هذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله، لأن الهم بقيام الليل و صدق العزيمة يجعل بين الجنب و المضجع سواء و تجافيا -[4]].

و لما كان هجران[5] المضجع قد يكون لغير العبادة، بين أنه لها، فقال مبينا لحالهم: ﴿يدعون﴾ أى على سبيل الاستمرار، [6]و أظهر الوصف الذى جرأهم على السؤال فقال[6]: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى عودهم باحسانه؛ ثم علل دعاءهم بقوله: ﴿خوفا﴾ أى من سخطه و عقابه، [فان أسباب الخوف من نقائصهم كثيرة سواء عرفوا سببا يوجب خوفا أو لا، فهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اللذة و محط الخلوة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بجزان (٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «دعاءهم بقوله». و الترتيب من ظ و م و مد.

لا يأمنون مكره لأن له أن يفعل ما يشاء –[1]] ﴿ و طمعا ﴾ أى فى رضاه الموجب لثوابه، و عبر بـــه دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون أعمالهم شيئا بل يطلبون فضله بغير سبب. [و إذا كانوا يرجون رحمته بغير سبب فهم مع السبب أرجى، فهم لا ييأسون من روحه –[1]] .

و لما كانت العبادة تقطع عن التوسع فى الدنيا، فربما دعت نفس[2] العابد إلى التمسك بما فى يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة لتشوش الفكر و الحركة لطلب الرزق[3]، حث على الإنفاق منه اعتمادا على الخلاق الرزاق الذى ضمن الخلف[4] ليكونوا بما ضمن لهم أوثق منهم بما عندهم، و إيذانا بأن الصلاة سبب للبركة فى الرزق "و امر اهلك بالصلوٰة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك"، فقال لفتا إلى مظهر العظمة تنبيها على أن الرزق منه وحده: ﴿ و مما رزقنهم ﴾ أى بعظمتنا، لا بحول منهم و لا قوة ﴿ ينفقون ۝ ﴾ من غير إسراف و لا تقتير فى جميع وجوه[5] القرب التى شرعناها لهم.

و لما ذكر جزاء المستكبرين، فتشوفت النفس إلى جزاء المتواضعين، أشار إلى جزائهم بفاء السبب، إشارة إلى أنه هو الذى وفقهم لهذه الأعمال برحمته، و جعلها سببا إلى دخول جنتـــه. و لو شاء لكان

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ و م و مد: النفس.
(٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخلق (٥) فى ظ: الوجوه.

غير ذلك [فقال -[1]]: ﴿فلا تعلم نفس﴾ أي من جميع النفوس مقربة و لا غيرها ﴿مآ اخفى لهم﴾ أي لهؤلاء المتذكرين[2] من العالم بمفاتيح الغيوب و خزائنها كما كانوا يخفون أعمالهم بالصلاة في جوف الليل و غير ذلك و لا يراؤن بها، و لعله بني للمفعول في قراءة الجماعة[3] تعظيما له بذهاب الفكر في المخفي كل مذهب، أو[4] للعلم بأنه[5] الله تعالى الذي أخفوا توافل أعمالهم لأجله، و سكن حمزة الياء على [6]أنه للتكلم[6] سبحانه لفتا لأسلوب العظمة إلى أسلوب الملاطفة، و السر مناسبته لحال الأعمال.

و لما كانت العين لا تقر فتهجع إلا عند الأمن و السرور قال: ﴿من قرة اعين ج﴾ أي من شيء نفيس سار تقر به أعينهم لأجل ما أقلعوها[7] عن قرارها بالنوم؛ ثم صرح بما أفهمته فاء السبب فقال: ﴿جزآء﴾ أي أخفاها لهم لجزائهم ﴿بما كانوا﴾ [أي -[8]] بما هو لهم كالجبلة ﴿يعملون ٥﴾ روى البخاري في التفسير[9] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: قال الله عز و جل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم "فلا تعلم نفس[10]" - الآية.

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: التذكرون.
(٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٥٨ (٤) في ظ: أي (٥) من مد، وفي الأصل وظ وم: بان (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: انها التكلم (٧) في م: اقلقوها.
(٨) زيد من ظ (٩) راجع صحيحه ٢/٧٠٤ (١٠) زيد في ظ: ما اخفى لهم، و زيد في الصحيح: ما اخفي لهم من قرة اعين.

/٢٠١ و لما كانوا أهل / بلاغة و لسن، و براعة: و جدل، فكان ربما قال متعنتهم: ما له إذا كان ما تزعمون من أنه لايبالى بشىء و لا ينقص من خزائنه شىء و هو العزيز الرحيم، لايسوى بين الكل فى إدخال الجنة، و المن بالنعيم فيعمهم بالرحمة الظاهرة كما عمهم بها فى الدنيا كما هو دأب المحسنين؟ تسبب عن ذلك أن قال منكرا لذلك مشيرا إلى أن المانع منه خروجه عن الحكمة، فان تلك دار الجزاء، و هذه دار العمل، فبينهما[1] بون: ﴿افمن كان﴾ أى كونا كأنه من رسوخه جبلى ﴿مؤمنا﴾ أى راسخا فى التصديق العظيم بجميع ما أخبرت به الرسل ﴿كمن كان﴾ [و لما كان السياق منسوقا على دليل "ما لكم من دونه من ولى و لاشفيع" - الآية، فكان الكافر خارجا عن محيط ذلك الدليل الذى لا يخفى بوجه على أحد له سمع و بصر و فؤاد، اقتضى الحال التعبير بالفسق الذى هو الخروج عن محيط فقال -[2]]: ﴿فاسقا[3]﴾ أى راسخا فى الفسق خارجا عن دائرة الإذعان.

و لما توجه الاستفهام[3] إلى كل من اتصف بهذا الوصف، و كان الاستفهام إنكاريا، عبر عن معناه مصرحا بقوله: ﴿لا يستوٗن﴾ إشارة - بالحمل على لفظ «من» مرة[4] و معناها أخرى - إلى أنه لايستوى جمع من هؤلاء بجمع من أولئك و لا فرد بفرد.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فبينها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاذعان (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مر.

و لما

و لما نفى استواءهم، أتبعه حال كل على سبيل التفصيل معبرا بالجمع لأن الحكم بارضائه و إسخاطه يفهم الحكم على الواحد منه[1] من باب الأولى فقال: ﴿ اما الذين امنوا و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت فلهم جنت المأوى ﴾ أى الجنات المختصة دون الدنيا التى هى دار ممر، دون النار التى هى دار مفر لا مقر، بتأهلها للمأوى الكامل فى هذا الوصف بما أشار[2] إليه «ال» ثابتون فيها لا يبغون عنها حولا، كما تبوؤا الإيمان الذى هو أهل للاقامه فيه فلم يبغوا[3] به بدلا ﴿ نزلا ﴾ أى عدادا لهم أول قدومهم فى قول الحسن و عطاء، و هو أوفق للمقام كما يعد للضيف على ما لاح ﴿ بما كانوا ﴾ جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ دائما على وجه التجديد، فان أعمالهم [4]من رحمة[4] ربهم، فاذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك! و[5] هو لعمرى ما أشار إليه [قوله - [6]] صلى الله عليه و سلم «ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» و هم كل لحظة فى زيادة لأن[7] قدرة الله لا نهاية لها، فاياك أن يخدعك خادع أو يغرك ملحد ﴿ و اما الذين فسقوا ﴾ أى خرجوا عن دائرة الإيمان الذى هو معدن التواضع و أهل للصاحبة و الملازمة ﴿ فمأوىهم النار ﴾ أى التى[8] لا صلاحية فيها للاواء[9] بوجه

---

(١) فى ظ «و»، و الكلمة ساقطة من مد (٢) فى ظ وم ومد: اشارت (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: فلم يباغوا (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رحمة من (٥) سقطت الواو من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بأن (٨) فى ظ: الذى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للادواء.

من الوجوه أصلا .

و لما كان السامع جديرا بالعلم بأنهم يجتهدون فى الخلاص منها، قال مستأنفا لشرح[١] حالهم: ﴿ كلمآ ارادوآ ﴾ [أى -[٢]] و هم مجتمعون فكيف إذا أراد بعضهم ﴿ان يخرجوا منهآ ﴾ و هذا يدل على أنه يزاد فى عذابهم بأن يخيل إليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون [بفسوقهم من محيط الأدلة و -[٣]] من دائرة الطاعات إلى[٤] بيداء المعاصى و الزلات، فيعالجون الخروج فاذا ظنوا أنه تيسر لهم و هم بعد فى غمراتها ﴿ اعيدوا ﴾ بأيسر أمر و أسهله من أى من أمر بذلك ﴿ فيها[٥] ﴾ إلى المكان الذى كانوا فيه أولا، و لايزال هذا دابهم أبدا ﴿ و قيل ﴾ أى من أىّ قائل وكل بهم ﴿ لهم ﴾ أى عند الإعادة إهانة لهم: ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ .

و لما وصف عذابهم فى النار كان أحق بالوصف عند بيان سبب الإهانة بالأمر بالذوق مع أنـه أحق من حيث كونه مضافا محدثا عنه فقال: ﴿ الذى كنتم ﴾ أى كونا هو لكم كالجبلات، و أشار إلى أن تكذيبهم بـه يتلاشى عنده كل / تكذيب، فكأنه مختص فقال: ٢٠٢ / ﴿ به تكذبون ۝ ﴾ فان الإعادة بعد معالجة الخروج أمكن فى التصديق باعتبار التجدد فى كل آن .

---

(١) فى ظ وم و مد: شرح (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٥) وقع فى الأصل بعد «اعيدوا»، و الترتيب من ظ و م و مد .

و لما كان المؤمنون الآن يتمنون إصابتهم بشيء[1] من الهوان في هذه الدار، لأن نفوس البشر مطبوعة على العجلة، بشرهم بذلك على وجه يشمل[2] عذاب القبر، فقال مؤكدا [له -[3]] لما عندهم من الإنكار لعذاب ما بعد الموت و للإصابة[4] في الدنيا بما لهم من الكثرة و القوة: ﴿ و لنذيقنهم ﴾ أي أجمعين بالمباشرة و التسبيب[5]، بما لنا من العظمة التي تلاشى عندها[6] كثرتهم و قوتهم ﴿ من العذاب الادنى ﴾ أي قبل يوم القيامة، بأيديكم و غيرها، و قد صدق الله قوله، و قد كانوا عند نزول هذه السورة بمكة المترفة في غاية الكثرة و النعمة، فأذاقهم الجدب سنين متوالية، و فرق شملهم و قتلهم و أسرهم بأيدي المؤمنين إلى غير ذلك بما أراد سبحانه؛ ثم أكد الإرادة لما قبل الآخرة و حققها بقوله، معبرا بما يصلح للغيرية[7] و السفول: ﴿ دون العذاب الاكبر ﴾ أي الذي مر ذكره في الآخرة ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن فسقه عند من ينظره، و قد كان ذلك، رجع كثير[8] منهم خوفا من السيف، فلما رأوا محاسن الإسلام كانوا من أشد الناس[9] فيه رغبة[9] و له حبا.

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: لشيء (٢) في ظ: شمل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: الاصابة (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: التسبب (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: عندهما. (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: الغيرة (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: كثيرا (٩-٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: رغبة فيه.

و لما كان التقدير: يرجعون [عن - ¹] ظلمهم فانهم ظالمون ، عطف عليه [قوله - ¹]: ﴿ و من اظلم ﴾ منهم ، هكذا [كان - ¹] الأصل ، و لكنه أظهر الوصف الذى صاروا به أظلم فقال : ﴿ ممن ذكر ﴾ أى من أىّ مذكر كان ؛ و صرف القول إلى صفة الإحسان استعطافا و تنبيها على وجوب الشكر فقال : ﴿ بآيت ربه ﴾ أى الذى لا نعمة عنده إلا منه .

و لما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات ، فكان الإعراض عنها مستبعدا بعده² ، عبر عنه بأداة البعد لذلك فقال : ﴿ ثم اعرض عنها ﴾ ضد ما عمله الذين³ لم يتمالكوا أنهم خروا سجدا ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون " ثم " على بابها التراخى ، ليكون المعنى أنه من وقع له التذكير بها فى وقت ما ، فأخذ يتأمل فيها ، ثم أعرض عنها بعد ذلك و لو بألف عام فهو أظلم الظالمين ، و يدخل فيه ما دون ذلك من باب الأولى لأنه أجدر بعدم² النسيان ، فهى أبلغ من التعبير بالفاء كما فى سورة الكهف ، و يكون عدل إلى الفاء هناك شرحا لما يكون من حالهم ، عند بيان سؤالهم ، الذى جعلوا بيانه آية الصدق ، و العجز عنه آية الكذب .

و لما كان الحال مقتضيا للسؤال عن جزائهم ، و [كان - ¹] قد أفرد الضمير باعتبار لفظ " من " تنبيها على قباحة الظلم من كل فرد ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعلم (٣) فى ظ : الذى .

قال جامعا لأن إهانة الجمع دالة على إهانة الواحد من باب الأولى، مؤكدا لأن إقدامهم على التكذيب كالإنكار لأن تجاوزوا عليه، صارفا[1] وجه الكلام عن صفة الإحسان إيذانا بالغضب: / ﴿إنا﴾ منهم، هكذا كان / ٢٠٣ الأصل، ولكنه أظهر الوصف نصا في التعميم وتعليقا للحكم به معينا لنوع ظلمهم تبشيعا له فقال: ﴿من المجرمين﴾ [أي -[2]] القاطعين[3] لما يستحق[4] الوصل خاصة ﴿منتقمون ع﴾ وعبر بصيغة العظمة تنبيها على أن الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العداد في الظالمين، [5]فكيف وقد كانوا[5] أظلم الظالمين؟ والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم في الدنيا إما باطنا بالاستدراج بالنعم، وإما ظاهرا بإحلال النقم، وفي الآخرة بدوام العذاب على مر[6] الآباد.

ولما كان مقصود السورة نفي الريب عن تنزيل هذا الكتاب المبين في أنه من عند رب العالمين، ودل على أن الإعراض عنه إنما هو ظلم وعناد بما ختمه بالتهديد على الإعراض عن[7] الآيات بالانتقام، و[كان -[2]] قد انتقم سبحانه من استخف[8] بموسى عليه السلام قبل إنزال الكتاب عليه وبعد إنزاله، وكان أول من أنزل عليه كتاب[9]

(1) في م: لافتا (2) زيد من ظ وم ومد (3) زيد في الأصل: الظالمين، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (4) زيد في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (5-5) في ظ: فكانوا، وفي مد: فكيف اذا كانوا (6) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مني (7) في ظ: من (8) من ظ وم ومد، وفي الاصل: اسخف (9) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الكتاب.

من بنى إسراءيل بعد فترة كبيرة[1] من الأنبياء بينه و بين يوسف عليهما السلام و آمن به جميعهم و ألفهم[2] الله به و أنقذهم من أسر القبط على يده، ذكر بحاله[3] تسلية و تأسية لمن أقبل و تهديدا لمن أعرض، و بشارة بإيمان العرب كلهم و تأليفهم[4] به و خلاص أهل اليمن منهم من أسر الفرس بسببه، فقال مؤكدا تنبيها لمن يظن أن العظيم لا يرد شيء من أمره: ﴿ و لقد ءاتينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتٰب ﴾ [أى الجامع للأحكام - ٥] و هو التوراة .

و لما كان ذلك مما لاريب فيه أيضا، و كان قومه قد تركوا اتباع كثير منه لا سيما فيما قص من صفات نبينا صلى الله عليه و سلم و فيما أمر فيه باتباعه[6]، و كان هذا إعراضا منهم مثل إعراض الشاك[7] فى الشيء، و كانوا فى زمن موسى عليه السلام أيضا يخالفون أوامره وقتا بعد وقت و حينا إثر[8] حين[9]، تسبب عن الإيتاء المذكور قوله [10]تعريضا بهم[10] و إعلاما بأن العظيم قد يريد [رد - ٥] بعض أوامره لحكمة دبرها: ﴿ فلا تكن ﴾ أى كونا راسخا - بما أشار إليه فعل الكون و إثبات نونه،

(١) فى مد : كثيرة (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انعم (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل : بحا - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تالفهم. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باتباع . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشان (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد (٩) زيد بعده فى الأصل : واثرا بعد اثر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعرض به .

فيفهم العفو عن حديث النفس الواقع من الأمة على ما بينه صلى الله عليه و سلم ﴿في مرية﴾ أى شك ﴿من لقآئه﴾ أى لا تفعل فى ذلك فعل الشاكّ فى لقاء موسى عليه السلام [للكتاب -[1]] منا و تلقيه له بالرضا و القبول و التسليم ، كما فعل المدعون لاتباعه و العمل بكتابه فى الإعراض عما دعاهم إليه من دين الإسلام ، أو لا تفعل فعل الشاك فى لقائك الكتاب منا و إن نسبوك إلى الافتراء و إن[2] تأخر بعض ما يخبر به فسيكون هدى لمن بقى منهم ، و عذابا للماضين[3] ، و لا يبقى خبر ما أخبر به أنه كائن إلا كان طبق ما أخبر به ، فانك لتلقاه[4] من لدن[5] حكيم عليم . و قد صبر موسى عليه السلام فى تلقى كتابه و دعائه حتى مات على أحسن الأحوال ، أو يكون المعنى : و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف [عليه -[6]] فيه فما شك[7] أحد من الثابتين فى إيتائنا إياه الكتاب لأجل إعراض من أعرض ، و لا زلزلة أدبار من أدبر ، و انتقمنا ممن أعرض عنه فلا يكن أحد ممن آمن بك فى شك من إيتائنا الكتاب لك / لإعراض من أعرض ، فسنهلك[8] من حكمنا بشقائه[9] انتقاما منه ، و نسعد الباقين به .

و لما أشار إلى إعراضهم عنه و إعراض العرب عن كتابهم ، ذكر أن الكل فعلوا بذلك الضلال ضد[10] ما أنزل له الكتاب ، فقال ممتنا على

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : انا (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : للعا - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمعاه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و ان (٦) زيد من م ومد (٧) فى ظ ومد : ظنك (٨) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فسنعجلك (٩) فى ظ و مد : بشقاوته (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عند .

بني إسراءيل و مبشرا للعرب : ﴿وجعلنه﴾ اى كتاب موسى عليه السلام جعلا يليق بعظمتنا ﴿هدى﴾ أى بيانا عظيما ﴿لبني اسرآءيل ج﴾ و أشار إلى اختلافهم فيه بقوله : ﴿و جعلنا منهم﴾ اى من أنبيائهم و أحبارهم بعظمتنا ، مع ما فى طبع الإنسان من اتباعَ الهوى ﴿ائمة يهدون﴾ أى يوقعون البيان و يعملون على حسبه ﴿بامرنا﴾ أى بما أنزلنا فيه من الأوامر ؛ ثم ذكر علة جعله ذلك لهم بقوله : ﴿لما صبروا قف﴾ أى بسبب صبرهم و لأجله ـ على قراءة حمزة و الكسائى[1] بالكسر و التخفيف ، او حين صبرهم على قبول أوامرنا[2] على قراءة الباقين بالفتح و التشديد ، و إن كان الصبر أيضا إنما هو بتوفيق الله لهم ﴿وكانوا بايتنا﴾ [3]لما لها[3] من العظمة ﴿يوقنون ه﴾ لايرتابون فى شىء منها و لا يفعلون فعل الشاك فيه بالإعراض ، و كان ذلك [لهم ـ[4]] جبلة جبلناهم عليها .

و لما أفهم قوله "منهم" أنه كان[5] منهم من يضل عن أمر الله و يصد عنه ، جاء قوله تسلية للمؤمنين و توعدا للكافرين ، استئنافا مؤكدا تنبيها لمن يظن أنه لا بعث ، و لفت القول إلى صفة الإحسان إشارة[6] إلى ما يظهر من شرفه صلى الله عليه و سلم [فى ذلك اليوم ـ[4]] من المقام المحمود و غيره : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بارسالك ليعظم[7]

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٦٥ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوامرها . (٣-٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : بما لنا (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد فى ظ : فريق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبشرا بشارة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتعظيم .

ثوابك

ثوابك و يعلي[1] ما بك ﴿ هو ﴾ أي وحده ﴿ يفصل بينهم ﴾ أي من الهادين و المضلين و الضالين ﴿ يوم القيمة ﴾ بالقضاء الحق، فيعلي أمر المظلوم و يردي كيد الظالم ﴿فيما كانوا﴾ جبلة و طبعا ﴿فيه﴾ [2]أي خاصة[2] ﴿ يختلفون ﴾ أي يجددون الاختلاف[3] فيه على سبيل الاستمرار حسب ما طبعوا[4] عليه، لايخفى عليه شيء منه، [5]و أما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو[6] عليهم لا بينهم. و ما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع في محل العفو.

و لما كان قد تقدم عن الكفار في هذه السورة قولان: أحدهما في التكذيب بالقرآن، و الثاني في إنكار البعث، و دل سبحانه على[7] فسادهما إلى أن ختم بذكر الآيات، و البعث و الفصل بين المحق و المبطل، أتبعه استفهامين إنكاريين منشورين على القولين، [و ختمت آية كل منهما بآخر، فتصير الاستفهامات أربعة -[8]]، و في مدخول الأول الفصل بين الفريقين في الدنيا. فقال مهددا: ﴿ او لم ﴾ أي ا يقولون[9] عنادا لرسولنا[10]: افتراه و لم ﴿ يهد ﴾ أي يبين - كما رواه البخاري[11] عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لهم كم اهلكنا﴾ أي كثرة من أهلكناه[12].

(١) من ظ و م و مد. و في الأصل: تعلي (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م. (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: الاخلاف (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: طبقوا (٥) العبارة من هنا إلى «محل العفو» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و في الأصل «و» (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: الى (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد. و في الأصل وظ: يقولون - بدون همزة الاستفهام (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: لرسلناه (١١) راجع صحيحه ٢/٤ ٧ (١٢) في ظ و مد: اهلكنا.

و لما كان قرب الشيء في الزمان أو المكان أدل، بين قربهم بادخال الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ أي لأجل معاندة الرسل ﴿من القرون﴾ الماضين من المعرضين عن الآيات، و نجينا من آمن بها، و [ربما - ١] كان قرب المكان منزلا ٢ منزلة قرب الزمان لكثرة التذكير بالآثار و التردد خلال الديار.

و لما كان انهماكهم في الدنيا الزائلة قد شغلهم عن التفكر فيما ينفعهم / عن المواعظ بالأفعال و الأقوال، أشار إلى ذلك بتصوير ٢٠٤ / اطلاعهم على ما لهم من الأحوال، بقوله: ﴿يمشون﴾ أي أنهم ليسوا بأهل للتفكر إلا حال المشي ﴿في مسٰكنهم﴾ لشدة ارتباطهم مع المحسوسات، و ذلك كمساكن عاد و ثمود و قوم لوط و نحوهم. و لما كان في هذا أتم عبرة و أعظم عظة، قال منبها عليه مؤكدا تنبيها على أن من لم يعتبر منكر ٣ لما فيه من العبر: ﴿ان في ذلك﴾ أي الأمر العظيم ﴿لأيٰت﴾ أي دلالات ظاهرات جدا، مرئيات في الديار و غيرها من الآثار، و مسموعات في الأخبار.

و لما كان السماع هو الركن الأعظم، [و كان إهلاك القرون إنما وصل إليهم بالسماع - ٤]، قال منكرا: ﴿ افلا يسمعون ﴾ أي أن أحوالهم لا يحتاج من ذكرت له في الرجوع عن الغيّ إلى غير سماعها.

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل و م: نازلا (٣) في ظ: منكرا (٤) زيد من ظ و م و مد.

فان لم يرجع فهو ممن لا سمع له ﴿او لم﴾ أى أيقولون[1] فى إنكار البعث : إذا ضللنا فى الأرض ، و لم ﴿ يروا انا﴾ [2]بما لنا من العظمة ﴿نسوق الماء﴾ [3]من السماء أو[4] الأرض ﴿الى الارض الجرز﴾ أى التى جرز نباتها أى قطع باليبس و التهشم ، أى[5] بأيدى الناس [6]فصارت ملساء لا نبت[6] فيها ، و فى البخارى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما : إنها التى لا تمطر إلا مطرا لا يغنى عنها شيئا ، قالوا : و [لا -[8]] يقال للتى لا تنبت كالسباخ : جزر ، و يدل عليه قوله : ﴿ فنخرج به ﴾ من أعماق الأرض ﴿ زرعا ﴾ أى نبتا لا ساق له باختلاط الماء بالتراب الذى كان زرعا قبل هذا . و أشار إلى أنه حقيقة ، لا مرية فيه ، و ليس هو بتخييل كما تفعل السحرة ، بقوله مذكرا بنعمة الإبقاء بعد الإيجاد : ﴿ تاكل منه ﴾ أى من حبه و ورقه و تبنه[9] و حشيشه ﴿انعامهم﴾ و قدمها لموقع الامتنان بها لأن بها قوامهم فى معايشهم و أبدانهم ، و لأن السياق لمطلق إخراج الزرع . و أول صلاحه إنما هو لأكل الأنعام بخلاف ما فى سورة عبس ، فان السياق لطعام الإنسان الذى هو نهاية الزرع حيث قال "فلينظر الانسان الى طعامه[10]" ثم قال "فانبتنا فيها[11] حبا" و ذكر من طعامه من العنب وغيره ما [لا -[8]] يصلح

---

(١) من م و مد ، وفى الأصل وظ : يقولون - بدون همزة الاستفهام (٢) زيد فى ظ : اى (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ وم ومد، و فى الأصل « و » (٥) سقط من م (٦-٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: فصار ملبسا لا ينبت (٧) راجع من صحيحه ٢/ ٧٠٤ . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ و مد : نبته (١٠) آية ٢٤ (١١) من آية ٢٧ ، و فى الأصول : به .

للأنعام ﴿ و انفسهم ﴾ أي من حبه، و أصله إذا كان بقلا .

و لما كانت هذه الآية [مبصرة، و كانت -[1]] في وضوحها في الدلالة على البعث لايحتاج الجاهل بـه في الإقرار سوى رؤيتها قال: ﴿افلا يبصرون ﴾ إشارة إلى أن من رآها و نبه على ما فيها من الدلالة و أصر على الإنكار [2]لا بصر له و لا بصيرة[2] .

و لما كانت هذه الآية أدل دليل - كما مضى - على البعث، [3]و كان يوما[3] يظهر فيه عز الأولياء و ذل الأعداء، أتبعها قوله تعجيبا منهم عطفا على[4] "يقولون افتراه" و نحوها: ﴿ و يقولون ﴾ أي مع هذا البيان الذي لا لبس معه استهزاء: ﴿متى هذا الفتح ﴾ اي النصر و القضاء و الفصل الذي يفتح المنغلق يوم الحشر ﴿ان كنتم﴾ أي كونا راسخا ﴿صٰدقين ﴾ أي عريقين في الصدق بالإخبار بأنه لابد من كونه لنؤمن إذا رأيناه .

و لما أسفر حالهم بهذا السؤال الذي محصله[5] الاستعجال على وجه الاستهزاء عن أنهم لايزدادون مع البيان إلا عنادا، أمرهم بجواب فيه أبلغ تهديد، فقال / فاعلا فعل القادر في الإعراض عن إجابتهم عن ٣٠٥ /
تعيين اليوم إلى[6] ذكر حاله: ﴿قل﴾ أي لهؤلاء اللد الجهلة: ﴿يوم الفتح﴾ [أي -[1]] الذي تستهزؤن به - و هو يوم القيامة - تبادرون إلى الإيمان بعد الانسلاخ مما[7] أنتم فيه من الشماخة و الكبر، فلا ينفعكم بعد العيان

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: ما بصر و لا بصير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد في ظ: ما (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: محطه (٦) من ظ و مد، و في الأصل و م: الذي (٧) في ظ و مد: بما.

و هو

[و هو معنى ـ[1]] ﴿لا﴾ ينفعكم ـ هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به فقال: ﴿ينفع الذين كفروآ﴾ أى غطوا آيات ربهم التى لاخفاء بها سواء فى ذلك أنتم و غيركم ممن اتصف بهذا الوصف ﴿ايمانهم﴾ لأنه ليس إيمانا بالغيب، و لكنه ساقه هكذا سوق ما هو معلوم ﴿ولا هم ينظرون ه﴾ أى يمهلون فى إيقاع العذاب [بهم ـ[1]] لحظة ما من منظر ما.

و لما كانت نتيجة سماعهم لهذه الأدلة استهزاؤهم حتى بسؤالهم عن يوم الفتح، و أجابهم سبحانه عن تعيينه بذكر حاله، و كان صلى الله عليه و سلم لشدة حرصه على نفعهم[2] ربما أحب إعلامهم بما طلبوا و إن كان يعلم أن ذلك [منهم ـ[1]] استهزاء رجاء أن ينفعهم نفعا ما، سبب سبحانه عن إعراضه عن إجابتهم، أمره لهذا الداعى الرفيق و الهادى الشفيق بالإعراض عنهم أيضا، فقال مسليا له مهددا لهم: ﴿فاعرض عنهم﴾ [أى ـ[1]] غير مبال بهم[3] و إن اشتد أذاهم ﴿و انتظر﴾ أى ما نفعل[4] بهم مما فيه إظهار أمرك[5] و إعلاء دينك. و لما كان الحال مقتضيا لتردد السامع فى حالهم هل هو الانتظار، أجيب على سبيل التأكيد بقوله: ﴿انهم منتظرون ه﴾ أى ما يفعل بك و ما يكون من عاقبة أمرك[5] فيما تتوعدهم به و فى غيره، و قد انطبق آخرها على أولها بالإنذار بهذا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفعه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهم (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تفعل (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

الكتاب، و أعلم بجلالته و جزالته و شدته و شجاعته أنه ليس فيه نوع ارتياب، و أيضا فأولها فى التكذيب بتنزيله، و آخرها فى الاستهزاء بتأويله، [" يوم ياتى تاويله - [1]] يقول الذين نسوه من قبل" - الآية [2]. و أيضا فالأول [3] فى التكذيب [3] بانزال الروح المعنوى، و الآخر فى
٥ التكذيب باعادة الروح العينى الحسى الذى ابتدأه أول مرة - و الله الهادى [4]إلى الصواب [4] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سورة ٧ آية ٥٣ (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالتكذيب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م .

سورة الأحزاب[١]

مقصودها الحث على الصدق فى الإخلاص فى التوجه إلى الخالق من [غير - [٢]] مراعاة بوجه ما للخلائق[٣]، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله، فهو يعلى من يشاء و إن كان ضعيفا، و يردى من يريد و إن كان قويا، فلا يهتمن[٤] الماضى [٥]لأمره برجاء[٥] لأحد منهم فى بره، و لا خوف منه فى عظيم شره و خفى مكره، و اسمها واضح فى ذلك بتأمل القصة التى أشار إليها و دل عليها ﴿ بسم الله ﴾ الذى مهما أراد كان ﴿ الرحمن ﴾ الذى سرت رحمته خلال الوجود، فشملت كل موجود، بالكرم و الجود ﴿ الرحيم ﴾ لمن توكل عليه بالعطف إليه.

لما[٦] ختمت التى قبلها بالإعراض عن الكافرين، و انتظار[٧] ما يحكم به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق أن تنزيل[٨] الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله، و النهى عن الشك فى لقائه، افتتح هذه بالأمر بأساس / ٢٠٦
ذلك، و النهى عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مساترين، و الأمر باتباع الوحى الذى أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون

(١) الثالثة و الثلاثون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ثلاث و سبعون قال الطبرسى : بالإجماع - راجع روح المعانى ٧ / ٢ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الخالق (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فلايضمن (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بامره ارجاه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و لما (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : انتظر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : هذا.

طاعة لله مع مراعاة تقواه فقال: ﴿يأيها النبى﴾ عبر بأداة التوسط إيماء إلى أن وقت نزول السورة ـ و هو آخر سنة خمس، غب وقعة الأحزاب ـ أوسط[1] مدة ما بعد الهجرة إلاحة إلى أنه لم يبق من أمد كمال النصرة التى اقتضاها وصف النبوة الدال على الرفعة إلا القليل. و عبر به لاقتضاء مقصود السورة مقام النبوة الذى هو بين الرب و عبده فى تقريبه[2] و إعلائه إلى جنابه إذا قرئ بغير همز، و إن قرئ به كان اللحظ إلى إنبائه بالخفى و تفصيله للجلى، و قال الحرالى فى كتاب له فى أصول الدين: حقيقة النبوة ورود[3] غيب ظاهر أى من الحق بالوحى لخاص من الخلق، خفى عن العامة منهم، ثم قد يختص مقصد ذلك الوارد المقيم لذلك الواحد بذاته، فيكون نبيا غير رسول[4]، و قد يرد عليه عند تمام أمره فى ذاته موارد إقامة غيره فيصير رسولا، و الرتبة الأولى كثيرة الوقوع فى الخلق، و هى النبوة، و الثانية قليلة الوقوع، فالرسل[5] معشار معشار الأنبياء، و للنبوة اشتقاقان: أحدهما [من -[6]] النبا و هو الخبر، و ذلك لمن اصطفى من البشر لرتبة السماع و الإنباء فنبئ[7] و نبأ غيره من غير أن يكون عنده حقيقة ما نبئ[8] به و لا ما نبأ

(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: او وسط (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: تقربه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و ورد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رسول (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فالراسل. (٦) زيد من ظ وم و مد (٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل: قبى - كذا. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نبا.

فيكون

فيكون حامل علم[1]، و الاشتقاق الثانى من النبوة و هى[2] الارتفاع و العلو، و ذلك لمن أعلى عن رتبة النبأ إلى رتبة العلم. فكان مطلعا[3] على علم ما ورد عليه من الغيب على حقيقته و كماله، فمن علا عن الحظ المتنزل العقلى إلى رتبة سماع، كان نبيئا بالهمز[4]، و من علا عن ذلك إلى رتبة علم بحقيقة ذلك كان نبيا غير مهموز، فآدم عليه السلام مثلا فى علم الأسماء نبى بغير همز، و فى ما وراءه نبىء بهمز، [و كذلك إبراهيم عليه السلام فيما ارى من الملكوت نبي غير مهموز، و فيما وراءه نبىء بهمز -[5]] - انتهى. و لم يناده سبحانه باسمه تشريفا لقدره، و إعلاء لمحله، و حيث سماه باسمه فى الأخبار فللتشريف من جهة أخرى، و هى تعيينه و تخصيصه إزالة للبس عنه، و قطعا لشبه التعنت.

و لما ناداه سبحانه بهذا الاسم الشريف المقتضى للانبساط، امره بالخوف فقال: ﴿ اتق الله ﴾ أى زد من التقوى يا أعلى الخلائق بمقدار ما تقدر عليه لذى الجلال كله و الإكرام، لئلا تلتفت[6] إلى شىء سواه، فانه أهل لأن يرهب لما له من خلال[7] الجلال، و العظمة و الكمال.

و لما وجه إليه الأمر بخشية الولى الودود، اتبعه النهى عن الالتفات

---

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ما لم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مطلقا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالهمزة (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لئلا يلتفت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جلال، و قد مضى قبيل صفحات «جلال الجلال» فليصحح هناك أيضا.

نحو[1] العدو و الحسود. فقال: ﴿ و لا تطع الـكفرين ﴾ اى المانعين ﴿و المنفقين[1]﴾ أى المصانعين فى شيء من الأشياء لم يتقدم إليك الخالق ٢٠٧/ فيه /بأمر و إن لاح لائح خوف أو برق بارق رجاء، و لا سيما سؤالنا فى شيء مما[2] يقترحونه رجاء إيمانهم مثل أن تعين لهم وقت الساعة التى يكون فيها الفتح، فانهم إنما يطلبون ذلك استهزاء، قال أبوحيان[3]: و سبب نزولها أنه روى أن النبى صلى الله عليه و سلم لما قدم المدينة كان يحب إسلام اليهود، فتابعه[4] ناس منهم على النفاق، و كان يلين لهم جانبه، و كانوا يظهرون النصائح من[5] طرق المخادعة[6]، فنزلت تحذيرا له منهم و تنبيها على عداوتهم - انتهى- ثم علل[7] الأمر و النهى[7] بما يزيل الهموم و يوجب الإقبال عليهما و اللزوم، فقال ملوحا إلى أن لهم أغوارا فى مكرهم ربما[8] خفيت عليه صلى الله عليه و سلم، و أكد ترغيبا فى الإقبال على معلوله بغايـة الاهتمام: ﴿ ان الله ﴾ أى بعظيم كماله و عز جلاله ﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا ﴿عليما﴾ شامل العلم ﴿ حكيما ﴾ بالغ الحكمة، فهو لم يأمرك بأمر إلا و قـد علم ما يترتب عليه، و أحكم إصلاح الحال فيه.

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير فى برهانه: افتتحها سبحانه بامر

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٣) راجع البحر المحيط ٧/٢١٠ (٤) فى البحر: فبايعه (٥) فى البحر: فى (٦) زيد فى البحر: و لطفه و حرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم. (٧-٧) فى م و مد: النهى و الامر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما.

نبيه باتقائه، و نهيه عن الصغو[1] إلى الكافرين و المنافقين، و اتباعه ما يوحى إليه، تنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قدم ذكره فى سورة السجدة، و أمرا له بالتسليم لخالقه و التوكل عليه «و[2] الله يقول الحق و هو يهدى السبيل» و لما تحصل من السورتين قبل ما تعقب العالم من الخوف أشده[3] لغيبة العلم بالخواتم و ما جرى فى السورتين من الإشارة إلى السوابق "و لو شئنا لآتينا كل نفس هدنها" كان [4]ذلك مظنة[4] لتأنيس نبي الله صلى الله عليه و سلم و صالحى أتباعه، [5]و لهذا[5] أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس[6] و البشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى و سعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه صلى الله عليه و سلم بالتقوى، و إعلامه بما [قد -[7]] أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة و إن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله، و إيضاح دليله، و خاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر عقب تخويف و إنذار و إن كان عليه السلام قد نزه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى، و عصمه من[8] كل ما ينافر نزاهة حاله و علي منصبه، و لكن طريقة خطابه تعالى للعباد أنه تعالى متى جرد ذكرهم للمدح من غير أمر و لا نهى

(1) من مد - و هو الميل -، و فى الأصل ظ و م: الصفو (2) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (3) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و الشدة (4-4) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مظنة ذلك. (5-5) فى ظ و مد: فلهذا (6) من ظ وم و مد، و فى الأصل: التامين (7) زيد من ظ و م و مد (8) فى ظ و م و مد: عن.

فهو موضع ذكرهم بالأخص الأمدح من محمود صفاتهم، و منه "محمد رسول الله و الذين معه" - الآيات، فذكره صلى الله عليه و سلم باسم الرسالة. و مهما كان الأمر و النهى، عدل فى الغالب إلى الأعم، و منه "يآيها النبى اتق الله" "يآيها النبى حرض المؤمنين على القتال" "يآيها النبى اذا طلقتم النساء" "يآيها النبى لم تحرم ما احل الله لك -[1]" "[1]يآيها النبى جاهد الكفار و المنفقين[1]" "يآيها النبى اذا جاءك المؤمنت" و قد تبين فى غير هذا، و أن ما ورد على خلاف هذا القانون فلسبب خاص استدعى العدول عن المطرد كقوله "يآيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك" فوجه هذا أن قوله سبحانه "و ان لم تفعل فما بلغت رسالته" موقعه شديد، فعودل[2] بذكره صلى الله عليه و سلم باسم[3] الرسالة أضرب[4] من التلطف، فهو[5] من باب "عفا الله عنك لم اذنت لهم" و فيه بعض غموض، و أيضا فانه لما قيل له "بلغ" طابق [هذا -[6]] ذكره بالرسالة. فان المبلغ رسول، و الرسول مبلغ، و لا يلزم النبى أن يبلغ إلا أن يرسل. و أما قوله تعالى "يآيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون [فى الكفر" -[6]] فأمره و إن كان نهيا أوضح من الأول، لأنه تسلية له عليه السلام و تأنيس و أمر بالصبر و الرفق بنفسه، فبابه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل فعول (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذكر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بضرب (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و هو (٦) زيد من ظ و م و مد.

راجع إلى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب، و على ما أشير إليه يخرج [ما و رد من هذا . و لما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه -[1]] من إعلامه عليه السلام من هذا الأمر بعلي حاله و مزية[2] قدره، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه في مواضع منها إعلامه تعالى بأن أزواج نبيه صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين[3] فنزههن عن أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن و تخصيصا و إجلالا[4] لنبيه صلى الله عليه و سلم، و منها قوله تعالى "و لما رآ المؤمنون الاحزاب" - الآية، فنزههم[5] عن تطرق سوء أو دخول ارتياب على مصون معتقداتهم و جليل إيمانهم "قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما" و الآية بعد كذلك، و هي قوله تعالى "من المؤمنين رجال صدقوا" - الآية، و منها "ينساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن" فنزههن سبحانه و بين شرفهن على من عداهن، و منها تنزيه أهل البيت و تكرمتهم "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت" الآية، و منها الأمر بالحجاب "يآيها النبي قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن" فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج و عدم الحجاب، و صانهن عن التبذل و الامتهان، و منها قوله تعالى "يآيها الذين آمنوا لا تكونوا

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: مزيد (٣) من مد، وفي الأصل وظ وم: المؤنين (٤) زيد في الأصل: له، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: فنزههن.

كالذين اذوا موسى" فوصاهم جل و تعالى و نزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن و الغضب فى سوء أدبهم و عظيم مرتكبهم، إلى ما تضمنت[1] السورة من هذا القبيل. ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة و اللطف الشامل كقوله تعالى "يايها النبى انا ارسلنك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا" ثم قال تعالى "و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا" و قوله تعالى "يايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - إلى قوله تعالى : اجرا كريما" و قوله تعالى "ان الله و ملئكته يصلون على النبى[2] يايها الذين امنوا صلوا عليه و سلموا تسليما[2]" و قوله تعالى "ان المسلمين و المسلمت - إلى قوله : و اجرا عظيما" و قوله تعالى "يايها الذين امنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا - إلى قوله : عظيما" و قوله تعالى "و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنت - إلى قوله : [وكان الله غفورا -[3]] رحيما" و قوله تعالى مثنيا[4] على المؤمنين بوفائهم و صدقهم "و لما رآ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله [5] صدق الله و رسوله [5] - إلى قوله : و ما بدلوا تبديلا" [و قوله -[6]] سبحانه تعظيما لحرمة نبيه صلى الله عليه و سلم و المؤمنين "ان الذين يؤذون الله و رسوله - إلى قوله : و اثما مبينا" و فى

---

(١) زيد فى الأصل : إليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

(٢-٢) موضع ما بين الرقمين فى م و مد : الآية (٣) زيد من م (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : شفيا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .

هذه الآيات من تأنيس المؤمنين و بشارتهم و تعظيم حرمتهم ما يكسر سورة الخوف الحاصل من سورتى لقمٰن و السجدة و يسكن روعهم[١] تأنيسا لا رفعا، و من هذا القبيل أيضا ما تضمنت السورة من تعداد نعمه تعالى عليهم و تحسين[٢] خلاصهم كقوله تعالى "يٰآيها الذين 'امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم - إلى قوله: هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا" و قوله تعالى "و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال - إلى قوله: و كان الله على كل شيء قديرا" و ختم السورة بذكر التوبة و المغفرة أوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها و بيانها على ما وضح و الحمد لله . و لما كان حاصلها رحمة و لطفا و نعمة، لا يقدر عظيم قدرها، و ينقطع العالم دون الوفاء بشكرها، أعقب بما ينبغي من الحمد يعنى أول سبا - انتهى .

و لما كان ذلك [٣]مفهما لمخالفة[٣] كل ما يدعو إليه كافر، و كان [الكافر - [٤]] ربما دعا إلى شيء من مكارم الأخلاق، قيده بقوله: ﴿ و اتبع ﴾ أى بغاية جهدك .

و لما اشتدت العناية هنا بالوحى، و كان الموحى معلوما من آيات كثيرة، بنى للفعول قوله: ﴿ما يوحىٰ ﴾ أى يلقى[٥] إلقاء خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه ﴿اليك﴾ و أتى موضع الضمير بظاهر يدل على الإحسان

---

(١) فى ظ و مد: روعتهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تحب من . (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منهيا بمخالفة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل: إليك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فى التربية ليقوى على [١]امتثال ما أمرت[١] به الآية السالفة فقال : ﴿ من ربك ط ﴾ أى المحسن إليك بصلاح جميع[٢] أمرك ، فمهما أمرك به فافعله[٣] لربك لا لهم ، و مهما نهاك عنه فكذلك ، سواء كان إقبالا عليهم أو إعراضا عنهم أو غير ذلك .

و لما أمره باتباع الوحى ، رغبه فيه بالتعليل بأوضح من التعليل الأول فى أن مكرهم خفى ، فقال مذكرا[٤] بالاسم الأعظم بجميع ما يدل عليه من الأسماء الحسنى زيادة فى التقوية على الامتثال[٥] ، مؤكدا للترغيب كما تقدم ، و إشارة[٦] إلى أنه مما يستبعده بعض المخاطبين فى قراءة الخطاب[٧] [لغير أبى عمرو - [٨]] : ﴿ ان الله ﴾ [أى - [٩]] بعظمته و كماله ﴿ كان ﴾ دائما ﴿ بما تعملون ﴾ أى الفريقان من المكايد و إن دق ﴿ خبيرا لا ﴾ فلا[١٠] تهتم بشأنهم، فانه سبحانه كافيكه[١١] و إن تعاظم ، و على قراءة[١٢] أبى عمرو بالغيب[١٣] يكون هذا التعليل حثا على الإخلاص ، و تحقيقا / لأنه /٢١٠
قادر على الإصلاح و إن أعيى[١٤] الخلاص ، و نفيا لما قد يعترى النفوس من الزلزال ، فى أوقات الاختلال .

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امتثالها - مع بياض تدر كلمتين . (٢) زيد فى ظ : ما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فافعل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موكدا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامتنان (٦) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : اشار (٧) راجع نثر المرجان ٥/٢٧٠ . (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد من ظ وم و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلما (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كافيك (١٢) زيد فى مد : غير (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالخطاب (١٤) فى ظ و مد : ادعى .

و لما

و لما كان الآدمى موضع الحاجة إلى[1] تعظيم الترجية قال: ﴿و توكل﴾ أى دع الاعتماد على التدبير فى أمورك و اعتمد فيها ﴿على الله﴾ المحيط علما و قدرة، و لتكرير هذا الاسم [الأعظم - [2]] الجامع لجميع معانى الأسماء فى هذا المقام شأن لا يخفى كما أشير إليه.

و لما كان التقدير: فانه يكفيك فى جميع ذلك، عطف عليه قوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الأمر كله على الإطلاق ﴿ وكيلا ﴾ أى أنه لا أكفى منه لكل من وكله فى أمره، فلا تلتفت فى شيء من أمرك إلى شيء [غيره - [2]] لأنه ليس لك قلبان تصرف كلا منهما [إلى واحد.

و لما كان النازع إلى جهتين - [2]] و المعالج لأمرين متباينين كأنه يتصرف بقلبين، أكد أمر الإخلاص فى جعل الهم هما واحدا فيما يكون من أمور الدين و الدنيا، و فى المظاهرة و التبنى و كل ما شابههما بضرب المثل بالقلبين - كما قال الزهرى، فقال معللا لما قبله بما فيه من الإشارة إلى أن الآدمى مع قطع النظر عن رتبة النبوة موضع لخفاء الأمور عليه: ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له الحكمة البالغة، و العظمة الباهرة، و ليس الجعل إلا له و لا أمر لغيره ﴿لرجل﴾ أى لأحد من بنى آدم الذين هم أشرف الخلائق من نبى و لا غيره، و عبر بالرجل لأنه أقوى جسما و فهما فيفهم غيره من باب الأولى؛ و أشار إلى التأكيد

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م و مد.

بقوله: ﴿من قلبين﴾ و أكد الحقيقة و قررها، و جلاها و صورها، لما قد يظن الإنسان من أنه يقدر على صرف النفس إلى الأمور المتخالفة كما يفعل المنافق بقوله: ﴿في جوفه ج﴾ أي حتى يتمكن من أن ينزع بكل قلب إلى جهة غير الجهة التي نزع إليها القلب الآخر لأن ذلك مودٍ إلى خراب البدن لأن القلب مدبره بإذن الله تعالى، و استقلال كل بالتدبير يؤدي إلى الفساد كما مضى في دليل التمانع سواء؛ قال الرازي في اللوامع: القلب كالمرآة مهما حوذي به جانب القدس أعرض عن جانب الحس، و مهما حوذي به جانب الحس أعرض عن جانب القدس، فلا يجتمع الإقبال على الله و على ما سواه - انتهى. و حاصل ذلك أنه تمهيد لأن التوزع[1] و الشرك لا خير فيه، و أن مدبر الملك[2] واحد كما أن مدبر البدن قلب واحد، فلا التفات إلى غيره، و أن الدين ليس بالتشهي و جعل الجاعلين، و إنما هو بجعله[3] سبحانه، فإنه العالم بالأمور على ما هي عليه.

و لما كان كل من المظاهرة و التبني نازعا إلى جهتين متنافيتين، و كان أهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقا مؤبدا لا رجعة فيه - كما نقله ابن الملقن في عمدة المنهاج عن صاحب الحاوي، و كان المخاطبون قد أعلاهم الوعظ السابق إلى التأهل للخطاب، التفت سبحانه القول إليه على قراءة الغيب [في "يعملون" لأبي عمرو -[4]] فقال: ﴿و ما جعل ازواجكم﴾

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: التوزيع (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: الكل (٣) في ظ و م و مد: بما يجعله هو (٤) زيد من ظ و مد.

أى بما أباح لكم من الاستمتاع بهن[1] من جهة الزوجية ؛ ثم أشار إلى الجهة الأخرى بقوله : ﴿ الّٰٓـِٔى تظهرون منهن ﴾ أى [كما - [2]] يقول الإنسان للواحدة منهن : أنت علىّ كظهر أمى ﴿ امهتكم ج ﴾ بما حرم عليكم / من الاستمتاع بهن[1] حتى تجعلوا ذلك على التأبيد[3] و ترتبوا على ذلك ٢١١ /
أحكام الأمهات كلها ، لأنه لا يكون لرجل أمان ، و لو جعل ذلك لضاق الأمر ، و اتسع الخرق ، و امتنع الرتق[4] ﴿ و ما جعل ادعيآءكم ﴾ بما جعل لهم من النسبة و الانتساب إلى غيركم ﴿ ابنآءكم ﴾ بما جعلتم لهم من الانتساب إليكم ليحل لهم[5] إرثكم[6] ، و تحرم عليكم حلائلهم[7] و غير ذلك من أحكام الأبناء ، و لا يكون لابن أبوان ، و لو جعل ذلك لضاعت الأنساب ، و عم الارتياب ، و انقلب كثير من الحقائق أىّ انقلاب ، فانفتح بذلك من الفساد أبواب أىّ أبواب ، فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى الذى تبنيته[8] ابنا لك أيها النبى بتبنيك[9] له جزاء [له - [2]] باختياره لك على أبيه و أهله ، و هذا توطئة لما يأتى من قصة زواج النبى صلى الله عليه و سلم لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عين - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الترتيب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اطرق (٥) فى مد : لكم (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد.
(٧) زيد فى الأصل و م : و تحليهم حلايلكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و تبنيتك .

صلى الله عليه و سلم [فانه صلى الله عليه و سلم -[1]] لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوى[2] و غيره : تزوج محمد امرأة ابنه و هو ينهى الناس عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، و بين ان التبنى إنما هو مجاز ، و أن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيق [و -[1]] ما ألحق به من الرضاع ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كان[3] تبنى [4]زيدا لقصة[4] مذكورة فى السيرة[5] ، روى البخارى[6] عن ابن عمر رضى الله عنهما أن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن "ادعوهم لأبائهم" . و لما أبطل [هـذا -[1]] سبحانه ، استأنف الإخبار عما مضى من عملهم فيه فقال[7] : ﴿ ذلكم ﴾ أى القول البعيد عن الحقيقة ، و أكد هذا بقوله : ﴿ قولكم بافواهكم ﴾ أى لاحقيقة له وراء القول و تحريك الفم [من غير مطابقة قلوبكم -[8]] ، فان كل من يقول ذلك لا يعتقده ، [لأن من كان له فم كان محتاجا ، و من كان محتاجا كان معرضا للنقائص كان معرضا للأوهام ، و من غلبت عليه الأوهام كان فى كلامه الباطل -[8]] ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علمه و قدرته [و له جميع صفات الكمال -[8]] ﴿ يقول الحق ﴾ أى[7] الكامل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٩١ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زيد و القصة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السير (٦) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٥ (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد .

فى حقيته[1] ، الثابت الذى يوافق ظاهره باطنه ، فلا قدرة لأحد على نقضه فان أخبر عن شيء فهو كما قال ، ليس بين الخبر و الواقع من ذلك المخبر عنه شيء من المخالفة ، و إن أتى بقياس فرع على أصل لم يستطع أحد إبداء فرق[2] ، [فان أقواله سبحانه سابقة على الواقع لأنها مصدرة فيها بكون ، فاذا قال قولا وجد مضمونه مطابقا لذلك القول ، فاذا طبقت بينهما كانا سواء ، فكان ذلك المضمون ثابتا كما كان ذلك الواقع ثابتا ، فكان حقا ، هكذا أقواله على الدوام ، لأنه منزه سبحانه عن النقائص فلا جارحة ثَم ليكون بينها و بين معد القول مخالفة من فم أو غيره و عن كل ما يقتضى حاجة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفم أولا دليلا على نفيه ثانيا و الحق ثانيا دليلا على ضده الباطل أولا ، و سرّ ذلك أنه ذكر ما يدل على النقص فى حقنا ، و على الكمال فى حقه ، و دل على التنزيه بالإشارة ليبين فهم الفهماء و علم العلماء ـ[3]] ﴿ و هو ﴾ أى وحده من حيث قوله الحق ﴿ يهدى السبيل ۝ ﴾ أى الكامل الذى من شأنه أن يوصل إلى المطلوب إن ضل أحد فى فعل أو قول ، فلا تعولوا على سواه و لا تلتفتوا أصلا إلى غيره .

و لما كان كأنه قيل : فما تقول ؟ إهدنا إلى سبيل الحق فى ذلك ، أرشد إلى أمر التبنى إشارة إلى أنه هو المقصود فى هذه السورة لما يأتى بعد من آثاره التى هى المقصودة[4] بالذات بقوله : ﴿ادعوهم﴾ أى الأدعياء

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فرقا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المقصود .

﴿لأبآئهم﴾ أى إن علموا ولذا قالوا : زيد بن حارثة ؛ ثم علله بقوله : ﴿ هو ﴾ أى هذا الدعاء ﴿ اقسط ﴾ أى أقرب إلى العدل من التبنى و إن كان إنما هو لمزيد الشفقة على المتبنى و الإحسان إليه ﴿عند الله ج﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال ، فلا ينبغى أن يفعل فى ملكه إلا ما هو أقرب إلى الكمال ، و فى هذا بالنسبة إلى ما مضى بعض التنفيس عنهم ، و إشارة إلى أن ذلك التغليظ بالنسبة إلى مجموع القولين / المتقدمين . ٢١٢ /

و لما كانوا قد يكونون[1] مجهولين ، تسبب عنه قوله : ﴿فان لم تعلموآ ابآءهم﴾ لجهل أصلى[2] أو طارئ ﴿ فاخوانكم فى الدين﴾ إن كانوا دخلوا فى دينكم ﴿ و مواليكم ﴾ أى أرقاؤكم مع بقاء الرق أو مع العتق على كلتا الحالتين ، و لذا قالوا : سالم مولى أبى حذيفة . و لما نزل هذا قال النبى صلى الله عليه و سلم : من ادعى إلى غير أبيه و هو يعلم فالجنة عليه حرام - أخرجه الشيخان[3] عن سعد بن أبى وقاص و أبى بكرة رضى الله عنهما .

و لما كانت عادتهم الخوف مما سبق من أحوالهم على النهى لشدة ورعهم ، أخبرهم أنه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ ، و ساقه على وجه يعم ما بعد النهى [أيضا -[4]] فقال : ﴿ و ليس عليكم جناح ﴾ أى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكونوا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أصل (٣) البخارى فى باب من ادعى إلى غير أبيه من كتاب الفرائض - راجع صحيحه ٢ / ١٠٠١ ، و مسلم فى باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه و هو يعلم، من كتاب الإيمان - راجع صحيحه ١/٥٧ (٤) زيد من ظ و م ومد .

إثم و ميل و اعوجاج ، و عبر بالظرف ليفيد أن الخطأ لا إثم فيه بوجه ، و لو عبر بالباء لظن أن فيه إثما ، و لكنه عفا عنه فقال: ﴿ فيما اخطأتم به لا ﴾ أي من الدعاء بالبنوة و المظاهرة أو في شيء قبل النهي أو بعده ، و دل قوله: ﴿ و لكن ما ﴾ أي الإثم فيما ﴿ تعمدت قلوبكم ط ﴾ على زوال الحرج أيضا فيما وقع بعد النهي على سبيل النسيان أو سبق اللسان ، و دل تأنيث الفعل على أنه لا يتعمده[1] بعد البيان الشافي[2] إلا قلب فيه رخاوة الأنوثة ، و دل جمع الكثرة على عموم الإثم إن لم ينه المتعمد .

و لما كان هذا الكرم خاصا بما تقدمه ، عم سبحانه بقوله: ﴿ و كان الله ﴾ أي لكونه لا أعظم منه و لا[3] أكرم منه ﴿ غفورا رحيما ه ﴾ أي من صفته الستر البليغ على المذنب التائب ، و الهداية العظيمة للضال الآئب ، و الإكرام بإيتاء الرغائب .

و لما نهى سبحانه عن التبني ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه[4] لما اختاره على أبيه و أمه[5] ، علل سبحانه النهي فيه بالخصوص بقوله دالا على أن الأمر أعظم من ذلك: ﴿ النبي ﴾ أي[6] الذي ينبئه الله بدقائق الأحوال في بدائع الأقوال ، و يرفعه دائما في مراقي الكمال ، و لا يريد أن يشغله بولد و لا مال ﴿ اولى بالمؤمنين ﴾ أي الراسخين في الإيمان ، فغيرهم أولى في[7] كل شيء من أمور الدين

---

(١) في ظ و م و مد: لا يتعمد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل: الثاني .
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل: مولا .
(٥) في ظ و م و مد: عمه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل: من .

و الدنيا لما حازه من الحضرة الربانية ﴿ من انفسهم ﴾ فضلا عن آبائهم في[1] نفوذ حكمه فيهم و وجوب طاعته عليهم، لأنه لا يدعوهم إلا إلى العقل و الحكمة، و لا يأمرهم إلا بما ينجيهم، و أنفسهم إنما تدعوهم إلى الهوى و الفتنة فتأمرهم بما يرديهم، فهو يتصرف [فيهم - [2]] تصرف الآباء بل الملوك[3] [بل - [4]] أعظم بهذا السبب الرباني، فأي حاجة له[4] إلى السبب[5] الجسماني ﴿ و ازواجه ﴾ أي اللاتي دخل بهن لما لهن من حرمته ﴿ امهتهم ﴾ أي المؤمنين[6] من الرجال خاصة دون النساء، لأنه لا محذور من جهة النساء، و ذلك في الحرمة و الإكرام، و التعظيم و الاحترام، و تحريم النكاح دون جواز الخلوة و النظر و غيرهما من الأحكام، لا فرق بينهن و بين الأمهات في ذلك أصلا، فلا يحل انتهاك حرمتهن بوجه و لا الدنو من جنابهن بنوع نقص، لأن حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أعظم من حق الوالد على ولده، و هو حي في قبره

و[7] هذا أمر جعله الله [8]و هو الذي إذا جعل / شيئا كان[8]، لأن الأمر ٢١٣/

أمره و الخلق [خلقه - [2]]، و هو العالم بما يصلحهم و ما يفسدهم "الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير" روى الشيخان[9] عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل « و » (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م، و في الأصل وظ و مد : الملاك (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم و مد، و في الأصل : التسبب (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : المؤمنون. (٧) سقط من ظ وم ومد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) في ظ و م و مد : البخاري، و الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب التفسير من صحيحه، و أخرجه مسلم في الفرائض من صحيحه - راجع ٢/ ٣٦.

عنه

عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه[1] قال " ما من مؤمن إلا و أنا أولى الناس به فى الدنيا و الآخرة، اقرأوا إن شئتم " النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم "؛ فأيما مؤمن ترك مالا[2] فليرثه عصبته من كانوا. فان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى و أنا مولاه.

و لما رد الله سبحانـــه الأشياء إلى أصولها، و نهى عن التشتت و التشعب، و كان من ذلك أمر التبنى، و كان من المتفرع عليه الميراث بما كان قديما من الهجرة و النصرة و الأخوة التى قررها النبى صلى الله عليه و سلم لما كان الأمر[3] محتاجا إليها، و كان ذلك قد نسخ بالآية[4] التى فى آخر الأنفال، و هى قبل هذه السورة ترتيبا و نزولا. و كان ما ذكر هنا فردا داخلا فى عموم العبارة[5] فى تلك الآية[6]. أعادها [منا -[6]] تأكيدا و تنصيصا على هذا الفرد للاهتمام به مع ما فيها من تفصيل و زيادة فقال: ﴿ و[7] اولوا الارحام﴾ أى القرابات بأنواع النسب من النبوة و غيرها[8] ﴿ بعضهم اولى ﴾ بحق القرابة ﴿ببعض﴾ فى جميع المنافع العامة للدعوة و الإرث و النصرة و الصلة ﴿ فى كتب الله ﴾ أى قضاء الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه، و حكمه كما تقدم فى كتابكم هذا. و كما أشار

---

(١) سقط من ظ وم ومد (٢) من ظ وم و مد والصحيحين ، و فى الأصل : ما له (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امرا (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الآية (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العبارة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيرهم .

إليه الحديث الماضي آنفا .

و لما بين أنهم أولى بسبب القرابة ، بين المفضل عليه فقال : ﴿من﴾ أي هم أولى بسبب القرابة من ﴿المؤمنين﴾[1] الأنصار[2] من [غير - [3]] قرابة مرجحة ﴿والمهجرين﴾ المؤمنين من غير قرابة[4] كذلك .. و لما كان المعنى : أولى[5] في[6] كل نفع ، استثنى منه على قاعدة الاستثناء من أعم العام قوله ، لافتا النظم إلى أسلوب الخطاب ليأخذ المخاطبون منه أنهم متصفون بالرسوخ في الإيمان الذي مضى ما دل عليه في آية الأولوية من التعبير بالوصف ، فيحثهم ذلك على فعل المعروف : ﴿الا ان تفعلوا﴾ [أي - [3]] حال كونكم موصلين و مسندين ﴿الى اوليئكم﴾ بالرق أو التبني[7] أو الحلف في الصحة مطلقا و في المرض من الثلث تنجيزا أو وصية ﴿معروفا﴾ تنفعونهم[8] به ، فيكون حينئذ ذلك الولي مستحقا لذلك ، و لا يكون ذو الرحم أولى منه ، بل لا وصية لوارث .

و لما أخبر أن هذا الحكم في كتاب الله ، أعاد التنبيه على ذلك تأكيدا قلعا لهذا الحكم الذي تقرر في الأذهان بتقريره سبحانه فيما مضى فقال مستأنفا : ﴿كان ذلك﴾ [أي - [3]] الحكم العظيم ﴿في الكتب﴾

---

(١) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) زيد في ظ : المهاجرين (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : أدل .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالتبني (٨) في ظ : ينفعونكم .

أى القرآن فى آخر سورة الأنفال ﴿ مسطورا ﴾ بعبارة تعمه، قال الأصبهانى[1] : و قيل : فى التوراة، لأن فى التوراة : إذا نزل رجل بقوم من أهل دينه فعليهم أن يكرموه و يواسوه، و ميراثه لذوى قرابته. فالآية من الاحتباك : أثبت وصف الإيمان أولا دليلا على حذفه ثانيا، و[2] وصف الهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة أولا .

و لما كان نقض العوائد و تغيير المألوفات مما يشق / كثيرا على / ٢١٤
النفوس، و يفرق المجتمعين، و يقطع بين المتواصلين، و يباعد بين المتقاربين، قال مذكرا له صلى الله عليه و سلم بما أخذ على من قبله من نسخ أديانهم بدينه، و تغيير مألوفاتهم بالفه، و من نصيحة قومهم بابلاغهم كل ما أرسلوا به، صارفا القول إلى مظهر العظمة لأنه أدعى إلى قبول الأوامر : ﴿ و اذ ﴾ فعلم أن التقدير : [3]اذكر ذلك - أى ما سطرناه [لك -[4]] قبل هذا فى كتابك، و اذكر إذ ﴿ اخذنا ﴾ بعظمتنا ﴿ من النبيّن ميثاقهم ﴾ فى تبليغ الرسالة فى المنشط و المكره، و فى تصديق بعضهم لبعض، و فى اتباعك فيما أخبرناك به فى قولنا « لما 'اتيتكم من كتب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه » و قولهم : أقررنا .

و لما ذكره ما أخذ على جميع الأنبياء من العهد فى تغيير مألوفاتهم إلى ما يأمرهم سبحانه به[5] من إبلاغ ما يوحى إليهم و العمل بمقتضاه،

(١) فى ظ : الاصفهانى (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ و مد .

ذكره ما أخذ عليه من العهد فى التبليغ فقال: ﴿و منك﴾ أى فى قولنا فى هذه السورة " اتق الله و اتبع ما يوحى اليك " و فى المائدة " يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس " فلا تهتم بمراعاة عدو و لا خليل حقير و لا جليل، و لما[1] أتم المراد إجمالا و عموما، و خصه صلى الله عليه و سلم من ذلك العموم مبتدئا به بيانا لتشريفه و لأنه المقصود بالذات بالأمر بالتقوى و اتباع الوحى لأجل التبى و غيره، أتبعه بقية أولى العزم[2] الذين هم أصحاب الكتب و مشاهير أرباب الشرائع، تأكيدا للأمر و تعظيما للقام، لأن من علم له شريكا فى أمر اجتهد فى سبقه فيه، و رتبهم على ترتيبهم فى الزمان لأنه لم يقصد المفاضلة[3] بينهم، بل التأسية بالمتقدمين و المتأخرين فقال: ﴿ و من نوح ﴾ أول الرسل إلى المخالفين ﴿ و ابرٰهيم ﴾ أبى الأنبياء ﴿ و موسٰى ﴾ أول أصحاب الكتب من أنبياء بنى إسراءيل ﴿ و عيسى ابن مريم ص﴾ ختامهم، نسبه[4] إلى أمه مناداة على من ضل فيه بالتوبيخ و التسجيل بالفضيحة؛ ثم زاد فى تأكيد الأمر و تعظيمه تعظيما للوثق فيه، و إشارة إلى مشقته، فقال مؤكدا باعادة العامل و مظهر العظمة لصعوبة[5] الرجوع عن المألوف: ﴿و اخذنا منهم﴾ أى بعظمتنا فى ذلك ﴿ميثاقا غليظا لا﴾ استعارة من وصف الأجرام العظام

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لا (٢) زيد فى ظ: من (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المقابلة (٤) من م و مد، و فى الأصل: نسبته، و فى ظ: نسبهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسهولة.

كناية عن[١] أنه لا يمكن قطعه لمن أراد الوصلة بنا .

و لما كان الأخذ على النبيين فى ذلك أخذا على أممهم، و كان الكفر معذبا عليه من غير شرط ، و الطاعة مثابا عليها[٢] بشرط الإخلاص علله، معبرا بما هو مقصود السورة فقال ملتفتا إلى مقام الغيبة لتعظيم الهيبة لأن الخطاب إذا طال استأنس المخاطب : ﴿ ليسئل ﴾ أى يوم القيامة ﴿ الصّدقين ﴾ أى فى الوفاء بالعهد ﴿ عن صدقهم ج ﴾ هل هو [لله -[٣]] خالصا[٤] أو لا ، تشريفا لهم[٥] و إهانة و تبكيتا للكاذبين[٦] ، و يسأل الكافرين عن كفرهم ما الذى حملهم عليه ، و الحال أنه أعد للصادقين ثوابا عظيما ﴿ واعد للكفرين ﴾ أى الساترين لإشراق أنوار الميثاق ﴿ عذابا اليماع ﴾ فالآية من محاسن / رياض الاحتباك ، و إنما صرح بسؤال الصادق بشارة له[٧] ٢١٥ /
بتشريفه فى ذلك الموقف العظيم ، و طوى سؤال الكفار إشارة إلى استهانتهم بفضيحة الكذب [" و يحلفون على الكذب -[٨]] و هم يعلمون " " فيحلفون له كما يحلفون لكم[٩] " و ذكر ما هو أنكا لهم .

و لما أكد سبحانه وجوب الصدع بكل أمره و إن عظمت مشقته و زادت حرقته من غير ركون إلى مؤالف[١٠] موافق ، و لا اهتمام بمخالف

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : على (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خالص (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكافرين . (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٥٨ آية ١٤ (٩) سورة ٥٨ آية ١٨ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مالوف .

مشاق[1]، اعتمادا على تدبيره، وعظيم أمره في تقديره، ذكرهم بدليل شهودي هو أعظم وقائعهم في حروبهم، وأشد ما دهمهم من كروبهم[2]، فقال معلما أن المقصود بالذات بما مضى [من -[3]] الأوامر الأمة. وإنما وجه الأمر إلى الإمام[4] ليكون أدعى لهم إلى الامتثال، فإن الأمر للنبي[5] صلى الله عليه وسلم تكويني بمنزلة ما يقول الله تعالى له "كن" فحقيقته الإرادة لا الأمر، والأمر للذين آمنوا تكليفي[6]، وقد يراد [منهم -[3]] ما يؤمرون[7] به وقد لا يراد، وللناس احتجاجي أي تقام[8] به عليهم الحجة، ومن المحقق أن بعضهم يراد منه[9] خلاف المأمور به: ﴿يٰأيها الذين ءامنوا﴾ أي أقروا بالإيمان، عبر به ليعم المنافقين ﴿اذكروا﴾ ورغبهم في الشكر بذكر الإحسان والتصريح بالاسم الأعظم فقال: ﴿نعمة الله﴾ عبر بها لأنها المقصودة بالذات والمراد إنعام الملك الأعلى الذي لا كفوء له ﴿عليكم﴾ أي لتشكروه عليها بالنفوذ لأمره غير ملتفتين إلى خلاف أحد كائنا من كان، فإن الله كافيكم كل[10] ما تخافون؛ ثم ذكر لهم وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها ليذكر لهم ما كان فيه منها فقال: ﴿إذ﴾ أي حين ﴿جآءتكم﴾ [أي -[3]] في غزوة الخندق

---

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: متشاقق (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ركوبهم (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: امام (٥) في ظ ومد: إلى النبي (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تكليفا. (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: يامرون (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: مقام (٩) في ظ: منهم (١٠) سقط من ظ ومد.

حين اجتمعت عليكم الأحزاب، و كان النبي صلى الله عليه و سلم ضربه حين سمع بهم بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه على جانبي سلع من شماليه، و خطه و قطع لكل عشرة رجال أربعين[2] ذراعا، و كانوا[1] ثلاثة آلاف، فكان الخندق اثنى عشر ألف ذراع ﴿ جنود ﴾ و هم الأحزاب من قريش و من انضم إليهم من [3]الأحابيش في أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان بن حرب، و من انضم من[3] قبائل العرب من بني سليم يقودهم أبو الأعور، و من بني عامر يقودهم عامر بن الطفيل، و من غطفان يقودهم عيينة بن حصن، و من بني أسد يقودهم طليحة بن خويلد، و من أسباط بني إسرائيل من اليهود و من بني النضير و رؤساءهم حي بن أخطب و ابنا أبي الحقيق، و هم الذين جمعوا الأحزاب بسبب إجلاء النبي صلى الله عليه و سلم لبني النضير من المدينة الشريفة، و أفسدوا أيضا بني قريظة، و كانوا بالمدينة الشريفة وسيدهم كعب بن أسد، فكان الجميع اثنى عشر ألفا، و كانوا واثقين في زعمهم بأنهم[4] لا يرجعون و قد بقي للاسلام باقية، و لا يكون لأحد من أهله [منهم -[5]] واقية.

و لما كان مجيء الجنود مرهبا، سبب عنه عوده إلى مظهر العظمة فقال: ﴿ فأرسلنا ﴾ أي تسبب عن ذلك أنا لما رأينا عجزكم عن مقابلتهم و مقاومتهم في مقاتلتهم ألهمناكم عمل الخندق ليمنعهم[6] من سهولة الوصول

---

(١) من ظ و م ومد، و في الأصل: عن (٢) من ظ وم ومد، و في الأصل: أربعون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: انهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ليمنعكم.

إليكم، ثم لما طال مقامهم أرسلنا بما لنا من العظمة ﴿عليهم﴾ اى خاصة ﴿ريحا﴾ و هي ريح [1] الصبا، فأطفأت نيرانهم، و أكفأت قدورهم و جفانهم، و سفت التراب في وجوههم، و رمتهم بالحجارة و هدت[2] خيامهم، و أوهنت ببردها عظامهم، و أجالت خيلهم ﴿و جنودا لم تروها﴾ يصح أن تكون الرؤية بصرية و قلبية، منها من البشر نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه هداه الله للاسلام، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم و قال: إنه لم يعلم أحد[3] باسلامي، فمرني يا رسول الله بأمرك! فقال: إنما أنت فينا رجل واحد و الحرب خدعة، فخذل عنا[4] مهما استطعت. فأخالف[5] بين اليهود و بين العرب بأن قال لليهود و كانوا أصحابه: إن هؤلاء - يعني العرب - إن رأوا فرصة انتهزوها و إلا انشمروا إلى بلادهم راجعين، و ليس حالكم كحالهم، البلد بلدكم و بـه أموالكم و نساؤكم و أبناؤكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ليكونوا عندكم[6] حتى تناجزوا الرجل، فانه ليس لكم به طاقة إذا انفرد بكم، فقالوا: أشرت بالرأي، فقال: فاكتموا عني، و قال لقريش: قد علمتم صحبتي لكم و فراقي لمحمد، و قد سمعت أمرا ما أظن[7] أنكم تتهموني[7] فيه، فقالوا: ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني[8]. قالوا: نفعل، قال: إن اليهود

---

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: هدمت (٣) من ظ و م و مد و في الأصل: احدا (٤) في ظ: عنها (٥) زيد في الأصل: بينك، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) في ظ: عندك (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ان تتهمونى (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: على ما

قد

قد ندموا على نقض ما بينهم و بين محمد و أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا فهل ينفعنا [عندك -[1]] أن نأخذ لك من القوم جماعة من أشرافهم تضرب أعناقهم، و نكون معك على بقيتهم، حتى تفرغ [منهم -[1]] لتكف[2] عنا، و تعيد لنا الأمان، قال: نعم، فان أرسلوا إليكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا، ثم أتى غطفان فقال: إنكم أصلى و عشيرتى و أحب الناس إلىّ، قالوا: صدقت، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، و استكتمهم، فأرسلت إليهم قريظة يطلبون منهم رهنا فقالوا[4]: صدق نعيم، و أبو أن يدفعوا إليهم أحدا[5]، فقالت قريظة: صدق نعيم، فتخاذلوا و اختلفت كلمتهم، فانكسرت شوكتهم، و بردت حدتهم، و منها[6] من الملائكة جبرئيل عليه السلام و من أراد الله منهم - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام، و التحية و الإكرام، فكبروا فى نواحى عسكرهم، و زلزلوا [بهم -[1]]، و بثوا الرعب فى قلوبهم، فجالت خيولهم، و اضمحل قالهم و قيلهم، فكان فى ذلك رحيلهم، بعد نحو أربعين يوما أو بضع و عشرين - على ما قيل.

و لما أجمل سبحانه القصة على طولها فى بعض هذه الآية، فصلها فقال[7] [ذاكرا الاسم الأعظم إشارة إلى أن ما وقع فيها كان معتنى به

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و تكف. (٣) فى ظ و مد: لا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رجلا واحدا (٦) فى ظ: منهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و قال.

اعتناء من بذل جميع الجهد و إن كان الكل عليه سبحانه يسيرا -[1]]: ﴿ و كان الله ﴾ الذى له جميع صفات [2]الكمال و[2] الجلال و الجمال ﴿ بما يعملون ﴾ أى الأحزاب من التحزب و التجمع و التألب و المكر و القصد السيئ - على قراءة البصرى[3]، و أنتم أيها المسلمون من حفر الخندق و غيره من الصدق فى الإيمان [و غيره -[1]] - على قراءة الباقين ﴿ بصيرا ﴾ بالغ الإبصار و العلم . فدبر فى هذه الحرب ما كان المسلمون به الأعلين، و لم ينفع أهل الشرك قوتهم، و لا أغنت عنهم كثرتهم، و لا ضر المؤمنين قلتهم، و جعلنا ذلك سببا لإغنائهم[4] بأموال بنى قريظة و نسائهم و أبنائهم و شفاء لأدوائهم بإراقة دمائهم - كما سيأتى: ثم ذكرهم الشدة التى حصلت بتمالئهم فقال مبدلا من "إذ" الأولى: ﴿ إذ جاءوكم ﴾ أى الجنود المذكورون بادئا بالأقرب إليهم، لأن الأقرب أبصر بالعورة و أخبر بالمضرة .

و لما كان من المعلوم أنهم لم يطبقوا ما علا و ما سفل، أدخل أداة التبعيض فقال: ﴿ من فوقكم ﴾ يعنى بنى قريظة و أسد / و غطفان /٢١٧ من ناحية مصب السيول من المشرق، و أضاف الفوق إلى ضميرهم لأن العيال كانوا فى الآكام[5]، و هى بين بنى[6] قريظة و بين من فى الخندق، فصاروا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٧٩ و ٣٨٠ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لابنائهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الالام (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

فوق العيال و الرجال.

و لما كان المراد الفوقية[١] من جهة علو الأرض، أوضحها بقوله: ﴿ و من اسفل منكم ﴾ دون أن يقول: أسفلكم، و أفاد ذلك أيضا أن من فى الأسفل إنما أحاطوا ببعض جهة الرجال [فقط - [٢]]، و لم يقل [و - [٤]] من تحتكم لئلا يظن أنه فوق الرؤس و تحت الأرجل، و لم يقل فى الأول «من أعلا منكم» لئلا يكون فيه وصف للكفرة بالعلو، و أسفل الأرض[٣] المدينة من ناحية المغرب يعنى قريشا، و من لافها من كنانة فان طريقهم من تلك الجهة.

و لما ذكرهم بالمجيء الذى هو سبب الخوف، ذكرهم بالخوف [بذكر - [٢]] طرفه[٤] أيضا مفخما لأمره بالعطف فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا حين، و أنث الفعل و ما عطف عليه لأن[٥] التذكير الذى يدور معناه على القوة و العلو و الصلابة ينافى الزيغ[٦] فقال[٧]: ﴿ زاغت الابصار ﴾ أى مالت عن سداد القصد[٨] فعل الواله الجزع بما حصل من الغفلة الناشئة عن الدهشة الحاصلة من الرعب، و قطع ذلك عن الإضافة إلى كاف الخطاب إبقاء عليهم و تعليما للأدب فى المخاطبة، و كذا ﴿ و بلغت القلوب ﴾ كناية عن شدة الرعب و الخفقان، و يجوز - و هو الأقرب - أن يكون ذلك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفوقة (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) فى ظ و مد: ارض (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طرقه (٥) فى م: بان (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الغيظ (٧) سقط من م (٨) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

حقيقة بجذب الطحال و الرئة لها عند ذلك بانتفاخها إلى أعلا الصدر ، و منه قولهم للجبان : انتفخ منخره أى رئته ﴿الحناجر﴾ جمع حنجرة ، و هى منتهى الحلقوم ، و من هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أحمد و أبو داود[1] عن أبي هريرة رضى الله عنه «شر ما فى الإنسان جبن خالع» أى يخلع القلب من مكانه ، و جمع الكثرة إشارة إلى أن ذلك عمهم أو كاد .

و لما كانت هذه حالة عرضت ، ثم كان من أمرها أنها إما زالت و ثبتت إلى انقضاء الأمر ، عبر عنها بالماضى لذلك و تحقيقا لها و لما نشأ عنها تقلب القلوب و تجدد ذهاب الأفكار كل مذهب ، عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد فقال : ﴿و تظنون بالله﴾ الذى له صفات الكمال فلا يلم نقص ما بساحة عظمته ، و لا يدنو شيء من شين إلى جناب عزته ﴿الظنونا ه﴾ أى أنواع الظن إما بالنسبة إلى [الأشخاص فواضح ، و ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، و أما بالنسبة إلى -[2]] الشخص الواحد فبحسب تغير الأحوال ، فتارة يظن الهلاك للضعف ، و تارة النجاة لأن الله قادر على ذلك ، و[3]يظن المنافقون و من قاربهم[3] من ضعفاء القلوب ما حكى [الله -[4]] عنهم ؛ قال الرازى فى اللوامع : [و -[4]] يروى أن المسلمين قالوا : بلغت [القلوب -[4]] الحناجر ، فهل من شيء نقول ؟

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٢/٣٠٢ و سنن أبى داود - أبواب الجهاد (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لظن المنافقين و من قال بهم (٤) زيد من ظ و م و مد .

فقال

فقال عليه الصلاة و السلام : اللهم استر عوراتنا ، و آمن روعاتنا .

و زيادة الألف فى قراءة من أثبتها فى الحالين و هم المدنيان و ابن عامر و شعبة[1] إشارة إلى اتساع هذه الأفكار ، و تشعب تلك الخواطر ، و عند من أثبتها فى الوقف / دون الوصل و هم ابن كثير و الكسائى و حفص[2] /٢١٨ إشارة إلى اختلاف الحال تارة بالقوة و تارة بالضعف .

و لما كانت الشدة فى الحقيقة إنما هى للثابت لأنه ما عنده إلا الهلاك أو النصرة ، و أما المنافق فيلق السلم[3] و يدخل داوه الذل بالموافقة على جميع ما يراد منه ، ترجم حال المؤمنين قاصرا الخطاب على الرأس لئلا يدخل فى مضمون الخبر إعلاما بأن منصبه الشريف أجلّ من أن يبتلى فقال تعالى : ﴿هنالك﴾ أى فى [ذلك -[4]] الوقت العظيم البعيد الرتبة ﴿ابتلى المؤمنون﴾ أى خولط [5]الراسخون فى الإيمان بما شأنه أن يحيل ما خالطه و يميله ، و بناه للجهول لما كان المقصود إنما هو معرفة المخلص من غيره[5] ، مع العلم بأن فاعل ذلك هو الذى له الأمر[6] كله ، و لم يؤكد الابتلاء بالشدة لدلالة الافتعال عليها ، و صرف الكلام عن الخطاب مع ما تقدم من فوائده ، و عبر بالوصف ليخص الراسخين فقال : ﴿و زلزلوا﴾ أى حركوا و دفعوا و اقلقوا و أزعجوا بما يرون من الأهوال بتظافر الأعداء مع الكثرة ، و تطاير الأراجيف ﴿زلزالا شديدا ﴾ فثبتوا

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٨١ و ٣٨٢ (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : جعفر .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السلام (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامل .

بتثبيت الله لهم على عهدهم .

و لما علم بهذا أن الحال المزلزل لهم كان فى غاية الهول، أشار[1] إلى أنهم لم يزلزلهم بأن حكى أقوال المزلزلين، و لم يذكر أقوالهم و سيذكرها بعد ليكون الثناء عليهم بالثبات مع عظيم الزلزال مذكورا مرتين إشارة و عبارة، فقال: ﴿ و إذ ﴾ و أشار إلى تكريرهم لدليل النفاق بالمضارع فقال: ﴿ يقول ﴾ أى مرة بعد أخرى ﴿ المنفقون ﴾ أى الراسخون فى النفاق، لأن قلوبهم مريضة ملآى مرضا ﴿ و الذين فى قلوبهم مرض[2] ﴾ أى من أمراض الاعتقاد بحيث أضعفها فى الاعتقاد و الثبات فى مواطن اللقاء و فى كل معنى جليل، فهم بحيث لم يصلوا إلى الجزم بالنفاق و لا الإخلاص فى الإيمان، بل هم على حرف فعندهم نوع نفاق، فالآية من الاحتباك: ذكر النفاق أولا دال[3] عليه ثانيا، و ذكر المرض ثانيا دليل[4] عليه أولا، [[5] - و هذا الذى قلته فى القلوب موافق لما ذكره الإمام السهروردى فى الباب السادس و الخمسين من عوارفه عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهو، فذلك قلب المؤمن، و قلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر، و قلب مربوط على غلاف، فذلك قلب المنافق، و قلب مصفح فيه إيمان و نفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء

(١) فى ظ: إشارة (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دالا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دليلا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

الطيب، و مثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح و الصديد، فأىّ المدتين[١] غلبت عليه حكم له بها - و روى هذا الحديث الغزالى فى أواخر كتاب قواعد العقائد من الإحياء[٢] عن أبى سعيد الخدرى، و قال الشيخ زين الدين العراقى: أخرجه أحمد[٣]].

و لما كان المكذب لهم بتصديق وعد الله - و لله الحمد - كثيرا، أكدوا قولهم و ذكروا الاسم [الأعظم -[٤]] و أضافوا الرسول إليه فقالوا: ﴿ ما وعدنا الله ﴾ الذى ذكر [لنا -[٤]] أنه محيط الجلال و الجمال ﴿و رسولهٓ ﴾ أى[٥] الذى قال من قال من قومنا: إنه رسول، استهزاء منهم، و إقامة للدليل فى زعمهم لهـذا البلاء على بطلان تلك الدعوى ﴿الا غرورا﴾ أى باطلا استدرجنا[٦] به إلى الانسلاخ عما كنا عليه من دين آبائنا و إلى الثبات على ما صرنا إليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور [هذا الدين على -[٧]] الدين كله، و التمكين فى البلاد حتى فى حفر الخندق، فانه قال: إنه أبصر بما برق له فى ضربه لصخرة سلمان[٨] مدينة صنعاء من اليمن و قصور كسرى بالحيرة من أرض فارس، و قصور الشام من أرض الروم، و إن تابعيه سيظهرون على ذلك كله، و قد صدق الله وعده فى جميع ذلك حتى فى لبس سراقة بن مالك بن

---

(١) كذا فى مسند الإمام أحمد، و فى ظ و إحياء العلوم: المادتين (٢) راجع ١ / ٩٠ (٣) راجع مسنده ٣ / ١٧ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استدراجا (٧) زيد من م و مد.
(٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سليمان.

جعشم سوارى كسرى بن هرمز كما هو مذكور مستوفى فى دلائل[1] النبوة للبيهقى / ، و كذبوا فى شكهم . ففاز المصدقون ، و خاب الذين هم /٢١٩
فى ريبهم يترددون .

و لما ذكر ما هو الأصل فى نفاقهم و هو التكذيب ، أتبعه ما تفرع عليه ، و لما كان تخذيلهم بالترجيح مرة ، عبر [عنه -[2]] بالماضى فقال : ﴿ و اذ قالت ﴾ أنث الفعل إشارة إلى رخاوتهم و تأنثهم فى الأقوال و الأفعال ﴿ طآئفة منهم ﴾ أى قوم كثير من موتى القلوب و مرضاها [3]يطوف بعضهم[3] ببعض : ﴿ يآهل يثرب ﴾ عدلوا عن الاسم - الذى وسمها به النبى صلى الله عليه و سلم من المدينة و طيبة مع حسنه - إلى الاسم الذى كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذى هو اللوم و التعنيف ، إظهارا للعدول عن الإسلام ، قال فى الجمع بين العباب و المحكم : ثرب عليه ثربا و أثرب ، بمعنى ثرب تثريبا - إذا لامه و عيّره بذنبه و ذكره به . و أكدوا بنفى الجنس لكثرة مخالفتهم فى ذلك فقالوا : ﴿ لا مقام لكم ﴾ أى قياما أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة[4] بالفتح[5] ، و على قراءة حفص بالضم المعنى : لا إقامة أو موضع إقامة[6] فى مكان[7] القتال و مقارعة الأبطال ﴿ فارجعوا ج ﴾ إلى منازلكم هرابا ، و كونوا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دايل (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل و م : يطرف بعض ، و فى ظ : يطوف بعض .
(٤) راجع نثر المرجان ٥ / ٣٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل : قيام ، و الكلمة مع « أو موضع » ساقطة من ظ (٧) فى مد : موضع .

مع نسائكم [أذنابا -[1]] ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم[2] عند هذه الجنود [يد - [3]] .

و لما ذكر هؤلاء الذين هتكوا الستر ، و بينوا ما هم فيه من سفول الأمر ، أتبعهم آخرين تستروا بعض التستر[4] تمسكا بأذيال النفاق ، خوفا من أهوال الشقاق ، فقال : ﴿ و يستاذن ﴾ أى يجدد كل وقت طلب الإذن لأجل[5] الرجوع إلى البيوت و الكون مع النساء ﴿فريق منهم﴾ أى طائفة شأنها الفرقة ﴿ النبى ﴾ و قد رأوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق و الخلق ، و ما لديه من جلالة الشمائل وكريم الخصائل ، و لم يخشوا من إنبائنا له بالأخبار ، و إظهارنا له الخبء[5] من مكنون الضمائر و خفى الأسرار ، حال كونهم ﴿يقولون ﴾ [أى - [3]] فى كل قليل ، مؤكدين لعلمهم بكذبهم و تكذيب المؤمنين لهم [قولهم -[3]] : ﴿ ان بيوتنا ﴾ أتوا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرة أصحابهم من المنافقين ﴿عورة ﴾ أى [بها -[6]] خلل كثير[7] يمكن من أراد من الأحزاب أن يدخلها منه ، فاذا ذهبنا إليها حفظناها منهم و كفينا من يأتى إلينا من مفسديهم[8] حماية للدين ، و ذبا عن الأهلين .

و لما قالوا ذلك مؤكدين له ، رده الله تعالى مؤكدا لرده مبينا لما

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : لهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الستر (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : إلى . (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ و مد : كبير (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مفسدهم .

أرادوا فقال: ﴿و ما﴾ أي و الحال أنها ما ﴿هى﴾ [فى ذلك الوقت الذى قالوا هذا فيه، و أكد النفى فقال -[1]]: ﴿بعورة ج﴾ و لا يريدون [بذهابهم حمايتها ﴿ان﴾ أى ما ﴿يريدون﴾ -[1]] باستئذانهم ﴿الا فراراه﴾ و لما كانت[2] عنايتهم [مشتدة -[1]] بملازمة دورهم، فاظهروا اشتداد العناية بحمايتها زورا، بين الله ذلك و دل عليه بالإسناد إلى الدور [تنبيها -[1]] على أنها ربة الحماية و العمدة فقال: ﴿و لو دخلت﴾ أى بيوتهم من أىّ داخل كان من هؤلاء الأحزاب[3] أو[4] غيرهم، و أنث الفعل نصا على المراد و إشارة إلى [أن -[5]] ما ينسب[6] إليهم جدير بالضعف، و عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ إشارة إلى أنــه دخول غلبــة[7] ﴿من اقطارها﴾ أى جوانبها كلها بحيث لايكون لهم مكان للهرب[8].

و لما كان قصد الفرار مع الإحاطة بالدار، من جميع الأقطار، دون الاستقتال[9] للدفع عن الأهل و المال، بعيدا عن أفعال الرجال؛ عبر[10] بأداة التراخى فقال: ﴿ثم سئلوا﴾ أى[11] من أىّ سائل [كان -[1]] ﴿الفتنة﴾ أى الخروج منها فارّين، وكأنه سماه بها لأنه لما / كان أشد الفتنة[11] ٢٢٠ /

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: كان (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحراب (٤) فى ظ «و» (٥) زيد من م و مد. (٦) من م و مد، و فى الأصل: يتسبب، و فى ظ: بنت - كذا (٧) من م و مد، و فى الأصل وظ: عليه (٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: للترب. (٩) من ظ و م، و فى الأصل و مد: الاستقبال (١٠) زيد فى ظ: عنه. (١١) سقط من ظ.

[1]من حيث أنه لا يخرج الإنسان من بيته إلا الموت أو ما يقاربه كان كأنه لا فتنة سواه ﴿ لأتوها ﴾ أى الفتنة[1] بالخروج فرارا، إجابة لسؤال من سألهم مع غلبة الظن بالدخول على صفة الإحاطة أن لا نجاة، فهم أبدا يعولون على الفرار من غير قتال حماية لذمار[2] أو دفعا لعار، أو ذبا عن أهل أو جار، و هذا[3] المعنى ينتظم قراءة [أهل -[4]] الحجاز بالقصر و غيرهم[5] بالمد[6]، فان من أجاب إلى الفرار فقد أعطى ما كأنه كان فى يده منه غلبة و جبنا و قد جاءه و فعله.

و لما كان هذا عند العرب - مع ما لهم من النجدة و الخوف من السبة[7] - لا يكاد يصدق، أشار إلى ذلك بتأكيده فى زيادة تصويره فقال: ﴿ و ما تلبثوا بهآ ﴾ [أى -[4]] البيوت ﴿ الا يسيرا ﴾ فصح بهذا أنهم لا يقصدون إلا الفرار، لا حفظ البيوت من المضار، و يدلك على هذا المعنى اتباعه بقوله مؤكدا لأجل ما لهم من الإنكار و الحلف بالكذب[8]: ﴿ و لقد كانوا ﴾ أى هؤلاء الذين أسرعوا الإجابة إلى الفرار مع الدخول عليهم على تلك الصفة من سبى حريمهم و اجتياح[9] بيضتهم ﴿ عاهدوا الله ﴾ أى الذى لا أجلّ منه.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ارماد.
(٣) العبارة من «الفرار» إلى هنا ساقطة من مد (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) فى ظ: غيره (٦) راجع نثر المرجان ٥/٣٨٥ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشبه (٨) فى ظ و م و مد: فى الكذب (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: احتياج.

و لما كان العهد ربما طال زمنه فنسى، فكان ذلك عذرا لصاحبه، بين قرب زمنه بعد[1] بيان عظمة المعاهد اللازم منه ذكره، فقال مثبتا الجار: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه الحالة و هذه الغزوة حين أعجبتهم المواعيد الصادقة بالفتوحات التى سموها الآن عند ما جد الجد عما هى مشروطة به من الجهاد غرورا ﴿لا يولّون﴾ أى يقربون عدوهم ﴿الادبار[4]﴾ أى أدبارهم[2] أبدا لشىء من الأشياء، و لا يكون لهم عمل إذا حمى البأس، و تخالط الناس، و احمرت الحدق و تداعس الرجال، و تعانق الحماة الأبطال إلى[3] الظفر أو الموت.

و لما كان الإنسان قد يتهاون بالعهد لإعراض المعاهد عنه قال: ﴿و كان عهد الله﴾ أى الوفاء بعهد من هو محيط بصفات الكمال. و لما كان العهد فضلة فى الكلام لكونه مفعولا، و اشتدت العناية به هنا، بين ذلك بتقديمه أولا[4] ثم بجعله العمدة، و إسناد الفعل إليه ثانيا فقال: ﴿مسئولا ه﴾، أى فى[5] أن يوفى[6] به ذلك الذى وقع منه.

و لما أتم سبحانه ما أخبر به رسوله صلى الله عليه و سلم كما دل عليه التعبير بالنبى، استأنف أمره بجوابهم جوابا لمن كأنه قال: ما ذا يقال لهم؟ و إجراءً للنصيحة على لسانه[7] لما هو مجبول عليه من الشفقة، ﴿قل﴾ أى لهم، و أكد لظنهم نفع الفرار: ﴿لن ينفعكم﴾ أى[8] فى

(١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: مع (٢) فى ظ: ديارهم (٣) فى الأصول: الا (٤) من ظ وم ومد، و فى الأصل: اوبا (٥) سقط من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يؤتى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسانهم (٨) سقط من ظ.

تأخير آجالكم فى وقت من الأوقات ﴿ الفرار ﴾ أى الذى ما كان استئذانكم إلا بسببه ﴿ان فررتم من الموت﴾ أى بغير عدو ﴿او القتل﴾ لأن الأجل إن كان [قد - [1]] حضر ، لم يتأخر بالفرار و إلا لم يقصره الثبات كما كان على رضى الله عنه يقول : إذا دهم الأمر ، [2]و توقد الجمر[2] ، و اشتد من الحرب الحر ، [3]أىّ يومىّ[3] من الموت أفر؟ يوم لايقدر[4] أو يوم قدر ، و ذلك أن أجل الله الذى أجله محيط بالإنسان لايقدر أن يتعداه أصلا ﴿ و اذاً ﴾ أى و إذ فررتم .

و لما كانوا لايقصدون بالعيش إلا التمتع ، بين ذلك بالبناء للجهول فقال : ﴿ لاتمتعون ﴾ / أى تمتعا مبالغا فيه كما تريدون بما بقى من / ٢٢١ أعماركم إن كان بقى منها شىء ﴿الا قليلاه﴾ بل يتمكن العدو منكم بأدباركم، و من أموالكم و أحسابكم و دياركم، فيفسد مهما[5] قدر عليه من ذلك فلا تقدرون على تداركه إلا بعد زمان طويل و تعب كبير ، بخلاف ما إذا ثبتم وفاء بالعهد و حفظا للثناء فلاقيتم الأقران ، و قارعتم الفرسان ، اعتمادا على ربكم و طاعة لنبيكم ، فان [كان - [1]] الأجل قد أتى لم ينقصكم ذلك شيئا ، و متم أعزة كراما ، و إلا فزتم بالنصر ، و حزتم الأجر ، و عشتم بأتم نعمة إلى تمام العمر ، فالثبات أبقى للمهج ، و أحفظ للعيش البهج[6] .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتومن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لا تدر .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيهما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البهيج .

و لما كانوا لما عندهم من التقيد[١] بالوهم، و الدوران مع الحس دأب البهم[٢]، جديرين بأن يقولوا: بلى ينفعنا لأنا طالما رأينا من هرب فسلم، و من ثبت فاصطلم، أمره بالجواب عن هذا بقوله: ﴿قل﴾ أى لهم منكرا عليهم: ﴿من ذا الذى يعصمكم﴾ أى يمنعكم ﴿من الله﴾ المحيط بكل شىء قدرة و علما قبل الفرار و فى حال الفرار و بعده ﴿ان اراد بكم سوءا﴾ فأناخ بكم نقمه فيرد ذلك السوء عنكم ﴿او﴾ يهينكم و يقبح[٣] جانبكم و يمتهنه بأن يصيبكم بسوء إن ﴿اراد بكم رحمة[٤]﴾ فأفادكم نعمه[٤]، و الرحمة النفع سماه بها لأنه أثرها، قيسوا هذا المعنى على مقاييس عقولكم معتبرين له بما وجدتم من الشقين فى جميع أعماركم، هل احترزتم عن سوء إرادة فنفعكم الاحتراز، [٥]أو اجتهد[٥] غيره فى منعكم رحمة منه فتم له أمره أو أوقع الله بكم شيئا من ذلك فقدر أحد مع بذل الجهد على كشفه بدون إذنه؟ و يمكن أن تكون الآية من الاحتباك: ذكر السوء أولا دليلا على حذف ضده ثانيا، و ذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف ضدها[٦] أولا.

و لما كانوا أجمد الناس، أشار سبحانه [٧]بكونهم لم يبادروهم[٨] بأنفسهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التقييد (٢) فى الأصل: البهيم، و فى ظ و م و مد: البهائم (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يمينكم قبيح.
(٤) زيد فى ظ: فيرد ذلك السوء (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاجتهد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ضده (٧) العبارة من هنا إلى «المتاب» ساقطة من م (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يبادوهم.

الجواب بما يدل على المتاب إلى جودهم بالعطف[1] على ما علم أن تقديره جوابا من كل ذى بصيرة: لايعصمهم أحد من دونه من شيء من ذلك، و لايصيبهم بشيء منه، فقال: ﴿و لا يجدون﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿لهم﴾ و نبه على أنه لا شيء إلا و هو فى قبضته سبحانه، و أنه لا إحاطة لشيء غيره بشيء حتى و لا بالرتب التى دون رتبته[2] بقوله، مثبتا الجار: ﴿من دون الله﴾ و عبر بالاسم العلم إشارة إلى إحاطته بكل وصف جميل، فمن أين يكون لغيره الإلمام بشيء منها إلا باذنه ﴿وليا﴾ يواليهم فينفعهم[3] بنوع نفع ﴿و لانصيرا﴾ ينصرهم من أمره فيرد ما أراده[4] بهم من السوء عنهم.

و لما أخبرهم سبحانه بما علم مما أوقعوه من أسرارهم، و أمره صلى الله عليه و سلم بوعظهم، حذرهم بدوام علمه لمن يخون منهم[5]، فقال محققا مقربا من الماضى و مؤذنا بدوام هذا الوصف له[6]: ﴿قد يعلم﴾ و لعله[7] عبر بـ «قد» التى ربما أفهمت فى هذه العبارة التقليل، إشارة إلى أنه يكفى من له أدنى عقل فى الخوف[8] من سطوة المتهدد [9]احتمال عليه[9]، و عبر بالاسم الأعظم فقال: ﴿الله﴾ إشارة إلى إحاطة الجلال

(١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: بالعطب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: رتبه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وينفعهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اراه (٥) فى ظ: منكم (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ: قد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوصف (٩-٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: احتماله عقله.

و الجمال ﴿ المعوقين ﴾ اى المثبطين[1] تثبيط تكرية و عقوق، يسرعون فيه إسراع الواقع بغير اختياره ﴿منكم﴾ أى أيها الذين أقروا / بالإيمان ٢٢٢ /
للناس قاطبة عن إتيان حضرة الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿والقآئلين لاخوانهم هلم﴾ أى ائتوا و أقبلوا ﴿الينا ج﴾ موهمين أن ناحيتهم مما يقام فيه القتال، و يواظب على صالح الأعمال ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنهم لا ﴿ياتون البأس﴾ أى الحرب أو مكانها ﴿ الا قليلا لا ﴾ للرياء و السمعة بقدر ما يراهم المخلصون، فاذا اشتغلوا بالمعاركة و كفى [2]كل منهم[2] ما إليه تسللوا عنهم لواذا، و عاذوا بمن لا ينفعهم من الخلق عياذا.

و لما كانوا يوجهون لكل من أفعالهم هذه وجها صالحا، بين فساد قصدهم بقوله ذاما غاية الذم بالتعبير بلفظ الشح الذى هو التناهى فى البخل، فهو بخل بما فى اليد و أمر للغيب بالبخل فهو بخل إلى بخل[3] خبيث قذر متمادٍ فيه مسارع إليه ﴿ اشحة ﴾ أى يفعلون ما تقدم و الحال أن[4] كلا منهم شحيح ﴿ عليكم ج ﴾ أى بحصول نفع منهم أو من غيرهم بنفس أو مال.

و لما كان التقدير: فى حال الأمن، أتبعه بيان حالهم فى الخوف فقال: ﴿ فاذا جآء الخوف ﴾ أى لمجيء أسبابه من الحرب و مقدماتها ﴿ رايتهم ﴾ أى أيها المخاطب ﴿ ينظرون ﴾ و بين بعدهم حسا و معنى بحرف الغاية فقال: ﴿ اليك ﴾ أى حال كونهم ﴿ تدور ﴾ يمينا و شمالا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتبطئين (٢ - ٢) فى ظ: كلهم.
(٢-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: انهم.

بادارة الطرف ﴿ اعينهم ﴾ أى زائغة[١] رعبا و خورا ؛ ثم شبهها فى سرعة تقلبها لغير قصد صحيح فقال : ﴿ كالذى ﴾ أى كدوران عين الذى ، و بين شدة العناية بتصوير[٢] ذلك بجعل المفعول عمدة ببناء الفعل له فقال : ﴿ يغشىٰ عليه ﴾ مبتدئا غشيانه ﴿ من الموت ج ﴾ سنة الله فى أن كل من عامل الناس بالخداع ، كان قليل الثبات عند القراع[٣] ؛ ثم ذكر خاصة أخرى لبيان جبنهم فقال : ﴿ فاذا ذهب الخوف[٤] ﴾ أى بذهاب أسبابه ﴿ سلقوكم ﴾ أى تناولوكم تناولا صعبا جرأة و وقاحة ، ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن و الخور[٥] ﴿ بالسنة حداد ﴾ ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف فى غاية اللجلجة[٦] لاتقدر على الحركة من قلة الريق و يبس الشفاه ، و هذا [لطلب -[٧]] العرض الفانى من الغنيمة أو غيرها ؛ ثم بين المراد بقوله : ﴿ اشحة ﴾ أى شحا مستعليا ﴿ على الخير ط ﴾ أى المال الذى عندهم ، و فى اعتقادهم أنه لاخير غيره ، شحا لا يريدون أن يصل شيء منه[٨] إليكم و لا يفوتهم[٨] شيء منه ، و هذه [سنة -[٩]] أخرى فى أن من كان صلبا فى الرخاء كان رخوا حال الشدة و عند اللقاء ، و إنما فسرت الشح بهذا لأن مادته بترتيبها تدور على الجمع الذى انتهى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : راعيه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتصور (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النزاع (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) فى ظ : الخوف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاجاجلة . (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و م و مد .

فاشرف على الفساد[1]، من الحشيش و المحشة، و هى الدبر، فهو جمع يتبعه فى الأغلب نكد و أذى، و من لوازم مطلق الجمع القوة فتبعها الصلابة، فربما نشأت القساوة، و ربما نشأت[2] عن الجمع الفرقة فلزمتها الرخاوة، فمن الجمع النكد الشح و هو البخل و الحرص، و شح النفس حرصها على ما ملكت، قال القزاز: و جمع الشحيح فى أقل العدد أشحة. و لم اسمع غيره، و حكى أبو يوسف: أشحاء - بالمد فى الكثير، ٢٢٣ / و الرجلان يتشاحان عن الأمر / - إذا كان كل[3] منهما يريد أن[4] لا يفوته، و زند شحاح: لا يورى، و ماء شحاح: نكد غير غمر - لانه اشتد اجتماعه فى مكانه، و اشتدت أرضه باجتماع أجزائها فصلبت جدا فضنت به. و أرض شحاح: صلبة. قال القزاز: و به شبه الزند، و الشحشاح: الحاد و السيء الخلق و الماضى فى كلام أو سير، و المواظب على الشيء، لأن ذلك من لوازم الحدة الناشئة عن القوة الناشئة عن الجمع، و من هنا قيل للخطيب البليغ و الشجاع و الغيور: [5]شحشح و شحشاح، و الشحشح[5] من الغربان: الكثير الصوت، و من الحمير: الخفيف، و من القطا: [6]السريعة، و الشحشاح[6]: الطويل - كأنه جمع طولين، و شحشح البعير

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى ظ و م و مد: نشأ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلا (٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل: انه (٥-٥) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: شحيح و شحاح و الشحيح (٦-٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: الشريعة و الشحاح.

في الهدير - إذا لم يخاصه، كأنه [جمع -[1]] إلى الهدير ما ليس بهدير، و الشحشحة: صوت الصرد - لكثرة اتصالها، فهي ترجع إلى الحدة التي ترجع إلى القوة الناشئة عن الجمع، و ترديد البعير في الهدير و الطيران السريع و الحذر، فانه يدل على اجتماع القلب و نقوب الذهن، و امرأة شحشاح - كأنها رجل في قوتها، و المشحشح -[2] كمسلسل: القليل الخير، و إبل شحائح: قليلة الدر، و ذلك من الجمع و الصلابة الناشئة عن القساوة و النكد، [2]و الشحيح من الأرض ما يسيل من أدنى مطر، لصلابتها و شدة اجتماع بعضها إلى[2] بعض، و الشحشح أيضا من الأرض ما لا يسيل إلا من مطر كثير ضد الأول، و ذلك ناظر إلى جمعها للاعز لغوره[3] فيها لما في أجزائها من التفرق الذي تقدم أنه من لوازم الجمع، و من مطلق الجمع: الفلاة الواسعة - لأنها جامعة لما يراد جمعه، و الشحاح: شعاب صغار تدفع الماء إلى الوادي، فهي بمدها جامعة، و بكونها صغارا نكدة و مجتمعة في نفسها، و من الجمع: الحشيش، و هو اليابس من العشب، و أصله ما جمع منه. و المحش[4]: الموضع[5] الكثير الحشيش و الخير، لأن الجمع ربما نشأ عنه رفق، و كثرة الحشيش يلزمها الرفق بعلفه للدواب، و يكون أرضه طيبة، و منه[6] حش الحشيش: قطعه،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: لفورة (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: المحسن (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الوضع (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: منها.

و فلانا : أصلح من حاله ، و المال : كثره ، و زيدا بعيرا أو ببعير : أعطاه إياه ، و الحش ـ بالفتح : المخرج ، و المحشة : الدبر ، و الحش : البستان ذو النخل المجتمع ، سمي الخلاء به لأن العرب كانت تقضي الحاجة فيه ، و حش طلحة و حش كوكب : موضعان بالمدينة ، و حش[1] الولد في البطن : يبس ، و أحشت المرأة فهي محش ـ إذا يبس الولد في جوفها ، و الحش ـ بالضم : الولد الهالك في البطن ، و حششت[2] الفرس : جمعت له الحشيش ، [و أحششت الرجل : أعنته على جمع الحشيش ، و الحشاش : الجوالق فيه الحشيش ـ[3]] ، و أحش الكلأ : أمكن لأن يحش ، و المستحشة من النوق التي دقت أوظفتها[4] ، أي ما فوق رسغها إلى ساقها ، و ذلك من عظمها و كثرة شحمها ، و استحش الغصن : طال ـ كأنه جمع طولين ، أو صار بحيث يجمع ورقا كثيرا ، و استحش ساعدها كفها أي[5] عظم حتى صغرت الكف عنده ، و ألحق الحش بالإش أي الشيء بالشيء ، و حش الودي من النخل[6] : يبس ، و من الجمع : حش الصيد : جمعه من جانبيه ، و الفرس : ألقى له حشيشا ، قال القزاز : و هو يبس الكلأ ، و أصله ما جمع ، و منه : أحشك و تروثني[7] ـ يضرب لمن أساء إلى من أحسن إليه ،

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : الحش (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : جشت ـ خطأ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م ومد و القاموس ، وفي الأصل : اوطيتها (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : إلى (٦) زيد في الأصل : أي . و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٧) من القاموس ، و في الأصول : ترثني .

و مرت

و مرت الإبل تحش الأرض، أي تجمع الحشيش، و قيل: هو من سرعة مرها، و فيه مع كثرة الجمع للخطى بتقاربها معنى الحدة، و منه حش الفرس: أسرع، و من الإشراف على الفساد: الحش - بالفتح و هو النخل الناقص القصير ليس بسىق و لامعمور، و الحشاشة: رمق النفس، يقال: ما بقي من فلان إلا حشاشة أي رمق يسير يحيي به، و عبارة القاموس: و الحشاش و الحشاشة: بقية الروح في المريض و الجريح، فهذا بين في الإشراف على الفساد كما تقدم، و هو أيضا من الفرقة التي قد تلزم الجمع و منه تحشحشوا أي تفرقوا، و منه قلة الاستحشاش[1]، و هو قلة القوم، و من الحدة الناشئة عن القوة الناشئة: عن الجمع حششت النار أي أوقدتها و جمعت الحطب إليها، و كل ما قوي[2] بشيء فقد حش به، و المحش: حديدة يوقد بها النار أي تحرك، و الشجاع، قال القزاز، و هو محش حرب - إذا كان يسعرها بشجاعته، و حش فلان الحرب - إذا هيجها، و منه تحشحشوا[3] أي تحركوا، و من مطلق الحدة: أحششته عن حاجته[4]: أعجلته عنها، و من الجمع و القوة: حش سهمه بالقذذ - إذا راشه فألزقها من نواحيه، و حشاشاك أن تفعل كذا أي قصاراك أي نهاية جمعك [5]لكل ما تقوى به[5]، و حشاشا كل شيء: جانباه، و الحشة - بالضم: القبة[6] العظيمة، لكثرة

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الاحتشاش (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: حش (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: تحششوا (٤) زيد في الأصل: إذا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: جعل الكل ما يقوى (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: القمة.

جمعها و قوة تراصّها .

و لما وصفهم سبحانه بهذه الدنايا، أخبر بأن أساسها و أصلها الذى نشأت عنه[1] عدم الوثوق بالله لعدم الإيمان فقال : ﴿اولـئك﴾ أى البغضاء البعداء الذين محط أمرهم الدنيا ﴿لم يؤمنوا﴾ أى لم يوجد منهم إيمان بقلوبهم و إن أقرت به ألسنتهم .

و لما كان العمل لايصح بدون الإيمان ، سبب عن ذلك قوله : ﴿فاحبط الله﴾ أى بجلاله و تفرده فى[2] كبريائه و كماله ﴿اعمالهم﴾ أى أبطل أرواحها . فصارت أجسادا لا أرواح لها . فلا نفع لهم بشىء منها لأنها كانت فى الدنيا صورا مجردة عن الأرواح التى هى القصود الصالحة . فانهم لا قصد لهم بها إلا التوصل إلى الأعراض الدنيوية ، و هذا إعلام بأن من كانت الدنيا أكبرهمه فهو غير مؤمن ، و أنه يكون خوارا[3] عند الهزاهز ، ميالا إلى دنايا الشجايا و الغرائز .

و لما كان من عمل عملا لم يقدر غيره و إن كان أعظم منه ان يبطل نفعه به إلا بعسر شديد ، قال تعالى : ﴿وكان ذلك﴾ أى الإحباط العظيم مع ما لهم من الجرأة فى الطلب و الإلحاف [عند السؤال -[4]] و قلة الأدب ﴿على الله﴾ بما له من صفات العظمة التى تخشع لها الأصوات ، و تخرس الألسن الذربات ﴿يسيرا﴾ لأنه لا نفع [إلا منه -[4]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خوار (٤) زيد من ظ و م و مد .

و هو الواحد القهار ، و أما غيره فانما عسر عليه ذلك ، لأن النفع من غيره - و إن كان منه حقيقة[1] - قهره غيره بالشفاعات و وجوه[2] النكد أو غيرها عليه ، و كأنهم لما ذهب استمروا خاضعين لم يطلقوا ألسنتهم و لا أعلوا كلمتهم ، فأخبر تعالى تحقيقا لقوله الماضى فى جبنهم / أن المانع ٢٢٥ / الذى ذكره لم يزل من عندهم لفرط جبنهم ، فقال تحقيقا لذلك و جوابا لمن ربما قال : قد ذهب الخوف فما لهم ما سلقوا ؟ : ﴿ يحسبون ﴾ أى يظنون لضعف عقولهم فى هذا الحال ، و قد ذهب الخوف ، لشدة جبنهم و ما رسخ عندهم من الخوف ﴿ الاحزاب ﴾ و قد علمتم أنهم ذهبوا ﴿ لم يذهبوا ج ﴾ بل غابوا خداعا ، و عبر بالحسبان لأنه - كما مضى عن الحرالى فى البقرة[3] - ما تقع غلبته فيما هو من نوع ما فطر الإنسان عليه و استقر عادة له ، و الظن فيما هو من المعلوم المأخوذ بالدليل و العلم ، قال : فكان ضعف[4] علم العالم ظن ، و ضعف عقل العاقل حسبان .

و لما أخبر عن حالهم فى ذهابهم ، أخبر عن حالهم لو وقع ما يتخوفونه من رجوعهم ، فقال معبرا بأداة الشك بشارة لأهل البصائر أنه فى عداد المحال : ﴿ و ان يات الاحزاب ﴾ أى بعد ما ذهبوا ﴿ يودوا ﴾ أى يتجدد لهم غاية الرغبة من الجبن و شدة الخوف ﴿ لو[5] انهم بادون ﴾ أى فاعلون للبدو و هو الإقامة فى البادية على حالة الحل و الارتحال

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو .
(٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ضعيف (٥) ليس فى الأصل فقط .

﴿فى الاعراب﴾ الذين هم عندهم فى محل النقص[1]، و ممن تكره مخالطته و لو كان تمنيهم فى ذلك الحين محالا ؛ ثم ذكر حال فاعل "بادون" فقال : ﴿يسالون﴾ كل وقت ﴿عن انبآئكم[4]﴾ العظيمة معهم جريا على ما هم عليه من النفاق ليبقوا لهم عندكم وجها كأنهم مهتمون بكم، يظهرون بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب [أو ليخفوا غيبتهم و يظهروا أنهم كانوا بينكم فى الحرب بأمارة أنه وقع لكم فى وقت كذا أو مكان كذا، و يكابروا على ذلك من غير استحياء -[2]] لأن النفاق صار لهم خلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه، و يرشد إلى هذا المعنى قراءة يعقوب[3] "يسالون" بالتشديد ﴿ و لو ﴾ أى و الحال أنهم لو ﴿ كانوا فيكم ﴾ أى[4] حاضرين لحربهم[5] ﴿ما قتلوآ﴾ أى معكم ﴿ الا قليلا[4] ﴾ نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الأحزاب من حضورهم معكم تارة و استئذانهم فى الرجوع إلى منازلهم أخرى، و التعويق لغيرهم بالفعل كرة، و التصريح بالقول أخرى .

و لما أخبر تعالى عنهم بهذه الأحوال التى هى[6] غاية [فى -[7]] الدناءة، اقبل عليهم إقبالا يدلهم على تناهى الغضب، فقال مؤكدا محققا لأجل إنكارهم : ﴿لقد كان لكم﴾ ايها الناس كافة الذين المنافقون فى غمارهم ﴿ فى رسول الله ﴾ الذى جاء عنه لإنقاذكم من كل ما يسوءكم،

(١) فى ظ و م و مد : نقص (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٩٣ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بهم (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل : فه (٧) زيد من ظ و م و مد .

و جلاله

و جلاله من[١] جلاله المحيط بكل جلال، و كماله من كماله العالى على كل كمال، و هو أشرف الخلائق، فرضيتم مخالطة الأجلاف بدل الكون معه ﴿اسوة﴾ أى قدوة[٢] عظيمة - على قراءة عاصم[٣] بضم الهمزة، و فى أدنى المراتب - على قراءة الباقين بالكسر، تساوون أنفسكم به و هو أعلى الناس قدرا يجب على كل أحد أن[٤] يفدى ظفره الشريف و لو بعينه فضلا عن أن يسوى نفسه بنفسه، فيكون معه فى كل أمر يكون فيه، لايتخلف عنه أصلا ﴿حسنة﴾ على قراءة الجماعة بمطلق الصبر فى البأساء و أحسنية - على قراءة عاصم بالصبر على الجراح فى نفسه و الإصابة فى عمه[٥] و أعزّ أهله و جميع ما [كان - [٦]] يفعل فى مقاساة الشدائد، و لقاء الأقران، و النصيحة لله و لنفسه و للمؤمنين، و عبر عنه بوصف الرسالة لأنه حظ الخلق منه ليقتدوا بأفعاله و أقواله، و يتخلقوا بأخلاقه / ٢٢٦ و أحواله، و نبه على أن الذى يحمل على التأسى به صلى الله عليه و سلم إنما هو الصدق فى الإيمان و لاسيما الإيمان بالقيامة، و أن الموجب[٧] للرضا بالدنايا[٧] هو التكذيب بالآخرة فقال مبدلا من "لكم": ﴿ لمن كان ﴾ أى كونا كأنه جبلة له ﴿يرجوا الله﴾ أى فى جبلته أنه يجدد الرجاء مستمرا للذى لاعظيم فى الحقيقة سواه فيأمل[٨] إسعاده و يخشى إبعاده

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قدرة (٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٩٤ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: أى. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عمد (٦) زيد من ظ و م و مد. (٧ - ٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بالرضا للدنايا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فيومل.

﴿و اليوم الأخر﴾ الذى لابد من إيجاده و مجازاة الخلائق فيه بأعمالهم، فمن كان كذلك حمله رجاؤه على كل خير، و منعه عن كل شر، فانه يوم التغابن، لأن الحياة فيه دائمة، و الكسر فيه لا يجبر.

و لما عبر بالمضارع المتقضى لدوام التجدد اللازم منه دوام الاتصاف الناشئ عن المراقبة لأنه فى جبلته[1]، أنتج أن يقال: فأسى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى كل شيء تصديقا لما فى جبلته من الرجاء، فعطف عليه، أو على "كان" المقتضية للرسوخ[2] قوله: ﴿و ذكر الله﴾ [3] الذى له صفات الكمال، و قيده بقوله: ﴿كثيرا ۵﴾ تحقيقا لما ذكر من معنى الرجاء الذى به الفلاح و أن المراد منه[4] الدائم فى حالى السراء و الضراء.

و لما أخبر عما حصل فى هذه الوقعة[5] من الشدائد الناشئة عن الرعب لعامة الناس، و خص من بينهم المنافقين بما ختمه بالملامة فى ترك التاسى بمن[6] أعطاه الله قيادهم، و أعلاه عليهم فى الثبات و الذكر، و ختم هذا الختم بما يثمر الرسوخ فى الدين، ذكر حال الراسخين فى اوصاف الكمال المتأسين بالداعى، المقتفين للهادى، فقال عاطفا على "هنالك ابتلى المؤمنون": ﴿و لما رآ المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الإيمان ﴿الاحزاب[7] ۷﴾ الذين[8]

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حيانه (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٣) زيد فى ظ: اى (٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الواقعه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٧) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى.

أدهشت رؤيتهم القلوب[1] ﴿ قالوا ﴾ أى مع ما حصل لهم من الزلزال و تعاظم الأحوال : ﴿ هذا ﴾ أى الذى نراه من الهول ﴿ ما وعدنا ﴾ [من تصديق دعوانا الإيمان بالبلاء و الامتحان -[2]] ﴿ الله ﴾ الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ المبلغ عنه فى [نحو -[3]] قوله " ام حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما ياتكم مثل الذين [4]خلوا من قبلكم " " احسب الناس ان يتركوا " " ام حسبتم ان تتركوا و لما يعلم الله الذين[4] جاهدوا منكم " و أمثال ذلك ، فسموا المس بالباساء[5] و الضراء ، و الابتلاء بالزلزال و الأعداء ، [وعدا -[3]] لعلمهم بما لهم عليه عند الله ، و لاسيما فى يوم الجزاء ، و ما يعقبه من النصر ، عند اشتداد الأمر .

و لما كان هذا معناه التصديق ، أزالوا عنه احتمال أن يكون أمرا اتفاقيا ، و صرحوا به على وجه يفهم الدعاء بالنصر الموعود به فى قولهم عطفا على هذا : ﴿ و صدق ﴾ [مطلقا لا بالنسبة إلى مفعول معين -[2]] ﴿ الله ﴾ الذى له صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى كماله من كماله ، أى ظهر صدقهما فى عالم الشهادة فى كل ما وعدا به من السراء و الضراء مما رأيناه . و هما صادقان فيما غاب عنا مما وعدا به من نصر و غيره ، و إظهار الاسمين للتعظيم و التيمن بذكرهما .

و لما كان هذا قولا يمكن أن يكون لسانيا فقط كقول المنافقين ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العقول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالسراء (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نسانا .

أكده لظن المنافقين ذلك، فقال سبحانه شاهدا لهم: ﴿ و ما زادهم ﴾ أى ما رأوه من أمرهم المرعب[1] ﴿ الا ايمانا ﴾ أى بالله و رسوله بقلوبهم؛ و أبلغ سبحانه[2] فى وصفهم بالإسلام، فعبر بصيغة التفعيل فقال: ﴿ و تسليما ؐ ﴾ [3]أى لهما بجميع جوارحهم[3] فى جميع القضاء و القدر، / و قد تقدم فى قوله تعالى فى سورة الفرقان " و يجعل لك قصورا[4] " ٢٢٧ / ما هو من شرح هذا. و لما كان كل [من -[5]] آمن بائعا[6] نفسه و ماله لله، لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم، و كان بعض الراسخين فى الإيمان لم يعط الإيمان حقه فى القتال فى نفسه و ماله، كما فعل أبو بكر رضى الله عنه، أما فى ماله فبالخروج عنه كله، و أما فى نفسه فبما كان يقحمها من الأهوال، حتى كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول له فى بعض المواطن: الزم مكانك و أمتعنا بنفسك، و يقول له و لعمر رضى الله عنهما أنهما من الدين بمنزلة السمع و البصر، وكان أبو بكر رضى الله عنه فى ليلة الغار يذكر الطالب فيتأخر، و الرصد فيتقدم، و ما عن الجوانب[7] فيصير إليها؛ و منهم من وفى فى هذه الغزوة و ما قبلها فأراد الله التنويه بذكرهم و الثناء عليهم توفية لما يفضل به من حقهم، وترغيبا لغيرهم[8] فأظهر و لم يضمر لئلا يتقيد بالمذكورين سابقا فيخص

(١) فى ظ و مد: المرغب (٢) زيد فى ظ: شاهدا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) آية ١٠ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بايع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجواب (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصرهم.

هذه

هذه الغزوة فقال: ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الكمل ﴿ رجال ﴾ أى فى غاية العظمة عندنا، ثم وصفهم بقوله: ﴿ صدقوا ﴾.

و لما كان العهد عند ذوى الهمم العلية، و الأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم [له -[1]] و محافظتهم على الوفاء به، و تصوره[2] لهم حتى كأنه رجل عظيم قائم تجاههم يتقاضاهم الصدق، عدى الفعل إليه فقال: ﴿ ما عاهدوا الله ﴾ المحيط علما و قدرة و جلالا و عظمة ﴿ عليه ﴾ أى من[3] بيع أنفسهم و أموالهم له بدخولهم فى هذا الدين الذى بنى على ذلك فوفوا به أتم وفاء، و فى هذا إشارة إلى أبى لبابة [بن -[1]] المنذر رضى الله عنه، وكان من أكابر المؤمنين الراسخين فى صفة الإيمان حيث زل فى إشارته إلى بنى قريظة بأن المراد بهم الذبح، كما تقدم فى الأنفال فى قوله تعالى "يايها الذين امنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا امنتكم[4]" فذهب من حينه و ربط نفسه تصديقا لصدقه[5] فى سارية من سوارى المسجد حتى تاب الله عليه و حله رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة.

و لما ذكر الصادقين، و كان ربما فهم[6] أن الصدق لا يكون إلا بالقتل، قسمهم [قسمين -[1]] مشيرا إلى خلاف ذلك بقوله: ﴿ فمنهم من قضى ﴾ أى أعطى ﴿ نحبه ﴾ [أى نذره -[1]] فى معاهدته أنه ينصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و[7] يموت دونه، و فرغ من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تصويره.
(٣) فى ظ: منه (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لصدقه.
(٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فيهم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: او.

ذاك و خرج من عهدته بأن قتل شهيدا ، فلم يبق عليه نذر كحمزة بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و عبد الله بن جحش و سعد بن الربيع و أنس بن النضر[1] الذى غاب عن[2] غزوة بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتل فيه النبي صلى الله عليه و سلم ، لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع ، فلما انهزم [من انهزم -[3]] فى غزوة أحد قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - و مما صنع هؤلاء - يعنى المنهزمين من المسلمين . و قاتل حتى قتل بعد بضع و ثمانين جراحة[4] من ضربة بسيف ، و طعنة برمح ، و رمية بسهم ، و روى [البخارى -[3]] عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نرى[5] هذه الآيات / نزلت فى أنس ابن النضر "من المؤمنين رجال" - انتهى ، و غير هؤلاء ممن قتل قبل هذا فى غزوة أحد و غيرها . و سعد بن معاذ ممن جرح فى هذه الغزوة و حكم فى بنى قريظة بالقتل و السبى[6] ، و لم يرع لهم حلفهم لقومه ، و لا أطاع قومه فى الإشارة عليه باستبقائهم كما استبق عبد الله بن أبى المنافق بنى قينقاع و لا أخذته بهم رافة غضبا لله و لرسوله[7] رضى الله عنه ، و ممن لم يقتل فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم طلحة بن [8] عبيد الله احد[8] العشرة ٢٢٨ /

(١) فى ظ : أبى النضر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فى (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جراعة (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ٢ / ٧٠٥ ، و فى الأصل : ترى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالسبى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رسوله (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبد الله احدى .

رضى الله عنهم ثبت[1] فى احد و فعل ما لم يفعله غيره، لزم النبي صلى الله عليه و سلم فلم يفارقه، و ذب عنه و وقاه[2] بيده حتى شلت إصبعه فشهد النبي صلى الله عليه و سلم أنه ممن قضى نحبه، فالمراد بالنحب هنا العهد الذى هو كالنذر المفضى إلى الموت، و أصل النحب الاجتهاد فى العمل، و من هنا[3] استعمل فى النذر لأنه الحامل على ذلك ﴿و منهم﴾ أى الصادقين ﴿من ينتظر﴾ قضاء النحب إما بالنصرة، أو الموت على الشهادة، أو مطلق المتابعة الكاملة.

و لما كان[4] المنافقون ينكرون أن يكون أحد صادقا فيما يظهر من الإيمان، أكد قوله تعريضا بهم: ﴿و ما بدلوا تبديلا﴾ أى و ما أوقعوا شيئا من تبديل بفترة أو توان، فهذا تصريح بمدح أهل الصدق، و تلويح بذم أهل النفاق عكس ما تقدم، وروى البخاري[5] [عن زيد بن ثابت -[6]] رضى الله عنه قال: لما نسخنا الصحف[7] بالمصاحف[8] فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه و سلم يقرأها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري - رضى الله عنه - الذى جعل[9] رسول الله صلى الله عليه و سلم شهادته شهادة رجلين "من المؤمنين رجال صدقوا

---

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رقاه (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كانوا المنافقوا - كذا (٥) راجع صحيحه ٢/٧٠٥ (٦) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٧) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: المصحف (٨) فى الصحيح: فى المصاحف (٩) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: جعله.

ما عاهدوا الله عليه ». و قوله « نسخنا الصحف » التى كانت عند حفصة رضى الله عنها بعد موت عمر رضى الله عنه « فى المصاحف » التى أمر بها عثمان رضى الله عنه، و قوله « لم أجدها » أى مكتوبة بدليل حفظه لها، و هذا يدل على أنه لما نسخ المصاحف فى عهد عثمان رضى الله عنه لم يقتنعوا بالصحف، بل ضموا[1] إليها ما هو مفرق عند الناس مما كتب بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و بحضرته كما فعلوا حين جمعوا الصحف على عهد أبى بكر رضى الله عنهم [أجمعين - [2]] .

و لما كان كأنه قيل: قد فهم من سياق هذه القصة أن القصد الإقبال عليه سبحانه، و قطع جميع العلائق من غيره، لأنه قادر على كل شيء، فهو يكفى[3] من أقبل عليه كل مهم و إن كان فى غاية العجز عنه، تارة بسبب ظاهر، و تارة بغيره، فما [4]له لم يحكم[4] بالاتفاق على كلمة الإسلام، لتحصل الراحة من هذا العناء كله، فأجيب بأن هذا لتظهر[5] صفة العز و العظمة و العدل و غيرها ظهورا تاما - إلى غير ذلك من حكم ينكشف عنها الحجاب، و ترفع لتجليها غاية التجلى ستور الأسباب، فقال تعالى معلقا بقوله "جاءتكم جنود": ﴿ليجزى الله﴾ أى الذى يريد إظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص و العام ظهورا تاما ﴿الصدقين﴾ فى ادعاء أنهم آمنوا به ﴿بصدقهم﴾ / فيعلى أمرهم فى /٢٢٩

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضمنوا (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) زيد فى الأصل: كل (٤-٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لهم يحكم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ليظهر.

الدنيا و ينعمهم فى الأخرى، فالصدق سبب و إن كان فضلا منه لأنه الموفق له ﴿و يعذب المنفقين﴾ فى الدارين بكذبهم فى دعواهم[1] الإيمان المقتضى [لبيع -[2]] النفس و المال ﴿إن شآء﴾ يعذبهم بموتهم على النفاق ﴿او يتوب عليهم[4]﴾ أى[3] بما يرون من صدقه سبحانه فى إعزاز أوليائه و إذلال أعدائه بقدرته التامة حيث كانوا قاطعين بخلاف ذلك.

و لما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون[3] من صلابتهم فى الخداع و خبث سرائرهم، قال معللا ذلك كله على وجه التأكيد: ﴿ان الله﴾ أى بما له من الجلال و الجمال ﴿كان﴾ أزلا و أبدا ﴿غفورا رحيما ج﴾ يستر الذنب و يعم على صاحبه بالكرامة، أما فى الإنابة لكل فالرحمة عامة، و أما فى تعذيب المنافق فيخص الصادقين، لان عذاب أعدائهم من أعظم نعيمهم، و فى حكمه بالعدل عموم الرحمة[4] أيضا، فهو لايعذب أحدا فوق ما يستحق.

و لما ذكرهم سبحانه نعمته بما أرسل على أعدائهم من جنوده، و بين أحوال المنافقين و الصادقين و ما له فى ذلك من الأسرار، و ختم بهاتين الصفتين، قال مذكرا بأثرهما فيما خرقه من العادة بصرف الأعداء على كثرتهم و قوتهم على حالة لايرضاها لنفسه عاقل، عاطفا على قوله فى أول [5]السورة و[5] القصة "فارسلنا": ﴿و رد الله﴾ اى بما له من

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دعوى (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد: فرحمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

صفات الكمال ﴿الذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه شموس عقولهم من أدلة الوحدانية وحقية[1] الرسالة. وهم من تحزب من العرب وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلادهم عن المدينة [2]ومضايقة[2] المؤمنين، حال كونهم ﴿بغيظهم﴾ الذى أوجب لهم التحزب [ثم الذى أوجب لهم التفرق عن غير طائل -[3]] حال كونهم ﴿لم ينالوا خيرا[4]﴾ لا من الدين ولا من الدنيا، بل خذلهم بكل اعتبار.

ولما كان الرد قد يكون بسبب من عدوهم، بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿وكفى الله﴾ اى العظيم بقوته وعزته عباده. [3]ودل[3] على أنه[4] ما فعل ذلك إلا لأجل أهل الإخلاص[5] فقال: ﴿المؤمنين القتال[6]﴾ بما ألقى فى قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم [بن -[6]] مسعود كما تقدم.

ولما كان هذا أمرا باهرا، أتبعه ما[7] يدل على أنه عنده يسير فقال: ﴿وكان الله﴾ أى الذى له كل[8] صفة كمال دائما أزلا وأبدا ﴿قويا﴾ لا يعجزه شىء ﴿عزيزا[9]﴾ يغلب كل شىء.

ولما أتم[10] أمر الأحزاب، اتبعه حال الدين اليوم[11]، وكانوا سببا

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: حقيقة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: ما (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الخلاص (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) فى ظ: بما (٨) سقط من ظ (٩) تقدم فى ظ على «لا يعجزه» (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تم (١١) فى الأصل: ابوهم، وفى ظ وم ومد: البوهم - كذا بفك الإدغام.

فى

فى إتيانهم لحيي بن اخطب و الذين مالأوهم على ذلك ، و نقضوا ما كان لهم من عهـد ، فقال: ﴿ و انزل الذين ظاهروهم ﴾ أى عاونوا الأحزاب ، ثم بينهم بقوله مبعضا[1] : ﴿من اهل الكتب﴾ و هم بنو قريظة و من دخل معهم فى حصنهم من بنى النضير لحيي ، و كان ذلك بعد إخراج بنى قينقاع و بنى النضير ﴿من صياصيهم﴾ أى حصونهم العالية ، جمع صيصية و هى كل ما يتمنع به من قرون البقر و غيرها مما شبه بها من الحصون .

و لما كان الإنزال من محل التمنع[2] عجبا ، و كان على وجوه شتى ، فلم يكن صريحا فى الإذلال ، فتشوفت النفس إلى بيان حاله ، بين أنه الذل فقال / عاطفا بالواو ليصلح لما قبل و لما[3] بعد : ﴿و قذف فى قلوبهم الرعب﴾ ٢٣٠ / أى بعد الإنزال كما كان قذفه قبل الإنزال ، فلو قدم القذف على الإنزال لما أفاد هذه الفوائد ، [4]و لا اشتدت ملاءمة[4] ما بعده للانزال .

و لما ذكر ما أذلهم به ، ذكر ما تأثر[5] عنه مقسما له فقال: ﴿فريقا﴾ فذكره بلفظ الفرقة و نصبه ليدل بادئ بدء على أنه طوع لأيدى الفاعلين : ﴿ تقتلون ﴾ و هم الرجال ، و كان نحو سبعمائة . و لما بدأ[1] بما دل على التقسيم[6] مما منه الفرقة ، و قدم أعظم الأثرين الناشئين عن الرعب ، أولاه الأثر الآخر ليصير الأثران المحبوبان محتوشين بما يدل على الفرقة

(١) سقط من مد (٢) من م ومد ، و فى الأصل وظ : التمتع (٣) فى ظ و مد: ما (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشتد ملا - كذا (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : توثر (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : التقيم .

فقال: ﴿و تاسرون فريقا ج﴾ وهم الذرارى و النساء، و لعله أخر الفريق هنا ليفيد التخيير في أمرهم، و قدم في الرجال لتحتم القتل فيهم.

و لما ذكر الناطق بقسميه، ذكر الصامت فقال: ﴿و اورثكم ارضهم﴾ من الحدائق و غيرها؛ و لما عم خص بقوله: ﴿و ديارهم﴾ لأنه يحامى عليها ما لا يحامى على غيرها؛ ثم عم بقوله: ﴿و اموالهم﴾ مما تقدم و من غيره من النقد و الماشية و السلاح و الأثاث و غيرها، فقسم ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم على المسلمين للفارس ثلاثة أسهم: للفرس[1] سهمان و لفارسه[2] سهم كما للراجل ممن ليس له فرس، و أخرج منها الخمس، فعلى سنتها وقعت المقاسم و مضت السنة في المغازى[3]، و اصطفى رسول الله صلى الله عليه و سلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة، فلبثت قليلا، ثم أسلمت، فأراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يتزوجها و يضرب عليها الحجاب فقالت: يا رسول الله! بل تتركنى في ملكك فهو أخف علىّ و عليك، فتركها حتى توفى عنها و هى [في[4]] ملكه رضى الله عنها.

و لما كانت هذه غزوة[5] طار رعبها في الآفاق، و أذلت أهل الشرك من الأميين و غيرهم على الإطلاق، و نشرت ألوية النصر فخفقت أعلامها في جميع الآفاق، و أغمدت سيف الكفر و سلت صارم الإيمان

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الفارس (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لفرسه (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: العلوى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: دعوة.

للرؤس

للروس و الأعناق، حتى قال النبي صلى الله عليه و سلم و هو أبصر الناس بالحروب، و أنفذهم رأيا لما له من الثبات عند اشتداد الكروب: الآن نغزوهم و لا يغزونا، قال تعالى: ﴿ و ارضا لم تطؤها[4] ﴾ أي تغلبوا عليها بتهيئتكم[1] [للغلبة -[2]] عليها و إعطائكم القوة القريبة من فتحها، و هي أرض خيبر أولا، ثم أرض مكة ثانيا ثم أرض[3] فارس و الروم و غيرهما[4] مما فتحه الله بعد ذلك، و كان قد حكم به في هذه[5] الغزوة حين أبرق[6] تلك البرقات[6] للنبي صلى الله عليه و سلم في حفر الخندق، فأراه في الأولى اليمن، و في الأخرى فارس، و في الأخرى الروم.

و لما كان ذلك أمرا باهرا، سهله بقوله: ﴿ و كان الله ﴾ أي أزلا و أبدا بما له من صفات الكمال ﴿ على كل شيء ﴾ هذا و غيره ﴿ قديرا ﴾ أي شامل القدرة.

و لما تقرر بهذه الوقائع - التي نصر[7] فيها سبحانه وحده بأسباب باطنة سببها، و أمور خفية رتبها، تعجز عنها الجيوش المتحيرة المستكثرة، و الملوك المتجبرة[8] المستكبرة - ما قدم من أنه كافي من توكل عليه، و أقبل بكليته إليه، و ختم بصفة القدرة العامة الدائمة، تحرر[9] أنه قادر على

(١) من ظ ومد، وفي الأصل وم: بتهيئكم (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ و مد، و في الأصل و م: ارضى (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: غيرها (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: تلك (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ملك البراقات (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: بصر. (٨) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد في ظ: على.

كل ما يريده، و أنه لو شاء أجرى مع وليه كنوز الأرض، و أنه لايجوز لأحد أن / يراعى غيره و لا [أن - ١] يرمق بوجه ما سواه، و علم ٢٣١ / أن من أقبل إلى هذا الدين فانما نفع نفسه و الفضل لصاحب الدين عليه، و من أعرض [عنه - ١] فانما وبال إعراضه على نفسه، و لا ضرر على الدين باعراض هذا المعرض، كما أنه لانفع له ٢ باقبال ذلك ٣ المقبل، و كان قد قضى سبحانه أن من انقطع إليه حماه من الدنيا إكراما له و رفعا لمنزلته عن خسيسها إلى نفيس ما عنده، لأن كل أمرها إلى ٤ زوال و تلاش ٤ و اضمحلال، و لا يعلق ٥ همته بذلك إلا قاصر ضال، فأخذ سبحانه يأمر أحب الخلق إليه، و أعزهم منزلة لديه، المعلوم امتثاله للأمر بالتوكل و الإعراض عن كل ما سواه [سبحانه - ١] و أنه لايختار من الدنيا غير الكفاف، و القناعة و العفاف، بتخيير ألصق ٦ الناس به تأديبا لكافة الناس، فقال على طريق الاستنتاج مما تقدم : ﴿ يآايها النبى ﴾ ذاكرا صفة رفعته و اتصاله به سبحانه و الاعلام بأسرار القلوب، و خفايا الغيوب، المقتضية لأن يفرغ فكره لما يتلقاه من المعارف، و لا يعاق ٧ عن شيء من ذلك بشيء من أذى : ﴿ قل لازواجك ﴾ أى نسائك : ﴿ ان كنتن ﴾ أى كونا راسخا ﴿ تردن ﴾ أى اختيارا علىّ ﴿ الحيوة ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : هذا (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تلاش و زوال (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لاتعاق (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الضيق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م : لايعاف.

و وصفها بما زهد فيها ذوى الهمم و يذكر من له عقل بالآخرة فقال: ﴿الدنيا﴾ أى ما[1] فيها من السعة و الرفاهية[2] و النعمة ﴿و زينتها﴾ أى المنافية لما أمرنى [به -[3]] ربى [4]من الإعراض[4] عنه و احتقاره من أمرها لأنها أبغض[5] خلقه إليه، لأنها قاطعة عنه ﴿فتعالين﴾ أصله أن الآمر يكون اعلى من المأمور، فيدعوه أن يرفع نفسه إليه ثم كثر حتى صار معناه: أقبل، و هو هنا كناية عن الإخبار و الإرادة بعلاقة أن المخبر يدنو إلى من يخبره ﴿امتعكن﴾ أى بما أحسن [به -[3]] إليكن ﴿و اسرحكن﴾ أى من حبالة عصمتى ﴿سراحا جميلا ۝﴾ أى ليس فيه مضارة، و لا نوع حقد و لا مقاهرة ﴿و ان كنتن﴾ بما لكن من الجبلة ﴿تردن الله﴾ أى الآمر بالإعراض عن الدنيا للاعلاء إلى ما له من رتب الكمال ﴿و رسوله﴾ المؤتمر بما أمره به من الانسلاخ عنها المبلغ للعباد جميع ما أرسله به من أمر الدنيا و الدين لايدع منه شيئا، لما له عليكن و على سائر الناس من الحق بما يبلغهم عن الله ﴿و الدار الآخرة﴾ التى هى الحيوان بما[6] لها من البقاء، و العلو و الارتقاء.

و لما كان ما كل من أظهر شيئا كان عالى الرتبة فيه، قال مؤكدا تنبيها على أن ما يقوله مما يقطع به و ينبغى تأكيده دفعا لظن من يغلب عليه حال البشر فيظن فيه الظنون من أهل النفاق و غيرهم، أو يعمل عمل من يظن ذلك أو[7] يستبعد وقوعه فى الدنيا أو[7] الآخرة: ﴿فان الله﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى م و مد: الرفاهة (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالاعراض (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انقض (٦) فى م و مد: لما (٧) فى ظ «و».

أى[1] بما له من جميع صفات الكمال[2] ﴿ اعد ﴾ فى الدنيا و الآخرة ﴿للمحسنت منكن﴾ أى اللاتى يفعلن ذلك و من[3] فى مقام المشاهدة و هو يعلم المحسن من غيره ﴿اجرا عظيما ۝﴾ أى تحتقر[4] له الدنيا و [كل -[5]] ما فيها من زينة و نعمة .

و لما أتى سبحانه بهذه العبارة[6] الحكيمة صالحة مع البيان للتبعيض ترهيبا فى ترغيب ، أحسن كلهن و حققن / بما تخلقن به أن ' من ' / ٢٣٢
للبيان ، فان النبى صلى الله عليه و سلم عرض عليهن رضى الله عنهن ذلك ، و بدأ بعائشة رضى الله عنها وأس المحسنات إذ ذاك رضى الله عنها [7]و عن أبيها[7] و قال لها : إنى قائل لك أمرا فلا عليك أن لاتعجلى حتى تستأمرى أبويك ، فلما تلاها عليها قالت منكرة لتوقفها [فى الخبر -[5]] : أفى هذا أستأمر أبوىّ ، فانى أختار الله و رسوله و الدار الآخرة . ثم عرض ذلك على جميع أزواجه فاقتدين كلهن[8] بعائشة رضى الله عنهن فكانت لهن إماما فالت إلى أجرها مثل أجورهن[9] - روى ذلك البخارى[10] و غيره عن عائشة رضى الله عنها ، و سبب ذلك أنه صلى الله عليه و سلم وجد على نسائه رضى الله عنهن فآلى منهن شهرا ، فلما انقضى الشهر نزل

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحسان ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحقر (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : النعمة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) تأخر فى م و مد عن « رضى الله عنهن » (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجرهن (١٠) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٥ .

إليهن

[1] إليهن من[1] غرفة كان اعتزل فيها و قد انزل [الله -[2]] عليه الآيات، تخيرهن فاخترنه رضى الله عنهن، و سبب ذلك أن منهن من سال التوسع فى النفقة، و قد كان النبى صلى الله عليه و سلم لايحب التوسع فى الدنيا، روى الشيخان[3] رضى الله عنهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه و سلم، من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم، و روى الحديث البيهقى و لفظه: قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام متوالية و لو شئنا لشبعنا، و لكنه كان يؤثر على نفسه، و روى الطبرانى فى الأوسط عنها [4]أيضا رضى الله عنها[4] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من سأل عنى أو سره أن[5] ينظر إلى فلينظر إلىّ أشعث شاحب مشمر لم يضع[6] لبنة على لبنة و لا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، [اليوم -[2]] المضمار و غدا السباق. و الغاية الجنة أو النار.

و لما كان الله سبحانه قد أمضى حكمته فى هذه الدار فى [أنه -[2]] لايقبل قول[7] إلابيان، قال سبحانه متهددا[8] على ما قد أعاذهن الله منه. فالمراد منه بيان أنه رفع مقاديرهن، و لذلك ذكر الأفعال المسندة إليهن اعتبارا

(١ - ١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اليمين عن (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) البخارى فى أبواب الأطعمة و مسلم فى أبواب الزهد (٤-٤) سقط بين ما الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل «و» (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لم يصنع (٧) من م و مد. و فى الأصل و ظ: قولا. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممتدا.

بلفظ "من" و التنبيه على غلط من جعل صحبة الأشراف دافعة للعقاب على الإسراف، و معلمة بانها إنما تكون سببا للاضعاف: ﴿يٰنساء النبى﴾ [أى -[1]] المختارات له لما بينه و بين الله مما يظهر شرفه ﴿من يات﴾ [2] قراءة يعقوب على ما نقله البغوى[3] بالمثناة الفوقانية[4] على[5] معنى "من" دون لفظها، و هى قراءة شاذة نقلها الأهوازى فى كتاب الشواذ عن ابن مسلم عنه؛ و قرأ[6] الجماعة بالتحتانية على اللفظ و كذا "يقنت": ﴿منكن بفاحشة﴾ أى من قول أو فعل كالنشوز و سوء الخلق باختيار الحياة الدنيا و زينتها على الله و رسوله أو غير ذلك ﴿مبينة﴾ أى واضحة ظاهرة فى نفسها تكاد تنادى بذلك من سوء خلق و نشوز أو غير ذلك ﴿يضعف لها العذاب﴾ أى بسبب ذلك. و لما[7] هول الأمر[8] بالمفاعلة فى قراءة نافع[9] المفهمة[10] لأكثر من اثنين كما مضى فى البقرة، سهله بقوله[11]: ﴿ضعفين﴾ أى بالنسبة إلى ما لغيرها لأن مقدارها لا يعشره مقدار غيرها كما جعل حد الحر ضعفى[12] ما للعبد، و كما جعل أجرهن مرتين، و اشتد العتاب فيما بين الأحباب، و على قدر علو المقام يكون الملام.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢١٢ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفوقية (٥) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قراة (٧) سقط من م (٨) العبارة من هنا إلى «سهله» ساقطة من م (٩) سقط من ظ، و راجع نثر المرجان ٥ / ٤٠٣ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المعنمة (١١) فى م: فقال (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضعف.

[و - [1]] بقدر النعمة تكون النقمة . و كل من بناء يضاعف للجهول من باب المفاعلة أو[2] التفعيل [3]لأبي جعفر و البصريين[3] أو للفاعل بالنون [3]عند ابن كثير و ابن عامر[3] يدل على عظمته سبحانه ، و البناء للجهول يدل على العناية بالتهويل / بالعذاب بجعله[4] عمدة الكلام و صاحب[5] الجملة / ٢٣٣
باسناد الفعل إليه ، و ذلك كله إشارة إلى أن الأمور الكبار صغيرة عنده سبحانه لأنه لايضره شيء و لاينفعه شيء و لايوجب شيء من الأشياء له حدوث شيء[6] لم يكن ، و لذلك قال : ﴿ و كان ذلك ﴾ أي مع كونه عظيما عندكم ﴿ على الله يسيرا ﴾ فهذا ناظر إلى مقام الجلال و الكبرياء و العظمة .

و لما قدم درء المفاسد الذي هو من[7] باب التخلي ، أتبعه جلب المصالح الذي هو [من - [8]] طراز التحلي فقال : ﴿[9] و من يقنت ﴾ أي يخلص الطاعة ، و تقدم توجيه قراءة يعقوب بالفوقانية على ما حكاه البغوى و الأهوازى فى الشواذ عن ابن مسلم ﴿ منكن لله ﴾ الذي هو أهل لئلا يلتفت إلى غيره لأنه [لا - [10]] أعظم منه بادامة الطاعة فلا يخرج عن مراقبته أصلا ﴿ و رسوله ﴾ فلا تغاضبه و لا تطلب[11] منه شيئا ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ « و » (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى ظ و مد : لجعله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصاحب (٦) زيد فى الأصل : لو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ . (٨) زيد من م و مد (٩) و من هنا يبتدى الجزء الثاني و العشرون من القرآن الكريم (١٠) زيد من ظ وم ومد (١١) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لا تغضب .

و لا تختار عيشا غير عيشه، فانه يجب علـــى كل[1] أحد تصفية فكره، و تهدئة باله و سره، ليتمكن غاية التمكن من إنفاذ أوامرنا و القيام بما أرسلناه بسببه من رحمة العباد، بانقاذهم مما هم فيه من الأنكاد.

و لما كان ذلك قد يفهم الاقتصار على [عمل - [2]] القلب قال: ﴿ و تعمل ﴾ قرأها حمزة و الكسائى[3] بالتحتانية ردا على لفظ "من" حثا[4] لهن على منازل الرجال، و قراءة[5] الجماعة بالفوقانية على معناها على الأصل مشيرة إلى الرفق بهن فى عمل الجوارح و الرضا بالمستطاع كما قال عليه أفضل الصلاة و السلام[6]: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. و أما عمل القلب فلا رضى فيه بدون الغاية، فلذا كان[7] "يقنت" مذكرا لا على شذوذ ﴿ صالحا ﴾ أى فى[8] جميع ما أمر به سبحانه أو[9] نهى عنه ﴿ نؤتها ﴾ أى بما لنا من العظمة على قراءة الجماعة بالنون[3]، و قراءة حمزة و الكسائى بالتحتانية على أن الضمير لله ﴿اجرها مرتين لا﴾ أى بالنسبة إلى أجر غيرها من نساء بقية[10] الناس ﴿و اعتدنا﴾ أى هيأنا بما لنا من العظمة و أحضرنا ﴿لها﴾ بسبب قناعتها مع النبى صلى الله عليه و سلم المريد للتخلى من الدنيا التى يبغضها الله مـــع ما فى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع نثر المرجان ٥/٤٠٤.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مناز (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قرا (٦) أخرجه البخارى فى أبواب الاعتصام و مسلم فى أبواب الفضائل (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كانت (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٩) فى ظ «و» (١٠) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد.

من

من توفير الحظ فى الآخرة ﴿ رزقا كريما ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة، فلا شيء أكرم منه لأن ما فى الدنيا منه يوفق[1] لصرفه على وجه يكون فيه أعظم الثواب، و لايخشى من أجله نوع عتاب فضلا عن عقاب، و ما فى الآخرة منه لا يوصف و لا يحد، و لا نكد فيه بوجه أصلا و لا كد[2].

و لما كان لكل حق حقيقة، و لكل قول صادق بيان، قال مؤذنا بفضلهن: ﴿ ينسآء النبى ﴾ أى[3] الذى أنتن من أعلم[4] الناس بما بينه و بين الله من الإنباء بدقائق الأمور و خفايا[5] الأسرار و ما له من الزلفى لديه ﴿لستن كاحد﴾ قال البغوى[6]: و لم يقل: كواحدة[7]، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث - انتهى، فالمعنى كجماعات[8] من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة تساويكن فى الفضل لما خصكن الله[9] به من قربة بقرب رسول الله / صلى الله عليه و سلم، و نزول الوحى الذى بينه و بين الله فى بيوتكن. / ٢٣٤

و لما كان المعنى: بل أنتن أعلى النساء، ذكر[10] شرط ذلك فقال:

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موفق (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كدر (٣) زيد فى ظ: من (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعظم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خفيات (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢١٢ (٧) من ظ و م و مد و المعالم، و فى الأصل: كوحدة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جماعة (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: له. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذكرا.

﴿ ان اتقيتن ﴾ أى جعلتن بينكن و بين غضب الله و غضب رسوله وقاية ، ثم سبب عن هذا النفي قوله : ﴿ فلا تخضعن ﴾ أى إذا تكلمتن بحضرة أجنبي ﴿ بالقول ﴾ أى بأن يكون [لينا -[١]] عذبا رخما، و الخضوع التطأمن و التواضع و اللين و الدعوة إلى السوء؛ ثم سبب عن الخضوع : قوله : ﴿ فيطمع ﴾ أى في الخيانة ﴿ الذى فى قلبه مرض ﴾ أى فساد و ريبة ، و التعبير بالطمع للدلالة على [أن -[٢]] أمنيته لاسبب لها فى الحقيقة ، لأن اللين فى كلام النساء خلق لهن لاتكلف فيه ، فأريد من نساء النبي صلى الله عليه و سلم التكلف للاتيان بضده .

و لما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء فى رخامة الصوت ، أمرهن بضده فقال : ﴿ و قلن قولا معروفا ج ﴾ أى[٣] يعرف أنه بعيد عن محل الطمع .

و لما تقدم إليهن فى القول و قدمه لعمومه[٤] ، أتبعه الفعل فقال : ﴿ و قرن ﴾ أى اسكنّ و امكثن دائما ﴿ فى بيوتكن ﴾ فمن كسر القاف و هم غير[٥] المدنيين[٦] و عاصم[٧] جعل الماضى قرر[٨] بفتح العين ، و من فتحه فهو عنده قرر[٨] بكسرها ، و هما لغتان .

و لما أمرهن بالقرار ، نهاهن عن ضده مبشعا له ، فقال : ﴿ ولاتبرجن ﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بعمومه (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدنيون ، و فى م : المدنيان . (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٠٦ (٨) من م و مد ، و فى الأصل وظ : قرن .

أى

أى تظاهرن من البيوت بغير حاجة محوجة ، [فهو-[1]] من وادى أمر النبي صلى الله عليه و سلم لهن بعد حجة الوداع[1] بلزوم ظهور الحصر ﴿تبرج الجاهلية الاولىٰ﴾ أى المتقدمة على الإسلام و على ما قبل الأمر بالحجاب ، بالخروج[2] من بيت و الدخول فى آخر ، و الأولى لا تقتضى أخرى كما ذكره البغوى[3] ، و عن ابن عباس[3] رضى الله عنهما أنها ما بين نوح و إدريس عليهما السلام ، تبرج [فيها -[4]] نساء السهول - و كن صباحا و [فى -[5]] رجالهن دمامة - لرجال الجبال و كانوا صباحا و فى نسائهن دمامة ، فكثر الفساد ، و على هذا فلها ثانية .

و لما أمرهن بلزوم البيوت للتخلية عن[6] الشوائب ، أرشدهن إلى التحلية بالرغائب ، فقال: ﴿و اقمن الصلوٰة﴾ أى فرضا و نفلا ، صلة لما بينكن و بين الخالق لأن[7] الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ﴿و اٰتين الزكوٰة﴾ إحسانا إلى الخلائق ، و فى هذا بشارة بالفتوح و توسيع الدنيا عليهن ، فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة .

و لما أمرهن بخصوص ما تقدم لأنهما أصل الطاعات البدنية و المالية ، و من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه إلى ما وراءهما ، عم و جمع فى قوله : ﴿و اطعن الله﴾ أى ذاكرات ما له[8] من صفات الكمال ﴿و رسوله﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : من الخروج (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢١٣ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) فى ظ و م و مد : ان (٨) و من هنا تنقطع نسخة م إلى ما سننبه عليه .

فى جميع ما يأمران به فانه لم يرسل إلا للأمر و النهى تخليصا للخلائق من أسر الهوى .

و لما كانت هذه الآيات قد نهت عن الرذائل ، فكانت عنها أشرف الفضائل ، قال مبينا أن ذلك إنما هو لتشريف أهل النبى صلى الله عليه و سلم لتزيد الرغبة فى ذلك مؤكدا دفعا لوهم من يتوهم أن ذلك لهوان أو غير ذلك من نقصان و حرمان : ﴿انما يريد الله﴾ أى و هو ذو الجلال و الجمال بما أمركم به و نهاكم عنه من الإعراض عن الزينة و ما تبعها ، و الإقبال عليه ، عزوفكم عن الدنيا و كل ما تكون سببا له ﴿ليذهب﴾ [أى - [1]] لأجل أن يذهب ﴿ عنكم الرجس ﴾ أى الأمر الذى يلزمه ٢٣٥/ دائما الاستقذار و الاضطراب من مذام / الأخلاق كلها ﴿ اهل ﴾ يا أهل ﴿البيت﴾ أى من كل من تكون من إلزام النبى صلى الله عليه و سلم من الرجال و النساء من الأزواج و الإماء و الأقارب ، و كلما كان الإنسان منهم أقرب و بالنبى صلى الله عليه و سلم [2] أخص و ألزم ، كان بالإرادة [3] أحق و أجدر .

و لما استعار للمعصية الرجس ، استعار للطاعة الطهر ، ترغيبا لأصحاب الطباع السليمة و العقول المستقيمة ، فى الطاعة ، و تنفيرا لهم عن المعصية فقال [4] : ﴿و يطهركم﴾ أى يفعل فى طهركم بالصيانة [5] عن جميع القاذورات

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالاراة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصيانة .

الحسية و المعنويـــة فعل المبالغ فيه، و زاد ذلك عظما بالمصدر فقال: ﴿ تطهيرا ﴾ .

و لما ذكر ذلك إلى أن ختم بالتطهير، أتبعه التذكير بما أنعم سبحانه به مما أثره التطهير من التأهيل لمشاهدة[1] ما يتكرر من تردد[2] الملائكة بنزول الوحي الذي هو السبب في كل طهر ظاهر و باطن، فقال مخصصا [من -][3] السياق لأجلهن رضي الله عنهن، منبها لهن على أن بيوتهن مهابط الوحي و معادن الأسرار: ﴿ و اذكرن ﴾ أي في أنفسكن ذكرا دائما، و اذكرنه لغيركن على جهة الوعظ و التعليم .

و لما كانت العناية بالمتلو، بينها باسناد الفعل إليه لبيان انه عمدة الجملة فقال بانيا للفعول: ﴿ ما يتلى ﴾ أي يتابع و يوالي ذكره و التخلق به، و أشار لهن إلى ما خصهن منه من الشرف فقال: ﴿ في بيوتكن ﴾ أي بواسطة النبي صلى الله عليه و سلم الذي خيركن ﴿ من ايٰت الله ﴾ الذي[4] لا أعظم منه .

و لما كان المراد بذلك القرآن، عطف عليـــه ما هو أعم منه، فقال[5] مبينا لشدة الاهتمام به بادخاله في جملة المتلو اعتمادا على أن العامل فيه معروف لأن[6] التلاوة لايقال في غير الكتاب: ﴿ و الحكمة ﴾

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بمشاهدة (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ترداد (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) تأخر في الأصل عن « غير الكتـاب »، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل: و ان .

أي و يبث و ينشر من العلم المزين بالعمل و العمل المتقن بالعلم، و لا تنسين شيئا من ذلك .

و لما كان السياق للاعراض عن الدنيا، و كانت[1] الحكمة منفرة عنها، أشار بختام الآية إلى أنها مع كونها محصلة لفوز الأخرى جالبة لخير الدنيا، فقال مؤكدا ردعا لمن يشك فى أن الرفعة يوصل إليها بضدها و نحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل العبر: ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿ كان ﴾ أي لم يزل ﴿لطيفا﴾ أي يوصل إلى المقاصد بوسائل الأضداد ﴿ خبيرا ﴾ أي يدق علمه عن إدراك الأفكار، فهو يجعل الإعراض عن الدنيا جالبا [لها - 2] على أجمل الطرائق و أكمل الخلائق و إن رغمت أنوف جميع الخلائق، و يعلم من يصلح لبيت النبي صلى الله عليه و سلم و من لايصلح[3]، و ما يصلح الناس دنيا و دينا و ما لايصلحهم، و الطرق الموصلة إلى كل ما قضاه و قدره و إن كانت[1] على غير ما يألفه الناس «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة [4]و رزقه[4] من حيث لايحتسب» رواه الطبراني فى الصغير و ابن أبي الدنيا و البيهقي فى الشعب عن عمران بن حصين رضي الله عنه «من توكل على الله كفاه، و من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» - رواه صاحب الفردوس و أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب عن عمران رضي الله عنه أيضا، و لقد صدق الله سبحانه وعده فى لطفه و حقق بره فى خبره بأن فتح

(1) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (2) زيد من ظ و مد (3) سقط من ظ و مد (4-4) تكرر فى ظ و مد.

على نبيه صلى الله عليه و سلم بعد ذلك خيبر، فأفاض بها ما شاء من[1] رزقه الواسع، ثم لما توفى نبيه صلى الله عليه و سلم ليحميه من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد / فارس و الروم و مصر ٢٣٦/
و ما بقي من اليمن، فعم الفتح جميع الأقطار[2]: الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال، و مكن أصحاب نبيه صلى الله عليه و سلم من كنوز جميع [تلك -[3]] البلاد و ذخائر أولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان الله عليهم يكيلون المال كيلا، و زاد الأمر حتى دون عمر الدواوين و فرض للناس [عامة -[3]] أرزاقهم حتى للرضعاء، و كان أولا لا يفرض للمولود حتى يفطم، فكانوا يستعجلون بالفطام فنادى مناديه: لا تعجلوا أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الإسلام، و فاوت بين الناس في العطاء بحسب القرب من النبي صلى الله عليه و سلم و البعد منه، و بحسب السابقة[4] في الإسلام و الهجرة، و نزّل الناس منازلهم [5]بحيث أرضى[5] جميع الناس حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فسأله عما وراءه فقال: تركتهم يسألون الله لك أن يزيد في عمرك من أعمارهم. فقال[6] عمر رضي الله عنه: إنما هو حقهم و أنا أسعد بأدائه إليهم، لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، و لكن قد علمت أن فيه فضلا، فلو أنه إذا خرج عطاء أحدهم ابتاع منه

(١) زيد في ظ: بها (٢) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: المسابقة.
(٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل: بحسب أراضي (٦) في ظ و مد: قال.

غنما، فجعلها بسوادكم، فاذا خرج عطاؤه ثانية[1] ابتاع الرأس و الرأسين فجعله فيها، فان بقي أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فاني لا أدري ما يكون بعدي، و إني لأعم بنصيحتي كل من طوقني الله أمره، فان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من مات غاشّا لرعيته لم يرح ريح الجنة[2]، فكان فرضه لأزواج النبي صلى الله عليه و سلم اثني عشر ألفا لكل واحدة و هي نحو ألف دينار في كل سنة، و أعطى عائشة رضي الله عنها خمسة[3] و عشرين ألفا لحب رسول الله صلى الله عليه و سلم إياها، فأبت أن تأخذ إلا ما يأخذه صواحباتها، و روى عن برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر! غيري[4] من أخواتي أقوى على قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لك [5]يا أم المؤمنين[5]، قالت: سبحان الله! و استترت منه بثوب، ثم قالت: صبوه و اطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لي: [6]أدخلي يديك[6] و اقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان و بني فلان من ذوي رحمها و أيتام لها، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، قالت برزة بنت رافع: فقلت: غفر الله لك يا أم[7] المؤمنين، و الله لقد كان لنا في هذا المال حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب،

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ثانيا (٢) اخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٢٥ عن معقل بن يسار (٣) من ظ و مد، و في الأصل: خمسا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: عرني - كذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: ادخل (٧) من ظ و مد، و في الأصل: امير.

فوجدنا

فوجدنا تحته خمسمائة و ثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لايدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا، فماتت - ذكر ذلك البلاذرى فى كتاب فتوح البلاد .

و لما حث سبحانه على المكارم و الأخلاق الزاكية، و ختم بالتذكير بالآيات و الحكمة، أتبعه ما لمن تلبس من أهل البيت بما يدعو إليه ذلك من صفات الكمال، و لكنه ذكره على وجه يعم غيرهم من ذكر و أنثى مشاكلة لعموم الدعوة و شمول الرسالة، فقال جوابا لقول النساء: يا رسول الله! ذكر الله الرجال و لم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لايقبل منا طاعة، بادئا بالوصف الأول الأعم الأشهر من أوصاف أهل هذا الدين مؤكدا لأجل كثرة المنافقين المكذبين بمضمون هذا الخبر و غيرهم / من المصارحين: ﴿ان المسلمين﴾ و لما كان اختلاف / ٢٣٧
النوع موجبا للعطف، قال معلما بالتشريك فى الحكم: ﴿و المسلمت﴾ .

و لما كان الإسلام مع كونه أكمل الأوصاف و أعلاها يمكن [أن يكون -[1]] بالظاهر فقط، أتبعه المحقق له و هو إسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الإذعان، فقال عاطفا له و لما بعده من الأوصاف التى يمكن اجتماعها بالواو للدلالة على تمكن الجامعين [2]لهذه الأوصاف[2] من[3] كل وصف منها: ﴿و المؤمنين و المؤمنت﴾ و لما كان [المؤمن -[1]] المسلم قد لايكون فى أعماله مخلصا قال: ﴿و القنتين﴾ أى المخلصين فى إيمانهم

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٣) فى ظ و مد: فى .

و إسلامهم ﴿و القنتت﴾ و لما كان القنوت كما يطلق على الإخلاص المقتضى للداومة قد يطلق على مطلق الطاعة قال: ﴿و الصدقين﴾ فى ذلك كله ﴿و الصدقت﴾ أى فى إخلاصهم فى الطاعة، و ذلك يقتضى الدوام.

و لما كان الصدق - و هو إخلاص القول و العمل عن شوب يلحقه أو شيء يدنسه - [1]قد لا[1] يكون دائما، قال مشيرا إلى أن ما لا يكون دائما لا يكون صدقا فى الواقع: ﴿و الصبرين و الصبرت﴾ و لما كان الصبر قد يكون سجية، دل على صرفه إلى الله بقوله[2]: ﴿و الخشعين و الخشعت﴾ و لما كان الخشوع - و هو الخضوع و الإخبات و السكون - لا يصح مع توفير المال فانه سيكون إليه، قال معلما إنه إذ ذاك لا يكون على حقيقته: ﴿و المتصدقين﴾ أى المنفقين أموالهم فى رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم [بما أشار إليه إظهار التاء -[3]] فرضا و تطوعا سرا و علانية[4] بما أرشد إليه الإظهار [أيضا -[3]] تصديقا لخشوعهم ﴿و المتصدقت﴾.

و لما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيثار، أتبعه ما يعين عليه فقال: ﴿و الصائمين﴾ أى تطوعا للايثار بالقوت و غير ذلك ﴿و الصئمت﴾ و لما كان الصوم يكسر شهوة الفرج و قد يثيرها، قال: ﴿و الحفظين فروجهم﴾ أى عما لا يحل لهم بالصوم و ما[5] أثاره الصوم[6] ﴿و الحفظت﴾ و لما كان حفظ الفروج[7] و سائر الأعمال لا تكاد توجد

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قال الله سبحانه (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ و مد: علنا (٥) فى ظ و مد: عما (٦) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ و مد: الفرج.

إلا بالذكر. و هو الذي فيه[١] المراقبة الموصلة إلى المحاضرة المحققة للشاهدة المحيية بالفناء قال: ﴿و الذكرين الله﴾ أي مع [استحضار -[٢]] ما له من الكمال بصفات الجلال و الجمال ﴿كثيرا﴾ بالقلب و اللسان في كل حالة ﴿و الذكرٰت﴾ و من علامات الإكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم.

و لما كان المطيع و إن جاوز الحد في الاجتهاد مقصرا عن بلوغ ما يحق له، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله مكررا الاسم الأعظم إشارة إلى ذلك و إلى صغر الذنوب إذا نسبت إلى عفوه: ﴿اعد الله﴾ أي الذي لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره مع أنه لايتعاظمه شيء ﴿لهم مغفرة﴾ أي لهفواتهم و ما أتوه من سيئاتهم بحيث يمحو عينه و أثره، فلا عتاب و لا عقاب، و لا ذكر له بسبب من الأسباب.

و لما ذكر الفضل بالتجاوز، أتبعه التفضل[٣] بالكرم و الرحمة فقال: ﴿و اجرا عظيما﴾ و إعداد الأجر يدل على أن المراد بهذه الأوصاف [اجتماعها لأن مظهر الإسلام نفاقا كافر، و تارك شيء من الأوصاف -[٢]] متصف بضده، و حينئذ يكون مخلا بالباقي، و أن المراد بالعطف التمكن و الرسوخ في كل وصف منها زيادة على التمكن الذي أفاده / التعبير / ٢٣٨
بالوصف دون الفعل، و حينئذ تعدم الكبائر فيتأتى[٤] تكفير الصغائر، فتأتي المغفرة و الأجر، و أما آية التحريم[٥] فلم تعطفه لئلا يظن أنهن

---

(١) في ظ: عنه، و الكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: التفضيل (٤) في ظ و مد: فيأتي (٥) راجع آية ٥.

أنواع كل نوع يتفرد بوصف، و إفادة الرسوخ هنا[1] فى الأوصاف من سياق الامتنان و المدح بكونهن خيرا.

و لما كان الله سبحانه قد قدم[2] قوله "النبى اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم" - الآية، فعلم[3] قطعا أنه تسبب عنها ما تقديره: و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة أن يكون له ولى غير النبى صلى الله عليه و سلم، فطوى ذلك للعلم به، و استدل على مضمون الآية و ما قبلها بقصة الأحزاب، و أتبعها نتيجة ذلك مما ذكر فى تأديب الأزواج له صلى الله عليه و سلم و تهذيبهن لأجله و تطهير أهل بيته و تكريمهم حتى ختم سبحانه بالصفات[4] العشر التى بدأها بالإسلام الذى ليس معه شىء من الإباء[5]، و ختمها بأن ذكر الله يكون ملء القلب و الفم و هو داع إلى مثل[6] ذلك لأنه سبب الإسلام، عطف على مسبب[7] آية الولاية ما يقتضيه كثرة الذكر من قوله: ﴿و ما كان﴾.

و لما كان الإيمان قد يدعى [8]كذبا لخفاء به[8]، قال: ﴿لمؤمن﴾ أى من عبد الله بن جحش و زيد و غيرهما ﴿و لا مؤمنة﴾ أى من زينب و غيرها، فعلق الأمر بالإيمان إعلاما بأن من اعترض غير مؤمن و إن أظهر الإيمان بلسانه ﴿اذا قضى الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ينبغى

(١) فى ظ و مد: هناك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قوم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نعظم (٤) فى ظ: بالصافات - خطأ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الاياد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ميل (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: سبب (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كذا بالخفاية.

لعاقل التوقف فى أمره ﴿ و رسولة ﴾ الذى لايعرف قضاؤه إلا به ﴿ امرا ﴾ أى أىّ أمر كان .

و لما كان المراد كل مؤمن ، و العبارة صالحة له[١]، و كان النفى عن المجموع كله نفيا عما قل عنه من باب الأولى ، قال : ﴿ ان تكون ﴾ أى كونا راسخا على قراءة الجماعة بالفوقانية[٢] ، و فى غاية الرسوخ على[٣] قراءة الكوفيين[٤] بالتحتانية ﴿ لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الخيرة ﴾ مصدر من تخير كالطيرة[٥] من تطير على غير قياس ﴿ من امرهم[٦] ﴾ أى الخاص بهم باستخارة الله و لا بغيرها ليفعلوا خلاف ذلك القضاء . فان المراد بالاستخارة ظن ما اختاره الله ، و إخبار النبي صلى الله عليه و سلم قطعى الدلالة على [ما -[٦]] اختاره الله تعالى ، و فى هذا عتاب لزينب رضى الله عنها على تعليق الإجابة للنبى صلى الله عليه و سلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على الاستخارة ، و على كراهتها عند ما خطبها لزيد مولاه ، و لكنها[٧] لما قدمت بعد نزول الآية خيرته صلى الله عليه و سلم فى تزويجها من زيد رضى الله عنهما على خيرتها ، عوضها الله أن صيرها لنبيه صلى الله عليه و سلم و معه فى الجنة فى أعلى الدرجات ، فالخيرة للنبى صلى الله عليه و سلم لأنه لا ينطق عن الهوى ، فمن فعل غير ذلك فقد عصى النبي صلى الله

(١) سقط من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٥/٤١١ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكوفيون (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالتطير (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكنه .

عليه و سلم ، و من عصاه عصى الله لأنه لا ينطق إلا عنه ﴿و من يعص الله﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ﴿و رسوله﴾ أى [الذى - [١]] معصيته معصيته لكونه بينه و بين الخلق فى بيان ما أرسل به إليهم ﴿فقد ضل﴾ و أكده بالمصدر فقال: ﴿ضللا﴾ و زاده بقوله : ﴿مبينا﴾ أى لا خفاء [٢]به ، فالواجب على كل أحد أن يكون معه صلى الله عليه و سلم فى كل ما يختاره و إن كان فيه أعظم المشقات[٢] عليه تخلقا بقول الشاعر [٣]حيث قال[٣] :

/ وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه و لا متقدم /٢٣٩
و أهنتنى فأهنت نفسى عامدا   ما من يهون عليك ممن يكرم

و لما كان قد أخبره[٤] سبحانه - كما رواه البغوى[٥] و غيره عن سفيان بن عيينة عن على بن[٦] جدعان عن زين العابدين على[٧] بن الحسين بن على بن أبى طالب - أن زينب رضى الله عنها ستكون من أزواجه و أنه زيدا سيطلقها ، و أخفى [٨]فى نفسه ذلك[٨] تكرما و خشية من قالة الناس أنه يريد نكاح زوجة ابنه ، و كان فى إظهار ذلك أعلام من أعلام النبوة ، و كان مبنى أمر الرسالة على إبلاغ الناس[٩] ما أعلم [الله -[١]] به أخبره

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : أخبر (٥) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/٢١٥ (٦) زيد فى المعالم : زيد بن (٧) من ظ و مد ، و المعالم و فى الأصل : عن (٨ - ٨) فى ظ و مد : ذلك فى نفسه .
(٩) سقط من ظ .

أو كرهوه، و أن لا يراعي غيره، و لا يلتفت إلى سواه و إن كان في ذلك خوف ذهاب النفس، فانه كافٍ[1] من أراد بعزته، و متقن ما أراد بحكمته، كما أخذ الله الميثاق [به -[2]] من النبيين كلهم و من محمد و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم صلى الله عليهم و سلم، فكان من[3] المعلوم [أن التقدير -[2]] : اذكر ما أخذنا منك و من النبيين من الميثاق على إبلاغ كل شيء أخبرناكم به و لم ننهكم من إفشائه و ما أخذنا على الخلق في كل من طاعتك و معصيتك، عطف عليه قوله: ﴿و اذ تقول﴾ و ذلك لأن الأكمل يعاتب على بعض الكمالات لعلو درجته عنها و تحليه بأكمل منها من باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، و بين شرفه بقوله: ﴿للذي انعم الله﴾ أي الملك الذي له كل كمال ﴿عليه﴾ أي بالإسلام و تولى نبيه صلى الله عليه و سلم إياه بعد الإيجاد و التربية، و بين منزلته من النبي صلى الله عليه و سلم بقوله: ﴿و انعمت عليه﴾ أي بالعتق و التبني حين استشارك[4] في فراق زوجه الذي أخبرك الله أنه يفارقها و تصير زوجتك: ﴿امسك عليك زوجك﴾ أي زينب ﴿و اتق الله﴾ [أي -[2]] الذي له جميع العظمة في جميع أمرك و لا سيما ما يتعلق بحقوقها و لا تغبنها بقولك: إنها تترفع عليّ - و نحو ذلك ﴿و تخفي﴾ أي و الحال أنك تخفي، أي تقول له مخفيا ﴿في نفسك﴾ أي مما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عن

(١) من مد، و في الأصل و ظ: كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: استشاك.

طلاق زيد ﴿ ما الله مبديه ﴾ أى بحمل زيد على تطليقها و إن أمرته أنت بامساكها و تزويجك بها و أمرك بالدخول عليها، و هو[1] دليل على أنه ما أخفى [2]غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عن طلاق زيد لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك و لو أخفى[2] غيره لأبداه سبحانه لأنه لا يبدل القول لديه، روى البخارى[3] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن هذه الآية نزلت فى شأن زينب بنت جحش و زيد بن حارثة رضى الله عنهما.

و لما ذكر إخفاءه ذلك، ذكر علته فقال عاطفا على "تخفى": ﴿و تخشى الناس ج﴾ أى [من ـ[4]] أن تخبر بما أخبرك الله به فيصوبوا[5] إليك مرجمات الظنون لاسيما اليهود و المنافقون ﴿و الله﴾ أى و الحال أن[6] الذى لا شىء أعظم منه ﴿احق ان تخشىه﴾ أى وحده و لا تجمع خشية الناس مع خشيته فى أن تؤخر شيئا أخبرك به لشىء يشق عليك حتى يفرق لك فيه أمر. قالت عائشة رضى الله عنها[7]: لو كتم النبى صلى الله عليه و سلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية.

و لما علم من هذا انه سبحانه أخبره بأن زيدا سيطلقها و أنها ستصير زوجا له من طلاق زيد إياها، سبب عنه قوله عاطفا عليه: ﴿فلما قضىٰ زيد منها وطرا ﴾ أى حاجة من زواجها و الدخول بها،

(١) فى ظ و مد: هذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) راجع ٢/٧٠٦.
(٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: فيصبوا (٦) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٧) راجع جامع الترمذى ـ التفسير.

و ذلك

و ذلك بانقضاء عدتها منه لأنه به[1] يعرف أنه لاحاجة له فيها / ، و أنه قد تقاصرت عنها همته ، و طابت عنها نفسه ، و إلا لراجعها ﴿زوجنٰكها﴾ ولم نحوجك إلى ولى من الخلق يعقد لك عليها ، تشريفا لك و لها ، بما لنا من العظمة التى خرقنا بها عوائد الخلق حتى أذعن لذلك كل من علم به ، و سرت به جميع النفوس ، و لم يقدر منافق و لا غيره على الخوض فى ذلك ببنت شفة[2] بما يوهنه و يؤثر فيه ، روى مسلم فى صحيحه[3] عن أنس رضى الله عنه قال : لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [لزيد ـ[4]] : اذهب فاذكرها على ، فانطلق زيد رضى الله عنه حتى أتاها و هى تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم [5]ذكرها ، فوليتها ظهرى و نكصت على عقبى فقلت : يا زينب ! إن رسول الله صلى الله عليه و سلم[5] يذكرك ، قالت[6] : ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى ، فقامت إلى مسجدها و نزل القرآن ، [7]و جاء[7] رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل عليها بغير إذن ، قال : و لقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أطعمنا الخبز و اللحم حتى[8] امتد النهار ، فخرج الناس و بقى رجال يتحدثون ـ فذكره ، و سيأتى . و قال البغوى[9] :

٢٤٠ /

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : شعه ـ كذا (٣) راجع ١/٤٦٠ (٤) زيد من ظ و م و الصحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ ومد والصحيح ، وفى الأصل : فقالت (٧-٧) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل و مد : فجاء (٨) فى الصحيح : حين (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ /٢١٦ .

قال الشعبى : كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبى صلى الله عليه و سلم : إنى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل[١] بهن : جدى و جدك واحد ، و أنى أنكحنيك الله فى السماء ، و أن السفير[٢] لجبريل عليه السلام .

و لما ذكر سبحانه التزويج على ما له من العظمة ، ذكر علته [دالا على أن الأصل مشاركة الأمة للنبى صلى الله عليه و سلم فى الأحكام و أن لاخصوصية إلا بدليل -[٣]] فقال : ﴿لكى لا يكون على المؤمنين﴾ أى الذين أزالت عراقتهم فى الإيمان حظوظهم ﴿حرج﴾ أى ضيق ﴿فى ازواج ادعيآئهم﴾ أى الذين تبنوا بهم و أجروهم[٤] فى تحريم أزواجهم مجرى أزواج البنين [على الحقيقة -[٣]] ﴿اذا[٥] قضوا منهن وطرا[٥]﴾ أى حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق و انقضاء العدة .

و لما علم سبحانه أن ناسا يقولون فى هذه الواقعة أقوالا شتى ، دل على ما قاله زين العابدين بقوله : ﴿و كان امر الله﴾ أى [من -[٣]] الحكم بتزويجها و إن كرهت و تركت إظهار ما أخبرك الله به كراهية لسوء القالة[٦] و استحياء من ذلك ، و كذا كل أمر يريده سبحانه ﴿مفعولا ۝﴾ لأنه سبحانه له الأمر كله لا راد لأمره و لا معقب لحكمه .

(١) فى المعالم : تدلى (٢) من م و المعالم ، و فى الأصل و ظ : السعير (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجرهم (٥) ساقط من الأصل فقط (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القابلة .

و لما انتج هذا التسهيل لما كان استصعبه صلى الله عليه و سلم و التأمين مما كان[1] خافه، عبر عن ذلك بقوله مؤكدا ردا على من يظن خلاف ذلك: ﴿ما كان على النبى﴾ أى الذى منزلته من الله الاطلاع على ما لم يطلع عليه غيره من الخلق ﴿من حرج فيما فرض﴾ أى قدر ﴿الله﴾ بما له من صفات الكمال و أوجبه[2] ﴿له[ط]﴾ لأنه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك، فكيف برأس المؤمنين، فصار منفيا عنه الحرج[3] مرتين خصوصا بعد عموم تشريفا له و تنويها بشأنه.

و لما كان مما يهون الأمور الصعاب المشاركة فيها [فكيف -[4]] إذا كانت المشاركة من الأكابر، قال واضعا الاسم موضع مصدره: ﴿سنة الله﴾ أى سن الملك[5] الذى إذا سن شيئا أتقنه بما له من العزة و الحكمة فلم يقدر أحد أن يغير شيئا منه ﴿فى الذين خلوا﴾[6] و كأنه أراد أن يكون أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام [7]أولى مراد[7] بهذا، تبكيتا للبسى أتباعهم، فأدخل الجار فقال: ﴿من قبل[ط]﴾ أى من الأنبياء الأقدمين فى إباحة التوسع فى النكاح لهم، و هو تكذيب لليهود الذين أنكروا ذلك، و إظهار لتلبيسهم.

و لما كان المراد بالسنة الطريق[8] التى قضاها و شرعها[9]، قال معللا

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اواجبه (٣) فى ظ: الحراج (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الله.
(٦) العبارة من هنا إلى «للبسى» ساقطة من ظ (٧-٧) فى مد: فراد (٨) فى ظ و مد: الطريقة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: شرحها.

بأن هذا الزواج كان أمرا لا بد من وقوعه لإرادته له فى الأزل فلا يعترض فيه معترض ببنت شفة يحل به ما يحل بمن اعترض على أوامر الملك، و لأجل الاهتمام بهذا الإعلام [اعترض به بين الصفة - [1]] و الموصوف فقال: ﴿ و كان امر الله ﴾ أى قضاء الملك الأعظم فى ذلك و غيره من كل ما يستحق أن يأمر به و يهدى إليه و يحث[2] عليه، و عبر عن السنة بالأمر تأكيدا لأنه لا بد منه ﴿قدرا ﴾ و أكده بقوله: ﴿ مقدورا ﴾ أى لا خلف فيه، و لا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه، و هو مؤيد أيضا لقول زين العابدين و كذا قوله تعالى واصفا للذين خلوا: ﴿ الذين يبلغون ﴾ أى إلى أممهم ﴿رسلت الله﴾ أى الملك الأعظم سواء كانت[3] فى نكاح أو غيره شقت أو لا ﴿ و يخشونه ﴾ أى فيخبرون بكل ما أخبرهم به و لم يمنعهم من إفشائه، و لوّح بعد التصريح فى قوله " و تخشى الناس ": ﴿ و لا يخشون احدا ﴾ قل أو جل ﴿ الا الله ﴾ لأنه ذو الجلال و الإكرام .

و لما كان الخوف من الملك العدل إنما هو من حسابه كان التقدير: فيخافون حسابه، أتبعه قوله: ﴿ و كفى بالله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ حسيبا ﴾ أى مجازيا لكل أحد بما عمل و بالغا فى حسابه الغاية القصوى، و كافيا من أراد كفايته كل من أراده[4] بسوء .

---

(١) من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: يجب (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : كان (٤) فى ظ : كافيا .

و لما

و لما أفاد هذا كله أن الدعىّ[1] ليس ابنا، و كانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذى[2] عن عائشة رضى الله عنها : تزوج حليلة ابنه، أخبر به سبحانه على وجه هو من أعلام النبوة و أعظم دلائل الرسالة فقال : ﴿ ما كان ﴾ أى بوجه من الوجوه مطلق كون ﴿ محمد ﴾ أى على كثرة نسائه و أولاده ﴿ ابآ احد من رجالكم ﴾ لا مجازا بالتبنى و لا حقيقة بالولادة، ليثبت بذلك أن تحرم عليه زوجة الابن، و لم يقل : من بنيكم، و إن لم يكن له فى ذلك الوقت - و هو سنة خمس و ما داناها - ابن، ذكر اعلمه سبحانه أنه سيولد له ابنه إبراهيم عليه السلام، مع ما كان له قبله من البنين الذين لم يبلغ أحد منهم[3] الحلم - على جميعهم الصلاة و السلام .

و لما [كان - [4]] بين كونه صلى الله عليه و سلم أبا لأحد من الرجال[5] حقيقة و بين كونه خاتما منافاة[6] قال : ﴿ و لكن ﴾ كان فى علم الله غيبا و شهادة أنه[7] ﴿رسول الله﴾ الملك الأعظم الذى كل من[8] سواه عبده، فبينكم و بين رسوله من جهة مطلق الرسالة أبوة و بنوة مجازية، إما[9] من جهته[10] فبالرأفة و الرحمة و التربية و النصيحة من غير أن تحرم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الداعى (٢) راجع جامعه ٢/١٥٢ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : رجال .
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل : مساواة (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : ابا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : جهة .

عليه تلك البنوة شيئا من نسائكم و إلا لم يكن لمنصب النبوة مزية، و أما من جهتكم فبوجوب[1] التعظيم و التوقير و الطاعة و حرمة الأزواج، و أما كون الرسالة عن الله الذى لا أعظم [منه -[2]] فهو مقتض لأن يبلغ الناس عنه جميع ما أمره به، و قد بلغكم قوله تعالى " ادعوهم لأبائهم " و وظيفته الشريفة مقتضية لأن يكون أول مؤتمر بهذا الأمر، فهو لا يدعو أحدا من رجالكم بعد هذا ابنه.

/٢٤٢ و لما لم يكن / مطلق النبوة و لا مطلق الرسالة منافيا لأبوة الرجال قال: ﴿ و خاتم النبيين ﴾ أى لأن رسالته عامة و نبوته معها إعجاز القرآن، فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء و لا إرسال، فلا يولد بعده[3] من يكون نبيا، و ذلك مقتض لئلا يبلغ له ولد [يولد منه -[2]] مبلغ الرجال، و لو قضى أن يكون بعده نبي لما كان إلا من نسله إكراما له [لأنه أعلى النبيين رتبة و أعظم شرفا، و ليس لأحد من الأنبياء كرامة إلا و له مثلها أو أعظم منها، و لو صار أحد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته، و قد قضى الله ألا يكون بعده نبي إكراما له -[2]]، روى أحمد[4] و ابن ماجه[5] عن أنس و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال[6] فى ابنه إبراهيم: لو عاش لكان صديقا نبيا، و للبخارى نحوه عن

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بنوجرت - كذا مصحفا (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٤) راجع مسنده ٣ / ١٣٨ و ٢٨١.
(٥) راجع أبواب الجنائز من سننه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قاله.

البراء بن عازب رضى الله عنه، و للبخارى[1] من حديث[2] ابن أبى أوفى رضى الله عنه: لو قضى أن يكون بعد[3] محمد صلى الله عليه و سلم نبى لعاش ابنه، و لكن لا نبى بعده. و الحاصل أنه لا يأتى بعده نبى بشرع[4] جديد مطلقا[5] و لا يتجدد بعده أيضا[6] استنباء نبى مطلقا[7]، فقد آل الأمر إلى [أن -[8]] التقدير: ما كان محمد بحيث يتجدد بعده نبوة برسالة و لا غيرها و لكنه [كان - [8]] - مع أنه رسول الله - ختاما للنبوة[9] غير أنه سيق على الوجه المعجز لما تقدم من النكت و غيرها، و هذه الآية مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه و أعظمه، و ذلك أنها فى سياق الإنكار لأن يكون بنيه أحد من رجالهم[10] بنوة حقيقية أو مجازية بغيرجهة [الإدلاء بأنثى أو - [8]] كونه رسولا و خاتما، صونا لمقام النبوة أن يتجدد بعده لأحد لأنه لوكان [ذلك - [8]] بشر لم يكن إلا ولدا له، و إنما أوثرت إماتة أولاده عليه الصلاة و السلام و تأثير قلبه الشريف [بها - [8]] إعلاء لمقامه أن يقسنمه أحد كائنا من كان، و ذلك لأن فائدة إتيان النبى تتميم[11] شىء لم يأت به من قبله، و قد حصل به صلى الله عليه و سلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» و أما

(١) راجع من صحيحه ٢/٩١٤ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: طريق (٣) فى ظ: من (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: شرع (٥) تقدم فى ظ و مد على: نبى بشرع (٦) سقط من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على «أيضا» (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ و مد: للنبوات (١٠) فى ظ: رجالكم (١١) فى ظ: اتمام.

تجديد ما وهى بما أحدثه بعض الفسقة فالعلماء كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه و سلم من هذا القرآن المعجز الذى من سمعه فكأنما سمعه من الله، لوقوع التحقق و القطع بأنه لا يقدر غيره أن يقول شيئا منه، فمهما حصل ذهول[١] عن ذلك قرره[٢] من يريد الله من العلماء، فيعود الاستبصار [كما روى فى بعض الآثار - [٣]] « علماء أمتى كأنبياء بنى إسراءيل[٤]» و أما إتيان عيسى عليه الصلاة و السلام بعد تجديد المهدى رضى الله عنه لجميع ما وهن[٥] من أركان المكارم فلأجل فتنة الدجال ثم طامة ياجوج و ماجوج و نحو ذلك مما[٦] لا يستقل بأعبائه غير نبى، و ما أحسن ما نقل عن حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مرثيته لإبراهيم ابن النبى صلى الله عليه و سلم حيث قال:

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب بعيب و لم يذمم بقول و لا فعل
رأى أنه إن عاش ساواك فى العلا فآثر أن يبقى وحيدا بلا مثل

و قال الغزالى رحمه الله فى آخر كتابه الاقتصاد: إن الأمة فهمت من هذا اللفظ - أى لفظ هذه الآية - و من قرائن أحواله صلى الله عليه و سلم ٢٤٣ / أنه أفهم عدم نبى بعده أبدا، وعدم / رسول بعده أبدا، و أنه ليس فيه تأويل و لا تخصيص، و قال: إن من أوله بتخصيص النبيين

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: وهون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قدره (٣) زيد من ظ و مد (٤) و الحديث من الشهرة بحيث لا يحتاج الى التعليق (٥) فى مد: و هى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.

بأولى

بأولى العزم من الرسل و نحو هذا فكلامه من أنواع الهذيان، لا يمنع الحكم بتكفيره، لأنه مكذب بهذا النص الذي أجمع الأمة على أنه غير مأول و لا مخصوص هذا كلامه فى كتاب الاقتصاد، نقلته منه بغير واسطة و لا تقليد، فإياك أن تصغي إلى من نقل عنه غير هذا، فانه تحريف يحاشى حجة الإسلام عنه :

و كم من عائب قولا صحيحا   و آفتـه من الفهم السقيم

و قد بان بهذا أن إتيان عيسى عليه الصلاة و السلام [غير -[1]] قادح فى هذا النص، فانـه من أمته صلى الله عليه و سلم المقررين لشريعته، و هو قد كان نبيا قبله لم يستجد له شيء لم يكن، [فلم يكن -[1]] ذلك قادحا فى الختم، و هو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه و سلم، لولا هو لما وجد. و ذلك أنه لم يكن لنبي[2] من الأنبياء شرف إلا و له صلى الله عليه و سلم مثله أو أعلى منه، و قد كانت الأنبياء تأتى مقررة لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام مجددة لها، فكان المقرر لشريعة نبينا صلى الله عليه و سلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام.

و لما كان المقام فى هذا البت[3] بأنه لا يكون له ولد يصير رجلا مقام إحاطة العلم، كان التقدير: لأنه سبحانه أحاط علما بأنه على كثرة نسائه و تعدد أولاده لا يولد له ولد ذكر فيصير رجلا ﴿ و كان الله ﴾ [أي -[1]] الذي له [4]كل صفة[4] كمال أزلا و أبدا ﴿ [5]بكل شيء[5] ﴾

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لشيء (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: البيت (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: صفة كل.
(٥ - ٥) تكرر فى الأصل فقط بعد « و كان الله ».

من ذلك و غيره ﴿عليماً﴾ فيعلم من يليق بالختم و من يليق بالبدء[١]، قال الأستاذ ولى الدين الملوى[٢] فى كتابه حصن النفوس فى سؤال القبر: و اختصاصه صلى الله عليه و سلم بالأحدية و المحمدية علما و صفة برهان[٣] جلى على ختمه إذ الحمد مقرون بانقضاء الأمور مشروع [عنده ـ[٤]] و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، و قد بين السهيلى هذا فى سورة الحواريين من كتاب الإعلام ـ انتهى . و قد بينت فى سورة النحل أن [مدار ـ[٤]] مادة الحمد على بلوغ الغاية و امتضاء النهاية .

و لما كان ما أثبته لنفسه سبحانه من إحاطة العلم مستلزما[٥] للاحاطة بأوصاف الكمال، وكان قد وعد من توكل عليه بأن[٦] يكفيه كل مهم، و دل على ذلك بقصة الأحزاب و غيرها و أمر بطاعة نبيه صلى الله عليه و سلم و تقدم بالوصية التامة فى تعظيمه إلى أن أنهى الأمر فى إجلاله، و كانت طاعة العبد لرسول الله صلى الله عليه و سلم من كل وجه حتى يكون مسلوب الاختيار معه، فيكون بذلك مسلما لايحمل عليها[٧] إلا طاعة الله، و كانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها إلا دوام ذكره، قال بعد تأكيد زواجه صلى الله عليه و سلم لزينب

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالبداة (٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان العثمانى الديباجى الملوى ولى الدين أبو عبد الله المتوفى ٧٧٤ هـ ـ معجم المؤلفين ٨/٢٨٩.
(٣) زيد فى الأصل: الدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: مستلزمه (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ان (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: عليه، و الكلمة ساقطة من ظ .

رضى الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن[1] لا بنوة بينه و بين أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد: ﴿ يٰاَيها الذين 'امنوا ﴾ أي / ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ اذكروا ﴾ أي تصديقا لدعواكم ذلك / ٢٤٤ ﴿الله﴾ الذى هو أعظم من كل شيء ﴿ذكرا كثيرا لا﴾ أى بأن تعقدوا له سبحانه صفات الكمال و تثنوا عليه بها بألسنتكم. فلا تنسوه فى حال من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه و سلم حق تعظيمه، و اعتقاد كماله فى كل حال، و أنه لا ينطق عن الهوى، لتحوزوا مغفرة و أجرا عظيما، كما تقدم الوعد به.

و لما كان ثبوت البنوة بينه و بين [أحد من -[2]] الرجال خارمة لإحاطة العلم، وجب تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال: ﴿ و سبحوه ﴾ أى[3] عن أن يكون شيء على خلاف ما أخبر[4] به، و عن كل صفة نقص بعد ما أثبتم له [5]كل صفة[5] كمال ﴿بكرة و اصيلا ه ﴾ اى فى أول النهار و آخره أى دائما لأن هذين الوقتين إما للشغل الشاغل ابتداء أو انتهاء أو[6] للراحة، فوجوب الذكر فيهما وجوب له فى غيرهما من باب الأولى، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه، و لم يعذر[7] احدا فى تركه إلا مغلوبا

---

(١) فى ظ و مد: انه (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: امر (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صفة كل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٧) فى ظ و مد: لم يقدر.

على عقله . و هما أيضا مشهودان بالملائكة و دالان على الساعة: الثاني قربها بزوال الدنيا كلها، و الأول على البعث بعد الموت، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صلاتي الصبح و العصر، لأن المواظبة عليهما - لما أشير إليه من صعوبتهما بما يعترى فى وقتيهما من الشغل بالراحة و[1] غيرها - دالة على غاية المحبة للنول[2] بالحضرات الربانية حاملة على المواظبة على غيرهما من الصلوات و جميع الطاعات بطريق الأولى، و يؤكد هذا الثاني تعبيره بلفظ الصلاة فى تعليل ذلك بدوام ذكره لنا سبحانه بقوله: ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾ أى بصفة الرحمانية متحننا، لأن المصلى منا يتعطف[3] فى الأركان ﴿و ملئكته﴾ أى كلهم بالاستغفار لكم و حفظكم من كثير من المعاصى و الآفات و يتردد بعضهم بينه سبحانه و بين الأنبياء بما ينزل إليهم من الذكر الحافظ من كل سوء فقد اشتركت الصلاتان فى إظهار شرف المخاطبين .

و لما كان فعل الملائكة [منسوبا إليه - [4]] لأنه مع كونه الخالق له الآمر به قال: ﴿ليخرجكم﴾ أى بذلك ﴿من الظلمت﴾ [أى -[4]] الكائنة من الجهل الموجب للضلال[5] ﴿الى النور﴾ [أى -[4]] الناشىء من العلم المثمر للهدى، فيخرج بعضكم بالفعل من ظلمات المعاصى المقتضية للرين على القلب إلى نور الطاعات، فتكونوا بذلك مؤمنين ﴿و كان﴾ أى أزلا و أبدا ﴿بالمؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ثابتا

---

(١) فى ظ: او (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: للهول (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: متعطف (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و مد: ضلال .

خاصة

[خاصة -[1]] ﴿رحيما ۝﴾ أى بليغ الرحمة بتوفيقهم لفعل ما ترضاه الإلهية، فانهم[2] أهل خاصته فيحملهم[3] على الإخلاص فى الطاعات، فيرفع لهم[4] الدرجات فى روضات الجنات .

و لما كان أظهر الأوقات فى ثمرة هذا الوصف ما بعد الموت، قال تعالى مبينا لرحمتهم: ﴿تحيتهم يوم يلقونه﴾ أى بالموت أو البعث ﴿سلٰم ج صلے﴾ أى يقولون له ذلك «أنت السلام و منك السلام فحينا ربنا بالسلام» [كما يقوله المحرم المشبه لحال من هو فى الحشر فيجابون بالسلام -[1]] الذى فيه إظهار شرفهم و يأمنون معه / من كل عطب / ٢٤٥ ﴿و اعد﴾ أى و الحال أنه أعد ﴿لهم﴾ أى بعد السلامة الدائمة ﴿اجرا كريما ۝﴾ أى غدقا دائما لا كدر فى شىء منه .

و لما وعظ المؤمنين فيه صلى الله عليه و سلم و هذبهم له بما أقبل بأسماعهم و قلوبهم إليه، و ختم بما يوجب لهم الفوز بما عنده سبحانه، و كان معظم ذلك له صلى الله عليه و سلم فانه رأس المؤمنين، أقبل بالخطاب عليه و وجهه إليه فقال منوها من[6] ذكره و مشيدا من قدره بما ينتظم بقوله[7] "الذين يبلغون رسٰلٰت الله" الآية و ما جرها من العتاب: ﴿يـٰأيها النبى﴾ [أى -[1]] الذى نخبره[8] بما لا يطلع عليه غيره .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فانهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيحمد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد: بالبعث.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من قوله (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تجرد .

و لما كان الكافرون ـ المجاهرون منهم و المساترون ـ ينكرون الرسالة و ما تبعها، أكد قوله في أمرها و فخمه فقال: ﴿ انآ ارسلنك ﴾ أي بعظمتنا بما ننبئك به إلى سائر خلقنا ﴿ شاهدا ﴾ أي عليهم و لهم مطلق شهادة، لأنه لايعلم البواطن إلا الله، و أنت مقبول الشهادة، فأبلغهم جميع الرسالة سرهم ذلك أو ساءهم سرك فعلهم أو ساءك .

و لما كان المراد الإعلام برسوخ قدمه في كل من هذه الأوصاف، عطفها بالواو فقال: ﴿ و مبشرا ﴾ أي لمن شهدت لهم[1] بخير بما يسرهم، و أشار إلى المبالغة في البشارة بالتضعيف[2] لما لها من حسن الأثر في إقبال المدعو [و للتضعيف من الدلالة على كثرة الفعل و المفعول بشارة بكثرة التابع و هو السبب لمقصود السورة ـ[3]]، [4]و كانت المبالغة في النذارة أزيد لأنها أبلغ في رد المخالف و هي المقصود بالذات من الرسالة لصعوبة الاجتراء عليها فقال[4]: ﴿ و نذيرا ﴾ [أي ـ[5]] لمن شهدت عليهم [بشر ـ[5]] بما يسوءهم ﴿ و داعيا ﴾ أي للفريقين ﴿ الى الله ﴾ أي إلى ما رضي الذي لا أعظم منه بالقول و الفعل، [6]و أعرى الدعاء عن المبالغة لأنه شامل للبشارة و النذارة و الإخبار بالقصص و الأمثال و نصب الأحكام و الحدود، و المأمور به في كل ذلك الإبلاغ بقدر الحاجة بمبالغة أو غيرها[6]

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: له (٢) من ظ، و في الأصل: بالصيغة، و العبارة من هنا إلى «إقبال المدعو» ساقطة من مد (٣) زيد من ظ و مد إلا أن العبارة في ظ وقعت بعد «بمبالغة أو غيرها» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين (٥) زيد من ظ و مد من مد (٦ - ٦) وقع ما بين الرقمين في ظ بعد «إقبال المدعو».

فمن لم ترده عن غيه النذارة، و تقبل به إلى رشده[1] البشارة، حمل على ذلك بالسيف .

و لما كان ذلك فى غاية الصعوبة، لايقوم به أحد إلا بمعونة من الله عظيمة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿باذنه﴾ أى بتمكينه لك من الدعاء بتيسير أسبابه، و تحمل أعبائه، و للدعو من الإقبال و الاتباع إن أراد له الخير .

و لما كان الداعى إلى الله يلزمه النور لظهور الأدلة قال: ﴿و سراجا﴾ يمد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم المبصر لمواقع الزلل كما يمد النور الحسى نور الأبصار . و لما كان المقام مرشدا إلى إنارته، و كان من السرج ما لايضىء، [و -[2]] كان للتصريح و التأكيد شأن عظيم قال: ﴿منيرا﴾ أى ينير على من اتبعه ليسير فى أعظم ضياء، و من تخلف عنه كان فى أشد ظلام، [[3] فعرف من التقييد بالنور أنه محط الشبه، و عبر به دون الشمس[3] لأنه يقتبس منه و لا ينقص مع أنه من أسماء الشمس -[2]] .

و لما[4] تقدمت هذه الأوصاف الحسنى[5]، و كان تطبيق ثمراتها عليها فى الذروة من العلو، و كان الشاهد هو البينة، فكان كأنه قيل: فأقم الأدلة النيرة، و ادع و أنذر [كل -[2]] من خالف أمرك، و كان المقام لخطاب المقبلين، طوى هذا المقدر لأنه للعرضين، و دل عليه بقوله عاطفا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الرشد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل: كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: الخمس، و القياس يقتضى: الخمسة، و الكلمة ليست واضحة فى مد .

[عليه -[١]] : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى الذين صح لهم هذا الوصف، فانك مبشر ﴿ بان لهم ﴾ و بين عظمة هذه البشرى بقوله: ﴿من الله﴾ أى الذى له جميع صفات العظمة ﴿فضلا كبيرا﴾ أى من جهة النفاسة و من جهة التضعيف من عشرة أمثال الحسنة إلى ما لا يعلمه / إلا الله . ٢٤٦/

و لما أمره سبحانه بما يسر[٢] نهاه عما يضر، فقال ذاكرا ثمرة النذارة: ﴿و لا تطع الكفرين﴾ أى المشاققين ﴿و المنفقين﴾ أى لا تترك إبلاغ شيء [مما أنزلته إليك من الإنزال و غيره كراهة شيء -[١]] من مقالهم أو فعالهم فى أمر زينب أو غيرها، فانك نذير لهم، و زاد على ما فى أول السورة محط الفائدة فى قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله: ﴿و دع﴾ أى اترك على حالة حسنة بك[٣] و أمر جميل لك ﴿ اذىهم ﴾ فلا تراقبه فى شيء، و لا تحسب له حسابا أصلا، و اصبر عليه فانه غير ضائرك[٤] لأن الله دافع عنك لأنك داع باذنه .

و لما كان ترك المؤذى و الإعراض عنه استسلاما فى غاية المشقة، ذكره بالدواء فقال: ﴿و توكل على الله﴾ أى الملك الأعلى فى الانتصار لك منهم [و -[١]] إبلاغ جميع ما يأمرك به و فى جميع امرك لأن[٥] الله متم نورك و مظهر دينك و الاكتفاء به من ثمرات إنارته لك بجعلك سراجا . و لما كان الوكيل قد لا ينهض بجميع الأمور، قال معلما بأن كفايته محيطة: ﴿و كفى﴾ و أكد أمر الكفاية بايجاد اثباء فى الفاعل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ليس (٣) فى ظ: لك (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ضايل بك (٥) فى ظ و مد: فان .

تحقيقا

تحقيقا لكونه فاعلا كما مضى فى آخر سورة الرعد فقال : ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ، و ميز النسبة بالفاعل فى الأصل لزيادة التأكيد فى تحقيق معنى الفاعل فقال : ﴿ وكيلا ﴾ فمن اكتفى به أنار له جميع أمره .

و لما أمر سبحانه بابلاغ أوامره من غير التفات إلى أحد غيره ، و كان من المعلوم أنه لابد فى ذلك من محاولات و منازعات ، لايقوم بها إلا من أعرض عن الخلائق ، لما هو مشاهد له من عظمة الخالق ، أمر سبحانه بالتوكل عليه ، و أقام الدليل الشهودى بقصة الأحزاب و قريظة على كفاية لمن أخلص له ، فلما تم الدليل رجع إلى بيان ما افتتح به السورة من الأحكام بعد إعادة الأمر بالتوكل ، فذكر أقرب الطلاق إلى معنى المظاهرة المذكورة أول السورة بعد الأمر بالتوكل التى محط قصدها عدم قربان المظاهر عنها بعد أن كان أبطل المظاهرة . فقال [ناهيا لمن هو فى أدنى أسنان الإيمان بعد بشارة المؤمنين - [1]] قاطعا لهم عما كانوا يشتدون به فى التحجر على المرأة المطلقة لقصد مضاجرتها أو تمام التمكن من التحكم فيها : ﴿ يايها الذين امنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اذا نكحتم ﴾ أى عاقدتم ، أطلق اسم المسبب على السبب فقد صار فيه حقيقة شرعية ﴿ المؤمنت ﴾ أى الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيهن و أتم الوصلة بينكم و بينهن .

(١) زيد من ظ و مد .

و لما كان طول مدة الحبس بالعقد من غير جماع لا يغير الحكم في العدة و إن غيرها في النسب بمجرد إمكان الوطئ، و كان الطلاق لايكون إلا بعد النكاح[1] [و بعد حل الوطىء بالنكاح -[1]]، أشار إليه بحرف التراخي فقال: ﴿ثم طلقتموهن﴾ أي بحكم التوزيع، و قيل لابن عباس: إن ابن مسعود رضي الله عنهم يقول بصحة تعليق الطلاق قبل النكاح فقال: زلة علم - و تلا هذه الآية.

و لما كان المقصود نفي المسيس في هذا النكاح لا مطلقا، و كانت العبرة في إيجاب المهر بنفس الوطئ لا بامكانه[2] و إن حصلت الخلوة، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل ان تمسوهن﴾ أي تجامعوهن، أطلق

٢٤٣ / المسّ على الجماع / لأنه طريق له كما سمي الخمر إثما لأنها سببه. و لما كانت العدة حقا للرجال قال: ﴿فما لكم﴾ و لما كانت العدة واجبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهن﴾ و أكد النفي باثبات الجار في قوله: ﴿من عدة﴾ و دل على اعتيادهم ذلك و مبالغتهم فيه و المضاجرة به كما في الظهار بالافتعال فقال: ﴿تعتدونها ج﴾ أي تتكلفون عدها و تراعونه، [و -[1]] روى عن ابن كثير[3] من طريق البزي شاذا بتخفيف[4] الدال بمعنى تتكلفون الاعتداء بها على المطلقة.

و لما كان هذا الحكم - الذي معناه الانفصال[5] - للمؤمنات اللاتي

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م . و في الأصل : مكانه (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٢١ (٤) من ظ و مد . و في الأصل : تخفيف (٥) من ظ و مد، و في الأصل : لاتصال .

لهن صفات تقتضي دوام العشرة و تمام الاتصال، كان[١] ذلك للكتابيات من باب الأولى، و فائدة التقييد الإرشاد إلى أنه لاينبغي العدول عن المؤمنات، بل و لا عن الصالحات من المؤمنات. و لما كان الكلام كما أشير إليه في امرأة قريبة من المظاهر[٢] عنها، و كان ما خلا من الفرض للصداق أقرب إلى ذلك، سبب عما مضى قوله: ﴿ فمتعوهن ﴾ و لم يصرح بأن ذلك لغير من سمي لها[٣] لتدخل المسمى لها في الكلام على طريق الندب مع ما لها من نصف [المسمى -[٤]] كما دخلت الأولى وجوبا ﴿ وسرحوهن ﴾ أي أطلقوهن[٥] ليخرجن من منازلكم و لا تعتلوا عليهن بعلة ﴿ سراحا جميلا ه ﴾ بالإحسان قولا و فعلا من غير ضرار بوجه [أصلا -[٤]] ليتزوجهن من شاء.

و لما كان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و كان المراد الأعظم في هذه الآيات بيان ما شرفه الله به من [٦]ذلك، أتبع ما بين أنه[٧] لا عدة فيه من نكاح المؤمنين [و ما حرمه عليهم من التضييق على الزوجات المطلقات -[٨]] بعض ما شرفه الله تعالى به و خصه من أمر [التوسعة في -[٩]]

(١) من ظ و مد، و في الأصل: و كان (٢) و من هنا نستأنف نسخة م.
(٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: بها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: طلقوهن (٦) العبارة من هنا إلى «أمر التوسعة في» ساقطة من مد (٧) العبارة من «و كان المراد» إلى هنا ساقطة من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد من ظ و م.

النكاح، و ختمه بأن أزواجه لا تحل بعده، فهن كمن عدتهن[1] ثابتة لا تنقضي[2] أبدا، او كمن زوجها غائب عنها و هو حي، لأنه صلى الله عليه و سلم حي في قبره: ﴿يٰأيها النبي﴾ ذاكرا سبحانه الوصف الذي هو مبدأ القرب و مقصوده و منبع[3] الكمال و مداره.

و لما كان الذين في قلوبهم مرض ينكرون خصائص النبي صلى الله عليه و سلم أكد قوله: ﴿انآ احللنا لك ازواجك﴾ أي نكاحهن، قال الحرالي في كتابه في أصول الفقه: تعليق الحكم بالأعيان مختص بخاص مدلولها نحو حرمت أو حللت المرأة أي نكاحها، و الفرس أي ركوبه، و الخمر أي شربها، و لحم الخنزير أي أكله، و البحر أي ركوبه، و الثور أي الحرث به، و كذلك كل شيء يختص بخاص مدلوله، و لا يصرف عنه إلا بمشعر، و لا إجمال فيه لترجح الاختصاص - انتهى.

و لما كان المقصود من هذه السورة بيان مناقبه صلى الله عليه و سلم و ما خصه الله به مما قد يطعن فيه المنافقون من كونه أولى من كل أحد بنفسه و ماله، بين أنه مع ذلك لا يرضى إلا بالأكمل، فبين أنه كان[4] يعجل المهور، و يوفي الأجور، فقال: ﴿الّٰتيٓ اٰتيت﴾ أي بالإعطاء الذي هو الحقيقة، و هي[5] به صلى الله عليه و سلم أولى [6]أو بالتسمية[6]

(١) في ظ و مد: عدتها (٢) من ظ و مد، و في الأصل و م: لا تقتضي. (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: مبلغ (٤) من ظ و مد، و في الأصل و م: كما (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م مد.

في

فى العقد، قال الكشاف : و كان التعجيل ديـدن السلف و سنتهم و ما لايعرف بينهم غيره ﴿ اجورهن ﴾ أى مهورهن لأنها[1] عوض عن منفعة البضع، و أصل الآجر الجزاء[2] على العمل ﴿ و ما ملكت يمينك ﴾ .

و لما كان حوز[3] الإنسان لما سباه أطيب لنفسه و أعلى لقدره و أحل مما اشتراه قال : ﴿ مما افاء ﴾ / أى رد ﴿ الله ﴾ الذى له الأمر كله ﴿ عليك ﴾ مثل صفية بنت حيي النضرية و ريحانة القرظية[4] و جويرية بنت الحارث الخزاعية رضى الله عنهن مما كان فى أيدى الكفار، أسنده إليه سبحانه إفهاما لأنه فىء على وجهه الذى أحله الله لا خيانة فيـه، و عبر بالفىء[5] الذى معناه الرجوع إفهاما لأن ما فى يد الكافر ليس له، و إنما هو لمن[6] يستلبه منه من المؤمنين بيد[7] القهر أو لمن يعطيه الكافر منهم عن طيب نفس، و من هنا كان يعطى النبى صلى الله عليه و سلم ما يطلب منه من بلاد الكفار أو نسائهم، و ما أعطى أحدا شيئا إلا وصل إليه كتميم الدارى و شويل رضى الله عنهما، و قيد بذلك تنبيها على فضله صلى الله عليه و سلم و وقوعه من كل شىء على أفضله كما تقدمت الإشارة إليه، و إشارة إلى أنه سبق فى علم الله أنه لايصل إليه من ملك اليمين[8] إلا ما كان هذا سبيله، و دخل فيه ما أهدى له [9]من الكفار[9] مثل مارية

/ ٢٤٨

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لأنه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل : جور (٤) من ظ و مد. و فى الأصل و م: القريظية. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالنفى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ممن ليس (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اليمن (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

القبطية أم ولده إبراهيم عليه السلام، و في ذلك أيضا إشارة إلى ما خصه به من تحليل ما كان حظره على من كان قبله من الغنائم ﴿و بنت عمك﴾ الشقيق و غيره من باب الأولى، فان النسب كلما بعد كان أجدر بالحل.

و لما كان قد أفرد العم لأن واحد الذكور يجمع من غيره لشرفه و قوته و كونه الأصل الذي تفرع منه هذا النوع، عرف بجمع[١] الإناث أن[٢] المراد به الجنس لئلا يتوهم أن المراد إباحة الأخوات مجتمعات فقال: ﴿و بنت عمّتك﴾ من نساء بني عبد المطلب.

و لما بدأ بالعمومة لشرفها، أتبعها[٣] قوله: ﴿و بنت خلك﴾ جاريا أيضا[٤] في الإفراد و الجمع على ذلك النحو ﴿و بنت خلتك﴾ أي[٤] من نساء بني زهرة [و يمكن أن يكون في ذلك احتباك عجيب و هو: بنات عمك و بنات أعمامك، و بنات عماتك و بنات عمتك، و بنات خالك و بنات أخوالك، و بنات خالاتك و بنات خالتك، و سره ما أشير إليه -[٥]]

و لما بين شرف أزواجه من جهة النسب لما علم و اشتهر أن نسبه صلى الله عليه و سلم من جهة الرجال و النساء أشرف[٦] الأنساب بحيث لم يختلف في ذلك اثنان من العرب، بين شرفهن من جهة الأعمال فقال:

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: بجميع (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لأن (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: اتبعه (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) تكرر في ظ.

﴿ التي هاجرن ﴾ و أشار بقوله : ﴿ معك ﴾ إلى أن الهجرة قبل الفتح " اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد و قاتلوا " و لم يرد بذلك التقييد بل التنبيه على الشرف، و إشارة إلى أنه سبق فى علمه سبحانه أنه لايقع له أن يتزوج من هى خارجة عن هذه الأوصاف، و قد ورد أن هذا على سبيل التقييد؛ روى الترمذى[١] و الحاكم و ابن أبي شيبة و إسحاق بن راهويه و الطبرانى و الطبرى[٢] و ابن أبي حاتم كلهم من رواية السدى عن أبى صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها[٣] قالت : خطبنى رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعتذرت [إليه -[٤]] فعذرنى ثم أنزل الله تعالى " انا احللنا لك ازواجك " - الآية، فلم أكن لأحل له لأنى لم أهاجر. كنت من الطلقاء - قال الترمذى : حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدى .

و لما بين ما هو الأشرف من النكاح لكونه[٥] الأصل، [و -[٦]] أتبعه سبحانه ما خص به شرعه صلى الله عليه و سلم من المغنم الذى تولى سبحانه إباحته، أتبعه ما جاءت إباحته من جهة المبيح إعلاما بأنه ليس من نوع الصدقة التى نزه عنها قدره / فقال : ﴿ و امرأة ﴾ اى و أحللنا لك امرأة ٢٤٩ ﴿ مؤمنة ﴾ أى هذا الصنف حرة كانت او رقيقة ﴿ ان وهبت نفسها للنبى ﴾ .

و لما ذكر وصف النبوة لأنه مدار الإكرام من الخالق و المحبة من

(١) راجع جامعه ٢ / ١٥٠ (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : عنهم (٤) زيد من ظ و مد و الجامع (٥) من مد . و فى الاصل و ظ و م : بكونه (٦) زيد من ظ و م و مد .

الخلائق تشريفا له به و تعليقا للحكم بالوصف، لأنه لو قال "لك" كان ربما وقع فى بعض الأوهام - كما قال الزجاج - أنه غير خاص به صلى الله عليه و سلم، كرره بيانا لمزيد شرفه فى سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول[١] فقال: ﴿ان اراد النبى﴾ أى الذى أعلينا قدره بما اختصصناه به من الإنباء بالأمور العظيمة من عالم الغيب و الشهادة ﴿ان يستنكحها ق﴾ أى يوجد نكاحه لها[٢] بجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين، فتصير له[٣] بمجرد ذلك بلا مهر[٤] و لا ولى و لا شهود.

و لما كان ربما فهم ان غيره يشاركه فى هذا المعنى، قال مبينا لخصوصيته[٥] واصفا لمصدر "احللنا" مفخما للأمر بهاء المبالغة ملتفتا إلى الخطاب لأنه معين للمراد رافع الارتياب: ﴿خالصة لك﴾ و زاد المعنى بيانا بقوله: ﴿من دون المؤمنين ط﴾ أى[٦] من الأنبياء و غيرهم، و أطلق الوصف المفهم للرسوخ فشمل من قيد بالإحسان و الإيقان، و غير ذلك من الألوان، دخل من نزل عن رتبتهم من الذين يؤمنون و الذين آمنوا و سائر الناس من باب الأولى مفهوم موافقة، و قد كان الواهبات عدة و لم [يكن -[٧]] عنده منهن شيء. روى البخارى[٨] عن عائشة رضى الله عنها انها قالت: كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: العقول (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بها (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لك (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مميز (٥) فى ظ وم ومد: للخصوصية (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ وم و مد (٨) راجع ٢ / ٧٠٦.

صلى

صلى الله عليه و سلم و اقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها، فلما نزلت "ترجى من تشاء منهن" قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك ألا يسارع فى هواك.

و لما كان التخصيص لا يصح و لا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص تام القدرة، ليمنع غيره من ذلك، علله بقوله: ﴿قد﴾ أى[1] اخبرناك بأن هذا أمر يخصك دونهم لأنا[2] قد ﴿علمنا ما فرضنا﴾ اى قدرنا بعظمتنا.

و لما كان ما قدره للانسان عطاء و منعا لابد له منه، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ أى المؤمنين ﴿فى ازواجهم﴾ أى من أنه لا تحل لهم امرأة بلفظ الهبة منها و لابدون مهر و لابدون ولى و شهود، و هذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين و المتأخرين. و لما كان هذا عاما للحرة و الرقيقة قال: ﴿و ما ملكت ايمانهم﴾ أى[1] من [أن -[3]] أحدا غيرك لايملك رقيقة بهبتها لنفسها منه، فيكون أحق من سيدها.

و لما فرغ من تعليل الدونية، علل التخصيص لفا و نشرا مشوشا بقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أى ضيق فى شىء من أمر النساء حيث أحللنا لك أنواع المنكوحات و زدناك الواهبة. و لما ذكر سبحانه ما فرض فى الأزواج و الإماء الشامل للعدل فى عشرتهن، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أعلى الناس فهما و أشدهم [لله -[3]] خشية،

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) زيد من ظ و م و مد.

وكان يعدل بينهن ، و يعتذر مع ذلك من ميل القلب الذى هو خارج عن طوق البشر بقوله « اللهم / هذا قسمي[1] فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك » خفف عنه سبحانه بقوله : ﴿وكان الله﴾ أى المتصف بصفات الكمال من الحلم[2] و الأناة و القدرة و غيرها[3] أزلا و أبدا ﴿غفورا رحيما﴾ أى بليغ الستر فهو إن شاء يترك المؤاخذة فيما له أن يؤاخذ به ، و يجعل مكان المؤاخذة الإكرام العظيم متصفا بذلك أزلا و أبدا .

٢٥٠/

و لما ذكر هاتين الصفتين ، اتبعهما ما خففه عنه من أمرهن إكراما له صلى الله عليه و سلم مما[4] كان من شأنه أن يتحمل فيه و يتحرج عن فعله ، فقال فى موضع الاستئناف ، او الحال من معنى التخفيف فى الجمل السابقة : ﴿ترجئ﴾ بالهمز على قراءة الجماعة أى تؤخر ﴿من تشآء منهن﴾ أى من الواهبات فلا تقبل هبتها أو من نسائك بالطلاق او غيره مع ما يؤنسها من أن تؤويها ، و بغير همز عند حمزة و الكسائى و حفص[5] من الرجاء أى تؤخرها مع أفعال يكون بها راجية[6] لعطفك ﴿و تؤى﴾ أى تضم و تقرب[7] بقبول الهبة أو بالإبقاء فى العصمة بقسم و بغير قسم بجماع و بغير جماع تخصيصا له بذلك عن[8] سائر الرجال ﴿اليك من تشآء﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قسم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحكم (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل و م : غيرهما (٤) فى ظ : بما . (٥) راجع نثر المرجان ٥/٤٢٤ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : واجبة . (٧) زيد فى الأصل وم : اى . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

و سبب نزول هذه الآية[1] أنه لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن: يا نبي الله! اجعل لنا من مالك و نفسك ما شئت، و دعنا على حالنا، فنزلت.

و لما كان ربما مال إلى من فارقها، بين تعالى حكمها فقال: ﴿و من ابتغيت﴾ أى مالت نفسك إلى طلبها ﴿ممن عزلت﴾ أى أوقعت عزلها بطلاق أو رد هبة ﴿فلا جناح عليك﴾ أى فى إيوائها بعد ذلك بقبول هبتها أو بردها إلى ما كانت عليه من المنزلة عندك من قيد[2] النكاح أو القسم.

و لما كانت المفارقة من حيث هى - و لا سيما إن كان فراقها لما فهم منها من كراهية يظن بها - أنها تكره الرجعة، أخبر سبحانه أن نساءه صلى الله عليه و سلم على [غير -[3]] ذلك فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الإذن لك من الله و الإيواء العظيم الرتبة، لما لك من الشرف ﴿ ادنى ﴾ أى أقرب من الإرجاء و من عدم التصريح بالإذن فى[4] القرآن المعجز، إلى ﴿ ان تقر اعينهن ﴾ أى بما حصل لهن من عشرتك الكريمة، و هو كناية عن السرور و الطمأنينة ببلوغ المراد، لأن من كان كذلك كانت عينه قارة، و من كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب لما يخشاه - هذا إن كان من القرار بمعنى السكون، و يجوز أن يكون من القر الذى هو

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات (٢) فى ظ: قبل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ «و».

ضد الحر، لأن المسرور [تكون -[1]] عينه باردة، و المهموم تكون
عينه حارة، فلذلك يقال للصديق: اقر الله عينك، و للعدو: أسخن الله
عينك[2] ﴿ و لا يحزنّ ﴾ أى بالفراق و غيره مما يحزن من ذلك
﴿ و يرضين ﴾ لعلمهن أن ذلك من الله لما للكلام من الإعجاز
﴿ بمآ اٰتيتهن ﴾ أى من الأجور و غيرها من نفقة و قسم و إيثار و غيرها[3].

و لما كان التأكيد أوقع فى النفس و أنفى للبس، و كان هذا أمرا
غريبا لبعده عن الطباع أكد فقال: ﴿ كلهن[4] ﴾ أى ليس[5] منهن واحدة
إلا هى كذلك راغبة فيك راضية بصحبتك[5] إن آويتها أو[6] أرجأتها
/ لما لك من حسن العشرة و كرم الأخلاق و محاسن الشمائل و جميل ٢٥١ /
الصحبة، و إن اخترت فراقها علمت أن هذا أمر من الله جازم، فكان
ذلك [أقل -[1]] لحزنها فهو أقرب إلى قرار عينها بهذا الاعتبار، و زاد
ذلك تأكيدا لما له من الغرابة التى لا تكاد تصدق بقوله [عطفا على
نحو "فالله يعلم ما فى قلوبهن" -[7]]: ﴿ و الله ﴾ أى بما له من الإحاطة
بصفات الكمال ﴿ يعلم ﴾ أى علما مستمرا لتعلق ﴿ ما فى قلوبكم[4] ﴾ [أى -[1]]
ايها الخلائق كلكم، فلا بدع إن علم ما فى قلوب هؤلاء.

و لما رغبه سبحانه فى الإحسان إليهن بادامة الصحبة بما أخبره من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ: عينه (٣) فى ظ و م و مد: غيرهما.
(٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ايسوه (٥) زيدت الواو فى الأصل،
و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و».
(٧) زيد من ظ و مد.

ودهن

ودهن لذلك، لكونه صلى الله عليه و سلم شديد المحبة لإدخال السرور على القلوب، زاده ترغيبا بقوله: ﴿و كان الله﴾ أى أزلا و أبدا ﴿عليما﴾ أى بكل شيء ممن يطيعه و من يعصيه ﴿حليما ﴾ لايعاجل من عصاه، بل يديم إحسانه إليه فى الدنيا فيجب أن يتقى[1] لعلمه و حلمه، فعلمه موجب للخوف منه، و حلمه مقتض[2] للاستحياء منه. و أخذ الحليم شديد، فينبغى لعبده المحب له أن يحلم عمن يعلم تقصيره فى حقه، فانه سبحانه يأجره على ذلك بأن يحلم عنه فيما علمه[3] منه، و أن يرفع قدره و يعلى ذكره، روى البخارى[4] فى التفسير عن معاذة[5] عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يستاذن فى يوم المرأة منا[6] بعد أن أنزلت هذه الآية "ترجى من تشاء منهن" الآية، قلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن[7] [كان -[8]] ذاك إلى فانى لا أريد يارسول الله أن أوثر عليك أحدا.

و لما أمره بما يشق من تغيير العوائد فى أمر العدة، ثم بما قد يشق عليه صلى الله عليه و سلم من تخصيصه بما ذكر خشية من طعن بعض من لم يرسخ إيمانه، و ختم ذلك بما يسر أزواجه، وصل به ما يزيد سرورهن من تحريم غيرهن عليه شكرا لهن على إعراضهن عن الدنيا

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يبقى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موجب (٣) فى ظ: علم (٤) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٦ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معارة (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: ما (٧) فى ظ: اذ (٨) زيد من ظ و م و مد و الصحيح.

و اختيارهن الله و رسوله فقال: ﴿ لايحل لك النسآء ﴾ و لما كان تعالى شديد العناية به[1] صلى الله عليه و سلم، لوّح له فى آية التحريم إلى أنه ينسخه عنه، فأثبت الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ أى من[2] بعد من معك من هؤلاء التسع - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما[3] فى رواية عنه، شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت آية التخيير اخترن الله و رسوله، فتكون الآية منسوخة بما تقدم عليها فى النظم و تأخر عنها فى الإنزال[4] من آية " انا احللنا لك ازواجك " و فى رواية[5] أخرى عنه من بعد " الّتى احللنا لك " بالصفة المتقدمة من بنات العم و ما معهن، و يؤيدها ما [6]تقدمت روايته[6] عن أم هانئ[7] رضى الله عنها.

و لما كان ربما فهم أن المراد الحصر فى عدد التسع، لا بقيد المعينات، قال: ﴿ و لآ ان تبدل بهن ﴾ أى هؤلاء التسع، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من ﴾ أى شيئا من[1] ﴿ ازواج ﴾ أى بأن تطلق بعض هؤلاء المعينات، و تأخذ بدلها من غيرهن بعقد النكاح بحيث لايزيد العدد على تسع، فعلم بهذا أن الممنوع [منه -[2]] نكاح غيرهن مع طلاق واحدة منهن أولا، و هو يؤيد الرواية الأولى عن ابن عباس رضى الله عنهما لأن المتبدل بها لا تكون إلا معلومة العين، و الجواب عن قول أم هانئ

---

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٢٢ (٤) زيد فى ظ: الى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آية (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدم من روايتها (٧) زيد من ظ و م و مد.

رضى الله عنها أنه [1]فهم منها[1]، / لارواية عن النبي صلى الله عليه و سلم، ٢٥٢ /
و أما عند موت واحدة منهن فلا حرج فى نكاح واحدة بدلها .

و لما علم من هذا المنع من كل زوجة بأيّ[2] صفة كانت، أكد المعنى و حققه، و صرح به فى قوله حالا من فاعل " تبدل ": ﴿و لو اعجبك حسنهن﴾ أى النساء المغايرات لمن معك، و فى هذا إباحة النظر إلى من يراد نكاحها لأن النظرة الأولى لاتكاد تثبت ما عليه المرئى من حاق الوصف؛ و لما كان لفظ النساء شاملا للأزواج و الإماء، بين أن المراد الأزواج [فقط - [3]] بقوله: ﴿الا ما ملكت يمينك[4]﴾ أى فيحل لك منهن ما شئت، و قد ملك [4]رسول الله[4] صلى الله عليه و سلم ريحانة رضى الله عنها من سبى بنى قريظة، و استمرت فى ملكه مدة لايقربها حتى أسلمت، ثم ملك بعد عام الحديبية مارية رضى الله عنها أم ولده إبراهيم عليه السلام .

و لما تقدم[5] سبحانه فى هذه الآيات فأمر و نهى و حد حدودا[6]، حذر من التهاون بشىء منها و لو بنوع تأويل فقال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى لا شىء أعظم منه، و هو المحيط بجميع صفات الكمال ﴿على كل شىء رقيبا ﴾ أى يفعل فعل المراعى لما يتوقع منه من خلل على أقرب قرب منه بحيث لايفوت مع رعايته فائت من أمر المرعى،

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وهم (٢) فى ظ: من اى (٣) زيد من ظ وم ومد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: قدم (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لا يكون الرقيب إلا قريبا، و لا أقرب من قرب[1] الحق سبحانه. فلا أرعى من رقبته، و هو من أشد الأسماء وعيدا.

و لما كان القرب و الإحاطة لله، كان بالحقيقة لا رقيب إلا هو، و الآية على كل حال منسوخة إن قلنا بالاحتمال[2] الأول أو الثاني، فقد روى الترمذي في التفسير[3] عن عائشة رضي الله عنها و ناهيك بها و لا سيما في هذا الباب أنها قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أحل له النساء، و قال: هذا حديث حسن صحيح - انتهى. و نقل ابن الجوزي عنها رضي الله عنها أن الناسخ [آية -[4]] "انا احللنا لك ازواجك" و كذا [عن -[4]] جماعة منهم علي و ابن عباس و أم سلمة رضي الله عنهم، و لكنه صلى الله عليه و سلم ترك ذلك أدبا مع الله تعالى حيث عبر في المنع بصيغة الخبر و الفعل المضارع، و رعاية لما أشار الله إليه من رعاية حقهن في[5] اختيارهن الدار الآخرة.

و لما قصره صلى الله عليه و سلم عليهن[6]، و كان قد تقدم إليهن[7] بلزوم البيوت و ترك ما كان [8]عليه الجاهلية[8] من التبرج، أرخى عليهن الحجاب في البيوت و منع غيره صلى الله عليه و سلم مما كانت العرب عليه من الدخول على النساء لما عندهم من الأمانة في ذلك، فقال

(١) في ظ: قريب (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: باحتمال (٣) راجع من جامعه ٢ /١٠٣ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل «و» (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: اليمين.
(٨ - ٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الجاهلية عليه.

مخاطبا

مخاطبا لأدنى أسنان أهل هذا الدين لما ذكر فى سبب نزولها، و لأن المؤمنين كانوا منتهين [عن ذلك -[1]] بغير ناه كما يدل عليه ما يأتى من قول عمر رضى الله عنه فى الحجاب: ﴿ يٰأيها الذين 'امنوا ﴾ أى ادعوا الإيمان صدقوا دعواكم فيه[2] بأن ﴿ لاتدخلوا ﴾ مع الاجتماع[3]، فالواحد من باب الأولى.

و لما كان تشويش الفكر ربما كان شاغلا عن شىء مما ينبئ الله به كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم «بينت لى ليلة القدر فتلاحا فلان و فلان فأنسيتها» - أو كما قال صلى الله عليه و سلم، عبر بصفة النبوة / فى قوله: ﴿ بيوت النبى ﴾ أى الذى يأتيه الإنباء من علام الغيوب بما فيه غاية رفعته. فى حال من الأحوال أصلا ﴿ الآ ﴾ فى حال ﴿ ان يؤذن لكم ﴾ أى ممن له الإذن فى بيوته صلى الله عليه و سلم منه أو ممن يأذن له[4] فى ذلك، منتهين ﴿ الى طعام ﴾ أى أكله[5]، حال كونكم ﴿ غير نٰظرين انىٰه ﴾ أى وقت ذلك الطعام و بلوغه و استواءه للأكل، فمنع بهذا من كان يتحين طعام النبى صلى الله عليه و سلم، لأن فى ذلك تكليفا له صلى الله عليه و سلم بما يشق عليه جدا، فانه ربما[6] كان ثم من هو أحوج إلى ذلك الطعام من المتحين أو غير ذلك من الأعذار، فلا يتوجه

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاتباع (٤) زيد فى الأصل: الا. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كله (٦) سقط من ظ.

الخطاب إلى غير أهل هـذا السن السافـل ، و من[1] وقعت له فلتة ممن فوق رتبتهم دخل فى خطابهم بما أنزل من رتبته ، و التعبير باسم الفاعل المجرد فى " نٰظرين " أبلغ فى النهى .

و لما كان هذا الدخول بالإذن مطلقا ، و كان يراد تقييده ، و كان الأصل فى ذلك : فاذا دعيتم - إلى آخره ، و لكن لما كان المقام للختم بالجزم فيما يذكر ، و كان الاستدراك أمر عظيم من روعة النفس و هزها للعلم بأن ما بعده مضاد لما قبله قال : ﴿و لكن اذا دعيتم﴾ أى ممن له الدعوة ﴿فادخلوا﴾ أى لأجل ما دعاكم له[2] ؛ ثم سبب عنه قوله : ﴿فاذا طعمتم﴾ أى أكلتم طعاما أو شربتم شرابا ﴿ فانتشروا ﴾ أى اذهبوا حيث شئتم فى الحال ، و لا تمكثوا بعد الأكل لاستريحين لقرار الطعام[3] فى بطونكم ﴿و لامستانسين لحديث[4]﴾ أى طالبين الأنس لأجله ، قال حمزة بن نصر الكرمانى فى كتابه جوامع التفسير : قال الحسن : حسبك[4] فى الثقلاء[4] أن الله لم يتجوز فى امرهم - انتهى ، و عن عائشـــة رضى الله عنها أنها قالت : حسبك بالثقلاء[5] أن الله لم يحتملهم . ثم علل ذلك بقوله مصوبا الخطاب إلى جميعه . معظما له بأداة البعد : ﴿ان ذٰلكم﴾ أى الأمر الشديد[6]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : (٣) من ظ و م و مد ؛ و فى الأصل : الاكل (٤ - ٤) فى ظ و م و مد الثقلاء (٥) فى ظ و م و مد : من الثقلاء ، و فى روح المعانى ٧ / ٨٩ حيث ذكر قول عائشة رضى الله عنها : فى الثقلاء (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل الشرية .

و هو المكث بعد الفراغ [١]من الأكل و الشرب[١] ﴿ كان يؤذى النبي ﴾ أي الذي هيأناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سبب شرفكم و علوكم في الدارين، فاحذروا أن تشغلوه عن شيء منه فنتبئه بشيء تهلكون[٢] فيه. ثم سبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم بما يزيل أذاه فقال: ﴿ فيستحي ﴾ أي يوجد الحياء، و أصله إيجاد الحياة. كأن من لاحياء له جماد لاحياة له ﴿ منكم ﴾ أي أن يأمركم بالانصراف ﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع الأمر ﴿ لايستحي من الحق ﴾ أي لايفعل فعل المستحي فيؤديه ذلك إلى ترك الأمر به.

و لما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة، أعاد الضمير عليه مرادا به النساء استخداما فقال: ﴿ و اذا سالتموهن ﴾ أي الأزواج ﴿ متاعا ﴾ أي شيئا من آلات البيت ﴿ فسئلوهن ﴾ أي ذلك المتاع، كائنين و كائنات ﴿ من وراء حجاب ﴾ أي ستر يستركم عنهن و يسترهن عنكم ﴿ ذلكم ﴾ أي الأمر العالي الرتبة الذي أدبتكم[٣] جميعكم به من السؤال من وراء حجاب و غيره ﴿ اطهر لقلوبكم و قلوبهن ﴾ أي [من -[٤]] وساوس[٥] الشيطان [٦]التي كان يوسوس بها في أيام الجاهلية قناعة منه بما كانوا في حبالته من الشرك ﴿ و ما كان لكم ﴾[٦] أي و ما صح و ما استقام في حال من الأحوال ﴿ ان تؤذوا ﴾ و ذكرهم[٧] بالوصف الذي هو سبب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: يهلكونه (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: ادبكم (٤) زيد من مد (٥) من ظ وم و مد، و في الأصل: دسائس (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ذكر.

/٢٥٤ اسعادتهم[1] و استحق به[2] عليهم من / الحق ما لايقدرون على القيام بشكره فقال: ﴿ رسول الله ﴾ صلى الله عليه و سلم، أى الذى له جميع الكمال فله إليكم من الإحسان ما يستوجب [منكم -[3]] به غاية الإكرام و الإجلال، فضلا عن الكف عن الأذى، فلا تؤذوه بالدخول إلى شىء من بيوته بغير إذنه أو[4] المكث بعد فراغ الحاجة و لابغير ذلك.

و لما كان قد قصره [صلى الله عليه و سلم عليهن، و لزم ذلك بعد أن أحل له غيرهن قصرهن عليه بعد -[5]] الموت زيادة لشرفه و إظهارا لمزيته فقال: ﴿ و لآ ان تنكحوآ ﴾ أى فيما يستقبل من[6] الزمان ﴿ازواجه من بعده﴾ أى بعد فراقه لمن دخل بها منهن بموت أو طلاق [7]لما تقدم أنه حى لم يمت[7] ﴿ابدا﴾ فان العدة [منه -[5]] ينبغى أن لاتنقضى لما له من الجلال و العظمة و الكمال، و هو حى فى قبره لايزال، [و ثم علة أعم من هذه لمسها فى الميراث، و هى قطع الأطماع عن امتدادها إلى شىء من الدنيا بعده لئلا يتمنى أحد موته صلى الله عليه و سلم ليأخذ ذلك فيكفر لأنه لا إيمان لمن لايقدمه على نفسه -[5]]، و أما العالية بنت ظبيان التى طلقها النبى صلى الله عليه و سلم و تزوجت غيره فكان أمرها قبل نزول هذه الآية - ذكره البغوى[8] عن معمر عن الزهرى. ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان ذلكم﴾ أى الإيذاء بالنكاح و غيره الذى[9] ينبغى أن يكون

(١) فى ظ و م و مد: سعادتهم (٢) فى ظ: بهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ و، (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/٢٢٥. (٩) فى ظ: اى.

على

على غاية البعد ﴿ كان عند الله ﴾ أى القادر على كل شيء ﴿ عظيماً ﴾ و قد ورد فى سبب نزول هذه الآية أشياء، روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه قال: بعثتنى أم سليم رضى الله عنها برطب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على طبق فى أول ما أينع ثمر النخل قال: فدخلت عليه فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم أخذ بيدى فخرجنا[1] و كان حديث عهد بعرس زينب[2] بنت جحش رضى الله عنها، قال: فمر بنساء من نسائه و عندهن رجال يتحدثون فهنأنه و هنأه الناس فقالوا: الحمدلله الذى[3] أقر بعينك يا رسول الله، فمضى حتى أتى عائشة رضى الله عنها، فاذا عندها رجال، قال: فكره ذلك. و كان إذا كره الشيء عرف فى وجهه، قال: فأتيت أم سليم فأخبرتها، فقال أبو طلحة رضى الله عنه: لئن كان ما قال ابنك [حقا ـ[4]] ليحدثن أمر، قال: فلما كان من العشى خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الآية "يايها الذين امنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم" الآية، قال: و أمر بالحجاب، و أصله فى التفسير من جامع الترمذى[5]، و روى البخارى[6] و غيره[7] عنه رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم عروسا بزينب رضى الله عنها، فقالت لى أم سليم: لو أهدينا للنبى صلى الله عليه

(١) من ظ وم ومد، و فى الأصل: مجرحيا ـ كذا مصحفا (٢) فى م: بزينب.
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع ٢ / ١٥٣ من جامعه (٦) راجع كتاب النكاح من صحيحه ٢ / ٧٧٥ (٧) راجع مثلا جامع الترمذى ٢ / ١٥٣ .

و سلم هدية ! فقلت لها : افعلى ، فعمدت إلى تمر و أقط و سمن ، فاتخذت حيسة في برمة ، فارسلت بها معى إليه[1] ، فقال لى[2] : ضعها ، ثم أمرني فقال لى : ادع [لى -[3]] رجالا - سماهم - و ادع لى من لقيت ، ففعلت الذى أمرنى ، فرجعت فاذا البيت غاص بأهله - و فى رواية الترمذى أن الراوى قال : [قلت -[4]] لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة[5] - فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم وضع يده على تلك الحيسة و تكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة / يأكلون منـــه ، و يقول لهم : اذكروا / ٢٥٥
اسم الله ، و ليأكل كل رجل مما يليـه ، حتى تصدعوا كلهم عنها ، قال الترمذى : فقال [لى -[6]] : يا أنس ، ارفع ، فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت - فخرج منهم من خرج و بقى نفر يتحدثون ، قال : و جعلت أغتم - قال الترمذى : و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس و زوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ و قال عبد الرزاق فى تفسيره : فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يستحيى منهم أن يقول لهم شيئا - ثم خرج النبي صلى الله عليه و سلم نحو الحجرات و خرجت فى أثره ، فقلت : إنهم قد ذهبوا ، فرجع فـــدخل البيت و أرخى الستر و إنى لفى الحجرة و هو

---

(١) زيد فى الصحيح : فانطلقت بها إليه (٢) ليس فى ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٤) زيد من ظ و م و مد و الجامع (٥) من ظ و م و مد و الجامع ، و فى الأصل : بثلاثمائة (٦) زيد من م و مد و الجامع .

يقول

يقول " يايها الذين امنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم " الآية، و فى رواية الترمذى: ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه و سلم رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أرخى الستر و دخل و أنا جالس فى الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج عليّ و أنزلت هذه الآيات، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأهن[1] على الناس « يايها الذين ءامنوا لاتدخلوا بيوت النبي" الآية، [و -[2]] روى الشيخان[3] و غيرهما عن أنس رضى الله عنه ـ و هذا لفظ البخارى ـ فى روايات قال: بنى على رسول الله صلى الله عليه و سلم بزينب بنت جحش بخبز و لحم. فأرسلت على الطعام داعيا، فيجيء قوم فيأكلون و يخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون و يخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو، فقلت: يا نبي الله ! ما أجد أحدا أدعو ؛ قال: ارفعوا طعامكم، فجلسوا يتحدثون فى البيت فاذا هو كأنه يتهيأ[4] للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، [5]فلما قام قام[5] من قام، وقعد ثلاثة نفر. و فى رواية: ثلاثة رهط، فخرج النبي صلى الله عليه و سلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال: السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله، فقالت: و عليك السلام و رحمة الله،

(١) من ظ و م ومد والجامع، و فى الأصل: فقرا هو (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) راجع من صحيح البخارى ٢ / ٧٠٦ و ٧٠٧ و من صحيح مسلم ١ / ٤٦١.
(٤) من ظ و م و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل: تهيا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ! فتقرى حجر نسائه[١] كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة رضى الله عنها . و يقلن له كما قالت عائشة ـ رضى الله عنهن ، ثم[٢] رجع النبى صلى الله عليه و سلم فاذا القوم جلوس ، و كان [النبى ـ[٣]] صلى الله عليه و سلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة رضى الله عنها ، و فى رواية[٤] : أولم رسول[٥] الله صلى الله عليه و سلم حين بنى بزينب بنت جحش رضى الله عنها فأشبع الناس خبزا و لحما ، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه ، فيسلم عليهن و يدعو لهن ، و يسلمن عليه و يدعون له ، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان[٦] / نبى الله صلى الله عليه و سلم رجع عن بيته وثبا[٧] مسرعين ، فما أدرى أنا أخبرته بخروجهما أو أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب داخلة و أخرى خارجة أرخى الستر ، و فى رواية[٨] : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى و بينه ، و أنزلت آية الحجاب "يأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى" الآية[٩] ، وللبخارى[١٠] عن عائشة رضى الله عنها

---

(١) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : نسائك (٢) سقط من ظ (٣) زيد من م و مد و صحيح البخارى (٤) راجع ٢/٧٠٧ من صحيح البخارى (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : لرسول . (٦) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : الرجلين (٧) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : دنيا ـ كذا (٨) راجع ٢/٧٠٦ من صحيح البخارى (٩) سقط من ظ و مد (١٠) راجع ٢/٩٢٢ من صحيحه .

قالت: [1] كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم: احجب نساءك، قالت: فلم يفعل[1]، و كان أزواج النبى صلى الله عليه و سلم يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع، خرجت سودة بنت زمعة و كانت امرأة طويلة رضى الله عنها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه و هو فى المجلس فقال: عرفتك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، قالت: فأنزل الله عز و جل الحجاب. و للبخارى[2] عن أنس رضى الله عنه و مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما كلاهما عن عمر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل[3] عليهن البر و الفاجر، فلو أمرتهن أن يحجبن، فنزلت آية الحجاب. و روى فى السبب أشياء غير هذه، و قد تقدم أنه ليس ببدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية الدرجة، أو بعضها أقرب من بعض، على أنه قد روى البخارى فى التفسير[4] فى سياق هذه الآية ما هو صريح فى أن قصة سودة بعد الحجاب [1]عن عائشة رضى الله عنها، قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها[1] و كانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال[5]: يا سودة! أما[6] و الله ما تخفين علينا، فانظرى كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة و رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيتى [7]و إنه يتعشى[7] و فى يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إنى

(١–١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع ٢ / ٧٠٦ من صحيحه (٣) من ظ و م و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل: يدخلن (٤) راجع ٢ / ٧٠٧ من الصحيح (٥) زيد فى ظ: لها (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: إنا (٧–٧) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد و الصحيح.

خرجت لبعض حاجتى ، فقال لى عمر كذا و كذا ، قالت : فأوحى الله[1] إليه ثم رفع عنه و إن العرق فى يده ما وضعه فقال : قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن . و هؤلاء الذين[2] جلسوا - و النبى صلى الله عليه و سلم على ما هو عليه [3] من الكراهة لجلوسهم[3] بما ذكر من هيئته فى حيائه و تهيؤه للقيام و نحو ذلك - لم يستثمروا الفقه من أحواله ، بل كانوا واقفين عند ما يسمعونه [4]من مقاله ، و طريقة الكمل[5] الاستبصار برسمه و حاله كما يستبصرون من قاله و فعاله ، قال الحرالى : الحال كل هيئة [تظهر -[6]] عن انفعال باطن ، و يختص بتفهمها المشاهد المتوسم ، و ذلك كضحكه[7] صلى الله عليه و سلم للذى رآه يوم خيبر و قد أخذ [8]جراب شحم[8] من فىء يهود و هو يقول : لا أعطى اليوم من هذا أحدا شيئا ، و كتغير وجهه لعمر رضى الله عنه لما أخذ يقرأ عليه صحيفة من حكم الأولين حتى نبه عمر رضى الله عنه من توسم فى وجهه صلى الله عليه و سلم الكراهة لفعل / عمر ، و إنباء كل [حال -[6]] منها بحسب ما يفيده / ٢٥٧
الانفعال من الانبساط و الانقباض [و الإعراض -[6]] و نحو ذلك مما يتوسمه المتفطن ، و يقطع بمقتضاه المتفهم . و أما الرسم[9] فهو كل ما

---

(١) سقط من ظ و م و مد و نسخة البخارى (٢) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) فى ظ : كراهة جلوسهم . (٤) العبارة من هنا إلى « كما يستبصرون » ساقطة من ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الكل (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اضحكه (٨-٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : جرات لحم . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوسم .

شأنه البقاء بعد غيبته و وفاته ، فيتفهم منه المعتبر حكم وضعه و مقصد رسمه ، كالذى يشاهد من هيئة بنائه مسجده على حال اجتزاء بأيسر ممكن وكبنائه[١] بيوته على هيئة لا تكلف فيها ، و لا مزيد[٢] على مقدار الحاجة ، و كمثل الكساء الملبد[٣] الذى تركه ، و فراشه و نحو ذلك من متاع بيوته ، و كما يتفهم[٤] من احتفاله فى أداة سلاحه مثل كون سيفه محلى بالفضة و قبضته فضة ، و مثل احتفاله بالتطيب حتى [كان -[٥]] يرى فى ثوبه و زره ، فيتعرف[٦] من رسومه أحكامه ، كما يتعرف من احواله و أفعاله و أقواله ، و ذلك لأن جميع هذه الإبانات كلها هى حقيقة ما هو الكلام - انتهى . و برهان ذلك أن الأصل فى الكل الكلام النفسى[٧] الذى هو المنشأ ، و القول و الفعل و الحال و الرسم مترجمة عنه ، و ليس بعضها أحق بالترجمة من بعض ، نعم بعضها أدل من بعض و أنص و أصرح ، فتهيؤ النبى[٨] صلى الله عليه و سلم للقيام من بيته مثل ما لو قال : أريد أن تذهبوا ، فانه يلزم من قيام الرجل من بيته الذى هو محل ما يستره عن غيره أن يريد ذهاب غيره منه لئلا يطلع على ما لا يحب أن يطلع[٩] عليه أحد[١٠] ، و إتيانه ليدخل فاذا راهم رجع مثل ما لو قال : إنما يمنعنى من الدخول إلى محل راحتى جلوسكم

(١) فى مد : ابنائه (٢) فى مد : مزية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : المتلبد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يتوهم (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيعرف (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الأصلى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للنبى (٩) فى ظ و م و مد : يطلعه (١٠) سقط من ظ و م و مد .

فيه لثقل جلوسكم عليّ ، و كذا الأحوال و الرسوم - و الله الهادي .

و لما كان بعض الدال على الكلام - كما مر - أصرح من بعض ، فكان الإنسان قد يضمر أن يفعل ما يؤذي إذا تمكن ، و قد يؤذي بفعل يفعله ، و يدعي أنه قصد شيئا آخر مما لا يؤذي ، قال تعالى حاملا لهم على التفطن و التنبه[1] في الأقوال و غيرها و المقاصد الحسنة ظاهرا و باطنا ، على طريق الاستئناف في جواب من ربما انتهى بظاهره ، و هو عازم على أن يفعل الأذى عند التمكن : ﴿ ان تبدوا ﴾ أي بألسنتكم او غيرها ﴿ شيئا ﴾ [أي -[2]] من ذلك و غيره ﴿ او تخفوه ﴾ أي في صدوركم .

و لما كان فعل من يخفي أمرا عن[3] الناس فعل من يظن أنه يخفى على ربه ، قال مؤكدا تنبيها لفاعل ذلك على هذا اللازم لفعله ترهيبا له : ﴿ فان الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا به ، هكذا كان الأصل و لكنه أتى بما يعمه و غيره فقال : ﴿ بكل شيء ﴾ [أي -[4]] من ذلك و غيره ﴿ عليما ه ﴾ فهو يعلم ما أسررتم و ما أعلنتم و إن بالغتم في كتمه ، فيجازي عليه من ثواب أو عقاب .

و لما كان المقصود كما تقدم تغليظ الحجاب على ذوات الخدور ، و كان قد ذكر في هذه السورة خصائص و تغيير أحكام للنبي صلى الله

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التنبيه (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من م و مد . و في الأصل : على ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « اللازم لفعله » (٤) زيد من م و مد .

عليه

عليه و سلم و لأزواجه رضى الله عنهن و لغيرهم ، كان ربما ظن أن الحجاب تغير أو شيء منه بالنسبة إلى الدخول أو غيره ، فاستثنى من عمّه النهى السابق عن الدخول على وجه يعم جميع النساء / على نحو ما تقدم فى سورة / ٢٥٨ النور فقال: ﴿لا جناح﴾ أى إثم ﴿عليهن فى اٰبآئهن﴾ دخولا و خلوة من غير حجاب ، و العم و الخال و أبو الزوج بمصير الزوجين كالشيء الواحد بمنزلة الوالد[1] ﴿و لآ ابنآئهن﴾ أى من[2] البطن أو الرضاعة ، و ابن الزوج بمنزلة الولد ، و ترك ذكرهم يفهم أن الورع الحجاب عنهم ﴿و لآ اخوانهن﴾ لأن عارهن عارهم ﴿و لآابنآء اخوانهن﴾ فانهن[3] بمنزلة آبائهم ﴿و لآ ابنآء اخوٰتهن﴾ فانهن[4] بمنزلة أمهاتهم[5] ﴿و لانسآئهن﴾ أى المسلمات القربى منهن و البعدى بمنزلة واحدة ، و أما الكافرات فهن بمنزلة الأجانب من الرجال ﴿و لا ما ملكت ايمانهن ج﴾ لأنهم[6] لما لهن عليهم من السلطان تبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم[7] .

و لما كانت الريبة ليست مقطوعا بنفيها ، و كانت من جهة النساء أكثر ، لأنه لا يكاد رجل يتعرض إلا لمن[8] ظن بها الإجابة لما يرى من

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوالد (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد ؛ وفى الأصل و ظ : فانهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانهم. (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اخواتهن (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لانهن (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنهن (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

مخايلها أو مخايل اشكالها، أقبل عليهن بالخطاب لأنه أوقع فى النفس، فقال آمرا عاطفا على ما تقديره: فأظهرن على من شئتن من هؤلاء: ﴿ و اتقين الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه، فلا تقربن شيئا مما يكرهه، و طوى ما عطف عليه الأمر بالتقوى بعد أن ساق نفى الجناح فى أسلوب الغيبة، و أبرز الأمر بها و جعله فى أسلوب الخطاب إيذانا بأن الورع ترك الظهور على أحد غير من يملك التمتع، فان دعت حاجة كان مع الظهور حجاب كثيف[1] من الاحتشام و الأدب التام.

و لما كان الخوف لايعظم إلا ممن كان حاضرا مطلقا، قال معللا مؤكدا تنبيها على أن فعل من يتهاون[2] فى شىء من اوامره فعل من لايتقى، و من لايتقى كمن يظن أنه سبحانه غير مطلع عليه: ﴿ان الله﴾ أى العظيم الشان ﴿ كان ﴾ ازلا و أبدا ﴿ على كل شىء ﴾ من أفعالكن و غيرها، و لمزيد الاحتياط و الورع فى ذلك [عبر -[3]] بقوله: ﴿ شهيدا ﴾ أى لايغيب عنه شىء و إن دق، فهو مطلع عليكن حال الخلوة ممن ذكر، كما هو مطلع على [غير -[3]] ذلك فليحذره كل أحد [فى -[3]] حال الخلوة كما يحذره فى حال الجلوة[4]. فيا لها من عظمة باهرة، سطوة ظاهرة قاهرة، يحق لكل احد أن يبكى منها الدماء فضلا عن الدموع، و أن تمنعه مريح القرار و لذيذ الهجوع، روى البخارى[5]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كشيف (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تهاون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخلوة (٥) راجع من صحيحه ٢/ ٧٠٧.

عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن عليّ أفلح أخو أبي القعيس رضى الله عنه بعد ما أنزل الحجاب ، فقلت : لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي صلى الله عليه و سلم فان[1] أخاه [أبا -[2]] القعيس ليس هو أرضعني [و -[2]] لكن أرضعتني امرأة أبي القعيس ، [فدخل عليّ النبي صلى الله عليه و سلم فقلت : يا رسول الله ! إن أفلح أخا أبي القعيس -[2]] استأذن فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و ما يمنعك[3] ؟ قلت : يا رسول الله ! إن الرجل ليس هو أرضعني ، و لكن أرضعتني امرأة أبي القعيس ، فقال : ائذني له فانه عمك تربت يمينك ، قال عروة : فلذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقول : حرموا من الرضاعة[4] ما تحرموا من النسب .

و لما كانت هذه الآيات و ما قبلها و ما بعدها في إظهار شرف النبي صلى الله عليه و سلم و بيان مناقبه ، علل الأوامر فيها و النواهي و غيرها[5] بقوله ، مؤكدا لاقتضاء الحال ذلك إما ممن[6] آذاه بالجلوس[7] / في ٢٥٩ / غير حينه فواضح ، و أما غيره فكان من حقهم أن لا يفارقوا المجلس حتى يعلموا من لا يعرف الأدب ، فكان تهاونهم في ذلك فعل [من -[8]] لا يريد إظهار شرفه صلى الله عليه و سلم فهو تأديب و ترهيب : ﴿ان الله﴾

---

(١) من ظ وم و مد والصحيح ، و في الأصل : فانا (٢) زيد من ظ وم و مد و الصحيح (٣) زيد في الصحيح : أن تاذنين عمك (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الرضاع (٥) من ظ وم و مد ، و في الأصل : غيرهما (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٧) في ظ : في الجلوس (٨) زيد من ظ م و مد .

اى و علمكم محيط بأن له مجامع الكبر و العظمة و العز ﴿ و ملئكته ﴾ أي[1] و هم أهل النزاهة و القرب و العصمة .

و لما كان سبحانه قد قدم قوله "هو الذى يصلى عليكم و ملئكته" فأفرد كلا بخبر، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أعلى المخاطبين حظا من ذلك، فانه رأس المؤمنين، أفرده هنا بهذه الصلاة التى جمع فيها الملائكة الكرام معه سبحانه و جعل الخبر[2] عنهم خبرا[3] واحدا[4] ليكون أتم، فان قولك: فلان و فلان ينصران فلانا، أضخم من قولك: فلان ينصره [و - [5]] فلان، فقال تعالى: ﴿ يصلون على النبى ﴾ أى[1] يظهرون شرفه و ما له من الوصلة بالملك الأعظم بما يوحيه الله إليه من عجائب الخلق و الأمر من عالم الغيب و الشهادة، و هو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما كما رواه البخارى[6] : يبركون .

و لما كانت ثمرة المراد بهذا الإعلام التأسى، علم بآخر الكلام أن المعنى: و يسلمون [[5]- عليه [7]لأن ذلك من تمام الوصلة التى يدور عليها معنى الصلاة[7]] فأنتج ذلك قطعا [تفسير المراد بيصلون -[8]]: ﴿ يأيها الذين ءامنوا ﴾ [أى] ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ صلوا عليه ﴾ بعدم[9] الغفلة عن المبادرة إلى إظهار[10]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخبر (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من واحد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع من صحيحه ٢/٧٠٧ (٧-٧) ليس ما بين الرقمين فى م (٨) زيد من مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اظهر .

شرفه

شرفه فى حين من الأحيان تصديقا لدعواكم، و لأن الكبير إذا فعل شيئا بادر كل محب [1]له معتقد[1] لعظمته إلى فعله ﴿ و سلموا ﴾ .

و لما كان المراد بكل من الصلاة و السلام إظهار الشرف، و كان السلام أظهر معنى فى ذلك، و كان تحيته عند اللقاء واجبا فى التشهد بلاخلاف، و دالا على الإذعان لجميع أوامره الذى لايحصل الإيمان إلا به، و هو من[2] المسلم نفسه، و أما الصلاة فانها يطلبها المصلى من الله، أكدهما به فقال: ﴿ تسليما ﴾ أى فأظهروا شرفه[3] بكل ما تصل قدرتكم إليه من حسن متابعته و كثرة الثناء الحسن عليه و الانقياد لأمره فى كل ما يأمر به، و منه الصلاة و السلام عليه بألسنتكم على [نحو -[4]] ما علمكم فى التشهد و غيره مما ورد فى الأحاديث عن أبى سعيد الخدرى و كعب بن عجرة و غيرهما رضى الله عنهم بيان التقاء الصلاة و السلام فى إظهار الشرف فان الصلاة - كما [قال -[4]] فى القاموس - الدعاء و الرحمة و الاستغفار و حسن الثناء من الله عز و جل و عبادة فيها ركوع و سجود - انتهى. و السلام هو التحية [و التحية -[4]] - كما قال البيضاوى فى تفسير سورة النساء - فى الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة، ثم استعمل للحكم و الدعاء بذلك، ثم قيل لكل دعاء، فغلب فى السلام، و فى القاموس: التحية: السلام و البقاء و الملك، و حياك الله:

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مصفه - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شرفكم (٤) زيد من ظ و م و مد.

أبقاك أو[1] ملكك ، و قال الإمام ابو عبد الله القزاز فى جامعه : السلام اسم من أسماء الله ، و السلام ههنا بمعنى السلامة ، كما يقال[2] الرضاع و الرضاعة ، و اللذاذ و اللذاذة ، قالوا : و معنى قول القائل لصاحبه : سلام عليك [أى – [3]] قد سلمت منى [4]لا أنالك[4] بيد و لا لسان ، و قيل : معناه السلامة من الله عليكم ، و قيل : هو الرحمة ، و قيل[5] : الأمان ، و[6] السلامة هى[6] / النجاة ٢٦٠ / من الآفات – انتهى . فقد ظهر أن معنى الكل كما ترى ينظر إلى إظهار الشرف نظر الملزوم إلى اللازم ، و لذلك فسر البيضاوى يصلون بقوله : يعتنون[7] باظهار شرفه و تعظيم شأنه ، و سلموا بقوله : قولوا السلام عليك ، أو انقادوا لأوامره . فلما تآخيا فى هذا المعنى ، و كان هو المراد أكد بلفظ السلام تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد ، فهو مؤكد لصلوا بمعناه و لسلموا بلفظه ، استعمالا للشيء [8]فى حقيقته[8] و مجازه كما هو مذهب إمامنا الشافعى رضى الله عنه ، و مثل بآية النساء " لا تقربوا الصلوٰة و انتم سكارى ، و بقوله "او لمستم النساء" و غير ذلك ، و قد بينت فى سورة[9] الرعد أن مادة " صلوا " ، بجميع تراكيبها تدور على الوصلة و هى لازمة لكل ما ذكر من تفسيرها ، هذا و لك أن تجعله من

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م و مد ، فى الأصل : يقاع (٣) زيد من ظ وم ومد (٤–٤) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : لاانالك (٥) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ – ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السلام (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يعينون (٨ – ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحقيقته (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آية .

الاحتباك فتقول: حذف التأكيد أولا لفعل[1] الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام، و يرجح إظهار مصدر السلام بما تقدم ذكره، و حذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم و ليصلح أن يكون عليه و أن يكون له، فيصلح أن يجعل التسليم بمعنى الإذعان ـ و الله [2]هو الموفق للصواب[2].

و لما نهى سبحانه عن أذاه صلى الله عليه و سلم، و حض على إدخال السرور عليه، توعد على أذاه، فقال على طريق الاستئناف أو التعليل، إشارة إلى أن التهاون بشيء من الصلاة و[3] السلام من الأذى، و أكد ذلك[4] إظهارا لأنه مما يحق له أن يؤكد، و أن يكون لكل من يتكلم به غاية الرغبة فى تقريره: ﴿ان الذين يؤذون﴾ أى يفعلون فعل المؤذى بارتكاب ما يدل على التهاون من كل ما يخالف ﴿ الله ﴾ أى [5] الذى لا أعظم منه و لا نعمة عندهم إلا من فضله ﴿و رسوله﴾ أى الذى استحق عليهم بما يخبرهم[6] به عن الله مما ينقذهم به من شقاوة الدارين و يوجب لهم سعادتها ما[7] لا يقدرون على القيام بشكره بأى أذى كان حتى فى التقصير بالصلاة عليه باللسان ﴿ لعنهم ﴾ أى أبعدهم و طردهم و أبغضهم ﴿الله﴾ أى الذى لا عظيم غيره ﴿فى الدنيا﴾ بالحمل على ما يوجب السخط

(١) من ظ م ومد، و فى الأصل: لتاكيد (٢-٢) فى ظ وم ومد: الموفق.
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل «او» (٤) سقط من ظ و م و مد.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجيزهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما.

﴿ و الآخرة ﴾ بادخال دار الإهانة .

و لما كان الحامل على الأذى الاستهانة قال: ﴿ و اعد لهم عذابا مهينا ه ﴾ .

و لما كان من أعظم أذاه صلى الله عليه و سلم أذى من تابعه، وكان الأتباع لكونهم غير معصومين يتصور أن يؤذوا بالحق، قال مقيدا للكلام [1]بما يفهم[1]: ﴿ و الذين يؤذون المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى [صفة -[2]] الإيمان ﴿ و المؤمنت ﴾ كذلك . و لما كان الأذى بالكذب أشد [فى -[2]] الفساد و أعظم فى الأذى قال: ﴿ بغير ما اكتسبوا ﴾ أى بغير شيء واقعوه متعمدين له حتى أباح أذاهم ﴿ فقد احتملوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن حملوا ﴿ بهتانا ﴾ أى كذبا و فجورا زائدا على الحد موجبا للخزى[3]
فى الدنيا . و لما كان / من الناس من لايؤثر فيه العار، وكان الأذى ٢٦١ /
[4]قد يكون[4] بغير القول، قال: ﴿ و اثما مبينا ع ﴾ أى ذنبا ظاهرا جدا موجبا للعذاب فى الآخرى .

و لما نهى سبحانه عن أذى المؤمنات، وكانت[5] الحرائر بعيدات عن[6] طمع المفسدين لما لهن فى أنفسهن من الصيانة و للرجال بهن من العناية، وكان جماعة من أهل الريبة يتبعون الإماء إذا خرجن يتعرضون لهن للفساد، وكان الحرائر يخرجن لحاجتهن ليلا، فكان ربما تبع المرأة منهن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل : للجزاء (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) فى ظ و م و مد : كان (٦) فى ظ و م و مد : من .

أحد من أهل الريب يظنها امة او يعرف أنها حرة و يعتل بأنه ظنها أمة فيتعرض[1] لها، و ربما رجع فقال لأصحابه: فعلت بها - و هو كاذب، و فى القوم من يعرف أنها فلانة، فيحصل بذلك من الأذى ما يقصر عنه الوصف، و لم يكن إذ ذاك كما نقل عن مقاتل فرق بين الحرة و الأمة كن يخرجن فى درع و خمار، وكان اتسام[2] الحرائر بأمارة يعرفن [بها -[3]] ليهن[4] و يحتشمن يخفف[5] هذا الشر، قال تعالى: ﴿يٰأيها النبى﴾ فذكره بالوصف الذى هو منبع المعرفة و الحكمة، لأن السياق لحكمة يذب بها عن الحريم لئلا يشتغل فكره صلى الله عليه و سلم بما يحصل لهن من الأذى عن [تلقى شىء من -[3]] الواردات الربانية ﴿قل لازواجك﴾ بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح ﴿و بنٰتك﴾ ثنى بهن لما لهن به من الوصلة و لهن فى أنفسهن من الشرف، و أخرهن عن الأزواج لأن أزواجه يكفونه أمرهن ﴿و نسآء المؤمنين يدنين﴾ أى يقربن ﴿عليهن﴾ أى على وجوههن و جميع أبدانهن، فلايدعن شيئا منها مكشوفا ﴿من جلابيبهن[5]﴾ و لايتشبهن بالإماء فى لباسهن إذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور[6] و نحوها ظنا أن ذلك أخفى لهن و أستر، و الجلباب القميص، و ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة،

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيعرض (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اقسام (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لينهن (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشمعور.

و الملحفة ما ستر اللباس، أو الخمار و هو كل ما غطى الرأس، و قال البغوى[1]: الجلباب : الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع و الخمار، و قال حمزة الكرمانى : قال الخليل : كل ما تستتر به من دثار و شعار و كساء فهو جلباب، و الكل يصح إرادته هنا، فان كان المراد القميص فادناؤه إسباغه حتى يغطى يديها و رجليها، و إن كان ما يغطى الرأس فادناؤه ستر وجهها و عنقها، و إن كان المراد ما يغطى الثياب فادناؤه تطويله و توسيعه بحيث يستر جميع بدنها و ثيابها. و إن كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه و اليدين .

و لما أمر بذلك علله بقوله : ﴿ ذٰلك ﴾ أى الستر ﴿ ادنىٰ ﴾ أى أقرب من تركه فى ﴿ ان يعرفن ﴾ أنهن حرائر [2]بما يميزهن عن[3] الإماء ﴿ فلا ﴾ أى فيتسبب عن معرفتهن أن لا ﴿ يؤذين[4] ﴾ ممن يتعرض للاماء. فلا يشتغل قلبك عن تلقى ما يرد عليك من الأنباء الإلهية. و لما رقاهم سبحانه بهذا الأمر فى حضرات الرضوان. خافوا عاقبة ما كانوا فيه من الغلط بالتشبه بالإماء، فأخبرهم سبحانه أنه فى محل الجود و الإحسان، فقال : ﴿ و كان الله ﴾ اى[3] الذى له الكمال المطلق، أزلا و أبدا ﴿ غفورا ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا ﴿ رحيما ﴾ مكرما لمن يقبل عليه / و يمتثل ٢٦٢/
أوامره و يجتنب مناهيه، قال البغوى[1]: قال أنس رضى الله عنه : مرت[4]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٢٧ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد و المعالم، و فى الأصل : مر .

بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية متقنعة فعلاها بالدرة و قال: يا لكاع! أتتشبهين بالحرائر؟ ألقي القناع.

و لما كان المؤذون[١] بما مضى و غيره أهل النفاق و من داناهم، حذرهم بقوله مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عنهم: ﴿ لئن لم ينته ﴾ أي عن الأذى ﴿ المنفقون ﴾ أي [٢]الذين يبطنون[٢] الكفر و يظهرون الإسلام ﴿ و الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي[٣] مقرب من النفاق حامل على المعاصي ﴿ و المرجفون في المدينة ﴾ وهم الذين يشيعون الأخبار المخيفة لأهل الإسلام التي تضطرب لها[٤] القلوب سواء كانوا من القسمين الأولين أم[٥] لا ﴿ لنغرينك بهم ﴾ بأن نحملك على أن تولع [بهم -[٦]] بأن نأمرك باهانتهم و نزيل الموانع من ذلك، و نثبت الأسباب الموصلة إليه حتى تصير لاصقا بجميع أموالهم لصوق الشيء الذي يلحم بالغراء فلايقدروا على الانفكاك عن شيء مما تفعله بهم إلا بالبعد من المدينة بالموت أو الرحيل إلى غيرها، و هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري[٧]: لنسلطنك.

و لما كان نزوحهم عن المدينة مستبعدا عندهم جدا، و كان أعظم رتبة في أذاهم من غيره، لأن الإخراج من الأوطان من اعظم الهوان،

---

(١) من ظ وم ومد، و في الأصل: الماذون (٢-٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ: الذي يظنون (٣) زيد في الأصل: على، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م ومد، و في الأصل: اليها (٤) من ظ وم و مد، و في الأصل: او (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع الصحيح ٢ / ٧٠٧.

أشار إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم لا يجاورونك فيهآ ﴾ أي بعد محاولتك لهم ﴿الا قليلا ﴾ أي من الزمان بقدر ما يمكن لك المضارب فتعظم عليهم المصائب .

و لما كان معنى الكلام أنهم ينفون لأنه[1] صلى الله عليه و سلم يؤمر بنفيهم و إبعادهم و قتلهم، بين حالهم في نفيهم أو نصبه على الشتم [فقال -[2]] : ﴿ملعونين ج﴾ أي ينفون نفي بعد من الرحمة و طرد عن أبواب القبول.

و لما كان المطرود قد يترك و بعده[3]، بين أنهم على غير ذلك فقال مستأنفا : ﴿ اينما ثقفوآ ﴾ أي وجدوا و واجدهم[4] أحذق منهم و أفطن و أكيس و أصنع ﴿ اخذوا ﴾ أي أخذهم ذلك الواجد لهم ﴿و قتلوا ﴾ أي أكثر[5] قتلهم و بولغ فيه؛ ثم أكده بالمصدر بغضا فيهم و إرهابا لهم فقال : ﴿ تقتيلا ه ﴾ و لما سن لهم هذا العذاب الهائل في الدنيا، بين أن تلك عادته في أوليائه و أعدائه، فقال مؤكدا بالإقامة في موضع المصدر، لما لهم من استبعاد ذلك لكونهم لم يعهدوا مثله مع ما لهم من الاشتباك [بالأهل -[2]] و العشائر فقال : ﴿سنة الله﴾ أي طرق [لك -[2]] المحيط بجميع العظمة هذه[6] الطريقة كطريقته ﴿ في الذين خلوا ﴾ أي مضت أيامهم و اخبارهم، و انقضت وقائعهم و أعمارهم. من الذين كانوا ينافقون على الأنبياء كقارون و أشياعه، و بين قتلهم بكونهم في بعض

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل : انه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ومد، وفي الأصل وظ : يبعد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: وجدهم. (٥) في ظ : ا كثروا (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : عظمة .

الأزمنة

الأزمنة فقال: ﴿من قبل ج﴾ و أعظم التأكيد لما لهم من الاستبعاد الذى جرأهم على النفاق فقال: ﴿و لن تجد﴾ أى أزلا[1] و أبدا ﴿لسنة الله﴾ أى طريقة الملك الأعظم ﴿تبديلا ﴾ كما تبدل سنن الملوك، لأنه لايبدلها، و لا مدانى له فى العظمة ليقدر على تبديلها[2].

و لما بين تعالى ما أعد [3]لأعداء دينه[3] فى الدنيا، و بين أن طريقته جادة لاتنخرم، لما لها من قوانين الحكمة و أفانين الإتقان[4] و العظمة، و كان من أعظم الطرق الحكمية / و المغيبات العلمية الساعة، و كان قد [قدم / ٢٦٣
ما يحرك إلى السؤال عنها فى قوله "لعنهم الله فى الدنيا و الآخرة" و كان قد - [5]] مضى آخر السجدة أنهم سألوا استهزاء و تكذيبا عن تعيين وقتها، و هددهم سبحانه على هذا السؤال، قال تعالى مهددا أيضا[6] على ذلك مبينا ما[7] لأعداء الدين المستهزئين فى الآخرة: ﴿يسئلك الناس﴾ أى المشركون استهزاء منهم، و عبر بذلك إشارة إلى أنهم بعد فى نوسهم لم يصلوا إلى أدنى أسنان أهل الإيمان، فكان[8] المترددون فى آرائهم لايكادون ينفكون عن النوس و هو الاضطراب ﴿عن الساعة ط﴾ أى فى تعيين وقتها.

(١) فى ظ وم و مد: اصلا (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تبدلها (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا عدايه (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: الاتفاق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم نصا (٧) من م و مد، و فى الأصل: لهم اى، و الكلمة ساقطة من ظ (٨) فى ظ وم و مد: فكأنه قال.

و لما كانت إدامتهم السؤال عنها فعل من يظن أن غيره سبحانه يعلمها، أكد فقال: ﴿قل﴾ أى[1] فى جوابهم: ﴿انما علمها عند الله﴾ أى[1] الذى أحاط علما بجميع الخلال[2]، و له جميع أوصاف الجمال و الجلال، فهو يعلم ما عند كل أحد و لا يعلم أحد شيئا[3] مما عنده إلا باذنه.

و لما كان من فوائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعته، قال مشيرا إلى شدة خفائها باخفائها عن أكمل خلقه مرجيا تقريبها تهديدا لهم: ﴿و ما يدريك﴾ أى أىّ شيء يعلمك بوقتها؟ ثم استأنف قوله: ﴿لعل الساعة﴾ أى التى لاساعة فى الحقيقة غيرها[4] لما لها من العجائب ﴿تكون﴾ أى توجد و تحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا ﴾ أى فى زمن قريب، و يجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها، قال البخارى فى الصحيح[5]: إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، و إذا جعلته ظرفا و بدلا و لم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث، و كذلك لفظها فى [الواحد و -[6]] الاثنين و الجمع للذكر و الأنثى. و المراد بالتعبير بلعل أنها بحيث يرجو قربها من يرجوه و يخشاه [من يخشاه -[7]]، فهل أعد من يخشاها شيئا للدافعة إذا جاءت أو النجاة منها إذا أقبلت؟ ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكدا فى مقابلة إنكار الكفار أن يكون فى حالهم شيء من نقص: ﴿ان الله﴾

(١) سقط من ظ و م (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجلال (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيء (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيره (٥) راجع ٢ /٧٠٦ (٦) زيد من الصحيح (٧) زيد من ظ و م و مد.

اى الملك الأعظم [1]الذى لا أعظم منه[1] ﴿ لعن ﴾ أى أبعد إبعادا عظيما عن رحمته ﴿ الكفرين ﴾ أى الساترين لما من شأنه أن يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من امرها سواء كانوا مشاققين أو منافقين ﴿ واعد لهم[2] ﴾ أى أوجد و هيأ من الآن لتكذيبهم بها و بغيرها مما أوضح لهم أدلته ﴿ سعيرا ﴾ أى نارا شديدة الاضطرام و التوقد .

و لما كان العذاب ربما استهانه بعض الناس إذا كان ينقطع و لو كان شديدا، قال مبينا لحالهم : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان الشيء قد يطلق على ما شابهه بوجه مجازا و على سبيل المبالغة، [قال -[3]] مؤكدا لارادة الحقيقة : ﴿ ابداج ﴾ و لما كان الشيء قد يراد ثم يمنع منه مانع، قال مبينا لحالهم فى هذه الحال : ﴿ لا يجدون وليا ﴾ [أى -[3]] يتولى أمرا مما يهمهم بشفاعة أو غيرها ﴿ و لا نصيرا ﴾ ينصرهم .

و لما ذكر حاليهم هذين، أتبعه حالا لهم قوليا على وجه بين حالا فعليا فقال[4] : ﴿ يوم ﴾ أى مقدار خلودهم فيها[4] على تلك الحالة[5] يوم ﴿ تقلب ﴾ أى تقليبا[6] كثيرا شديدا ﴿ وجوههم ﴾ كما يقلب اللحم المشوى و كما ترى البضعة فى القدر يتراقى بها الغليان من جهة إلى جهة، و من حال إلى حال، و ذكر ذلك و إن كانت تلك النار غنية عنه لإحاطتها[7] لأن / ذكروا حول لما فيه من التصوير، و خص الوجوه لأنها أشرف، و الحدث[8] / ٢٦٤

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) ليس فى الأصل فقط .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و م و مد : الحال .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقلبا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاحاطته (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحديث .

فيها أنكأ .

و لما كان للاظهار مزيد بيان و هول مع إفادته استقلال ما هو فيه من الكلام بنفسه ، قال : ﴿ فى النار ﴾ أى المسعرة حال كونهم ﴿ يقولون ﴾ و هم فى محل الجزاء و قد فات المحل القابل للعمل، متمنين لما لا يدركون تلافيه لأنهم لايجدون ما يقدرون أنه يبرد غلتهم من ولى و لا نصير و لا غيرهما سوى هذا التمنى : ﴿ يٰليتنآ اطعنا ﴾ أى فى الدنيا ﴿ الله ﴾ أى الذى علمنا[1] الآن أنه الملك الذى لا أمر لأحد معه .

و لما كان المقام للمبالغة[2] فى الإذعان و الخضوع ، أعادوا العامل فقالوا : ﴿ و اطعنا الرسولا ﴾ أى الذى بلغنا عنه حتى نعاذ من هذا العذاب ، و زيادة الألف فى قراءة[3] من أثبتها إشارة إلى إيذانهم بأنهم يتلذذون بذكره و يعتقدون أن عظمته لا تنحصر ﴿ و قالوا ﴾ لما لم ينفعهم شيء متبردين[4] من الدعاء على من أضلهم[5] بما لايبرئ [عليلا -[6]] و لايشفى غليلا : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن إلينا ، و أسقطوا أداة النداء على عادة أهل الخصوص بالحضرة[7] زيادة فى الترقق باظهار أنه لا واسطة لهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعلمنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقابله (٣) راجع نثر المرجان ٥/٤٤٠ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مستردين (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احلهم - كذا. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

إلا

إلا ذلهم و انكسارهم الذى عهد فى الدنيا أنه الموجب الأعظم لإقبال الله على عبده كما ان المثبت لأداة البعد بقوله « يا الله » مشير[1] إلى سفول منزلته و بعده بكثرة ذنوبه و غفلته تواضعا منه لربه لعله يرفع ذلك البعد عنه[2] .

و لما كانوا يظنون [أن -[3]] اتباعهم للكبراء غير ضلال، فبان لهم خلاف ذلك، أكدوا قولهم لذلك و للاعلام بأنهم بذلوا ما كان عندهم من الجهل فصاروا الآن على بصيرة من أمرهم: ﴿انآ اطعنا سادتنا﴾ و قرئ بالجمع بالألف[4] و التاء جمعا سالما للجمع المكسر ﴿و كبرآءنا فاضلونا﴾ أى فتسبب عن ذلك، أنهم أضلونا بما[5] كان لهم من نفوذ الكلمة ﴿السبيلا﴾ كما هى عادة المخطىء فى الإحالة على غيره بما لاينفعه، و قراءة من أثبت الألف[6] مشيرة إلى أنه سبيل واسع جدا واضح، و أنه[7] مما يتلذذ بذكره و يجب تفخيمه .

و لما كان كأنه قيل: فما تريدون[8] لهم؟ قالوا مبالغين فى الرقة و للاستعطاف[9] باعادة الرب: ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ءاتهم ضعفين﴾ [أى -[3]] مثلى عذابنا من وهن قوتنا و شدة المؤثر لذلك مضاعفا أضعافا[10]

---

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: مشيرا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: و التاء - كذا (٥) فى مد: لما (٦) راجع نثر المرجان ٥/٤٤١ (٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل: انما هو. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ترون (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاستعطاف (١٠) من م و مد، و فى الأصل وظ: اضعفا.

كثيرة ﴿ من العذاب ﴾ ضعفا بضلالهم، و آخر باضلالهم، و إذا راجعت ما في أواخر[1] سبحان من معنى الضعف وضح لك هذا، و يؤيده قوله[2]: ﴿ و العنهم لعنا كثيرا ﴾ أى اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا في العدد. و المعنى على قراءة عاصم[3] بالموحدة: عظيما شديدا غليظا.

و لما كان السبب في هذا التهديد كله ما كانوا يتعمدونه من أذى رسول الله صلى الله عليه و سلم بقولهم: تزوج امرأة ابنه. و غير ذلك إلى [أن ـ[4]] ختمه[5] بما يكون سببا لتمنيهم طاعته /، و كان سماع هذا /٢٦٥
لطفا لمن صدق به، أتبعه ما هو كالنتيجة له فقال: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى صدقوا بما تلى عليهم ﴿ لا تكونوا ﴾ بأذاكم للرسول صلى الله عليه و سلم بأمر زينب رضى الله عنها أو غيره كونا هو كالطبع لكم ﴿ كالذين ءاذوا موسى ﴾ من قومه بنى إسراءيل آذوه بأنواع الأذى كما قال نبينا صلى الله عليه و سلم حين قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال: لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر. و أنسب الأشياء للارادة هنا أذى قرون[6] له بالزانية التي استأجرها[7] لتقذفه بنفسها [فبرأه الله من ذلك، و كان سبب الخسف بقرون و من معه ـ[4]] ﴿ فبرأه ﴾ أى فتسبب عن أذاهم له أن برأه ﴿ الله ﴾ أى الذى له صفات الجلال و الجمال و القدرة

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: آخر (٢) سقط من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٤ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: ختم (٦) في ظ: قارون (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل استأجره.

على كل شيء و الكمال، [و أفهم التعبير بالتفعيل أن البراءة كانت بالتدريج بالخسف و موت الفجاءة و إبراق عصى هارون كما مضى فى آخر القصص . و لما نهى عن التشبه بالمؤذين أعم من أن يكون أذاهم قوليا أو فعليا، أشار إلى أن الأذى المراد هنا قولى مثله فى أمر زينب رضى الله عنها فقال[1] -] : ﴿مما قالوا﴾ [دون أن يقول: مما آذوا، و ذلك -[1]] بما أظهره من البرهان على صدقه بخسف بمن أذاه كما مضى فى القصص فإياكم ثم إياكم .

و لما كان قصدهم بهذا الأذى إسقاط وجاهته قال: ﴿ وكان ﴾ أى موسى عليه السلام، كونا راسخا ﴿ عند الله ﴾ أى الذى لا يذل من والى ﴿وجيها ۝﴾ أى [2]معظما رفيع[2] القدر إذا سأله أعطاه، و إذا كان عند الله بهذه المنزلة كان عند الناس بها، لما يرون من إكرام الله له، [و الجملة كالتعليل للتبرئة لأنه لا يبرئ الشخص إلا من كان وجيها عنده -[3]] .

و لما نهاهم عن الأذى، أمر بالنفع ليصيروا[4] وجهاء عنده سبحانه مكررا للنداء استعطافا و إظهارا للاهتمام فقال: ﴿ يآيها الذين ءامنوا ﴾ اى ادعوا ذلك . و لما كان قد خص النبى صلى الله عليه و سلم فى أول السورة بالأمر بالتقوى، عم فى آخرها بالأمر بها مردفا لنهيهم بأمر يتضمن الوعيد ليقوى الصارف عن الأذى و الداعى إلى تركه[5] فقال: ﴿اتقوا الله﴾ أى صدقوا دعواكم بمخافة من له جميع العظمة ، فاجعلوا لكم وقاية من

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عظيم .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تركها .

سخطه بان تبذلوا له جميع ما أودعكم من الأمانة ﴿و قولوا﴾ فى حق النبي صلى الله عليه و سلم فى امر زينب رضى الله عنها و غيرها و فى حق بناته و نسائه رضى الله عنهن و فى حق المؤمنين و نسائهم و غير ذلك ﴿قولا سديدا﴾ اى قاصدا إلى الحق ذا صواب له ﴿يصلح لكم اعمالكم﴾ اى بان يدخلكم فى العمل الصالح و أنتم لاتعلمون ما ينبغى من كيفيته فيبصركم بها شيئا فشيئا و يوفقكم [1]للعمل بما[1] جلاه لكم حتى تكونوا على أتم وجه و اعظمه و ارضاه و أقومه ببركة[2] قولكم الحق على الوجه الحسن الجميل.

و لما كان الإنسان و إن اجتهد مقصرا، قال مشيرا إلى ذلك حتى لايزال معترفا بالعجز: ﴿و يغفر لكم ذنوبكم﴾ أى يمحوها عينا و أثرا فلا يعاقب عليها و لايعاتب. و لما كان ربما توهم أن هذا خاص بمن آمن، و أن تجديد الإيمان غير نافع، أزال هذا الوهم بقوله: ﴿و من يطع الله﴾ اى الذى لا أعظم منه ﴿و رسوله﴾ أى[3] الذى عظمته من عظمته بأن يجدد لهما[4] الطاعة بالإيمان و ثمراته فى كل وقت، فيكون مؤديا للأمانة إلى أهلها ﴿فقد فاز﴾ و أكد ذلك بقوله: ﴿فوزا عظيما﴾ أى ظفرا بجميع مراداته فى الدنيا و الآخرة.

و لما كان التقدير: و من لم يطع فقد خسر خسرانا مبينا، و كان كل شيء عرض على[5] شيء فالمعروض عليه متمكن من المعروض قادر عليه،

(١ - ١) فى ظ و م و مد: لعمل ما (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتركه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهم (٥) زيد فى ظ و مد: كل.

و كان

و كان كل شيء أودعه / الله شيئا لحفظه و رعاه و بذله لأهله و آتاه / ٢٦٦
باذلا للأمانة غير حامل لها . وكل من أودعه شيئا فضيعه و ضن به عن أهله و منعه عن مستحقه خائن فيه[١] حامل له ، وكان الله تعالى قد أودع الناس من العقول ما يميزون به بين الصحيح و الفاسد ، و من القوى الظاهرة ما يصرفونه فيما أرادوا من المعصية و الطاعة ، فمنهم من استدل بعقله على كل من المحق و المبطل فبذل له من قواه ما يستحقه ، فكان باذلا للأمانة غير حامل لها ، و منهم من عكس ذلك و هم الأكثر فكان حاملا [لها -][٢] خائنا فيما أمر به من بذلها ، و أودع سبحانه الأكوان ما فيها من المنافع من[٣] المياه و المعادن و النباتات[٤] فبذلته و لم تمنعه من أحد طلبه مع أن منعها له فى حيز الإمكان ، قال تعالى معللا للأمر بالتقوى ، أو مستأنفا مؤكدا تنبيها على أن هذا الأمر [مما -][٢] يحق أن يؤكد تنبيها على دقته ، و انه مما لايكاد أن يفطن له كثير من الناس فضلا عن أن يصدقوه [لافتا القول إلى مظهر العظمة دلالة على عظيم جرأة الإنسان -[٥]] : ﴿ انا عرضنا الامانة ﴾ أى أداءها أو حملها أو منعها أهلها ، و هى طاعته سبحانه فيما أمر به العاقل ، و فيما أراده من غيره ، و لم يذكر المياه و الرياح لأنهما من جملة ما فى الكونين من الأمانات اللاتى يؤديانها على حسب الأمر ﴿ على السموٰت ﴾ بما فيها من المنافع

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٤) فى ظ و م و مد : النبات (٥) زيد من ظ و مد .

﴿و الارض﴾ بما فيها من المرافق و المعادن . و لما أريد التصريح بالتعميم قال: ﴿و الجبال﴾ [و -[1]] لأن أكثر المنافع فيها ﴿فابين﴾ على عظم[2] أجرامها و قوة أركانها و سعة أرجائها ﴿ان يحملنها﴾ فيمنعنها و يحبسنها عن أهلها، قال الزمخشرى[3]: من قولك: فلان حامل للامانة و محتمل لها، أى لايؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته و يخرج عن عهدتها، لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها و هو حاملها، ألا تراهم [4]يقولون: ركبته الديون و لى عليه حق، فاذا [5]أداها لم تبق[5] راكبة له و لا هو حاملا لها ﴿و اشفقن منها﴾ فبذل كل [منهن -[1]] ما أودعه الله فيه فى وقته كما أراده الله، و هو معنى: أتينا طائعين، و الحاصل أنه جعلت الإرادة و هى[6] الأمر التكوينى فى حق الأكوان لكونها لاتعقل كالأمر التكليفى التكوينى فى حقنا لأنا نعقل[7] تميزا بين من يعقل و من لايعقل فى الحكم، كما ميز بينهما فى الفهم إعطاء لكل منهما ما يستحقه رتبته - و هذا هو معنى ما نقله البغوى[8] عن الزجاج و غيره من أهل المعانى، و ما أحسن ما قال النابغة زياد بن معاوية الذبيانى [9]حيث قال[9]:

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعظم.
(٣) راجع الكشاف تفسير الآية المتعلقة (٤) العبارة من هنا إلى «حاملا له» ساقطة من ظ (٤ - ٥) من م و مد، و فى الأصل: ادهاسى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعقل (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٣٠، (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

أتيتك عاريا خلقا ثيابى[١] على خوف تظن بى الظنون
فألفيت[٢] الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قال ابن الفرات : إن عمر رضى الله عنه قال لما قيل له إن النابغة قائلها[٣] : هو أشعر شعرائكم .

و لما كان الخائن أكثر من الأمين أضعافا مضاعفة ، و كانت النفس بما أودع فيها من الشهوات و الحظوظ محل النقائص ، قال تعالى : ﴿وحملها الانسان[٤]﴾ أى أكثر / الناس و الجن ، فان الإنسان الأنس، و الإنس / ٢٦٧ و الأناس[٥] الناس، و قد تقدم فى "ولا تبخسوا الناس اشياءهم"[٥] فى الأعراف أن الناس يكون من الإنس و من الجن، و أنه جمع إنس، و أصله أناس ، و الإسناد إلى الجنس لا يلزم منه أن يكون كل فرد منه كذلك ، فهو هنا باعتبار الأغلب ، و فى التعبير به إشارة إلى أنه لا يخون إلا من [هو فى -[٦]] [٧]أسفل الرتب[٧] لم يصل إلى حد النوس .

و لما كان الإنسان - لما له بنفسه [من الأنس -[٦]] و فى صفاته [من -[٦]] العشق ، و له من [٨]العقل و الفهم[٨] - يظن أنه لا نقص فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا : ﴿ انه ﴾ على ضعف قوته[٩] و قلة حيلته ﴿ كان ﴾

(١) من ظ و م و مد و الأغانى ١١ / ٢٢ ، و فى الأصل : بانى (٢) من مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ و م : فألقيت (٣) فى م : قائلها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الناس (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسفل الترتب . (٨-٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الفهم و العقل (٩) سقط من ظ .

أى فى جبلته[1] إلا من عصم الله ﴿ظلوما﴾ يضع الشيء فى غير محله كالذى فى الظلام لما غطى من شهواته على عقله، و لذلك قال: ﴿جهولا ۙ﴾ أى لجهله يغلب على حلمه[2] فيوقعه فى الظلم، فجعل كل من ظهور ما أودعه الله فى الأكوان وكونه فى حيز الإمكان كأنه عرض عليها كل من حمله و بذله كما أنه جعل تمكين الإنسان من كل من[3] إبداء ما اؤتمن عليه و إخفائه كذلك.

و لما كان الحكم فى الظاهر على جميع الإنسان، و فى الحقيقة ـ لكون القضية الخالية عن السور فى قوة الجزئية[4] ـ على بعضه، لكنه لما اطلق إطلاق الكلى فهم أن المراد الأكثر، قال مبينا أن "ال" ليست سورا معللا لحمله لها مقدما التعذيب إشارة إلى أن الخونة أكثر، [لافتا العبارة إلى الاسم الأعظم لتنويع المقال إلى جلال و جمال ـ[5]]: ﴿ليعذب الله﴾ أى الملك الأعظم بسبب الخيانة فى الأمانة. و قدم [من الخونة ـ[6]] اجدرهم بذلك فقال: ﴿المنفقين و المنفقت﴾ أى الذين يظهرون بذل الأمانة كذبا و زورا و هم حاملون لها عريقون فى النفاق ﴿و المشركين و المشركت﴾ اى الذين يصارحون بحملها و منعها عن أهلها [و هم عريقون فى الشرك فلا يتوبون منه ـ[5]].

و لما كان تقديم[7] التعذيب مفهما أن الخونة أكثر، أشار إلى أن

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حيلة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جهله (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ما (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجذبية (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ و م و مد.
(٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تقدم.

المخلص

المخلص نادر جـــدا بقوله: ﴿ و يتوب الله ﴾ أى بما له من العظمة ﴿ على المؤمنين ﴾ أى [1] العريقين فى وصف الإيمان و هم الثابتون عليه إلى الموت ﴿ و المؤمنت [4] ﴾ العصاة و غـــيرهم فيوفقهم لبذلها بعد حملها [فالآية من الاحتباك: ذكر العذاب اولا دليلا على النعيم ثانيا، و التوبة ثانيا دليلا على منعها أولا - [2]] أى عرض [3] هذا العرض و حكم هذا [الحكم - [4]] ليعذب و ينعم بحجة يتعارفها الناس فيما بينهم [5] .

و لما كان هذا مؤذنا بأنه ما من أحد إلا و قد حملها وقتا ما، فكان مرغبا للقلوب مرهبا للنفوس. قال مؤنسا لها مرغبا: ﴿ و كان الله ﴾ أى على ما له من الكبر و العظمة و الانتقام و الملك و السطوة ﴿ غفورا ﴾ أى محاء لذنوب التائبين الفعلية [6] و الإمكانية عينا و أثرا ﴿ رحيما ع ﴾ أى مكرما لهم بأنواع الإكرام بعد الرجوع عن الإجرام، و لما أمر النبي صلى الله عليه و سلم فى مطلعها بالتقوى أمر فى مقطعها بذلك على وجه عام، و توعد المنافقين و المشاققين الذين نهى فى أولها عن طاعتهم، و ختم بصفتى المغفرة و الرحمة كما ختم فى أولها بهما آية الخطأ و التعمد. فقد تلاقيا و تعانقا و توافقا و تطابقا - و الله [7] يقول الحق و [هو - [4]] يهدى السبيل، [8] و هو اعلم بالصواب [8] .

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: هو من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ و مد: و ينعمهم (٦) زيد فى الأصل: و التمكينية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: أنه سبحانه (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

سورة سبأ[1]

/٢٦٨ / مقصودها أن الدار الآخرة - التى أشار إليها آخر تلك بالعذاب و المغفرة بعد أن أعلم أن الناس يسألون عنها - كائنة لا ريب فيها، لما فى ذلك من الحكمة، و له عليه من القدرة. و فى تركها من عدم الحكمة و التصوير بصورة الظلم، و لقصة سبأ التى سميت بها السورة مناسبة كبيرة [2]لهذا المقصد[2] كما يأتى بيانه و لذلك سميت بها ﴿ بسم الله ﴾ الذى من شمول قدرته إقامة الحساب ﴿ الرحمن ﴾ الذى[3] من عموم رحمته ترتيب الثواب و العقاب ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى يمن على أهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم و لا عتاب.

لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة و حملها - و هى جميع ما فى الوجود من المنافع - على السماوات و الأرض و الجبال، فأشفقن منها و حملها الإنسان الذى هو الإنس و الجان، و أن نتيجة العرض و الأداء [و الحمل -[4]] العذاب و الثواب، فعلم أن الكل ملكه و فى ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر[5] سطوته [6]و قاهر جبروته[6]، و [7]أنه المالك[7] التام المُلك و المِلك المطاع المتصرف فى كل شيء

(١) الرابعة و الثلاثون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها خمس و خمسون فى الشامى و أربع و خمسون فى الباقين - راجع روح المعانى ١١٣/٧. (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بهذا القصد (٣) زيد فى ظ: هو. (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م و مد: قاهر (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أن الملك.

من غير دفاع، و ختم ذلك بصفتى المغفرة و الرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتدأ هذه بقوله: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق و الأمر كله مطلقا فى الأولى و الآخرى و غيرهما مما يمكن أن يكون و يحيط به علمه سبحانه ﴿ لله ﴾ ذى الجلال و الجمال.

و لما كان هذا [هو -[١]] المراد، وصفه بما يفيد ذلك، فقال منبها على نعمة الإبداء[٢] و الإبقاء أولا: ﴿ الذى له ﴾ أى وحده مِلكا و مُلكا و إن نسبتم إلى غيره ملكا و ملكا ظاهريا ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى بأسرها ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى كما ترون أنه لامتصرف فى شىء من ذلك كمال التصرف[٣] غيره، و قد علم فى غير موضع و تقرر فى كل فطرة أنه ذو العرش العظيم، فأنتج ذلك أن[٤] له ما يحويه عرشه من السماوات و الأراضى[٥] و ما فيها، لأن من المعلوم أن العرش محيط بالكل، فالكل فيه، و كل سماء فى التى فوقها، و كذا الأراضى[٦]، و قد تقرر أن له ما[٧] فى الكل. فأنتج ذلك أن له الكل بهذا البرهان الصحيح، و هو أبلغ مما لو عبر عن ذلك على وجه التصريح. [٨]و إذ قد[٨] كان له ذلك كله فلا نعمة على شىء إلا منه، فكل شىء يحمده بما له عليه من نعمه بلسان قاله، فإن لم يكن فبلسان حاله.

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الابدان.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التصريف (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أنه (٥) من م ومد، و فى الأصل و ظ: الأرض (٦) فى ظ: الأرض (٧) سقط من ظ (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اذا.

و لما أفاد ذلك أن له الدنيا و ما فيها، و قد علم في آخر الأحزاب أن نتيجة الوجود العذاب و المغفرة، و نحن نرى أكثر الظلمة و المنافقين يموتون من غير عذاب، و أكثر المؤمنين يموتون لم يوفوا ما وعدوه من الثواب، و نعلم قطعا أنه لا يجوز على حكيم أن يترك عبيده سدى يبغي بعضهم على بعض و هو لا يغير عليهم، فأفاد ذلك أن له دارا أخرى[1] يظهر فيها العدل و ينشر الكرم و الفضل، فلذلك قال عاطفا على ما سببه الكلام الأول من نحو: فله الحمد في الأولى، و طواه لأجل خفائه على أكثر الخلق، و أظهر ما في الآخرة لظهوره لأنها[2] دار كشف الغطاء، فقال منبها على نعمة الإعادة[3] و الإبقاء ثانيا: ﴿ و له ﴾ أي وحده ﴿ الحمد ﴾ اي الإحاطة بالكمال ﴿ في الآخرة[4] ﴾ ظاهرا لكل من يجمعه الحشر، و له كل ما فيها، لا يدعي ذلك أحد [4]في شيء منه[4] لا[3] ظاهرا ٢٦٩ / و لا باطنا، فكل شيء فيها لظهور الحمد إذ ذاك بحمده كما ينبغي لجلاله بما له عليه من نعمة أقلها نعمة الإيجاد، حتى أهل النار فإنهم يحمدونه بما يجب إليهم في الدنيا من إسباغ نعمه ظاهرة و باطنة، و منها إنزال الكتب و إرسال الرسل على وجه ما أبقى فيه للتحبب موضعا في دعائهم إليه و إقبالهم عليه، و بذل النصيحة على وجوه من اللطف كما هو معروف عند من عاناه. فعلموا أنهم هم المفرطون حيث أبوا في الأولى حيث ينفع

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: اخراو - كذا (٢) في ظ: لأن.

(٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م.

الإيمان

الإيمان، و اعترفوا فى الآخرة حيث فات الأوان "و قالوا آمنا به و انى لهم التناوش" - الآيات، و أيضا فهم يحمدونه فى الآخرة لعلمهم أنه لايعذب[1] أحدا منهم فوق ما يستحق و هو قادر على ذلك، و لذلك جعل النار طبقات، و رتبها دركات، فكانوا فى الأولى حامدين على غير وجهه، فلم ينفعهم حمدهم لبنائه[2] على غير أساس، و حمدوا فى الآخرة على[3] وجهه فما أغنى عنهم لكونها ليست دار العمل لفوات[4] شرطه، و هو الإيمان بالغيب، و الآية من الاحتباك: حذف أولا[5] «له الحمد فى الاولى» لما دل عليه ثانيا، و ثانيا «و له كل ما فى الأخرة[6]» لما دل عليه أولا، و قد علم بهذا و بما[7] قدمته فى النحل و الفاتحة أن الحمد تارة يكون بالنظر إلى الحامد[8]، و تارة بالنظر إلى المحمود، فالثانى[9] اتصاف المحمود بالجميل، و الأول وصف الحامد له بالجميل، فحمد الله تعالى اتصافه بكل وصف جميل، و حمد الحامد له وصفه بذلك، فكل الأكوان ناطقة بألسن أحوالها بحمده سواء[10] أنطق لسان[11] القال بذلك أم لا، و هو محمود قبل تكوينها، و ذلك هو معنى قولى[12] الإحاطة بأوصاف الكمال. و حمد غيره له تارة

(١) فى ظ و مد: لم يعذب (٢) من ظ و مد. و فى الأصل و م: لبنائهم.
(٣) زيد فى الأصل: غير، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ: بفوات (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٦) من م و مد، و فى الأصل وظ: الارض (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ما (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحامل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و الثانى (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سرا.
(١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلسان (١٢) فى ظ و مد: قول.

يطلق بالمدلول اللغوى، و تارة بالمدلول العرفى، و تحقيق ما قال العلماء فى ذلك فى نفسه و بالنسبة بينه و بين الشكر أن الحمد فى اللغة هو الوصف بالجميل الاختيارى على جهة التعظيم، و مورده اللسان وحده فهو مختص بالظاهر[1] و متعلقه النعمة و غيرها، فورده خاص و متعلقه عام، و الشكر لغة عـــلى العكس من ذلك متعلقه خاص و مورده عام، لأنه فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب إنعامه فورده[2] الظاهر و الباطن لأنه يعم اللسان و الجنان و الأركان. و متعلقه النعمة الواصلة إلى الشاكر، و من موارده القلب و هو أشرف الموارد كلها، لأن فعله و إن كان خفيا يستقل بكونه شكرا من غير ان ينضم إليه فعل غيره بخلاف الموردين الآخرين، إذ لا يكون فعل شيء منهما[3] حمدا و لا شكرا حقيقة ما[4] لم ينضم إليه فعل القلب.

و لما كان تعاكس[5] الموردين و المتعلقين ظاهر الدلالة على النسبة بين الحمد و الشكر اللغويين، علم أن بينهما عموما و خصوصا وجهيا. لأن الحمد قد يترتب على الفضائل المجردة، و الشكر قــد يختص بالفواضل، فينفرد الحمد من هذه الجهة، و ينفرد الشكر بالفعل / ٢٧٠ الظاهر و الاعتقاد الباطن على[6] الفواضل من غير قول، و يجتمعان فى الوصف[7] الجنانى و اللسانى[7] على الفواضل. ففعل القلب اعتقاد اتصاف المشكور بصفات

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالمظاهر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فورده (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تذكر (٦) فى ظ: عن (٧-٧) فى م و مد: اللسانى و الجنانى.

الكمال من الجلال و الجمال، و فعل اللسان ذكر ما يدل على ذلك، و فعل الأركان الإتيان بأفعال دالة على ذلك.

و لما كان هذا حقيقة الحمد و الشكر لغة لاعرفا، و كانت الأوهام تسبق [1]إلى أن[1] الحمد ما يشتمل على لفظ ح م د، قال القطب الرازى فى شرح المطالع: و ليس الحمد عبارة عن خصوص قول القائل [«الحمد لله» و إن كان هذا القول فردا من أفراد الماهية، و كذا ليس ماهية الشكر عبارة عن خصوص قول القائل -[2]] «الشكر لله»، و لا القولَ المطلق الدال على تعظيم الله و إن كان الثانى جزءا منه و الأول فرد من هذا الجزء، و حقيقة الحمد فى العرف ما يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما، و حقيقة الشكر العرفى هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من القوى[3] إلى ما خلق له كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته للاعتبار إلى عليّ حضراته، و إلقاء السمع إلى تلقى ما ينبىء عن مرضاته، و الاجتناب عن منهياته. فذكر الوصف فى اللغوى[4] يفهم الكلام سواء كان نفسانيا أو لسانيا فيشمل حمد الله تعالى نفسه و حمدنا له. و الجميل متناول للانعام و غيره من مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال، و عدم تقييد الوصف بكونه فى مقابلة نعمه مظهر لأن الحمد قد يكون واقعا بازاء النعمة و قد لا يكون، و اشتراط التعظيم يفهم تطابق الظاهر و الباطن، فان عرى قول اللسان

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القول (٤) فى مد: القوى.

عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه فعل الجوارح لم[١] يكن حمدا حقيقة، بل استهزاء و سخرية، و مطابقة الجنان و الأركان شرط فى الحمد لا شطر، فلا يتداخل التعريفان. و لايخرج بالاختيار صفات الله القديمة، فانها من حيث قدرته على تعليقها بالأشياء تكون داخلة فيكون الحمد على الوصف الاختيارى، و كذا إذا مدح الشجاع بشجاعته و القدرة على تعليق الوصف بما يتحقق بـه كانت الشجاعة ممدوحا بها، و ما حصل من آثارها من النعمة محمودا عليه، و إذا وصف بالشجاعة خاصة لم يكن هناك محمود عليه، فقد علم من هذا أنه إذا[٢] كان هناك اختيار فى الآثار كان الحمد عليه و إلا فلا، فلا يسمى وصف اللؤلؤة بصفاء الجوهر و بهجة المنظر حمدا بل مدحا، و يسمى الوصف بالشجاعة للاختيار فى إظهار آثارها حمدا، فاختص الحمد بالفاعل المختار دون المدح، و علم أيضا أن القول المخصوص و هو «الحمد لله» ليس حمدا لخصوصه، بل لأنه دال على صفة الكمال و مظهر لها، فيشاركه فى التسمية كل ما دل عـلى ذلك من الوصف، و لذلك قال بعض المحققين من الصوفية: حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية، و ذلك قد يكون بالقول كما عرف، و قد يكون بالفعل و هو أقوى، لأن الأفعال التى هى آثار الأوصاف تدل عليها دلالة / عقلية / ٢٧١
قطعية، لايتصور فيها خلف بخلاف الأقوال، فان دلالتها عليها[٣] وضعية، و قد يتخلف عنها مدلولها، و قد حمد الله تعالى نفسه بما يقطع به من

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بل (٢) فى ظ و م و مد: أن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليه.

القول

القول و الفعل ، أما الفعل فانه بسط بساط الوجود[1] على ممكنات لاتحصى و وضع عليه موائد كرمه التى لاتتناهى ، فكشف ذلك عن صفات كماله و أظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية ، فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ، و لايتصور فى عبارات المخلوق مثل هذه الدلالات ، و من ثم قال صلى الله عليه و سلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » و لابد للتنبه لما قاله الأستاذ أبو الحسن [2] التجيبى المغربى [2] الحرالى فى تفسيره بان حمدلة الفاتحة تتضمن من حيث ظاهرها المدح التام الكامل ممن [3] يرى المدحة [3] سارية فى كل ما أبدعه الله و ما أحكمه من الأسباب التى احتواها الكون كله ، و علم أن كلتا يدى ربه [4] يمين مباركة ، و هو معنى ما يظهره إحاطة العلم بابداء الله حكمته على وجه لا نكرة فيه منه ، و لا ممن هو فى أمره خليفته[5] ، و ليس من معنى ما بين العبد و ربه من وجه إسداء النعم و هو أمر يجده القلب علما ، لا أمر يوافق النفس غرضا . فمن[6] لم يكمل بعلم ذلك كان تاليا على أثر من علمه . واجدا بركة تلاوته - انتهى . و أما القول فانه سبحانه لما علم أن لسان الحال إنما يرمز رمزا خفيا لايفهمه إلا الأفراد و إن كان بعد التحقيق جليا ، أنزل علينا كتابا مفصحا بالمراد أثنى فيه على نفسه ، و بين صفات كماله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوجوه (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسحى المعرى - كذا (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من المدحة له (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حمعبه - كذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن .

بالبيان الذى يعجز عنه القوى، ثم جعل الإعجاز دلالة قطعية على كماله، و على[1] كل ما له من جلاله و جماله، و قد علم من هذه التعاريف أن بين[2] الحمد و الشكر اللغويين عموما و خصوصا من وجه، لأن الحمد قد يترتب على الفضائل [و هى الصفات -[3]] الجميلة[4] التى لايتجاوز منها أثر و منفعة إلى غير الممدوح كالشجاعة، و الشكر يختص بالفواضل و هى النعم و هى الصفات[5] و المزايا المتعدية التى يحصل منها منفعة لغير[6] الممدوح كالإحسان و المواهب و العطايا كما مضى، و بين الحمد و الشكر العرفيين[7] عموما و خصوصا مطلقا، فالحمد أعم مطلقا لعموم النعم الواصلة إلى الحامد و غيره، و اختصاص الشكر بما يصل إلى الشاكر، و ذلك لأن المنعم المذكور فى التعريف مطلق لم يقيد بكونه منعما على الحامد أو على غيره، فتناولهما[8] بخلاف الشكر و قد اعتبر فيه منعم مخصوص[9] و هو الله تعالى، و نعم واصلة منه إلى الشاكر، و لعموم هذا الحمد مطلقا و خصوص هذا الشكر مطلقا وجه ثان، و هو أن فعل القلب و اللسان مثلا قد يكون حمدا و ليس شكرا اصلا، إذ قد اعتبر فيه شمول الآلات، و وجه ثالث و هو أن الشكر بهذا المعنى لايتعلق بغيره تعالى بخلاف الحمد،

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجملية.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للصفات (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اللغويين (٨) فى ظ و م و مد: فتناولها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بخصوص.

و ما يقال من أن النسبة بالعموم المطلق بين العرفيين إنما تصح بحسب الوجود دون الحمل[1] الذى كلامنا فيه، لأن الحد بصرف[2] القلب مثلا فيما خلق لأجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتيازه فى الوجود /عن سائر أجزائه، و أما فى الحمل فلا يمتاز المحمول عن[3] الموضوع فى / ٢٧٢ الوجود الخارجى، فغلط من باب اشتباه الشىء بما صدق هو عليه. فان ما ليس محمولا على ذلك الصرف[4] هو ما صدق عليه الحمد، اعنى صرف القلب وحده لا مفهومه المذكور، و هو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما. و هذا المفهوم يحمل على صرف الجميع، و ما يقال إن صرف الجميع أفعال متعددة، فلا يصدق عليه أنه فعل واحد، جوابه أنه فعل واحد تعدد متعلقه، فلا ينافى وصفه[5] بالوحدة كما يقال: صدر عن زيد فعل واحد هو إكرام جميع القوم مثلا، و تحقيقه أن المركب قد يوصف بالوحدة الحقيقية[6] كبدن واحد. و الاعتبارية كعسكر واحد، و صدق الجميع من قبيل الثانى كما لا يرتاب فيه ذو مسكة[7]. و النسبة بين الحمدين اللغوى و العرفى عموم و خصوص من وجه، لأن الحمد العرفى هو الشكر اللغوى، و قد مضى بيان ذلك فيهما. [8]و بين الشكر العرفى[8]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الحمد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تصرف (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : من (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : انصرف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : وضعه. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الحقيقة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : سكة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]و اللغوى عموم مطلق[1] لأن الشكر اللغوى يعم النعمة إلى الغير دون العرفى فهو أعم، و العرفى أخص مطلقا. و كذا بين الشكر العرفى و الحمد اللغوى لأن الأول مخصوص بالنعمة على الشاكر سواء كان باللسان أو لا، و الثانى و إن خص باللسان فهومشترط[2] فيه مطابقة الأركان و الجنان، ليكون على وجهة[3] التبجيل، و قد لايكون فى مقابلة نعمة فهو أعم مطلقا فكل شكر عرفى حمد لغوى، و لاينعكس و هذا[4] بحسب الوجود. و كذا بين الحمد العرفى و الشكر اللغوى عموم مطلق أيضا إذا قيدت النعمة [5]فى اللغوى بوصولها[5] إلى الشاكر[6] كما مر، و اما إذا لم تقيد[7] فهما متحدان، و أما الشكر المطلق فهو على قياس ما مضى تعظيم المنعم بصرف نعمته إلى ما يرضيه، و لايخفى أنه إذا كان نفس الحمد و الشكر من النعم لم يمكن احدا[8] الإتيان بهما على التمام و الكمال لاستلزامه[9] تسلسل الأفعال إلى ما لايتناهى. و هذا التحقيق منقول عن إمام الحرمين و الإمام الرازى - هذا حاصل ما فى شرح المطالع للقطب الرازى و حاشيته للشريف الجرجانى بزيادات. و قد علم صحة ما أسلفته فى شرح الحمد بالنظر إلى الحامد و بالنظر إلى المحمود. و إذا جمعت أطراف ما تقدم فى[10] سورة النحل

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشرط (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وجه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باللغوى بصولها. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشكر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يتقيد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لالتزامه (١٠) سقط من ظ

و الفاتحة

و الفاتحة و غيرهما من أن المادة تدور على الإحاطة علم أنه بالنظر إلى الحامد و صفة المحمود بالإحاطة بأوصاف الكمال ، و بالنظر إلى المحمود اتصافه بالإحاطة بأوصاف الكمال ، فان الوصف يشترط أن يكون مطابقا و إلا كان مدحا لا حمدا ، كما حققه العلامة قاضى قضاة دمشق شمس الدين أحمد بن خليل الخويى[1] فى كتابه أقاليم التعاليم .

و لما تقرر أن الحكمة لا تتم إلا بايجاد الآخرة قال : ﴿و هو الحكيم﴾ أى الذى[2] بلغت حكمته النهاية التى لا مزيد عليها ، و الحكمة هى العلم بالأمور على وجه الصواب متصلا[3] بالعمل على وفقه .

و لما كانت الحكمة لا تتهيأ إلا بدقيق العلم و صافيه و لبابه و هو الخبرة قال : ﴿الخبير ه﴾ أى البليغ الخبر[4] و هو العلم بظواهر الأمور و بواطنها حالا و مآلا ، فلا يجوز فى عقل أنه[4] - و هو المتصف / بهاتين الصفتين / ٢٧٣
كما هو مشاهد[5] فى إتقان أفعاله و إحكام[6] كل شىء سمعناه من أقواله - يخلق الخلق سدى من غير إعادة لدار الجزاء . و قد مضى فى الفاتحة و غيرها عن العلامة سعد الدين التفتازانى أنه قال : التصدير بالحمد إشارة إلى أمهات النعم الأربع ، و هى الإيجاد الأول ، و الإيجاد الثانى ، و الإبقاء الأول ، و الإبقاء الثانى . و أن الفاتحة لكونها أم الكتاب أشير فيها

(١) من ظ وم و مد ومعجم المؤلفين ١ / ٢١٦ ، و فى الأصل : الحوفى (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : التى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : متاصلا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : متعاهد . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتقان .

إلى الكل، ثم أشير فى كل سورة صدرت بعدها بالحمد إلى نعمة منها على الترتيب، و أنه أشير فى الأنعام إلى الإيجاد الأول و هو ظاهر، و فى الكهف إلى الإبقاء الأول، لأن انتظام البقاء الأول و الانتفاع بالإيجاد لايكون إلا بالكتاب و الرسول، و أنه أشير فى هذه السورة إلى الإيجاد الثانى لانسياق الكلام إلى إثبات الحشر و الرد على منكرى الساعة حيث قال سبحانه " و قال الذين كفروا لاتاتينا الساعة قل بلى و ربى" انتهى، و قد علم بما[1] قررته أنها من أولها مشيرة إلى ذلك على طريق البرهان .

و قال أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت بالحمد [لله -[2]] لما أعقب بها ما انطوت عليه سورة الأحزاب من عظيم الآلاء و جليل النعماء حسب ما أبين - آنفا - يعنى فى آخر كلامه على سورة الأحزاب - فكان مظنة الحمد على ما منح عباده المؤمنين و أعطاهم فقال تعالى " الحمد لله الذى له ما فى السموٰت و ما فى الارض " ملكا و اختراعا، و قد أشار هذا إلى إرغام من توقف منقطعا عن فهم تصرفه سبحانه فى عباده بما تقدم و تفريقهم بحسب ما شاء. فكأن[3] قد قيل: إذا كانوا له ملكا و عبيدا، فلا يتوقف فى فعله [بهم -[4]] ما[5] فعل من تيسير للحسنى[6]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و كان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) العبارة من هنا إلى « شاء و أراد » ص ٤٤١ س ٢ ساقطة من مد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للحنى - كذا.

أو لغير ذلك مما شاءه بهم على فهم علته و استطلاع سببه ، بل يفعل بهم ما شاء و أراد من غير حجر و لا منع " و هو الحكيم الخبير " وجه الحكمة فى ذلك التى خفيت عنكم ، و أشار قوله "و له الحمد فى الآخرة" إلى أنه سيطلع عباده المؤمنين - من[1] موجبات حمده ما يمنحهم أو يضاعف لهم من الجزاء أو عظيم الثواب فى الآخرة - على ما لم تبلغه عقولهم فى الدنيا و [2]لا وفت[2] به أفكارهم " فلا تعلم نفس ما اخفى[3] لهم من قرة اعين " ، ثم أتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو أهله ببسط شواهد حكمته و علمه فقال تعالى " يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها " إلى قوله " و هو الرحيم " فبرحمته وغفرانه أنال عباده المؤمنين ما خصهم بـــه و أعطاهم ، فله الحمد الذى هو أهله ، ثم اتبع هذا بذكر إمهاله من كذب و كفر مع عظيم اجترائهم لتبين سعة رحمته و مغفرته فقال تعالى " و قال الذين كفروا لا تاتينا الساعة " إلى قوله " ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب " أى إن فى إمهاله سبحانه لهؤلاء بعد عتوهم و استهزائهم فى قولهم " لا تاتينا الساعة " و قوله " هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد " و إغضائهم عن الاعتبار بما بين[4] أيديهم من السماء و الأرض و أمنهم أخذهم من أى الجهات و فى إمهالهم و إدرار أرزاقهم مع عظيم مرتكبهم آيات لمن أناب و اعتبر ، ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر الآية / و نعمه / ٢٧٤

---

(١) زيد فى ظ : غير (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا قت (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخفيت (٤) سقط من ظ .

و تصريفه فى مخلوقاته[1] ما يوضح استيلاء قهره و ملكه ، و يشير إلى عظيم ملكه كما أعلم فى قوله سبحانه [" الحمد لله الذى له ما فى السموت و ما فى الارض" فقال سبحانه -[2]] "و لقد اتينا داود منا فضلا يجبال اوبى معه و الطير و النا له الحديد" ثم قال " و لسليمن الريح " إلى قوله "اعملوا ال داود شكرا" ثم أتبع ذلك[3] بذكر حال من لم يشكر فذكر قصة سبا إلى أخرها ، ثم وبخ تعالى من عبد غيره معه بعد وضوح الأمر و بيانه فقال "قل ادعوا الذين زعمتم من [4]دون الله[4]" إلى و صفه حالهم الأخراوى[5] و مراجعة متكبريهم ضعفاءهم و ضعفائهم متكبريهم " و اسروا الندامة لما راوا العذاب ". ثم التحمت الآى جارية على ما تقدم من لدن افتتاح السورة إلى ختمها - انتهى .

و لما ختم بصفة الخبر ، أتبع ذلك ما يدل عليه فقال : ﴿ يعلم ما يلج فى الارض ﴾ أى هذا الجنس من المياه [6]و الأموال[6] ، والأموات ، و قدم هذا لأن الشيء يغيب فى التراب أولا ثم يسقى فيخرج ﴿ و ما يخرج منها ﴾ من المياه و المعادن و النبات ﴿ و ما ينزل من السمآء ﴾ أى هذا الجنس من حرارة و برودة [6]و ماء[6] و ملك و غير ذلك ﴿ و ما يعرج ﴾ و لما كانت السماوات[7] أجساما كثيفة متراقية ، لم يعبر

(١) زيد فى الأصل : مع . و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : دونه (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : الاخروى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السماء .

بحرف

بحرف الغاية كما في قوله تعالى "اليه يصعد الكلم الطيب" بل قال: ﴿فيها﴾ أى[1] من الأعمال و الملائكة وكل ما يتصاعد من الأرض في جهة العلو و أنتم كما ترونه يميز كل شيء من مشابهه، فيميز ما له أهلية التولد من الماء و التراب في الأرض من النباتات[2] عن بقية الماء و التراب على اختلاف أنواعه[3] تميزا بعضه من بعض، و من المعادن الذهب و الفضة و الحديد والنحاس و الرصاص إلى غير ذلك، مع أن الكل ما يخالط التراب، فكيف يستبعد عليه أن يحيي الموتى لعسر تمييز تراب كل ميت بعد التمزق و الاختلاط من تراب آخر.

و لما كان الحاصل من هذا المتقدم[4] أنه رب كل شيء، و كان الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق و الإصلاح[5]، و كان ربما ظن جاهل أنه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها، أعلم أن رحمته سبقت غضبه. و لذلك قدم صفة الرحمة، و لأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي[6] للنقص فقال: ﴿و هو﴾ [أي -[7]] و الحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان ﴿الرحيم﴾ أي المنعم بما ترضاه الإلهية من إنزال الكتب و إرسال الرسل لإقامة الأديان ﴿الغفور﴾ أي المحاء للذنوب اما من أتبع ما أنزل من ذلك كما بلغته الرسل فبالمحو عينا و أثرا حتى لا يعاقبهم على ما سلف منها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و م و مد: النبات (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: انواع (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: التقدم (٥) في ظ: الاصطلاح (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الثاني (٧) زيد من ظ و م و مد.

و لايعاتبهم ، و أما غيره فالتكفير بأنواع المحن أو التاخير إلى يوم الحشر .

و لما ثبتت حكمته بما نشاهد من محكم الأفعال و صائب الأقوال ، فثبت بذلك علمه لأن الحكمة لا تكون إلا بالعلم ، و كان الرب الرحيم العليم لاتكمل ربوبيته إلا بالملك الظاهر و الأيالة[1] القاهرة التى لاشوب فيها ، ثبت البعث الذى هو محط الحكمة و موضع ظهور العدل ، فكانت نتيجة ذلك : فالله يأتى بالساعة لما ثبت من برهانها كما ترون ، فعطف عليه قوله : ﴿و قال الذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم[2] من براهينها الظاهرة : ﴿ لاتاتينا الساعة ﴾ و الإخبار عنها باطل .

٢٧٥ / و لما تقدم / من الأدلة ما لايرتاب معه ، أمره أن يجيبهم برد كلامهم مؤكدا بالقسم على أنه لم يخله من دليل ظاهر فقال : ﴿قل بلى و ربى﴾ أى المحسن إلىّ بما عمنى به معكم من النعم ، و بما خصنى به من تنبئتى و إرسالى إليكم - إلى غير ذلك من أمور لايحصيها إلا هو سبحانه ، فهو أكرم من أن يدعكم من غير أن يحشركم لينتقم[3] لى منكم . و يقر عينى بما يجازيكم به من أذاكم لى و لمن اتبعنى ، فانه لايكون سيد قط يرضى أن يبغى بعض عصاة عبيده على بعض . و يدعهم سدى من غير تأديب ، فكيف إذا كان المبغى عليه مطيعا له ، و الباغى عاصيا عليه ، هـذا ما لايرضاه عاقل فكيف بحاكم فكيف بأحكم الحاكمين ؟ ﴿لتاتينكم﴾ أى

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الانالة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقوالهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لينقم .

الساعة لتظهر فيها[1] ظهورا تاما الحكمة بالعدل و الفضل، [2]و غير ذلك من عجائب الحكم[2] [و الفصل -[3]] .

و لما كان الحاكم لا يهمل رعيته إلا إذا غابوا عن علمه، و لا يهمل شيئا من أحوالهم إلا إذا[4] غاب عنه ذلك الشيء، و كانت الساعة من عالم الغيب، و كان ما تقدم من إثبات العلم ربما خصه متعنت بعالم الشهادة، وصف ذاته الأقدس سبحانه بما بين[5] أنه لا فرق عنده بين الغيب الذي الساعة منه و الشهادة، بل الكل عنده شهادة، و للعناية بهذا المعنى يقدم[6] الغيب إذا جمعا في الذكر، فقال مبينا عظمة المقسم به ليفيد حقية[7] المقسم عليه لأن القسم بمنزلة الاستشهاد على الأمر، و كلما كان المستشهد به أعلى كعبا و أبين فضلا و أرفع منزلة كان [في -[8]] الشهادة أقوى و آكد، و المستشهد عليه أثبت و أرسخ، واصفا له على قراءة الجماعة و مستأنفا - و هو أبلغ - على قراءة المدنيين و ابن عامر و رويس عن يعقوب بالرفع[9]: ﴿عٰلم الغيب﴾ و قراءة حمزة و الكسائي «علام» بصيغة المبالغة كما هو أليق بالموضع .

و لما كنا لقصور علمنا متقيدين[10] بما في هذا الكون مع أن الكلام فيه،

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل: كان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) في ظ: يبين (٦) من مد، و في الأصل و ظ و م: تقدم .
(٧) من ظ و مد، و في الأصل و م: حقيقة (٨) زيد من ظ و مد (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٤٨ (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: مقتدين .

قال مصرحا بالمقصود على أتم وجه: ﴿لايعزب﴾ - أي يغيب و يبعد عزوبا قويا - على قراءة الجماعة بالضم[1]، و لا ضعيفا - على قراءة الكسائي بالكسر[1] ﴿عنه مثقال ذرة﴾ أي من ذات و لا معنى، و الذرة نملة حمراء صغيرة جدا صارت مثلا في أقل القليل فهي كناية عنه . و لما كان في هذه السورة السياق للحمد، و هو الكمال و جهة العلو به أوفق و لأمر الساعة و مبدأه منها بدأ بها .

و لما كان قد بين علمه بأمور السماء، و كان المراد بها الجنس، جمع هنا تصريحا بذلك المراد فقال: ﴿في السموٰت﴾ و أكد النفي بتكرير " لا " فقال: ﴿و لا في الارض﴾ و لما كنا مقيدين[2] بالكتاب، ابتدأ الخبر[3] بما يبهر العقل من أن كل شيء مسطور من قبل كونه ثم يكون على وفق[4] ما سطر، فاذا كشف للملائكة عن ذلك ازدادوا إيمانا وتسبيحا و تحميدا و تقديسا، فقال - عند جميع القراء عاطفا على الجملة من أصلها [لا -[5]] على المثقال لأن الاستثناء يمنعه: ﴿و لآ اصغر﴾ أي و لا يكون شيء أصغر ﴿من ذلك﴾ أي المثقال ﴿و لآ اكبر﴾ [أي -[5]] من المثقال فما فوقه ﴿الا في كتٰب﴾ و إخبارنا به لما جرت به عوائدنا من تقييد العلم بالكتاب، و أما هو سبحانه فغني عن ذلك .

و لما كان الإنسان قد يكتب الشيء ثم يغيب عنه و ينسى مكانه

(١) راجع نثر المرجان ٥/٤٤٨ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متقيدين . (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: الجر (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: وصف (٥) زيد من ظ و م و مد .

فيعجز

فيعجز فى استخراجه، أخبر أن كتابه على خلاف ذلك، بل هو بحيث لايكشف من يريد اطلاعه عليه شيئا إلا وجـده فى الحال / فقال: ﴿مبين قلى﴾ و يجوز - و لعله أحسن - إذا تأملت هذه مع آية يونس أن يعطف على مثقال، و يكون الاستثناء منقطعا، و لكن على بابها فى كونها بين متنافيين، فان المعنى أنه لايغيب و لا يعد[1] عنه شيء من ذلك[2] لكنه محفوظ أتم حفظ فى كتاب لايراد منه كشف عن شيء إلا[3] كان له فى غاية الإبانة، و لعله عبر بأداة المتصل إشارة إلى أنه إن كان هناك عزوب فهو على هذه الصفة التى هى فى غاية البعد عن العزوب[4]، ثم بين علة ذلك كله دليلا على صدق القسم بما ختمت به الأحزاب من حكمة عرض الأمانة مما لايمترى[5] ذو عقل و لو قل فى صحته[6]، و أنه لايجوز فى الحكمة ان يفعل غيره فقال: ﴿ليجزى الذين ءامنوا﴾ أى فانه ما خلق الأكوان إلا لأجل الإنسان، فلا يجوز أن يدعه بغير جزاء: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصّلحت﴾. / ٢٧٦

و لما التفت السامع إلى معرفة جزائهم، أورده تعظيما لشأنه، جوابا للسؤال مشيرا[7] إليه بما دل[8] على علو رتبته بعلو رتبة أهله: ﴿أولئك﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايعزب (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى ظ: اذا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الضروب (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يمترى. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صحبته (٧) فى ظ و مد: مشارا (٨) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

أى العالو الرتبة ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لزلاتهم أو هفواتهم[1] لأن الإنسان المبنى على النقصان لايقدر أن يقدر العظيم السلطان حق قدره ﴿ ورزق كريم ﴾ أى جليل عزيز دائم لذيذ نافع شهى، لا كدر فيه بوجه.

و لما كانت أدلة الساعة قد اتضحت حتى لم يبق[2] مانع من التصديق بها إلا العناد، و كان السياق لتهديد من جحدها[3]، قال معبرا بالماضى[4]: ﴿ والذين سعوا ﴾ أى [فعلوا -[5]] فعل الساعى ﴿ فى ءايتنا ﴾ [أى -[5]] على ما لها من العظمة ﴿ معجزين ﴾ أى مبالغين فى قصد تعجيزها بتخلفها[6] عما نريده[7] من إنفاذها، و هكذا [معنى -[5]] قراءة المفاعلة[8]. و لما كان ذنبهم عظيما، أشار إليه بابتداء آخر فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ [أى البعداء البغضاء الحقيرون عن أن يبلغوا مرادا بمعاجزتهم -[5]] ﴿ لهم عذاب ﴾ و أىّ عذاب ﴿ من رجز ﴾ أى شىء كله اضطراب، فهو موجب لعظيم النكد و الانزعاج، فهو أسوأ العذاب ﴿ اليم ﴾ أى بليغ الألم - جره الجماعة نعتا لرجز، و رفعه ابن كثير و حفص عن عاصم نعتا لعذاب[8].

و لما ذم[9] الكفرة، و عجب منهم فى إنكارهم الساعة فى قوله "و قال الذين

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهفواتهم (٢) فى ظ: لايبقى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جهلها (٤) زيد فى الأصل و م: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتخلقها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تريده (٨) راجع نثر المرجان ٥/٤٠٠ (٩) فى ظ: ذكر.

كفروا لا تاتينا الساعة" [و -[1]] اقام الدليل على إتيانها[2]، و بين أنه لايجوز فى الحكمة غيره ليحصل العدل و الفضل فى جزاء اهل الشر و أولى الفضل، عطف على ذلك مدح[3] المؤمنين فقال واصفا[4] لهم بالعلم، إعلاما بأن الذى أورث الكفرة التكذيب الجهل: ﴿ و يرى الذين ﴾ معبرا بالرؤية و المضارع إشارة [إلى أنهم فى علمهم غير شاكين، بل هم كالشاهدين لكل ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه و سلم، و بالمضارع -[5]] إلى تجدد علمهم مترقين فى رتبه على الدوام مقابلة لجلافة[6] أولئك فى ثباتهم على الباطل الذى أشار إليه بالماضى، و أشار إلى أن علمهم لدنى بقوله: ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى قذفه الله فى قلوبهم فصاروا مشاهدين لمضامينه لو كشف الغطاء ما ازدادوا يقينا سواء كانوا ممن أسلم من العرب أو من أهل الكتاب ﴿ الذىٓ انزل اليك ﴾ أى كله من أمر الساعة و غيره ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله، [و أتى بضمير الفصل تفخيما للأمر و تنصيصا على أن ما بعده مفعول "اوتوا" الثانى فقال -[5]]: ﴿ هو الحقۙ ﴾ أى لا غيره من الكلام ﴿ و يهدىٓ ﴾ أى [يجدد على مدى الزمان هداية -[5]] من اتبعه ﴿ الى صراط ﴾ أى طريق واضح واسع.

و لما كانت هذه السورة مكية، و كان الكفار فيها مستظهرين

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: اثباتها (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: مع (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: واضعا.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: لخلافة، و فى م: جلافة.

و المؤمنون قليلين خائفين ، و العرب يذمونهم بمخالفة قومهم و دين آبائهم
٢٧٧ / و نحو ذلك من الخرافات التى حاصلها الاستدلال / على الحق المزعوم بالرجال قال : ﴿ العزيز الحميد ﴾ أى الذى من سلك طريقه[1] - و هو الإسلام - عز و حمده ربه لحمده كل شىء و إن تمالأ عليه الخلق أجمعون ، فانه سبحانه لابد أن يتجلى للفصل بين العباد ، بالإشقاء و الإسعاد على قدر الاستعداد .

و لما عجب [سبحانه - [2]] من الذين كفروا فى قولهم " لاتاتينا الساعة " المتضمن لتكذيبهم ، و ختم بتصديق الذين أوتوا العلم مشيرا إلى أن [سبب - [2]] تكذيب الكفرة الجهل الذى سببه الكبر ، عجب منهم تعجيبا آخر أشد من الأول لتصريحهم بالتكذيب [على وجه عجيب - [2]] فقال : ﴿ و قال[3] الذين كفروا ﴾ أى الذين تحققوا أمره صلى الله عليه و سلم و أجمعوا خلافه و عتوا على العناد[4] ، لمن يرد عليهم ممن لايعرف حقيقة حاله معجبين و منفرين[5] : ﴿ هل ندلكم ﴾ أى أيها المعتقدون أن لاحشر . و لما أخرجوا الكلام مخرج الغرائب [المضحكة - [2]] لم يذكروا اسمه مع أنه أشهر الأسماء ، بل قالوا : ﴿ على رجل ﴾ أى ليس هو [6] صبيا و [6] لا امرأة حتى تعذروه[7] ﴿ ينبئكم ﴾ أى يخبركم

---

(١) فى ظ و مد : صراطه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفساد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معربين - كذا (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تقذروه .

متى

[متى شئتم -[1]] إخبارا لا أعظم منه بما حواه من العجب الخارج عما نعقله [مجددا لذلك متى شاء المستخبر له -[1]] .

و لما كان القصد ذكر ما يدل عندهم على استبعاد البعث، قدموا المعمول فقالوا: ﴿ اذا ﴾ [أى إنكم إذا -[1]] ﴿ مزقتم ﴾ أى قطعتم و فرقتم بعد موتكم [2]من كل ما من شأنه أن يمزق من التراب و الرياح و طول الزمان و نحو ذلك[3] تمزيقا عظيما، بحيث صرتم ترابا، و ذلك[4] معنى ﴿كل ممزق ط﴾ أى كل تمزيق، فلم يبق شيء من أجسادكم مع شيء، بل صار الكل بحيث [5]لايميز بين[5] ترابه و تراب الأرض، و ذهبت به السيول كل مذهب، فصار مع اختلاطه بتراب الأرض و التباسه متباعدا بعضه عن بعض، وكسر معمول " ينبئكم " لأجل اللام فقال: ﴿انكم لفى﴾ أى لتقومون كما كنتم قبل الموت قياما لاشك فيه، و الإخبار به مستحق[6] لغاية التأكيد[7] ﴿خلق جديد ج ﴾ و هذا عامل[8] 'إذا' الظرفية .

و لما نفروا عنه بهذا الإخبار المحير[9] فى الحامل له عليه، خيلوا بتقسيم القول فيه فى استفهام مردد[10] بين الاستعجام تعجيبا و الإنكار، فقالوا جوابا لمن سأل عن سبب إخباره باسقاط همزة الوصل، لعدم الإلباس

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايتميز (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل: يستحق . (٧) زيد فى الاصول: فى (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل: عليل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المخبر (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرددين .

هنا بخلاف ما يصحب لام التعريف فانها لفتحها تلبس بالخبر: ﴿افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ [أى -[1]] الذى لا أعظم منه ﴿كذبا﴾ بالإخبار بخلاف الواقع [و هو عاقل يصح منه القصد -[2]] . و لما كان يلزم من التعمد العقل ، قالوا : ﴿ام به جنة﴾ أى جنون ، فهو يقول الكذب ، و هو ما لا حقيقة له من غير تعمد ، [لأنه ليس من أهل القصد . فالآية من الاحتباك : ذكر الافتراء أولا يدل على ضده ثانيا ، و ذكر الجنون ثانيا يدل على ذكر ضده أولا -[2]] .

و لما كان الجواب : ليس به[3] شيء من ذلك ، عطف عليه مخبرا عن بعض الذين كفروا بما يوجب ردع البعض الآخر قوله : ﴿بل الذين لايؤمنون﴾ أى [لا -[1]] يجددون الإيمان لأنهم طبعوا على الكفر ﴿بالأخرة﴾ أى الفطرة الآخرة التى أدل شيء عليها الفطرة الأولى . و لما كان هذا القول مسببا عن ضلالهم ، وكان ضلالهم سببا لعذابهم ، قدم العذاب لأنه المحط و ليرتدع من أراد الله إيمانه فقال : ﴿فى العذاب﴾ أى فى الدنيا بمحاولة إبطال ما أراد الله إتمامه ، و فى الآخرة بما فيه من المعصية ، و أتبعه سببه فقال : ﴿و الضلل﴾ أى عما يلزم من وجوب وحدانيته و شمول قدرته / بسبب أن له ما فى السماوات و ما فى الأرض . ٢٧٨ /

و لما كان قولهم بعيدا من الحق لوصفهم أهدى الناس بالضلال ،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فيه .

وكان الضلال يعد [1]بعد صاحبه[1] عن الجادة و توغله فى المهامه الوعرة الشاسعة ، قال واصفا له بوصف الضال[2] : ﴿البعيد ه﴾ فبين بالوصف أنه لايمكن الانفكاك عنه[3]، و علم أن من الذين كفروا قسما[4] لم يطبعوا على الكفر ، فضلوا ضلالا قريبا يمكن انفكاكهم عنه[5]، و هم الذين آمنوا منهم بعد ، و هو من بديــع القول[6] حيث عبر بهذا الظاهر الذى أفهم هذا التقسيم موضع الإضمار الذى كان حقه : بل هم فى كذا .

و لما كانوا قد أنكروا الساعة لقطعهم بأن من مزق كل ممزق لا يمكن إعادته ، فقطعوا جهلا بأن الله تعالى لايقول ذلك ، فنسبوا الصادق صلى الله عليه و سلم فى الإخبار بذلك إلى أحد أمرين: تعمد الكذب أو الجنون . شرع سبحانه يدل على صدقه فى جميع ما أخبر به ، فبدأ باثبات قدرته على ذلك بما يشاهدون من قدرته على ما هو مثله ، أو أعظم منه . مشيرا إلى أن إنكارهم لذلك مستند[7] إلى ضلالهم بسبب غفلتهم عن تدبر الآيات ، فكان المعنى : ضلوا فلم يروا ، فدل عليه منكرا عليهم مهددا لهم مقررا لذوى العقول من السامعين بقوله : ﴿ افلم يروا﴾ و نبه على أنهم فى محل بعد عن الإبصار النافع بحرف النهاية فقال : ﴿ الى ما بين ايديهم ﴾ أى أمامهم ﴿و ما خلفهم﴾ و ذلك إشارة إلى جميع الجوانب من كل من الخافقين

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصاحبه (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ و م : منه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قسم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المنقول .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مستندا .

و أنهما[1] قد أحاطا بهم كغيرهم . و لما لم تدع حاجة إلى الجمع أفرد فقال: ﴿من السمآء و الارض﴾ أى اللذين جعلنا[2] مظلع السورة ان لنا كل ما فيها .

و لما كان الإنكار لائقا[3] بمقام العظمة ، فكان المعنى : إنا نفعل بها و فيهما ما نشاء ، عبر عنه بقوله : ﴿ ان نشا ﴾ أى بما لنا من العظمة - على قراءة الجمهور[4] ﴿ نخسف ﴾ أى نغور ﴿ بهم ﴾ [و أدغم الكسائى إلى أنه سبحانه قد يفعل ذلك فى أسرع من اللمح بحيث يدرك لأكثر الناس و قد يفعله على وجه الوضوح و هو أكثر - بما أشارت إليه قراءة الإظهار للجمهور . و لما كان الخسف قد يكون لسطح أو سفينة و نحوهما ، خص الأمر بقوله -[5]] : ﴿الارض﴾ أى[6] كما فعلنا بقارون و ذويه[7] لأنه ليس نفوذ بعض أفعالنا فيها بأولى من غيره[8] ﴿ او نسقط عليهم كسفا ﴾ بفتح السين على قراءة حفص[9] و باسكانه على قراءة غيره اى قطعا ﴿ من السمآء ﴾ كذلك [ليكون شديد الوقع لبعد المدى عن السحاب و نحوه -[5]] لأن من المعلوم أنا نحن خلقناهما ، و من أوجد شيئا قدر على [10]هده و هد[10] ما أراد منه ، و من جعل السياق

(١) فى ظ : انهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعلناهما (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايقام (٤) راجع نثر المرجان ٥/٤٠٣ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ذريه (٨) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : غيرها (٩) راجع نثر المرجانه ٥/ ٤٠٤ (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هزه و هدم .

للغيب

للغيب - و هو[١] حمزة و الكسائي - رد الضمير على الاسم الأعظم الذي جعله مطلع السورة .

و لما كان هذا أمرا ظاهرا، أنتج قوله مؤكدا لما لهم من إنكار البعث : ﴿ ان في ذلك ﴾ أي [في -[٢]] قدرتنا على ما نشاء من كل منهما و التأمل في فنون تصاريفهما ﴿لأية﴾ أي علامة بينة على أنا نعامل من شئنا فيهما بالعدل بأي عذاب أردنا، و من شئنا بالفضل بأي ثواب أردنا، و ذلك دال على أنا قادرون على كل ما نشاء من الإماتة و الإحياء و غيرهما، فقد خسفنا بقارون و آله، بقوم لوط و أشياعهم، و أسقطنا من السماء على أصحاب الأيكة يوم الظلة[٣] قطعا من النار، و على قوم لوط حجارة، فأهلكناهم بذلك أجمعين[٤] . و لما كانت الآيات لاتنفع من طبع على العناد قال تعالى : ﴿ لكل عبد ﴾ أي متحقق أنه [٥]مربوب ضعيف[٥] مسخر لما يراد منه ﴿ منيب ﴾ أي فيه قابلية الرجوع عما أبان له الدليل عن أنه / زل فيه . / ٢٧٩

و لما أشار سبحانه بهذا الكلام الذي دل فيه على نفوذ الأمر إلى أنه تارة يعدل و تارة يفضل، و كان الفضل أكثر استجلابا لذوي الهمم العلية و الأنفس الأبية، بدأ به في عبد من رؤس المنيبين على وجه دال

---

(١) زيد في الأصل و م : قراءة ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الظلمة .
(٤) ليس في ظ و م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مدبوب متصف .

على البعث بكمال التصرف فى الخافقين و ما فيهما بأمور شوهدت لبعض عبيده تارة بالعيان و تارة بالآذان، أما عند أهل الكتاب فواضح، و أما عند العرب فبتمكينهم[1] من سؤالهم فقد كانوا يسألونهم عنه صلى الله عليه و سلم، و قال أبو حيان[2]: إن بعض ذلك طفحت به أخبارهم و نطقت به أشعارهم[3]، فقال تعالى مقسما تنبيها على أن إنكارهم للبعث إنكار لما يخبر به من المعجزات، عاطفا على ما تقديره: فلقد آتينا هذا الرجل الذى نسبتموه إلى الكذب أو الجنون منا فضلا بهذه الأخبار المدلول عليها بمعجز القرآن فيما بعد [ما بينه و بين -[4]] ما نسبتموه إليه: ﴿و لقد﴾ [أى -[4]] و عزتنا و ما ثبت لنا من الإحاطة بصفات الكمال بالاتصاف بالحمد لقد[5] ﴿ اتينا ﴾ أى أعطينا إعطاء عظيما دالا على نهاية[6] المكنة بما لنا من العظمة ﴿ داود ﴾.

و لما كان المؤتى قد تكون واسطة لمن منه الإيتاء، بين أن الأمر ليس إلا منه فقال: ﴿منا فضلا ط﴾ و دل على أن التنوين للتعظيم[7] و أنه لا يتوقف تكوين[8] شيء على غير إرادته بقوله، منزلا الجبال منزلة العقلاء الذين يبادرون [إلى -[4]] امتثال أوامره، تنبيها على كمال قدرته و بديع تصرفه فى الأشياء كلها[9] جوابا لمن كأنه قال: ما ذلك الفضل؟ مبدلا

---

(١) فى ظ و م و مد: فبتمكنهم (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٧/٢٦١. (٣) فى النهر: شعراؤهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غاية (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العظمة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنوين (٩) فى ظ: كله.

من " اتينا ": ﴿ يا ﴾ أى قلنا لأشد الأرض: يا ﴿جبال اوبى﴾ [1]أى رجعى[1] التسبيح و قراءة الزبور و غيرهما من ذكر الله ﴿معه﴾ أى كلما سبح، فهذه آية أرضية بما هو[2] أشد الأرض بما هو وظيفة العقلاء، و لذلك عبر فيه بالأمر دلالة على عظيم القدرة .

و لما كانت الجبال أغلظ الأرض و أثقلها، و كان المعنى: دعونا الجبال للتاويب معه، فبادرت الإجابة لدعائنا، لما تقدم من أنها من جملة من أبى أن يحمل الأمانة، عطف على ذلك أخف الحيوان و ألطفه، ليكون آية سماوية، على أنه يفعل فى السماء ما يشاء، فانه لو أمات الطائر فى جو السماء لسقط، و لافرق فى ذلك بين عال وعال، فقال: ﴿و الطير ج﴾ أى دعوناها أيضا، فكانت ترجع معه الذكر فدل[3] قرانها بالطير على ذكرها حقيقة كذكر الطير دفعا لتوهم من يظنه[4] رجع الصدا، و قراءة يعقوب بالرفع [عطف -[5]] على لفظ « جبال » و قراءة غيره عطف[6] على موضعه، أو تكون الواو بمعنى مع أو بتقدير فعل من معنى ما مضى كسخرنا، قال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سبحى، و للطير: أجيبى، ثم يأخذ هو فى تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس منظرا أحسن من ذلك، و لا يسمعون شيئا [أطيب -[5]] منه، و ذلك كما كان الحصى يسبح فى كف النبى صلى الله عليه وسلم و كف أبى بكر

(١-١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: ارجعى (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى ظ: فعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يظن (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عطفا .

و عمر رضى الله عنهما، و كما كان الطعام يسبح فى حضرته الشريفة و هو يؤكل[1]، و كما كان الحجر يسلم عليه، و أسكفة الباب و حوائط البيت تؤمن على دعائه، و حنين الجذع مشهور، و[2] كما كان الضب[3] يشهد له و الجمل يشكو إليه و يسجد بين يديه و نحو ذلك، و كما جاء الطائر/ الذى ٢٨٠ /
يسمى الحمرة تشكو الذى أخذ بيضها. فأمره النبى صلى الله عليه و سلم برده رحمة لها.

و لما ذكر طاعة أكثف الأرض و ألطف الحيوان الذى أنشاه الله منها، ذكر ما أنشأه سبحانه من ذلك الأكثف و هو أصلب الأشياء فقال: ﴿ و النا له الحديد ﴾ أى الذى ولدناه من الجبال جعلناه فى يده كالشمع يعمل منه ما يريد بلا نار و لا مطرقة، ثم ذكر علة الإلانة بصيغة الأمر إشارة إلى أن عمله[4] كان لله فقال: ﴿ ان اعمل سبغت ﴾ اى دروعا طوالا واسعة.

و لما كان السرد الخرز[5] فى الأديم و إدخال الخيط فى موضع الخرز[5]، شبه إدخال الحلقة فى الأخرى بلحمة لا طرف لها بمواضع الخرز[5] فقال: ﴿ و قدر فى السرد ﴾ أى النسج بان يكون كل حلقة مساوية[6] لأختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم[7] و لتكن فى تحتها بحيث

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ياكل (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العنب (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امره (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحرز (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متساوية (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معهم - كذا.

لا يقلعها

لايقلعها سيف و لا تثقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف و سرعة الانتقال في الكر و الفر و الطعن و الضرب في البرد و الحر، و الظاهر أنه لم يكن في حلقها مسامير[1] لعدم الحاجة بالانة[2] الحديد إليها، و إلا لم يكن بينه و بين غيره فرق، و لا كان للالانة فائدة، و قد أخبر بعض من رأى ما نسب إليه بغير[3] مسامير، قال الزجاج: السرد في اللغة: تقدير الشيء إلى الشيء ليأتي متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا، و منه قولهم: سرد فلان الحديث . و هذا كما ألان الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم في الخندق تلك الكدية - و في رواية: الكذانة - و ذلك بعد أن لم تكن المعاول تعمل فيها و بلغت غاية الجهد منهم فضربها صلى الله عليه و سلم ضربة واحدة، و في رواية. رش عليها ماء - فعادت كثيبا أهيل لا يرد فاسا[4]، و تلك الصخرة التي أخبره[5] سلمان[6] رضي الله عنه أنها كسرت فؤسهم و معاولهم[7] و عجزوا عنها فضربها النبي[8] صلى الله عليه و سلم ثلاث ضربات كسر[9] في كل ضربة ثلاثا منها و برقت[10] مع كل ضربة برقة كبر معها تكبيرة، و أضاءت للصحابة رضي الله عنهم ما بين

(١) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ وم و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: بالالانة (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: من غير (٤) من ظ و م و مد. و في الأصل: فارسا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: اخبرها (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: سليمان (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: معاويلهم (٨) سقط من م و مد (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كسرت (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: برق.

لابتى المـدينة بحيث كانت فى النهار كـأنهـا مصباح فى جوف بيت مظلم، فسألوه[١] عن ذلك فأخبرهم صلى الله عليه و سلم أن إحدى الضربات أضاءت له صنعاء من أرض اليمن حتى رأى أبوابها[٢] من مكانه ذلك، و أخبره جبرئيل عليه السلام أنها ستفتح على أمته، و أضاءت له الأخرى قصور الحيرة البيض كـأنها أنياب الكلاب، و أخبر[٣] أنها مفتوحة لهم، و أضاءت [له -[٤]] الأخرى قصور الشام الحمر كـأنها أنياب الكلاب، و أخبر[٣] بفتحها عليهم، فصدقه الله تعالى فى جميع ما قال، و أعظم من ذلك تصليب الخشب له حتى يصير سيفا قوى المتن جيد الحديدة، و ذلك أن سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه انقطع يوم أحد، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عرجونا فعاد فى يده سيفا قائمة منه فقاتل به، فكان يسمى العون، و لم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار - ذكره الكلاعى فى السيرة عن الزبير بن أبى بكر و البيهقى، و قاتل [عكاشة -[٥]] ابن محصن يوم بدر فانقطع سيفه، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاه جذلا من حطب، فلما أخذه هزه / فعاد / ٢٨١
فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، و كان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعده حتى قتل فى الردة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فسالهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابوابه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخبره (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد.

و هو عنده ، و عن الواقدى أنه انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريش[١] يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم قضيبا كان فى يده من عراجين ابن طاب فقال : اضرب به ، فاذا هو[٢] سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد ، و إلحامه للحديد ليس بأعجب من إلحام النبى صلى الله عليه و سلم ليد معوذ[٣] بن عفراء لما قطعها أبو جهل يوم بدر فأتى بها يحملها فى يده الأخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم و ألصقها فلصقت و صحت مثل أختها - كما نقله البيهقى و غيره .

و لما أتم[٤] سبحانه ما يختص به من الكرامات ، عطف عليها ما جمع فيه الضمير لأنه يعم غيره فقال : ﴿ و اعملوا ﴾ أى أنت و من أطاعك ﴿ صالحا[٤] ﴾ أى بما تفضلنا به عليكم من العلم و التوفيق للطاعة ، ثم علل هذا الأمر ترغيبا و ترهيبا بقوله مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم للقدرة على[٥] البعث إنكار لغيرها من الصفات و إلى [أن -[٦]] المتهاون[٧] فى العمل فى عداد من ينكر أنه بعين الله : ﴿انى بما تعملون﴾ أى كله ﴿بصير ﴾ أى مبصر و عالم بكل [٨]ظاهر له[٨] و باطن .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحرير (٢) سقط من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معاذ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التهاون (٨-٨) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد .

و لما أتم[١] سبحانه ما أراد من آيات داود عليه السلام و ختمها بالحديد، أتبعه ابنه سليمان عليه السلام لمشاركته [له -[٢]] في الإنابة، و بدأ[٣] من آياته بما هو من أسباب[٤] تكوينه سبحانه[٥] للحديد [فقال -[٦]]: ﴿ و لسليمن ﴾ أي عوضا من الخيل التي [٧]عقرها الله[٧] ﴿ الريح ﴾ أي
٥ مسخرة على قراءة شعبة، و التقدير على قراءة الجماعة[٨]: سخرناها له حال كونها ﴿ غدوها شهر ﴾ أي تحمله و تذهب به و بجميع عسكره بالغداة و هي من الصباح إلى نصف النهار مسيرة شهر كان يغدو من إيليا فيقبل باصطخر ﴿ و رواحها ﴾ [أي -[٦]] من الظهر إلى آخر النهار ﴿ شهر ﴾ أي مسيرته، فهذه آية سماوية دالة على أنه كما رفع بساط
١٠ سليمان عليه السلام بما حمل من جنوده و آلاتهم ثم وضعه قادر على أن يضع ما يشاء من السماء فيهلك من تقع عليه، و هذا كما سخر الله الريح للنبي صلى الله عليه و سلم في غزوة الأحزاب فكانت تهد[٩] خيامهم و تكفأ طعامهم و تضرب وجوههم [١٠]بالحجارة و التراب[١٠] و هي لا تجاوز عسكرهم[١١] إلى أن هزمهم [الله -[٦]] بها، و كما حملت شخصين من أصحابه رضي الله

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: تم (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: بما (٤) زيد في الأصل: كل، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: عقر الله (٨) راجع نثر المرجان ٥/٤٥٦ (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: تمد (١٠-١٠) في م و مد: بالتراب و الحجارة (١١) العبارة من «و تكفأ» إلى هنا ساقطة من ظ.

تعالى

تعالى عنهم فى غزوة تبوك فألقتهما[1] فى جبلى[1] طى، و تحمل من أراد الله من أولياء أمته كما هو فى غاية الشهرة و نهاية الكثرة، و أما أمر الإسراء و المعراج فهو من الجلالة و العظم بحيث لايعلمه إلا الله مع أن الله تعالى صرفه فى آيات السماء بحبس المطر تارة و إرساله أخرى.

و لما ذكر الريح، أتبعها ما هى[2] من أسباب تكوينه فقال: ﴿و أسلنا له﴾ أى بعظمتنا[3] ﴿عين القطر﴾ أى النحاس أذبناه له حتى صار كأنه عين ماء، و ذلك / دال على أنه [تعالى -[4]] يفعل فى الأرض ما يشاء، فلو أراد لأسالها[5] كلها فهلك من عليها، و لو أراد لجعل بدل الإسالة الخسف و الإزالة. / ٢٨٢

و لما ذكر الريح و النحاس الذى لايذاب عادة إلا بالنار، ذكر ما أغلب عناصره النار، و هو فى الخفة و الإقدار على الطيران[6] كالريح فقال: ﴿و من﴾ أى و سخرنا له من[7] ﴿الجن﴾ أى الذين[8] سترناهم عن العيون من الشياطين و غيرهم ﴿من يعمل﴾ و لما كان قد أمكنه الله منهم غاية الإمكان فى غيبته و حضوره قال: ﴿بين يديه﴾ و لما كان ربما ظن ظان أن لهم [9]استبدادا بأعمالهم[9] نفاه بقوله: ﴿باذن ربه﴾ أى بتمكين المحسن إليه له و لهم بما يريد فعله.

(١-١) فى ظ و م و مد: بجبلى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من عظمتنا (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لارسلها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطير (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى.
(٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استبداد بأعمالهم.

و لما قرر سبحانه أن ذلك بإرادته فهو فى الحقيقة بأمره، زاد ذلك تقريرا بقوله عاطفا على ما تقديره: فمن عمل بأمرنا أثبناه جنات النعيم: ﴿ و من يزغ ﴾ أى يمل، من زاغ يزيغ و يزوغ ﴿ منهم ﴾ [1] مجاوزا و عادلا ﴿عن امرنا﴾ [أى عن الذى أمرناه به من طاعة سليمان -[2]] أى أمره الذى هو من أمرنا ﴿ نذقه ﴾ أى[3] بما لنا من العظمة التى أمكنا[4] سليمان عليه السلام بها بما أمكناه فيه من ذلك ﴿من عذاب السعير ۝﴾ أى فى الدنيا مجازا و فى الآخرة حقيقة، و هذا كما أمكن الله نبينا صلى الله عليه و سلم من ذلك العفريت فخنقه و هم بربطه حتى يتلعب به صبيان المدينة، ثم تركه تأدبا مع أخيه سليمان عليهما الصلاة و السلام فيما سأل الله تعالى فيه، و أما الأعمال التى تدور عليها إقامة الدين فأغناه الله فيها عن الجن بالملائكة الكرام، و سلط جمعا من صحابته رضى الله عنهم على جماعة من مردة الجان منهم أبو هريرة رضى الله عنه لما وكله النبى صلى الله عليه و سلم بحفظ زكاة رمضان، و منهم أبى بن كعب رضى الله عنه[5] قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره و قال: لقد علمت الجن ما فيهم [من هو -[6]] أشد منى، و منهم معاذ بن جبل رضى الله عنه لما جعله النبى صلى الله عليه و سلم على صدقة المسلمين [فأتاه -[6]] شيطان منهم يسرق و تصور له بصور منها صورة فيل فضبطه[7] به فالتقت يداه

(١) زيد فى ظ : أى (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مكنا (٥) زيد فى الأصل : لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فضربه.

عليه و قال له[١] : يا عدو الله ، فشكا إليه[٢] الفقر و أخبره أنه من جن نصيبين و أنهم[٣] كانت لهم المدينة ، فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم أخرجهم منها -[٤]] و سأله أن يخلي عنه على أن لا يعود ، و منهم بريدة رضي الله عنه ، و منهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، و منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه ، و منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥] و عنهم أجمعين[٥] [صارع الشيطان فصرعه عمر ، و منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه -[٤]] قاتل الشيطان فصرعه عمار ، و أدمى أنف الشيطان بحجر ، و لذلك و غيره كان[٦] يقول أبو هريرة : عمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم - ذكرها كلها البيهقي في الدلائل ، و ذكرت تخريج أكثرها في كتابي مصاعد النظر الاشراف على مقاصد السور ، و أما عين القطر فهي ما تضمنه قول النبي صلى الله عليه و سلم « أعطيت مفاتيح خزائن الأرض و الملك في الدنيا و الخلد فيها ثم الجنة فاخترت أن أكون نبيا عبدا أجوع يوما و أشبع يوما » - الحديث . فشمل ذلك من روضة اللؤلؤ الرطب إلى عين الذهب المصفى إلى ما دون ذلك ، و روى الترمذي[٧] - و قال : حسن - عن أبي أمامة رضي الله عنه / عن النبي صلى الله ٢٨٣ عليه و سلم قال : عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، قلت : لا يا رب ! و لكن [٨]أشبع يوما و أجوع[٨] يوما ، أو قال ثلاثا أو نحو

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و في الاصل : له (٣) من ظ و م و مد ، و في الاصل : انه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كما (٧) راجع من جامعه ٢ / ٥٨ (٨ - ٨) من م و مد و الجامع ، و في الأصل و ظ : اجوع يوما و أشبع .

ذلك، فاذا جعت تضرعت إليك و ذكرتك، و إذا شبعت شكرتك و حمدتك . و للطبرانى[1] باسناد حسن و البيهقى فى الزهد و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إسرافيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه و سلم بمفاتيح خزائن الأرض و قال: إن الله أمرنى أن أعرض عليك أن[2] أسيّر معك جبال تهامة زمردا و ياقوتا و ذهبا و فضة، فان شئت نبيا ملكا و إن شئت نبيا عبدا، فأومأ إليه جبرئيل عليه السلام أن تواضع، فقال: نبيا عبدا . و رواه ابن حبان [فى صحيحه - [3]] مختصرا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، و له فى الصحيح أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أوتيت[4] بمقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس. و فى البخارى[5] فى[6] غزوة أحد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح [الأرض - [7]] - هذا [ما - [3]] يتعلق[8] بالأرض، و قد زيد صلى الله عليه و سلم على ذلك بأن[9] أيده ربه سبحانه بالتصرف فى خزائن السماء

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٥ من رواية الطبرانى عن ابن عباس.
(٢) ليس فى المجمع (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مجمع الزوائد ٩ / ٢٠ حيث أورده من رواية الإمام أحمد، و فى الأصول: اتيت (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٥٨٥ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سلق - كذا.
(٩) فى ظ: بانه.

تارة بشق القمر، و تارة برجم النجوم، و تارة باختراق السماوات، و تارة بحبس المطر و تارة بارساله - إلى غير ذلك مما أكرمه الله به؛ و لما أخبر تعالى أنه[1] سخر له الجن، ذكر حالهم فى أعمالهم، دلالة على أنه سبحانه يتصرف فى السماء و الأرض و ما فيهما [و من فيهما -[2]] بما يشاء، فقال تعالى: ﴿يعملون له﴾ أى فى أىّ وقت شاء ﴿ما يشآء﴾ أى عمله ﴿من محاريب﴾ أى أبنية شريفة من قصور [و مساكن -[3]] و غيرها هى أهل لأن يحارب عليها أو مساجد، و المحراب مقدم كل مسجد و مجلس و بيت، و كان مما عملوه له بيت المقدس جدرانه بالحجارة العجيبة البديعة و الرخام الأبيض و الأصفر و الأخضر، و عمده بأساطين المها الأبيض [الصافى - [4]] مرصعا سقوفه و جدرانه بالذهب و الفضة و الدر و الياقوت و المسك و العنبر و سائر الطيب، و بسط أرضه [5]بألواح الفيروزج[5] حتى كان أبهى بيت على وجه الأرض ﴿و تماثيل﴾ [6] أى صورا حسانا على تلك الأبنية فيها أسرار غريبة كما ذكروا أنهم صنعوا[7] له أسدين فى أسفل كرسيه و نسرين فى أعلاه، فاذا أراد أن يصعد بسطا الأسدان ذراعين، و إذا قعد أظله النسران، و لم تكن التصاوير ممنوعة[8].

---

(١) فى ظ : أن الله (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل : بالفيروز (٦) بهامش م : الكشاف : التماثيل صور الملائكة و النبيين و الصالحين : كانت تعمل فى المساجد من نحاس و صفر و زجاج و رخام ليراها... فيعبدوا الله نحو عبادتهم (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : صفعوا (٨) بين سطرى م : كما حكاه غير واحد منهم أبو العبادة .

و لما ذكر القصور و زينتها ، ذكر آلات المأكل لأنها أول ما تطلب بعد الاستقرار فى المسكن[١] فقال : ﴿ و جفان ﴾ أى صحاف و قصاع[٢] يؤكل فيها ﴿ كالجواب ﴾ جمع جابية ، و هى الحوض الكبير الذى يجبى إليه الماء ، أى يجمع[٣] قيل : كان يجلس على الجفنة الواحدة ألف رجل .

و لما ذكر الصحاف على وجه يعجب منه و يستعظم ، ذكر[٤] ما يطبخ فيه طعامها فقال : ﴿ و قدور رٰسيٰت ﴾ أى ثابتات ثباتا عظيما بأنه لا ينزع عن أثافيها لأنها لكبرها كالجبال . و لما ذكر المساكن و ما تبعها ، أتبعها الأمر بالعمل إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم و من[٥] تبعه[٦] لايلهيهم[٧] ذلك عن العبادة فقال : ﴿ اعملوآ ﴾ أى و قلنا لهم : تمتعوا و اعملوا ، و دل على مزيد قربهم بحذف أداة النداء و على شرفهم بالتعبير / بالآل فقال : ﴿ اٰل داوٗد ﴾ أى كل ما يقرب إلى الله ﴿ شكرا ﴾ أى / ٢٨٤
لأجل الشكر له سبحانه ، و هو تعظيمه فى مقابلة نعمه ليزيدكم من فضله [أو النصب على الحال أى شاكرين ، أو على تقدير : اشكروا شكرا ، لأن "اعملوا" فيه معنى "اشكروا" من حيث أن العمل للنعم شكر له ، و يجوز أن تنتصب باعملوا مفعولا بهم و معناه أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا – على طريق المشاكلة –[٨]] ﴿ و قليل ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السكن (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قطاع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جمع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فذكر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٦) فى م و مد : تابعه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايلهيهم (٨) زيد ما بين الحاجزين من م .

أى قلنا ذلك و الحال أنه قليل . [1]و لما لم يقتض الحال العظمة لأنها[2] بالمبالغة فى الشكر أليق ، [3]أسقط مظهرها[3] فقال : ﴿من عبادى الشكور﴾ أى المتوفر الدواعى بظاهره و باطنه من قلبه و لسانه و بدنه[4] على الشكر بأن يصرف جميع ما أنعم الله عليه فيما يرضيه ، و عبر بصيغة فعول إشارة إلى أن من يقع منه[5] مطلق الشكر[6] كثير ، و أقل ذلك حال الاضطرار .

و لما كان ربما استبعد مستبعد موت من هو على هذه الصفة من ضخامة الملك بنفوذ الأمر وسعة الحال و كثرة الجنود ، أشار إلى سهولته بقرب زمنه و سرعة إيقاعه على وجه دال على بطلان تعظيمهم للجن بالإخبار بالمغيبات بعد تنبيههم على مثل ذلك باستخدامه لهم بقوله : ﴿فلما﴾ بالفاء ، و لذلك عاد إلى مظهر الجلال فقال : ﴿قضينا﴾ و حقق صفة القدرة بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليه ﴾ أى سليمان عليه السلام ﴿ الموت ما دلهم ﴾ أى جنوده[7] و كل من فى ملكه من الجن و الإنس و غيرهم من كل قريب و بعيد ﴿ على موته ﴾ لأنا جعلنا له من سعة العلم و وفور الهيبة و نفوذ الأمر ما تمكن به من إخفاء موته عنهم ﴿ الا دآبة الارض ﴾ فخمها بهذه الإضافة التى من معناها أنه لا دابة للأرض غيرها لما أفادته من العلم و لأنها لكونها تأكل من كل شيء

(١) العبارة من هنا إلى « مظهرها فقال » ساقطة من مد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اسقطها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يديه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٦) العبارة من « بأن يصرف » إلى هنا متكررة فى ظ (٧) فى ظ : جنودهم .

من أجزاء الأرض من الخشب و الحجر و التراب و الثياب و غير ذلك أحق الدواب بهذا الاسم، و يزيد ذلك حسنا أن مصدر فعلها أرض بالفتح و الإسكان فيصير من قبيل[1] التورية ليشتد التشوف إلى تفسيرها، ثم بين أنها الأرضة بقوله مستأنفا فى جواب من كأنه قال: أىّ دابة هى و بما دلت: ﴿تاكل منسأته﴾ أى عصاه التى مات [2]و هو متكئ[2] عليها قائما فى بيت من زجاج، و ليس له باب، صنعته له[3] الجن لما أعلمه الله بأن أجله قد حضر، و كان قد بقى فى المسجد بقية ليخفى موته علـى[4] الجن الذين كانوا يعملون فى البيت المقدس حتى يتم[5]؛ قال فى القاموس فى باب الهمز[6]: نسأه: زجره و ساقه و أخره و دفعه عن الحوض، و المنسأة كمكنسة و مرتبة، و يترك الهمز[7] فيهما[8]: العصا - لأن الدابة تنسأ بها اى تساق، و البدل فيها لازم، حكاه سيبويه - انتهى. فالمعنى أن الجن كانوا يزجرون و يسافون بها، و قراها المدنيان[9] و أبوعمرو[10] بالإبدال، و ابن عامر من رواية ابن ذكوان و الداجونى عن هشام

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قبل (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متكيا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عن (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النمر (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: النمر (٨) من مد و القاموس، و فى الأصل و ظ و م: فيها (٩) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٠ (١٠) زيد فى الأصل: بالاسكان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

باسكان

باسكان الهمزة، و الباقون بهمزة[1] مفتوحة ﴿ فلما خر ﴾ أى سقط على الأرض بعد أن قصمت الأرضة عصاه ﴿ تبينت الجن ﴾ أى علمت علما بينا لايقدرون معه على تدبيج و تدليس. و انفضح أمرهم و ظهر ظهورا تاما ﴿ان﴾ اى أنهم ﴿ لو كانوا ﴾ أى الجن ﴿يعلمون الغيب﴾ أى علمه ﴿ ما لبثوا ﴾ أى أقاموا حولا مجرما ﴿ فى العذاب المهين ﴾ من ذلك العمل الذى[2] كانوا مسخرين فيه، و المراد إبطال ما كانوا يدعونه من علم الغيب / ٢٨٥ على وجه الصفة، لأن المعنى أن دعواهم ذلك إما كذب أو جهل، فأحسن الأحوال لهم أن يكون جهلا منهم، و قد تبين لهم الآن جهلهم بيانا لايقدرون على إنكاره، و يجوز أن تكون «أن» تعليلية، و يكون التقدير: تبين حال الجن فيما يظن بهم من أنهم يعلمون الغيب، لأنهم - إلى آخره، و سبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك أنهم وضعوا الأرضة على موضع[3] من العصى فأكلت منها يوما و ليلة، و حسبوا على ذلك النحو فوجدوا المدة سنة، و فى هذا توبيخ للعرب بأنهم يصدقون من ثبت بهذا الأمر انهم لايعلمون الغيب فى الخرافات اللاتى تأتيهم بها الكهان و غيرهم مما يفتنهم و الحال أنهم يشاهدون منه كذبا كثيرا، فكانوا بذلك مساوين لمن يخبر[4] من الآدميين عن بعض المغيبات بظن يظنه او منام يراه أو غير ذلك، فيكون كما قال - هذا مع

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مهمزة - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذين (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ماصنع - كذا.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يخبرهم.

إعراضهم عمن يخبرهم بالآخرة شفقة عليهم و نصيحة لهم، و ما أخبرهم بشيء قط إلا ظهر صدقه قبل ادعائه للنبوة و بعده، و أظهر لهم من المعجزات ما بهر العقول. و قد تقرر أن كل شيء ثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه و سلم من الأنبياء من الخوارق ثبت له مثله أو[1] أعظم منه إما له نفسه أو لأحد من أمته، و هذا الذى ذكر[2] لسليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت[3] مثله لشخص من هذه الأمة من غير شيء يعتمد عليه. قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا: و قال أبو عمران[4] الأصطخرى: رأيت أبا تراب فى البادية قائما [ميتا - [5]] لا يمسكه شيء - انتهى. و ثبت مثل ذلك لشخص فى بلاد شروان من بلاد فارس بالقرب من شماخى، اسم ذلك الولى محمد، و لقبه دمدمكى، مات من نحو أربعمائة سنة فى المائة الخامسة من الهجرة. و هو قاعد فى مكان من مقامه الذى كان يتعبد فيه على هيئة المتشهد و عليه قميص و على رأسه قبع كهيئة قباع[6] الأعاجم البسطامية، اخبرنى من شاهده[7] ممن[8] كذلك لا أتهمه من طلبة العلم العجم، و هو أمر مشهور متواتر فى بلادهم غنى عن مشاهدة شخص

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٢) فى ظ: ذكره (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٤) فى ظ: أبو عمرو. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م، و فى الأصل و ظ: قبع، و فى مد: اقباع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شاهد ذلك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

معين ، قال : زرته غير مرة و له هيبة تمنع المعتقد[1] من الدنو منه دنوا يرى به[2] وجهه كما أشار تعالى إلى مثل ذلك بقوله تعالى[3] " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا " قال : و كان معنا فى بعض المرات شخص من طلبة العلم من أهل كيلان غير معتقد يقول : إنما هذا نوع شعبذة يخيل[4] به على عقول الرعاع ، قال : فتقدم إليه بجرأة و لمس صدره و نظر فى وجهه ، فأصيب فى الحال فلم يرجع إلا محولا ، فأقام[5] فى المدرسة التى كان يشتغل بها فى مدينة شماخى مدة ، و أخبرنا [أن -[6]] الشيخ دمدمكى قال له لما لمسه : لو لا أنك من أهل العلم هلكت ، و أنه شيخ خفيف اللحية ، قال : و قد تبت إلى الله تعالى و صرت من المعتقدين لما هو عليه أنه حق ، و لا أكذب بشىء من كرامات الأولياء ، قال الحاكى : و قد دفن ثلاث مرات إحداها[7] بأمر تمرلنك فيصبح جالسا على ما هو عليه الآن - و الله الموفق للصواب[8] .

/ و لما دل سبحانه بقوله " افلم يروا الى ما بين ايديهم و ما خلفهم " ٢٨٦ /
الآية ، على قدرته على ما يريد من السماء و الأرض لمعاملة[9] من يريد ممن فيهما بما يشاء من فضل على من شكر ، و عدل فيمن كفر ، و دل

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعتقة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٣) آية ١٨ من سورة الكهف (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتخيل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فافاض (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احدها (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعاملة .

على ذلك بما قصه من أخبار بعض أولى الشكر، و ختم بموت نبيه سليمان ابن داود الشاكر بن الشاكر عليهما السلام، و ما كان فيه من الآية الدالة على أنه لايعلم الغيب غيره لينتج ذلك أنه لايقدر على كل ما يريد غيره، و كان موت الأنبياء المتقدمين موجبا لاختلال[1] من بعدهم لفوات آياتهم بفواتهم بخلاف آية القرآن، فانها باقية على مر الدهور و الأزمان، لكل إنس و ملك و جان، ينادى مناديها[2] على رؤس الأشهاد: هل من مبار[3] أو مضاد[4]؟ فلذلك حفظت هذه الأمة، و ضاع[5] غيرها فى أودية مدلهمة، أتبعه دليلا آخر شهوديا على آية "ان نشا نخسف بهم الارض" فى قوم كان تمام صلاحهم بسليمان عليه الصلاة و السلام، فاختل بعده أمرهم، و صار من عجائب الكون ذكرهم، حين ضاع شكرهم، فكان من ترجمة اتباع قصتهم لما قبلها أن آل داود عليه السلام شكروا، فسخر لهم من الجبال و الطير و المعادن و غيرها ما لم يكن غيرهم يطمع فيه، و هم أضاعوا الشكر فأعصى عليهم و أضاع منهم ما لم يكونوا يخافون فواته من مياههم و اشجارهم و غيرها، فقال تعالى مشيرا بتأكيده[6] إلى تعظيم ما كانوا فيه، و أنه فى غاية الدلالة على القدرة، و سائر صفات الكمال، و أن عمل قريش عمل من ينكر[7] ما تدل عليه قصتهم

(1) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاختلاف (2) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منادى (3) من مد، و فى الأصل و ظ و م: مبارز (4) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معاند (5) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صلح. (6) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتاكيدها (7) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشكر.

من

من ذلك: ﴿ لقد كان لسبأ ﴾ أى القبيلة المشهورة التى كانت تسجد للشمس، فهداهم الله تعالى على يد سليمان عليه السلام، و حكمة تسكين قبل همزتها[1] الإشارة[2] إلى ما كانوا فيه من الخفض و الدعة و رفاهة العيش المثمرة للراحة و الطمأنينة و الهدوء و السكينة، و لعل قراءة الجمهور لها بالصرف تشير إلى مثل ذلك، و قراءة أبى عمرو و البزى عن ابن كثير[1] بالمنع تشير إلى رجوعهم بما صاروا إليه من سوء الحال إلى غالب أحوال[3] تلك البلاد فى الإقفار و [4]قلة النبت و العطش[4] ﴿ فى مسكنهم ﴾ أى[5] التى هى فى غاية الكثرة، و وحد حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم[1] إشارة [إلى أنها -[6]] لشدة اتصال المنافع و المرافق كالمسكن الواحد، و كسر الكسائى الكاف إشارة [إلى أنها فى غاية الملاءمة لهم و اللين، و فتحه الآخران إشارة -[6]] إلى ما فيها[7] من الروح و الراحة، و كانت بأرض مأرب من بلاد اليمن، قال حمزة الكرمانى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: على ثلاث فراسخ من صنعاء، و كانت أخصب البلاد و أطيبها و أكثرها ثمارا حتى كانت المرأة تضع على رأسها المكتل[8] و تطوف فى ما بين الأشجار فيمتلئ المكتل من غير أن تمس شيئا بيدها[9]،

(١) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٢ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحوال (٤-٤) فى م و مد: العطش و قلة النبت (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فيهما (٨) فى ظ و م و مد: مكتلا (٩) ذكره الأندلسى فى البحر المحيط ٧/٢٧٠ عن ابن عباس و غيره.

وكانت مياههم تخرج من جبل فبنوا فيه سدا، و جعلوا له ثلاثة أبواب فكانوا يسرحون الماء إلى كرومهم من الباب الأعلى و الأوسط و الأسفل؛ قال[١] / الرازي: كانت المرأة تخرج و معها مغزلها و على رأسها مكتلها فتمتهن مغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها [من -[٢]] الثمار، و قال ٢٨٧/
٥ أبو حيان في النهر[٣]: و لما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها، و سكنت قصرها[٤] و راودوها[٥] على أن ترجع فأبت فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت لهم: لا عقول لكم، و لا تطيعوني، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى واديهم، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل[٦] من مسيرة ثلاثة[٧] أيام، فأمرت به فسد ما بين الجبلين بمسناة[٨] بالصخر
١٠ و القار، و حبست الماء من وراء السد، و جعلت له أبوابا بعضها فوق بعض، و بنت من دونه بركة فيها اثنا[٩] عشر مخرجا على عدة أنهارهم، وكان الماء يخرج لهم بالسوية، [١٠]و قال المسعودي في مقدمات مروج الذهب قبل السيرة النبوية بيسير في الكلام على الكهان[١١]: كانت من أخصب أرض اليمن و أثراها، و أعذبها و أغداها، و أكثرها جنانا،

(١) في ظ: و قال، و من هنا انقطعت صفحة واحدة من الأصل فملأناها من ظ (٢) زيد من م و مد (٣) راجع هامش البحر المحيط ٧/ ٢٦٨ (٤) من م و مد و النهر، و في ظ: نصترها - كذا (٥) من م و مد و النهر، و في ظ: رودوها (٦) من م و مد و النهر، و في ظ: السير (٧) في النهر: ثلاث - خطأ. (٨) في النهر: بمساة (٩) من مد و النهر، و في ظ و م: اثنى (١٠) العبارة من هنا إلى «بين العباد» ص ٤٧٧ س ٧ ساقطة من م (١١) راجع ١/ ٣٤١.

و كانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال فى العرض مثل ذلك، يسير الراكب من أولها إلى أن ينتهى إلى آخرها ، لا تواجهه الشمس و لايفارقها الظل ، لاستتار الأرض بالأشجار و استيلائها عليها و إحاطتها بها ، فكان أهلها فى أطيب عيش و أرفعه و أهنأ حال و أرغده، فى نهاية الخصب وطيب الهواء و صفاء الفضاء و تدفق الماء، و قوة الشوكة و اجتماع الكلمة ، ثم ذكر خبرا طويلا فى أخبارهم، و خراب ما كان من آثارهم ، و تفرقهم فى البلاد ، و شتاتهم بين العباد ﴿ ءاية ﴾ أى علامة ظاهرة على قدرتنا على ما نريد ، ثم فسر[1] الآية بقوله : ﴿جنتن﴾ مجاورتان الطريق ﴿ عن يمين و شمال ﴾ ، أى بساتين متصلة و حدائق مشتبكة ، و رياض[2] محتبكة ، حتى كان الكل من كل جانب جنة واحدة[3] لشدة اتصال[4] بعضه ببعض عن يمين كل سالك و شماله فى أى مكان سلك من بلادهم ليس فيها موضع معطل ، و قال البغوى[5] : عن يمين واديهم و شماله ، قد أحاط الجنتان بذلك الوادى . و أشار إلى كرم تلك الجنان و سعة [ما -[6]] بها من الخير بقوله : ﴿ كلوا ﴾ أى لا تحتاج بلادهم إلى غير أن يقال لهم : كلوا ﴿ من رزق ربكم ﴾ أى المحسن إليكم الذى أخرج لكم منها كل ما تشتهون ﴿ و اشكروا له ﴾ اى خصوه[7] بالشكر بالعمل بما أنعم به فى كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة ، ثم استأنف تعظيم

(١) من م و مد ، و فى ظ : بسر (٢) من م و مد ، وفى ظ : بارض (٣) من م و مد ، و فى ظ : واحد من كل - كذا (٤) من م و مد ، و فى ظ : اتصالها.
(٥) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥ / ٢٣٦ (٦) زيد من م و مد .
(٧) من م و مد ، و فى ظ : خصوا .

ذلك بقوله : ﴿ بلدة طيبة ﴾ أى كريمة التربة[١] حسنة الهواء سليمة من الهوام و المضار ، لايحتاج ساكنها إلى ما يتعبه فيعوقه عن الشكر ، قال ابن زيد[٢] : لايوجد فيها برغوث و لا بعوض و لا عقرب و لا حية ، و لا تقمل ثيابهم ، و لا تعيا دوابهم . و أشار إلى أنه لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره بقوله : ﴿ و رب غفور ﴾ أى لذنب من شكره و تقصيره بمحو عين ما قصر فيه و أثره ، فلا يعاقب عليه و لايعاتب ، و لولا [ذلك - [٣]] ما أنعم عليكم بما أنتم فيه و لأهلككم بذنوبكم ، و أخبرنى بعض أهل اليمن أنها اليوم مفازة قرب صنعاء اليمن - قال : و فى بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا فى مقدار در - تلى بلاد الشام ، و هو فى غاية الصفاء كأنه قطع المصطكا و ليس له نوى أصلا .

و لما تسبب عن هذا الإنعام بطرهم الموجب لإعراضهم عن الشكر ، دل على ذلك بقوله : ﴿ فاعرضوا ﴾ و لما تسبب عن إعراضهم مقتهم ، بينه بقوله : ﴿ فارسلنا ﴾ و دل على أنه إرسال عذاب بعد مظهر العظمة بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم سيل العرم ﴾ أى سيح المطر الغالب المؤذى الشديد الكثير الحاد الفعل المتناهى فى الأذى الذى لايرده[٤] شىء و لاتمنعه حيلة بسد و لا غيره من العرامة ، و هى الشدة و القوة ، فأفسد عليهم جميع ما ينتفعون به ، قال أبو حيان[٥] : سلط الله عليهم الجرذ[٦]

(١) من م و مد ، و فى ظ : التربية (٢) ذكر قوله فى البحر المحيط ٧ / ٢٧٠ .
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى ظ : لايرد (٥) فى البحر المحيط ٧ / ٢٧٠ (٦) من م و مد و البحر ، و فى ظ : الجراد .

فارأ أعمى توالد فيه، و يسمى الخلد، فخرقه شيئا بعد شيء، فأرسل الله سيلا فى ذلك الوادى، فحمل[1] ذلك السد[2] / فروى أنه كان من العظم / ٢٨٨
و كثرة[3] الماء بحيث ملأ[4] ما بين الجبلين، و حمل الجنان[5] و كثيرا[6] من الناس ممن لم يمكنه الفرار. و لما غرق من غرق منهم و نجا من نجا، تفرقوا و تمزقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا: تفرقوا[7] أيدى سبا [و أيادى سبا - [8]]، و الأوس و الخزرج منهم، و كان ذلك فى الفترة التى بين عيسى و نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ﴿و بدلنهم بجنتيهم﴾ أى جعلنا لهم بدلها[9] ﴿ جنتين ﴾ هما فى غاية ما يكون من مضادة جنتيهم، و لذلك فسرهما بقوله إعلاما بأن إطلاق الجنتين عليهما مشاكلة لفظية للتهكم بهم: ﴿ذواتى اكل ﴾ أى ثمر ﴿ خمط ﴾ و قراءة الجماعة[10] بتنوين "اكل" أقعد فى التهكم من قراءة أبى عمرو و يعقوب بالإضافة.

و لما كان الخمط مشتركا بين البهائم و الإنسان فى الأكل و التجنب، و الله أعلم بما أراد منه، لأنه ضرب من الإراك، له ثمر يؤكل. و كل شجرة مرة ذات شوك[11]، و الحامض أو المر من كل شيء، و كل نبت

---

(١) من م و مد والبحر، و فى ظ: فحل (٢) من م و مد والبحر، و فى ظ: السيل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كثر، و فى البحر: كثر به. (٤) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: يملا (٥) فى البحر: الجنات. (٦) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: كثير (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفارقوا (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بدلها (١٠) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٤ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شكوك.

أخذ[1] طعما من مرارة حتى لا يؤكل و [لا -[2]] يمكن أكله، و ثمر يقال له [3]فسوة الضبع[3] على صورة الخشخاش ينفرك و لا ينتفع به، و الحمل القليل من كل شجر، ذكر ما يخص البهائم التى بها قوام الإنسان فقال: ﴿ و اثل ﴾ أى [و -[2]] ذواتى أثل، و هو شجر لا ثمر له، نوع من الطرفاء، ثم ذكر ما يخص الإنسان فقال: ﴿ و شىء من سدر ﴾ أى نبق ﴿ قليل ۝ ﴾ و هذا يدل على أن غير السدر و [هو -[4]] ما لا منفعة فيه[4] أو منفعته[4] مشوبة بكدر أكثر من السدر؛ و قال أبو حيان[5]: إن الفراء فسر هذا السدر بالسمر، قال: و قال الأزهرى: السدر سدران: سدر لا ينتفع به و لا يصلح[6] ورقه للغسول[7]، و له ثمرة عفصة لا تؤكل، و هذا[8] الذى يسمى الضال و سدر ينبت على الماء و ثمره النبق و ورقه الغسول[7] يشبه العناب[9]. و قد سبق الوعد فى البقرة[10] ببيان مطلب[11] ما يفيده دخول الجار مع مادة 'بدل' فان الحال يفترق فيها بين الإبدال و التبديل و الاستبدال و التبدل و غير ذلك، و هى كثيرة الدور مشتبهة الأمر، و قد حققها شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بالديار المصرية

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احد (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسوءه الطبع - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى النهر - راجع هامش البحر المحيط ٧ / ٢٦٨ و ٢٦٩ (٦) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: لا يحصل (٧) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: المغسول (٨) فى النهر: هو (٩) فى النهر: شجر العناب. (١٠) عند آية "اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير" (١١) سقط من ظ و م و مد.

شمس الدين[١] محمد بن على القاياتى[٢] رحمه الله فقال فيما علقته عنه و ذكر أكثره فى شرحه لخطبة المنهاج للنووى رحمه الله : اعلم أن هذه المادة - أعنى[٣] الباء و الدال و اللام - مع هذا الترتيب قد يذكر معها [المتقابلان فقط و قد يذكر معهما -[٤]] غيرهما ، و قد لايكون كذلك ، فان اقتصر عليهما فقد يذكران مع التبدل و الاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء كما فى قوله تعالى " ا تستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير[٥] " و فى قوله تعالى " و من يتبدل الكفر بالايمان " الآية[٦] ، فتكون الباء داخلة على المتروك و يتعدى الفعل بنفسه للقابل المتخذ ، و قد يذكران مع التبديل و الإبدال و أحدهما مقرون بالباء ، فالباء داخلة على الحاصل ، و يتعدى الفعل بنفسه إلى المتروك ، نقل الأزهرى عن ثعلب : بدلت الخاتم بالحلقة - إذا أذبته و سويته حلقة ، و بدلت الحلقة بالخاتم - إذا أذبتها و جعلتها خاتما ، و أبدلت الخاتم بالحلقة - [٧]إذا نحيت[٧] هذا و جعلت هذه مكانه ، و حكى الهروى[٨] / فى الغريبين[٩] عن ابن عرفة يعنى[١٠] نفطويه أنه قال : / ٢٨٩ التبديل : تغيير الشىء عن حاله ، و الإبدال : جعل الشىء مكان آخر . و تحقيقه أن معنى التبديل التغيير و إن لم يؤت ببدل كما ذكر فى الصحاح

---

(١) زيد فى الأصل : بن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) راجع لترجمته و مصادرها معجم المؤلفين ١١ / ٦١ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع آية ٦١ من سورة البقرة . (٦) راجع آية ١٠٨ من سورة البقرة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) هو أبو عبيد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغريب (١٠) سقط من ظ .

وكما هو مقتضى كلام ابن عرفة، فحيث ذكر المتقابلان و قيل[١]: «بدلت هذا بذاك[٢]»، رجع حاصل ذلك أنك أخذت ذاك و أعطيت هذا، فاذا قيل: بدل الشيء بغيره، فمعناه غير الشيء بغيره، أى ترك الأول و أخذ الثانى، فكانت الباء داخلة على المأخوذ[٣] لا المنحى[٣]، و معنى
٥ إبدال الشيء بغيره رجع إلى تنحية[٤] الشيء و جعل غيره مكانه، فكانت الباء داخلة على المتخذ مكان المنحى، و للتبديل و لو مع الاقتصار على المتقابلين استعمال آخر، يتعدى إلى المفعولين بنفسه كقوله تعالى " اولئك يبدل الله سيأتهم حسنت[٥]" "فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة[٦]" الآية[٧] بمعنى[٨] يجعل الحسنات بدل السيئات و يعطيهما[٩] بدل ما كان لهما خيرا،
١٠ و قد لايذكر المذهوب كما فى قوله تعالى "بدلنهم جلودا غيرها[١٠]" و معنى التبدل[١١] و الاستبدال أخذ الشيء مكان غيره، فاذا قلت: استبدلت هذا بذاك[١٢]، أو تبدلت هذا بذاك، رجع حاصل ذلك أنك أخذت هذا و تركت ذاك، و إن لم يقتصر عليهما بل ذكر معهما غيرهما و أحدهما مصحوب بالجار و ذكر التبديل كما فى قوله تعالى "و بدلنهم بجنتيهم جنتين"

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: قد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بذلك (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما التحى (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نتيجة (٥) راجع آية ٧٠ من سورة الفرقان (٦) سقط من م و مد (٧) ٨١ من سورة الكهف (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: يعنى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعطى لهما (١٠) راجع آية ٥٦ من سورة النساء (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التبديل. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك.

تعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين يعنى إلى المفعول ذلك لأجله و إلى المأخوذ بنفسه، و إلى المذهوب المبدل منه بالباء كما فى «بدله بخوفه أمنا» و معناه: أزال خوفه إلى الأمن، و قد يتعدى إلى المذهوب - و الحالة هذه - بمن كما فى «بدله من خوفه أمنا»، و للتبديل أيضا استعمال آخر يتعدى إلى مفعول واحد مثل: بدلت الشيء أى غيرته، قال تعالى "فمن بدله بعد ما سمعه[1]" [2]على أن[2] ههنا ما يجب التنبه[3] له و هو أن [4]الشيء يكون[4] مأخوذا بالقياس و الإضافة إلى شيء، متروكا بالقياس و الإضافة إلى آخر، كما إذا أعطى شخص شخصا شيئا و أخذ[5] بدله منه، فالشيء الأول ماخوذ للشخص الثانى و متروك للأول، و المقابل بالعكس فيصح أن يعبر بالتبدل[6] و التبديل، و يعتبر فى كل منهما ما يناسبه، و لإشكال المقام قصدنا بعض الإطناب - انتهى [7]و الله أعلم[7].

و لما أخبر عن هذا المحق و التقتير بعد ما كانوا فيه من ذلك الملك الكبير، هول أمره مقدما للفعول دلالة على أنه مما يهتم[8] غاية الاهتمام بتعرفه فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الجزاء العظيم العالى الرتبة فى أمر المسخ ﴿ جزينٰهم ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ بما كفروا ﴾ أى غطوا

(١) راجع آية ١٨١ من سورة البقرة (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فان. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التنبيه (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكون الشيء (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احدا. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتبديل (٧ - ٧) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٨) زيد فى ظ: به.

الدليل الواضح .

و لما كان من العادة المستقرة عند ذوى الهمم العوال ، العريقين في مقارعة الأبطال ، المبالغة في جزاء[1] من أساء بعد الإحسان ، و قابل الإنعام بالكفران ، لما أثر في القلوب من الحريق مرة بعد مرة . و كرة

٥ في أثر كرة ، أجرى الأمر سبحانه على هذا العرف ، فقال مشيرا إلى ذلك بصيغة المفاعلة عادّا لغير جزائهم بالنسبة إليه عدما ، تهديدا يصدع القلوب و يردع النفوس ، و يدع[2] الأعناق خاضعة و الرؤس : ﴿و هل يُجزىٓ﴾ أي هذا الجزاء الذي هو على وجه العقاب[3] من مجاز ما [4]على سبيل المبالغة[4] ﴿الا الكفور﴾ أي المبالغ في الكفر ، و قراءة حمزة و الكسائي وحفص / ٢٩٠/

١٠ عن عاصم[5] " نجازى " بالنون على أسلوب ما قبله من العظمة و نصب " الكفور " و قال الفراء[6] : المؤمن يجزى و لايجازى - كأنه يشير إلى أن عقاب المسيء لأجل[7] عمله فهو مفاعلة ، و أما ثواب المطيع فهو فضل[8] من الله لا لأجل عمله ، فان عمله نعمة من الله ، و ذلك لاينافي المضاعفة ، قال القشيري : [كذلك -[9]] من الناس من يكون في رغد[10] من الحال

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اجزاء (٢) في ظ : يضع (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : العتاب (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين في ظ و مد على «هذا الجزاء» (٥) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٥ (٦) قوله هذا ذكره البغوي في معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٣٧ (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لاجله (٨) من ظ وم و مد ، و في الأصل : فعل (٩) زيد من ظ و م و مد - (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : زهده .

و اتصال من التوفيق و طيب من القلب و مساعدة من الوقت فيرتكب زلة أو يسيء أدبا أو يتبع شهوة ، و لا يعرف قدر ما هو فيه فيغير عليه الحال ، فلا وقت و لا حال ، و لا طرب و لا وصال ، يظلم عليه النهار ، وكانت لياليه مضيئة[1] ببدائع الأنوار .

و لما أتم الخبر عن الجنان التى بها القوام نعمة و نقمة ، أتبعه مواضع السكان فقال : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و نبه بنزع الجار على عمارة جميع تلك الأراضى[2] بالبناء و الانتفاع فقال : ﴿ بينهم ﴾ أى بين قرى أهل سبا ﴿ و بين القرى ﴾ أى مدنا كانت أو دونها ﴿ التى بركنا ﴾ أى بركة اعتنينا بها اعتناء من يناظر آخر بغاية العظمة ﴿ فيها ﴾ أى بأن جعلناها محال العلم و الرزق بالأنبياء و أصفياء الأولياء و هى بلاد الشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أى [3]من أرض الشام[3] فى أشراف الأرض و ما صلب منها و[4] علا ، لأن البناء فيها[5] أثبت ، و المشى بها أسهل ، و الابتهاج رؤية جميع الجنان و ما فيها من النضرة منها أمكن . فهى ظاهرة للعيون بين تلك الجنان ، كأنها الكواكب الحسان[6] ، مع تقاربها بحيث يرى بعضها من بعض و كثرة المال[7] بها و المفاخر و النفع [8]و المعونة[8] للمارة ؛ قال البغوى[9] : كانت أربعة آلاف و سبعمائة قرية متصلة من سبا

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : مظلمة (٢) فى ظ : الارض (٣-٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و م قبل « بأن جعلناها » و الترتيب من ظ و مد (٤) فى ظ : ما (٥) فى ظ وم ومد : بها (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الحساب . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماه (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المعونة (٩) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٣٧ .

إلى الشام .

و لما كانت مع هذا الوصف ربما كان فيها عسر على المسافر لعدم الموافقة فى المقيل و المبيت، أزال هذا بقوله: ﴿و قدرنا فيها السير﴾ أى جعلناه على مقادير هى فى غاية الرفق بالمسافر فى نزوله متى أراد من ليل أو نهار على ما جرت به عوائد السفار، فهى لذلك حقيقة بأن يقال لأهلها[1] و النازلين بها على سبيل الامتنان: ﴿سيروا﴾ و الدليل على تقاربها جـــدا قوله: ﴿فيها﴾ و دل على كثرتها و طول مسافتها و صلاحيتها للسير[2] أىّ وقت أريد، مقدما لما هو أدل على الأمن و أعدل للسير فى البلاد الحارة بقوله: ﴿ليالى﴾ و اشار إلى كثرة الظلال و الرطوبة و الاعتدال الذى يمكن معه السير فى جميع النهار بقوله: ﴿و اياما﴾ أى فى أى وقت شئتم، [3]و دل[3] على عظيم أمانها فى كل وقت بالنسبة إلى كل ملم[4] بقوله: ﴿امنين ه﴾ أى من خوف و تعب، أو ضيعة أو عطش أو سغب .

و لما انقضى الخبر عن هذه الأوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما فيها من الألطاف، دل على بطرهم للنعمة بها بأنهم[5] جعلوها سببا للتضجر و الملال بقوله: ﴿فقالوا﴾ على وجه الدعاء: ﴿ربنا﴾ أى أيها المربى لنا ﴿بعد﴾ أى أعظم البعد و شدده - على قراءة ابن كثير[6] و أبى عمرو

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانها (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسلم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنهم (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٧ .

و هشام عن ابن عامر بتشديد العين و إسكان الدال. و هذا بمعنى[1] قراءة الباقين غير يعقوب / " باعد " المقتضية لمده[2] و تطويله ﴿بين اسفارنا﴾ / ٢٩١ أى قرانا التى نسافر فيها. أى ليقل الناس فيكون ما يخص كل إنسان من هذه الجنان أضعاف ما يخصه الآن و بحمل الزاد و نسير على النجائب و نتعلق[3] السلاح و نستجيد المراكب، وكان[4] بعضهم كأن على الضد من غرض هؤلاء فاستكثر مسافة ما بين كل قريتين فقال كما قرأ يعقوب " ربنا " بالرفع على أنـه مبتدا " باعد " فعلا ماضيا على انه خبر، فازدرى تلك النعمة الواردة على قانون الحكمة و اشتهى أن تكون تلك[5] القرى متواصلة ﴿و ظلموا﴾ حيث عدوا النعمة نقمة، و الإحسان إساءة ﴿انفسهم﴾ تارة باستقلال الديار، و تارة باستقلال الثمار، فسبب ذلك تبديل[6] ما هم فيه بحال هو فى الوحشة بقدر ما كانوا فيه من الأنس و هو معنى ﴿فجعلنهم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿احاديث﴾ اى يتواصفها[7] الناس جيلا بعد جيل [لما لها [8]] من الهول ﴿و مزقنهم﴾ اى تمزيقا يناسب العظمة، فما كان لهم دأب إلا المطاوعة فزقوا ﴿ كل ممزق ﴾ أى تمزيق كما يمزق الثوب، بحيث صاروا مثلا مضروبا إلى هذا[9] الزمان،

(١) من ظ ومد، و فى الأصل و م: معنى (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لمد (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: نعلق (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قال (٥) سقط من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: بتبديل.
(٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتواضعها (٨) زيد من ظ و م و مد.
(٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أهل.

يقال لمن شتت أمرهم: تفرقوا أيدى[١] سبا.

و لما كان كل من أمريهم هذين فى العمارة و الخراب أمرا باهرا دالا على أمور كثيرة، منها القدرة على الساعة التى هى مقصود السورة بالنقلة من النعيم إلى الجحيم و[٢] الحشر إلى ما لا يريد الإنسان كما حشر أهل سبا إلى كثير من أقطار البلاد كما هو مشهور فى قصتهم، قال منبها على ذلك مستأنفا على طريق الاستنتاج، مؤكدا تنبيها على إنعام النظر فيه، لما له من الدلالة على صفات الكمال: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم ﴿لأيٰت﴾ أى دلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الأرض بالإيجاد و الإعدام للذوات و الصفات بالخسف و المسخ، فانه لا فرق بين خارق و خارق. و على أن بطرهم لتلك النعمة حتى[٣] ملوها[٤] و دعوا بازالتها دليل على أن الإنسان ما دام حيا فهو فى نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت و إن كان يراها بلية[٥]، لأنه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما، و اللذة ألما، و لذلك ختم الآية بالصبر بصيغة المبالغة.

و لما كان الصبر حبس النفس عن أغراضها الفاسدة و أهويتها المعمية، و كانت مخالفة الهوى أشد ما يكون على النفس و أشق، و كانت النعم تبطر و تطغى، و تفسد و تلهى، فكان عطف النفوس إلى الشكر

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أى يدى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ و مد: حين (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ملووها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بينة.

بعد[1] جماحها بطغيان النعم صعبا ، و كانت قريش قد شاركت سبا فيما ذكر و[2] زادت عليهم برغد العيش و سهولة إتيان الرزق بما حببهم به و بلدهم إلى العباد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام مع أمن البلد و جلالة النسب و عظيم المنصب كما أشار إليه قوله تعالى " [و -[3]] ضرب الله مثلا قرية كانت - امنة مطمئنة" _ الآية ، قال تعالى محذرا لهم مثل عقوبتهم: ﴿لكل صبار شكوره﴾ أى من جميع بنى آدم ، مشيرا بصيغة المبالغة إلى ذلك كله ، و أن [من -[4]] لم يكن فى طبعه الصبر و الشكر لا يقدر على ذلك . و أن من ليس فى طبعه الصبر فاته الشكر .

و لما كان المعنى: آيات فى أن تخالفوا إبليس فلا تصدقوا ظنه فى احتناكهم حيث / قال " لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن / ٢٩٢ ذريته الا قليلا [5]" قال مؤكدا لإنكار كل أحد أن يكون صدق ظن إبليس فيه: ﴿ و لقد ﴾ أى كان فى ذلك[6] أيات مانعة من اتباع الشيطان و الحال أنه قد ﴿صدق﴾ . و لما كان فى استغوائهم غالبا لهم فى إركابهم[7] ما تشهد عقولهم بأنه ضلال ، أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم ﴾ أى على ذرية[8] آدم عليه السلام .

---

(١) فى ظ : بعدم (٢) فى ظ و مد : او (٣) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم آية ١١٢ من سورة النحل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سورة ١٧ آية ٦٢ (٦) زيد فى الأصل : آية و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اركانهم (٨) زيد فى الأصل : بنى . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كان فى سياق الإثبات[1] لعظمة الله و ما عنده من الخير و ما له من التصرف التام الداعى ذلك إلى الإقبال إليه و قصر الهمم عليه ، عبر بقوله تعالى : ﴿ ابليس ﴾ الذى هو من البلس[2] و هو ما لاخير عنده - و الإبلاس - و هو اليأس من كل خير - ليكون ذلك أعظم فى التبكيت و التوبيخ ﴿ظنه ﴾ أى فى قوله " لاحتنكن ذريته الا قليلا" "و لاغوينهم اجمعين الا عبادك" "و لا تجد اكثرهم شكرين" فكأنه لما قال ذلك على سبيل الظن تقاضاه ظنه [الصدق فصدقه -[3]] فى إعمال الحيلة حتى كان ذلك الظن - هذا على قراءة الجماعة بالتخفيف ، و أما على قراءة الكوفيين بالتشديد[4] فالمعنى أنه جعل ظنه الذى كان يمكن تكذيبه فيه قبل التحقق صادقا ، بحيث لا يمكن أحدا تكذيبه فيه ، و لذلك سبب [5]سبحانه عنه[5] قوله : ﴿ فاتبعوه ﴾ أى بغاية الجهد بميل الطبع و الاستلذاذ الموجب للنزوع و الترامى بعضهم فى الكفران و بعضهم فى مطلق العصيان .

و لما كان المحدث عنهم جميع الناس ، عرف به الاستثناء [6]المعرف اقلة[6] الناجين فقال : ﴿ الا فريقا ﴾ [أى -[3]] ناسا لهم القدرة على تفريق كلمة أهل الكفر و فض جمعهم و إن كانوا بالنسبة إليهم كالشعرة البيضاء

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اللبس (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٩ . (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه سبحانه (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : المفرغ بقلة .

فى

فى جلد الثور الأسود ﴿من المؤمنين ﴾ أى العريقين فى الإيمان، فكانوا خالصين لله مخلصين فى عبادته، و أما غيرهم فمالوا معه، و كان منهم المقل و منهم المكثر بالهفوات و الزلات[1] الصغائر و الكبائر.

و لما كان ذلك ربما أوهم أن لإبليس أمرا بنفسه، نفاه بقوله: ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما[2] ﴿كان﴾ أصلا ﴿له عليهم﴾ أى الذين اتبعوه و لاغيرهم، و أعرق فيما هو الحق من النفى بقوله: ﴿من سلطن﴾ أى تسلط قاهر لشىء من الأشياء بوجه من الوجوه لأنه مثلهم فى كونه عبدا عاجزا مقهورا، ذليلا خائفا مدحورا، قال القشيرى: هو مسلط، و لو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه ﴿الا﴾ أى لكن نحن سلطناه عليهم بسلطاننا و ملكناه قيادهم بقهرنا؛ [3]و عبر عن التميز[4] الذى هو سبب العلم بالعلم فقال: ﴿لنعلم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من يؤمن﴾ أى يوجد الإيمان لله ﴿بالأخرة﴾ أى[5] ليتعلق علمنا بذلك فى عالم[6] الشهادة فى حال تميزه تعلقا تقوم به الحجة فى مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به فى عالم الغيب ﴿ممن هو منها[7]﴾ أى من[8] الآخرة ﴿فى شك﴾ فهو لايتجدد له بها إيمان أصلا، لأن الشك ظرف له محيط به، و إنما استعار " الا " موضع " لكن " إشارة إلى

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « بالعلم فقال » ساقطة من مد (٤) فى م: التميز. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل « و » (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حال (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م و مد.

أنه مكنه تمكينا تما صار به كمن له سلطان حقيق .

و لما كان هذا ربما أوقع في وهم نقصا في العلم [1]أو في[1] القدرة ، قال مشيرا إلى أنه سبحانه يسره صلى الله عليه و سلم بتكثير هذا الفريق
٢٩٣ / المخلص و جعل أكثره من أمته فقال: ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن / إليك باخزاء الشيطان بنبوتك و إخسائه عن أمتك ﴿ على كل شيء ﴾ من المكلفين و غيرهم ﴿ حفيظ ع ﴾ أى حافظ أتم حفظ محيط به مدبر له على وجه العلو بعلمه الكامل و قدرته الشاملة . فلا يفعل الشيطان[2] و لا غيره شيئا إلا بعلمه و إذنه .

و لما أثبت سبحانه [3]لنفسه و[3] لذاته الأقدس من الملك في السماوات و الأرض و غيرهما ما رأيت ، و استدل عليه من الأدلة التي لا يمكن التصويب إليها بطعن بما[4] سمعت ، و كان المقصود الأعظم التوحيد فانه أصل ينبني عليه كل خير قال: ﴿ قل ﴾ أى [يا -[5]] أعلم الخلق ! باقامة الأدلة لهؤلاء الذين أشركوا ما لايشك في حقارته من له أدنى مسكة : ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى أنهم آلهة كما تدعون الله لا سيما في وقت الشدائد ، و حذف مفعولي[6] "زعم" و هما ضميرهم و تألههم[7] تنبيها على استهجان ذلك و استبشاعه ، و ليس المذكور في الآية مفعولا و لا قائما

(١-١) في ظ و مد « و » (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : السلطان .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مما (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مفعول (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تاليهم .

مقام المفعول لفساد المعنى ؛ و بين حقارتهم بقوله : ﴿من دون الله ج﴾ أى الذى حاز جميع العظمة لشىء مما أثبته سبحانه لنفسه فليفعلوا شيئا مثله أو يبطلوا[1] شيئا مما فعله سبحانه .

و لما كان جوابهم فى ذلك السكوت عجزا و حيرة ، تولى سبحانه الجواب عنهم ، إشارة إلى أن ذلك جواب كل من له تأمل لا وقفة فيه بقوله ، معبرا عنهم بعبارة من له علم باقامتهم فى ذلك المقام ، أو لأن بعض من ادعيت إلٰهيته ممن له علم : ﴿لا يملكون﴾ أى الآن و لا يتجدد لهم شىء من ذلك أصلا . و لما كان المراد المبالغة فى الحقارة بما تعرف[2] العرب قال : ﴿مثقال ذرة﴾ و لما أريد العموم عبر بقوله : ﴿فى السمٰوٰت﴾ و أكد فقال : ﴿ و لا فى الارض ﴾ لأن السماء ما علا ، و الأرض ما سفل ، و السماوات فى العرش ، و الأرض فى السماء ، فاستغرق ذلك النفى عنهما و عن كل ما فيهما[3] من ذات و معنى إلى العرش . و هو ذو العرش العظيم .

و لما كان هذا ظاهرا[4] فى نفى الملك الخالص عن شوب المشاركة ، نفى المشاركة أيضا بقوله مؤكدا تكذيبا لهم فيما يدعونه : ﴿و ما لهم فيهما﴾ أى[5] السماوات و الأرض و لا فيما فيهما ، و أعرق فى النفى فقال :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبلوا - كذا (٢) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهر (٥) فى ظ : فى .

﴿ من شرك ﴾ [أى -[1]] فى[2] [3]خلق و لا[3] مُلك و لا ملك ، و أكد النفى باثبات الجار . و لما كان مما[4] فى السماوات و الأرض نفوس هذه الاصنام[5]، و قد انتفى ملكهم لشيء من أنفسهم أو ما أسكن فيها سبحانه من قوة أو منفعة ، فانتفى أن يقدروا على إعانة غيرهم ، و كان للتصريح مزيد روعة للنفوس و هزة للقلوب و قطع للأطماع ، حتى لا يكون هناك متشبث[6] قوى و لا واهٍ قال : ﴿ و ما له ﴾ أى الله ﴿ منهم ﴾ و أكد النفى باثبات الجار فقال : ﴿ من ظهير ه ﴾ أى معين على شيء مما يريده ، فكيف يصح مع هذا العجز الكلى أن يدعوا كما يدعى و يرجوا كما يرجى و يعبدوا كما يعبد .

و لما كان قد بقى من أقسام النفع الشفاعة ، و كان المقصود[7] منها أثرها لا عينها ، نفاه بقوله : ﴿ و لا تنفع ﴾ أى فى أى[8] وقت من الأوقات ﴿ الشفاعة عندهٓ ﴾ أى بوجه من الوجوه بشيء من الاشياء ﴿ الا لمن ﴾ و لما كانت كثافة الحجاب [9]أعظم فى الهيبة ، و كان البناء للجهول أدل على كثافة الحجاب[9] ، قال فى قراءة أبى عمرو و حمزة و الكسائى[10] بجعل

٢٩٤ / المصدر عمدة الكلام و إسناد الفعل إليه : ﴿ اذن لهٗ ﴾ أى وقع / منه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاصناف (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : متسبب (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقصود (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) راجع نثر المرجان ٥/٤٧١ .

إذن

إذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة أو أكثر فى أن يشفع فى غيره أو فى[1] أن يشفع [فيه -[2]] غيره، و قراءة الباقين بالبناء[3] للفاعل تدل على العظمة من وجه آخر، و هو أنه لا افتيات[4] عليه بوجه من أحد ما، بل لا بد[5] أن ينص هو سبحانه على الإذن، و إلا فلا استطاعة عليه أصلا.

و لما كان من المعلوم أن الموقوفين[6] فى محل خطر للعرض على ملك مرهوب متى نودى باسم أحد منهم فقيل [7]أين فلان[7] ينخلع قلبه و ربما أغمى عليه، فلذلك[8] كان من المعلوم مما مضى أنه متى برز النداء من قبله تعالى فى ذلك المقام الذى ترى فيه كل أمة جاثية يغشى على الشافعين و المشفوع لهم، فلذلك حسن كل الحسن قوله تعالى: ﴿حتّى﴾ و هو غاية لنحو أن يقال: فاذا أذن له وقع الصعق لجلاله و كبريائه و كماله حتى ﴿اذا فزع﴾ أى أزيل الفزع بأيسر امر و أهون سعى من أمره سبحانه - هذا فى قراءة الجماعة بالبناء للجهول، و أزال هو سبحانه الفزع فى قراءة ابن عامر و يعقوب[9]، إشارة إلى أنه لايخرج عن أمره شيء ﴿عن قلوبهم﴾ أى الشافعين و المشفوع لهم، فان "فعّل"

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للبناء (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قينات (٥) زيد فى م: من (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الموقنين (٧ - ٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان فلانا (٨) من م و مد، و فى الأصل: و لذلك، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «على الشافعين والمشفوع لهم» (٩) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٧٢.

يأتى للازالة كقذيت عينه - إذا[1] أزلت عنها القذى ﴿ قالوا ﴾ أى قال بعضهم لبعض: ﴿ما ذا[2] قال ربكم[3]﴾ ذاكرين صفة الإحسان ليرجع إليهم رجاؤهم فتسكن لذلك قلوبهم .

و لما كان ملوك الدنيا ربما قال بعضهم قولا ثم بدا له فرجع عنه، أو عارضه[2] فيه شخص من أعيان جنده فينتقض، أخبر أن الملك الديان ليس كذلك فقال: ﴿قالوا الحق ج﴾ أى الثابت الذى لا يمكن أن يبدل، بل يطابقه الواقع فلا يكون شيء يخالفه ﴿ و هو العلى ﴾ أى فلا رتبة إلا دون رتبته سبحانه و تعالى، فلا يقول غير الحق من نقص علم ﴿ الكبير ه ﴾ أى الذى لا كبير غيره فيعارضه فى شيء من حكم: روى البخارى فى التفسير[3] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن[4] النبى صلى الله عليه و سلم [قال - [5]]: إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها[6] خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان "فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا - للذى قال - الحق و هو العلى الكبير" فيسمعها[7] مسترق السمع، و مسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - [و - [8]] وصفه سفيان بكفه فحرفها[9] و بدد بين أصابعه - فيسمع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: أى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: راجعه (٣) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٨ (٤) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: قال (٥) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: اجنحتها (٧) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: فيستمع (٨) زيدت الواو من الصحيح (٩) من م و مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ: نحرفها .

الكلمة و يلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما[١] أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، و ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة[٢] فيقال: أليس [قد - [٣]] قال لنا يوم[٤] كذا و كذا كذا و كذا، فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء. و قال فى التوحيد: و قال مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنهما: و إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماوات[٥] فاذا فزع عن قلوبهم و سكن الصوت عرفوا[٦] أنه الحق و نادوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق. [و روى هذا الحديث العيسى فى جزئه عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه. قال: كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون فيه الوحى، و فيه: فلا ينزل على سماء إلا صفقوا، و فى آخره: ثم يقال: يكون العام كذا و يكون العام كذا، فتسمع الجن ذلك فتخبر به الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم دحروا، فقالت العرب: هلك من فى السماء، فذكر ذبح العرب لأموالهم من الإبل و غيرها، حتى نهتهم ثقيف، و استدلوا بثبات معلم النجوم، ثم أمر إبليس جنده باحضار التراب و شمه حتى عرف أن الحدث من مكة - [٧]].

و لما سلب[٨] عن شركائهم أن يملكوا شيئا من الأكوان،

(١) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: و ربما (٢) من ظ و م ومد و الصحيح، و فى الأصل: كذب (٣) زيد من ظ و م و مد والصحيح. (٤) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: بيوم (٥) زيد فى صحيح البخارى ٢/١١١٤: شيئا (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: عرف (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل وم: سبب.

و اثبت[1] جميع الملك له وحده، أمره صلى الله عليه و سلم بأن يقررهم بما يلزم منه ذلك فقال: ﴿ قل من يرزقكم ﴾ و لما كان كل شيء من الرزق متوقفا على الكونين، و كان فى معرض الامتنان و التوبيخ جمع لئلا ٢٩٥ / / يدعى أن لشيء من العالم العلوى مدبرا غيره سبحانه فقال: ﴿من السمٰوٰت﴾ و قال: ﴿و الارض[1]﴾ بالإفراد لأنهم لا يعلمون غيرها.

و لما كان من المعلوم أنهم مقرّون بأن ذلك لله وحده كما تقدم التصريح به غير مرة، [2]و كان[3] من المحقق أن إقرارهم بذلك ملزم لهم[2] الإخلاص فى العبادة عند كل من له أدنى مسكة من عقله، أشار إلى ذلك [بالإشارة - [4]] بأمره صلى الله عليه و سلم بالإجابة إلى أنهم كالمنكرين لهذا، لأن إقرارهم به لم ينفعهم فقال: ﴿ قل الله [5] ﴾ أى [الملك الأعلى - [5]] وحده، و أمره [بعد إقامة - [6]] هذا الدليل [البين - [6]] بان يتبعه[6] ما هو أشد عليهم من وقع النبل بطريق لا أنصف منه، و لا يستطيع أحد أن يصوب إليه نوع طعن بأن يقول مؤكدا تنبيها على وجوب إنعام النظر فى تمييز المحق من المبطل بالانخلاع من الهوى، فان الأمر فى غاية الخطر: ﴿ و انآ ﴾ أى أهل التوحيد فى العبادة لمن تفرد بالرزق[7] ﴿ او اياكم ﴾ أى[8] أهل الإشراك به من لا يملك شيئا

(١) فى ظ: اتبع (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكان (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتبع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الرزق (٨) سقط من ظ و م و مد.

من

من الأشياء و «او» على بابها لابمعنى الواو، أى إن أحد فريقينا[1] على إحدى الحالتين مبهمة[2] غير معينة فهو على خطر عظيم لكونه فى شك من أمره غير مقطوع له بالهدى، فانظروا بعقولكم فى تعيينه هل هو الذى عرف [الحق -[3]] لأهله أو[4] الذى بذل الحق لغير أهله، قال ابن الجوزى: و هذا كما تقول للرجل تكذبه: و الله إن أحدنا لكاذب، و أنت تعنيه تكذيبا غير مكشوف[5] و يقول الرجل: و الله لقد قدم فلان، فيقول له من يعلم كذبه: قل إن شاء الله، فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب، يعنى و لا سيما بعد إقامة الدليل على المراد ثم مثل المهتدين بمن هو على متن جواد يوجهه حيث شاء من الجواد بقوله: ﴿ لعلىٰ هدى ﴾ أى فى متابعة ما ينبغى أن يعمل مستعلين عليه ناظرين لكل ما يمكن أن يعرض فيه مما قد يجر إلى ضلال فتنكبه[6] ﴿او فى ضلل﴾ [أى -[3]] عن الحق فى الاعتقاد المناسب فيه منغمسين فيه و هو محيط بالمبتلى به لايتمكن معه من وجه صواب: ﴿مبين ه﴾ أى واضح فى نفسه داع لكل أحد إلى معرفة أنه ضلال إلا من كان منغمسا فيه مظروفا له، فانه لا يحس بنفسه و ما بينه و بين أن يستبصر إلا أن يخرج منه وقتا ما فيعلم أنه كان فى حاله ذلك فاعلا ما لايفعله

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و «سا» ـ كذا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مهمة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مكشوفا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتتشكبه.

من له نوع من العقل ، فني هذا حث على النظر الذى كانوا يابونه بقوله "قلوبنا فى اكنة" و نحوه فى[١] الأدلة التى يتميز بها الحق من الباطل على أحسن وجه بأنصف دعاء و ألطف نداء حيث[٢] شرك الداعى نفسه معهم فيما دعاهم إلى النظر فيه ، فالمعنى أنه يتعين على كل منا - إذا كان على إحدى[٣] الطريقين مبهمة - أن ينظر فى أمره[٤] ليسلم فان الأمر فى غاية الوضوح مع[٥] أن الضال فى نهاية الخطر ، و لقد كان الفضلاء من الصحابة رضى الله تعالى عنهم و ذوو[٦] الأحلام و النهى منهم يقولون ذلك بعد[٧] الإسلام كخالد بن الوليد و عمرو بن العاص . و ناهيك بهما جلالا ، و نباهة و ذكاء و كمالا ، قالوا : و الله لقد كنا نعجب غاية العجب ممن يدخل فى الإسلام و اليوم [نحن -[٨]] نعجب غاية العجب ممن يتوقف عنه[٩] .

و لما كانوا بين أمرين : إما أن يسكتوا فيعلم كل سامع أن الحجة لزمتهم ، و إما أن يقولوا بوقاحة و مكابرة : أنتم فى الضلال و نحن على الهدى ، و كان الضال[١٠] لا يزال يقطع ما ينبغى وصله بوصل ما يجب قطعه ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : أحد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفسه (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الضلال .

أمره أن يجيبهم على هذا / التقدير بما [هو -[1]] أبلغ فى الإنصاف من الأول بقوله: ﴿قل لاتسئلون﴾ أى من[2] سائل ما ﴿عمآ اجرمنا﴾ أى قطعنا فيه ما ينبغى أن يوصل بما[3] أوجبه لنا الضلال ﴿و لانسئل﴾ أى أصلا فى وقت من الأوقات [من سائل ما -[4]] ﴿عما تعملون ﴾ أى عما بنيتموه عـلى العلم الذى أورثكموه الهدى أى فاتركونا و الناس غيركم كما أنا نحن تاركوكم، فمن وضح له شىء من الطريقين سلكه. /٢٩٦

و لما كانوا إما أن يجيبوا إلى المتاركة فيحصلوا بها المقصود عن قريب[5]، و إما أن يقولوا: لانتركم، و كان هذا الاحتمال أرجح، أمره أن يجيبهم على تقديره بقوله: ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ أى فى[6] قضائه المرتب[7] على قدره فى الدنيا أو فى الآخرة، قال القشيرى: و الشيوخ ينتظرون فى الاجتماع زوائد و يستروحون[8] إلى هذه الآية، و للاجتماع أمر كبير فى الشريعة.

و لما كان إنصافهم[9] منهم فى غاية البعد عندهم، و كان ذلك فى نفسه فى غاية العظمة، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ثم يفتح﴾ أى يحكم ﴿بيننا﴾ حكما يسهل به الطريق ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و م و مد: قليل (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المترتب (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يستريحون (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اتصافهم.

لا يقدر أحد منا و لا منكم على التخلف عنه، و هو العدل أو الفضل من غير ظلم و لا ميل . و لما كان التقدير: فهو الجامع القدير، عطف عليه قوله: ﴿ و هو الفتاح ﴾ أى البليغ[1] الفتح لما انغلق، فلم يقدر احد على فتحه ﴿العليم ﴾ اى البالغ العلم بكل دقيق و جليل مما يمكن فيه الحكومات، فهو القدير على فصل جميع الخصومات .

و لما كانوا قد أنكروا البعث على ذلك الوجه الذى تقدم، و دل على قدرته عليه بما نصب من الأدلة التى شاهدوها من أفعاله بالبصر أو البصيرة إيجادا و إعداما، و أقام الحجة[2] على صحة الدعوة و بطلان ما هم عليه، ثم تهددهم بالفصل يوم الجمـــع، و ختم بصفة العلم المحيط المستلزم للقدرة الشاملة، وكانت القدرة لا تكون شاملة إلا عند الوحدانية، أمره بما يوجب لهم القطع بوحدانيته و شمول قدرته بقوله: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين .

و لما كانت آلهتهم تسهل رؤيتها، و كان كل ما هو كذلك سافل المقدار عن هذه الرتبة، و كانت آلهتهم بالخصوص أدنى الأشياء عن ذلك بكونها من أخس الجمادات، نبه على ذلك و على أنها نكرة لا تعرف بقلب و لا تدل عليها فطرة زيادة فى تبكيتهم بقوله: ﴿ اروني الذين ﴾ و لما لزم مما ثبت له سبحانه من صفات الكمال [العلو - [3]] الذى لا يدانيه

(١) زيد فى الاصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٢) فى ظ وم و مد: الحجج (٣) زيد من ظ و م و مد .

أحد بوجه قال: ﴿ ألحقتم به ﴾ و لما كان الإلحاق [1] يقتضي و لابد [1] تصور الملحق عن الملحق به، أشار إلى فرط جهلهم بتسويتهم به بقوله: ﴿ شركآء ﴾ ثم نبه بعد إبطال قياسهم على أنهم في غاية الجلافة و الجمود فهم كالأنعام بما قرعهم به من الزجر [2] في قوله [2] مؤكدا تكذيبا لهم في دعوى الشرك: ﴿ كلا ﴾ أي [2] ارتدعوا و انزجروا [2] فليس و الله الأمر كما ذكرتم و لا قريب منه ﴿ بل هو ﴾ أي المعبود بالحق الذي لا يستحق أن يسمى هو [3] غيره ﴿ الله ﴾ أي الذي اختص بالحمد في الأولى و الآخرة ﴿ العزيز ﴾ أي الذي لا مثل له، و كل شيء محتاج إليه [4]، و هو غالب على كل شيء غلبة لا يجد [5] معها ذلك الشيء وجه مدافعة [2] و لا انقلاب، و لا وصول لشيء إليه إلا / باذنه ﴿ الحكيم ﴾ أي المحكم لكل ما يفعله فلا /٢٩٧ يستطيع احد [2] نقض شيء [منه - [6]] فكيف يكون له شريك و أنتم ترون [له - [7]] من هاتين الصفتين المنافيتين لذلك و تعلمون عجز من أشركتموه به عن أن يساويكم مع ما تعلمون من عجزكم.

و لما ختم بوصف الحكمة فتم برهان القدرة التي [8] كان أوجب اعتقادهم لعدم البعث ما يقتضي نقصا فيها، و لزم عن ذلك التوحيد و بطل [الشرك - [7]]، لم يبق إلا إثبات الرسالة التي أوجب [9] ترديدهم

(١ - ١) من ظ و م و مد، و في الأصل: لا بد يقتضي (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: به (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: له (٥) من ظ وم و مد، و في الأصل: لا يجب (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الذي (٩) سقط من ظ

أخباره[1] صلى الله عليه و سلم بين الكذب و الجنون الطعن فيها، فعلم أن التقدير: أرسل إليكم رسوله بعزته مؤيدا له بإعجاز هذا القرآن بحكمته دليلا على صدقه و كماله فى جبلته و تأهله لبدائع نعمته و معالى رحمته، و كان فى ذلك دليل الصدق فى الرسالة؛ فنسق به قوله معليا لشأنه بالخطاب فى مظهر العظمة، إشارة إلى أنه ينبغى أن يتدرع جلابيب الصبر على جميع المكاره الصادرة من أنواع الخلق فى أداء الرسالة بقوله عاطفا[2] على «و لقد آتينا داود منا فضلا»، مؤكدا تكذيبا لمن يدعى الخصوص: ﴿و ما ارسلنك﴾ أى بعظمتنا ﴿الا كآفة﴾ أى إرسالا عاما شاملا لكل ما شمله إيجادنا، تكفهم عما لعلهم[3] أن ينتشروا إليه من متابعة الأهوية، و تمنعهم عن[4] أن يخرج عنها منهم أحد، فالتاء فى "كافة" للمبالغة. و عبارة ابن الجوزى: أى[5] عامة لجميع الخلائق ﴿للناس﴾ أى كل من فيه قابلية لأن ينوس[6] من الجن و الإنس و غيرهم من جميع ما سوى الله و إن آذوك بكل أذى [7]من النسبة[7] إلى الافتراء أو[8] الجنون أو غيرهما. فحال الإرسال محصور فى العموم للغرض الذى ذكر من التدرع لحمل المشاق، لا فى الناس، فانه لو أريد ذلك لقدموا فقيل: إلا للناس كافة[4]،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخبارهم (٢) فى ظ: عطفا (٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لهم (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يونس. (٧-٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل: بالنسبة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و».

و قد مضى فى أوائل الأنعام عن السبكى ما ينفع هنا ، و المعنى أن داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له و الطير و الحديد ، و سليمان عليه السلام بما ذكر له ، ففضيلتك أنت بالإرسال إلى كل من [١] يمكن نوسه ، فالحصى سبحت فى كفك ، و الجبال أمرت بالسير معك ذهبا و فضة ، و الحمرة شكت إليك أخذ فراخها أو [٢] بيضها ، و الضب شهد لك ، و الجمل شكا إليك و سجد لك ، و الأشجار أطاعتك ، و الأحجار سلمت عليك و [٣] ائتمرت بأمرك [٤] إلى غير ذلك من كل من [٥] ينوس بالفعل أو القابلية - والله أعلم ، و أما الجن فحالهم مشهور ، و أما الملائكة فالدلائل على الإرسال إليهم فى غاية الظهور ، [و فى دلائل النبوة فى باب التحدث بالنعمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية دليل على فضل النبى صلى الله عليه و سلم على الأنبياء بعموم الرسالة للانس و الجن - [٦]] .

و لما كانت البشارة هى الخبر الأول الصدق السار ، و كان فى ذكرها رد قولهم فى الكذب و الجنون ، قال : ﴿ بشيرا و نذيرا ﴾ أى لمن أهل للبشارة [٧] أو النذارة . و لما كان هذا الإرسال مقرونا بدليله من الإتيان بالمعجز فى نفسه من جهة البلاغة فى نظمه و بالمعانى المحكمة فى البشارة و النذارة و غير ذلك ، قلب عليهم قولهم الذى لا دليل عليه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٢) فى ظ « و » (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البشارة .

و لا شبهة تصوب إليه فى حقه صلى الله عليه و سلم بقوله الذى [هو -[1]] أوضح من الشمس دليلا ، و أقوم كل قيل قيلا : ﴿ و لـكن ﴾ و لما كان الناس الأولين كل من فيه قابلية النوس و هم جميع الخلائق و اكثرهم [غير -[1]] عاص. أظهر مريدا الثقلين من الجن و الإنس فقال : ﴿ اكثر الناس لايعلمون ﴾ أى ليس لهم قابلية العلم فيعلموا أنك رسول الله فضلا عن أن إرسالك عام ، بل هم كالأنعام ، فهم لذلك لا يتأملون فيقولون « افترى ام به جنة » و نحو هذا من غير تدبر لما فى هذا الكتاب من الحكمة و الصواب مع الإعجاز . فى حالى الإطناب و الإيجاز ، و الإضمار و الإبرز ، فيحملهم جهلهم على المخالفة و الإعراض[2] .

و لما سلب[3] عنهم العلم ، أتبعه دليله ، فقال معبرا بصيغة المضارعة الدال على ملازمة التكرير للاعلام بأنه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد[4] : ﴿ و يقولون ﴾ أى ما أرسلناك إلا [على -[5]] هذا الحال [و الحال -[1]] أن المنذرين يقولون جهلا منهم بعاقبة ما يوعدونه غير مفكرين فى وجه الخلاص منه و التفصى عنه فى كل حين استهزاء[6] منهم : ﴿ متىٰ هذا الوعد ﴾ أى بالبشارة و النذارة فى يوم الجمع و غيره فسموه وعدا زيادة فى الاستهزاء[6] . و لما كان قول الجماعه أجدر بالقبول ، و أبعد عن الرد من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استرشاد .
(٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

قول الواحد، أشار إلى زيادة جهلهم بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أي[1] أيها النبي و أتباعه! كونا أنتم [2]عريقون فيه[2] ﴿صدقين ﴾ [أي -[3]] متمكنين في الصدق .

و لما تبين من سؤالهم أنه لم يكن للاسترشاد و إن هم بالغوا به في التكذيب و الاستهزاء بعد الإبلاغ في إقامة الأدلة، أمره بأن يجيبهم بما يصلح للمعاند من صادع التهديد بقوله: ﴿ قل لكم ﴾ [أي - [3]] أيها الجامدون الأجلاف الذين لا يجوزون الممكنات، و لا يتدبرون ما[4] أوضحها من الدلالات، مع ضعفهم عن الدفاع، و المغالبة و الامتناع ﴿ميعاد يوم﴾ أي لا تحتمل[5] العقول وصف عظمه لما يأتي فيه من العقاب سواء كان يوم[6] الموت أو البعث . و لما كان تعلق النفوس بالمهلة عظيما، قال: ﴿لا تستاخرون﴾ أي لا يوجد تأخركم و لا يمكن أن يطلب لحثيث الطلب و تعذر الهرب[7] ﴿ عنه ساعة ﴾ لأن الآتي به عظيم القدرة محيط العلم، و لذلك قال: ﴿و لا تستقدمون ﴾ أي لا يوجد تقدمكم لحظة فما دونها و لا تتمكنون من طلب ذلك .

و لما دل سبحانه بملازمتهم للاستهزاء بهذا الإنذار على أنهم غير

(١) زيد في الأصل: يا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ وم و مد، و في الأصل: فيه عريقون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ وم، و في الأصل: من، و الكلمة ساقطة من مد (٥) من ظ وم و مد، و في الأصل: لا تحمل (٦) من ظ و م و مد . و في الأصل: بعد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: المهرب .

منفكين عن مذاهب الكفار، ذكر تصريحهم بذلك و حالهم فى بعض الأوقات المنطبقة عليها الآية السالفة فى قوله. ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ حيث عبر بالموصول و صلته فى موضع الضمير، و اكتفى بالماضى هنا لصراحته [1]فى المقصود و كفايته فى الحكم بالكفر، فقالوا مؤكدين قطعا للأطماع عن دعائهم: ﴿ لن نؤمن ﴾[1] أى نصدق أبدا[2]، و صرحوا بالمنزل عليه صلى الله عليه و سلم بالإشارة فقالوا: ﴿ بهذا القرآن ﴾ أى و إن جمع جميع[3] الحكم و المقاصد المضمنة[4] لبقية الكتب ﴿ و لا بالذى بين يديه ﴾ أى قبله من الكتب: التوراة و الإنجيل و غيرهما. بل نحن قانعون بما أدبنا به آباؤنا، و ذلك أن بعض أهل الكتاب أخبروهم أن صفة هذا النبى عندهم فى كتبهم، فاغضبهم ذلك فقالوه[5]: ﴿ و لو ﴾ أى و الحال أنك ﴿ ترى ﴾ أى يوجد منك رؤية لحالهم ﴿ اذ ﴾ هم - هكذا كان[6] الأصل، و لكن أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به فقال: ﴿ الظلمون ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير محالها فيصدقون آباءهم لإحسان يسير مكدر بغير دليل، و لا يصدقون ربهم الذى لا نعمة عندهم و لا عند آبائهم إلا منه، و قد أقام لهم أدلة العقل بما ضرب لهم من الأمثال فى الآفاق و فى أنفسهم، و النقل بهذا القرآن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بدا. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتضمنة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فقالوا (٦) سقط من ظ و م.

المدلول على صدقه بعد إظهار المعجزات / المحسوسات [بعجزهم عنه، فكأنهم سمعوه من الله المنعم الحق ﴿ موقوفون ﴾ أى بعد البعث بما يوقفهم من قدرته بأيدى جنوده أو بغيرها -[1]] بأيسر أمر منه سبحانه قهرا لهم و كرها منهم : ﴿ عند ربهم ج‍صلے ﴾ أى الذى أحسن إليهم فطال إحسانه فكفروا كلما أحسن به إليهم ﴿ يرجع بعضهم ﴾ أى على وجه الخصام عداوة، [و -[2]] كان سببها موادتهم فى الدنيا بطاعة بعضهم لبعض فى معاصى الله، قال القشيرى : و من عمل بالمعاصى أخرج الله عليه كل من هو أطوع له، و لكنهم لا يعلمون ذلك، و لو علموا لاعتبروا، و لو اعتبروا لتابوا و توافقوا، و لكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴿ الى بعض نالقول[3] ج ﴾ أى [4]بالملاومة و المباكتة[4] و المخاصمة، لرأيت[5] أمرا فظيعا منكرا هائلا شنيعا مقلقا وجيعا[6] يسرك منظره، و يعجبك منهم أثره و مخبره، من ذلهم و تحاورهم و تخاذلهم حيث لا ينفعهم شىء من ذلك. ٢٩٩ /

و لما كان هذا مجملا، فسره بقوله على سبيل الاستئناف : ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ أى وقع استضعافهم ممن هو فوقهم فى الدنيا و هم الأتباع فى تلك الحالة[7] على سبيل اللوم و التأنيب ﴿ للذين استكبروا ﴾ أى أوجدوا الكبر و طلبوه بما وجدوا من أسبابه التى أدت إلى استضعافهم

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) زيد من مد (٣) ليس فى الأصل فقط (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالملازمة و المباكة. (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل : ارايت (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و جعيا (٧) فى ظ و م و مد : الحال.

للأولين و هم الرؤس المتبوعون : ﴿ لولآ انتم ﴾ أى بما وجد من استتباعكم لنا على الكفر و غيره من أموركم ﴿ لكنا مؤمنين ه ﴾ أى عريقين فى الإيمان لأنه لم يكن عندنا كبر من أنفسنا يحملنا على العناد للرسل .

و لما لم يتضمن كلامهم سوى قضية[1] واحدة ، ذكر الجواب عنها بقوله تعالى : ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ على طريق الاستئناف ﴿ للذين استضعفوآ ﴾ ردا عليهم و إنكارا لقولهم أنهم هم الذين صدوهم : ﴿ انحن ﴾ خاصة ﴿ صددنكم ﴾ أى منعناكم و صرفناكم ﴿ عن الهدٰى ﴾ و لما كانوا لا يؤاخذون[2] باهمال دليل العقل قبل إتيان الرسل ، أشاروا إلى ذلك بقولهم : ﴿ بعد اذ جآءكم ﴾ أى على ألسنة[3] الرسل .

و لما كان المعنى : إنا لم نفعل ذلك ، حسن أن يقال : إنهم[3] هم الذين ضلوا بأنفسهم لا باضلالهم ، فقالوا[4] : ﴿ بل كنتم ﴾ اى جبلة و خلقا ﴿ مجرمين ه ﴾ أى عريقين فى قطع ما ينبغى وصله بعد إتيان الهدى مختارين لذلك كما كنتم قبله أتباعا لنا ما ردتم و لا ردنا ، و لما تضمن قولهم امرين : ادعاء عراقتهم فى الإجرام ، و إنكار كونهم سببا فيه ، أشار إلى ردهم للثانى بالعاطف على غير معطوف عليه إعلاما بأن التقدير : قال الذين استضعفوا : كذبتم فيما ادعيتم من عراقتنا فى الإجرام : ﴿ و قال الذين استضعفوا ﴾ عطفا على هذا المقدر ﴿ للذين استكبروا ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قصة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوحدون (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال .

ردا لإنكارهم صدهم: ﴿بل﴾ الصاد لنا ﴿مكر اليل و النهار﴾ أى الواقع فيهما من مكركم [1]بنا، أو[1] استعير إسناد المكر إليهما لطول السلامة فيهما، و ذلك للاتساع[2] فى الظرف فى إجرائه مجرى المفعول به ﴿اذ تامروننآ﴾ على الاستمرار ﴿ان نكفر بالله﴾ أى الملك الأعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل[3] إتيان الرسل ﴿و نجعل له اندادا﴾ اى أمثالا نعبدهم من دونه ﴿و اسروا﴾ أى يرجعون و الحال أن الفريقين أسروا ﴿الندامة لما[4]﴾ أى حين ﴿راوا العذاب﴾ لأنهم بينما هم فى تلك المقاولة و هم يظنون أنها تغنى عنهم شيئا و إذا بهم قد بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون فأبهتهم فلم يقدروا لفوات المقاصد و خسران النفوس[5] أن ينبسوا[5] بكلمة، و لأجل أن العذاب عم الشريف منهم و الوضيع. قال تعالى: / ﴿و جعلنا الاغلل﴾ أى الجوامع التى تغل اليد إلى العنق / ٣٠٠ ﴿فى اعناق الذين كفروا﴾ فأظهر موضع الإضمار تصريحا بالمقصود و تنبيها على الوصف الذى أوجب لهم ذلك.

و لما كانت أعمالهم لقبحها ينبغى البراءة منها، فكانت بملازمتهم[6] لها كأنها قد قهرتهم على ملازمتها و تقلدها طوق الحمامة [فهم يعاندون الحق من غير إلتفات إلى دليل -[7]]، قال منبها على ذلك جوابا لمن كأنه

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لنا و (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاتباع (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٤) ليس فى الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بملازلتهم - كذا (٧) زيد من ظ و مد.

قال : لم خصت أعناقهم و أيديهم [1]بهذا العذاب[1] ؟ : ﴿ هل يجزون ﴾ أى بهذه الأغلال ﴿ الا ما كانوا ﴾ أى كونا هم عريقون فيه ﴿ يعملون ه ﴾ أى على سبيل[2] التجديد و الاستمرار مما يدعون أنهم بنوه عـلى العلم ، و ذلك الجزاء ـ و الله أعلم ـ هو ما يوجب قهرهم و إذلالهم و إخزاءهم[3] و إنكاءهم و إيلامهم كما[4] كانوا يفعلون مع المؤمنين و يتمنون لهم .

و لما كان فى هذا تسلية أخروية ، أتبعه التسلية الدنيوية ، فقال[5] عطفا[5] على ما تقديره : و ما أرسلنا غيرك إلا إرسالا خاصا لأمته ، عطفا على "و ما ارسلنك الا كافة" و ساقه مؤكدا لأن مضمونه ـ لكونه فى غاية الغرابة ـ مما لايكاد يصدق : ﴿ و ما ارسلنا[6] ﴾ أى بعظمتنا . و لما كان المقصود التعميم ، لأنه لم يتقدم قول قريش ليخص التسلية بمن قبلهم ، أسقط القبلية بخلاف ما فى سورة الزخرف فقال : ﴿ فى[7] قرية ﴾ و أكد النفى بقوله : ﴿ من نذير ﴾ أى ينذرهم وخامة ما أمامهم من عواقب أفعالهم ، و دل بافراده عن البشارة أن غالب الأمم الماضية من أهل النذارة لتظهر مزية هذه الأمة ، و لعله عبر به إشارة إلى[8] الناسخين للشرائع التى قبلهم دون المجددين من أنبياء بنى إسرائيل فان بعضهم

(١ ـ ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العذاب قال (٢) ظ و م و مد ، و فى الاصل : حيث (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أحزانهم . (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاطفا (٦) فى الأصل فقط : ارسلناك (٧) فى الأصل فقط : من (٨) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

لم يكذب ﴿الا قال مترفوها لا﴾ أى العظماء الذين لا شغل لهم إلا التنعم بالفانى حتى أكسبهم[١] البغى و الطغيان: ﴿انا بمآ ارسلتم به﴾ أى أيها المنذرون ﴿كٰفرون ه﴾ أى و إذا قال المنعمون ذلك تبعهم المستضعفون فاذا وقفوا عندنا تقاولوا بما تقدم ثم لم ينفعهم ذلك ﴿و قالوا﴾ مفاخرين[٢] و دالين على أنهم فائزون [كما - [٣]] قال لك هؤلاء كأنهم تواصوا به: ﴿نحن اكثر﴾ .

و لما كانت الأموال فى الأغلب سببا لكثرة الأولاد بالاستكثار من النساء الحرائر[٤] و الإماء، قدمها فقال: ﴿اموالا و اولادا﴾ أى فى هذه الدنيا، و لو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك ﴿و ما نحن﴾ أى الآن ﴿بمعذبين ه﴾ أى بثابت عذابنا، و إنما تعرض لنا أحوال خفيفة من مرض و شدائد هى أخف من أحوالكم ، و حالنا الآن دليل على حالنا فيما يستقبل من الزمان كائنا[٥] ما كان، فان الحال نموذج المآل، و الأول دليل الآخر، فان كان ثم آخرة كما تقولون فنحن أسعد منكم فيها كما نحن أسعد منكم الآن ، و لم تنفعهم قصة سبا فى ذلك فانهم لو تأملوها لكفتهم، و أنارت [أبصار -[٦]] بصائرهم. و صححت أمراض قلوبهم و شفتهم، فانهم كانوا أحسن الناس حالا ، فصاروا أقبحهم[٧] مآلا .

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكبهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مفارضين (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحرار (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: حالا و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كانت[1] لشبهتهم هذه شعبتان [2]تتعلق إحداهما[2] بالذات و الأخرى بالثمرات، بدأ بالأولى لأنها أهم، فقال مؤكدا[3] تكذيبا لمن يظن أن سعيه يفيد فى الرزق شيئا لو لا السعى ما كان: ﴿قل﴾ يا أكرم الخلق على الله! مؤكدا لأجل إنكارهم لأن[4] يوسع فى الدنيا على[5] من لا يرضى فعله: ﴿إن ربى﴾ أى المحسن إلىّ بالإنعام بالسعادة الباقية ﴿يبسط الرزق﴾ أى يجدده فى كل وقت أراده بالأموال و الأولاد و غيرها ﴿لمن يشآء و يقدر﴾ أى يضيق على من يشاء منكم و منا / و من غيرنا ٣٠١/
من سائر الأمم المخالفين لنا و لكم فى[6] الأصول [مع -[7]] أنه لا يمكن أن يكون جميع[8] الموسع عليهم على ما هو حق عنده[9] و مرضى له، لاختلافهم فى الأصول و تكفير بعضهم لبعض، فان الله معذب بعضهم لامحالة، فبطلت شبهتهم، و ثبت أنه يفعل ما يشاء ابتلاء و امتحانا، فلا يدل البسط على الرضى و لا القبض على السخط - على ما عرف من سنته فى هذه الدار ﴿و لكن أكثر الناس﴾ أى الذين لم يرتفعوا[10] عن حد النوس و الاضطراب ﴿لا يعلمون ع﴾ أى ليس [لهم - [7]]

---

(١) فى م و مد: كان (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متعلق أحدهما.
(٣) زيد فى الأصل: تنبيهاو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مع (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جمع (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عندهم (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يرافعوا.

علم

علم ليتدبروا به ما ذكرنا[1] من الأمر فيعلموا أنه ليس كل موسع عليه فى دنياه سعيدا فى عقباه .

و لما هدم ما بالذات، أتبعه ما بالثمرات، فقال مؤكدا تكذيبا لدعواهم: ﴿ و مآ اموالكم ﴾ أى أيها الخلق الذين[2] أنتم من جملتهم و إن كثرت، وكرر النافى تصريحا بابطال كل على[3] حياله فقال: ﴿ و لآ اولادكم ﴾ كذلك، و أثبت الجار تأكيدا للنفى فقال واصفا الجمع المكسر بما هو حقه من التأنيث: ﴿ بالتى ﴾ أى بالأموال و الأولاد التى ﴿ تقربكم عندنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة بتصرفاتكم فيها بما يكسب المعالى ﴿ زلفى[3] ﴾ أى درجة علية و قربة مكينة ، قال البغوى[4] : قال الأخفش : هى[5] اسم مصدر كأنه قال: تقريبا، ثم استثنى من ضمير الجمع الذى هو قائم مقام أحد، فكأنه قيل: لاتقرب أحـــدا[6] ﴿ الا من ﴾ أو يكون المعنى على حذف مضاف، أى [7]إلا أموال و أولاد[7] من ﴿ امن ﴾ أى منكم ﴿ و عمل ﴾ تصديقا لإيمانه على ذلك الأساس ﴿ صالحا ﴾ أى فى ماله بانفاقه فى سبيل الله و فى ولده بتعليمه الخير .

و لما منّ على المصلحين من المؤمنين فى أموالهم و أولادهم بأن جعلها[8] سببا لمزيد قربهم، دل على ذلك بالفاء فى قوله: ﴿ فاولٓـئك ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) سقط من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٤٠. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هو ، و فى المعالم : قربى (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : أحد (٧-٧) من مد، وفى الأصل وظ وم : الأموال و الأولاد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجعلها .

أى العالو الرتبة ﴿ لهم[1] جزآء الضعف ﴾ أى بأن[2] يأخذوا جزاءهم مضاعفا فى نفسه من عشرة أمثال إلى ما لا نهاية له، و مضاعفا بالنسبة إلى جزاء من تقدمهم من الأمم، و الضعف: الزيادة ﴿ بما عملوا ﴾ فان أعمالهم ثابتة محفوظة بأساس الإيمان ﴿ و هم فى الغرفت ﴾ أى العلالى المبنية فوق البيوت[3] فى الجنان[4]، زيادة على ذلك ﴿ امنون ﴾ أى ثابت أمنهم دائما، لا خوف عليهم من شىء من الأشياء أصلا، و أما غيرهم و هم المرادون بما بعده فأموالهم و أولادهم وبال عليهم.

و لما كان فى سياق الترغيب فى الإيمان بعد الإخبار بأنه بشير و نذير، قال معبرا بالمضارع [5]بيانا لحال[5] من يعده ماله [6]و ولده من الله[6]: ﴿ و الذين يسعون ﴾ أى يجددون السعى من غير توبة بأموالهم و أولادهم ﴿ فى ءايتنا ﴾ على ما لها من عظمة الانتساب إلينا ﴿ معجزين ﴾ أى طالبين تعجيزها أى تعجيز الآتين بها عن إنفاذ مراداتهم بها[7] بما يلقونه من الشبه فيضلون غيرهم بما أوسعنا عليهم و أعززناهم بـه من الأموال و الأولاد..

و لما كان سبحانه قد بت الحكم بشقاوتهم، و أنفذ القضاء بخسارتهم، أسقط فاء السبب إعراضا[7] عن أعمالهم [8]و قال[8]: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: أن (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: البيت (٤) فى ظ و م و مد: الجنات (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بيان الحال (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إعراضهم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

البغضاء ﴿ في العذاب ﴾ اي المزيل للعذوبة ﴿ محضرون ﴾ أي يحضرهم فيه الموكلون بهم من جندنا على أهون وجه و أسهله و هم داخرون ، قال القشيري : إن هؤلاء هم الذين لا يحترمون الأولياء و لا يراعون حق الله في السر ، فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله و عذاب الوقوع بشوم[1] ذلك في ارتكاب محارم الله ثم / في عذاب السقوط من عين الله . ٣٠٢ /

و لما أبطل شبهتهم بشعبتيها بالنسبة إلى الأشخاص المختلفة ، قرب ذلك بدليل واحد في شخص واحد فقال : ﴿ قل ﴾ يا أشرف الخلق لهؤلاء الجهلة الذين يظنون أن الرزق بحسب حسن السعي و قبحه[2] أو حسن[2] حال الشخص عند الله و قبحها : ﴿ ان ربي ﴾ [أي -[3]] المحسن إلي بهذا البيان المعجز ﴿ يبسط الرزق ﴾ أي متى شاء ﴿ لمن يشآء من عباده ﴾ أي على سبيل التجدد المستمر من أي طائفة كان ﴿ و يقدر له ﴾ أي يضيق عليه نفسه في حالتين متعاقبتين ، و هو بصفة واحدة على عمل واحد ، فلو[4] أن الإكرام و الإنعام يوجب الدوام لما تغيرت حاله من السعة إلى الضيق ، و لو أن في يده نفع نفسه لما اختلف حاله .

و لما بين هذا البسط أن فعله بالاختيار بعد أن بين بالأول كذبهم في أنه سبب للسلامة من النار ، دل على انه الفاعل لا غيره بقوله : ﴿ و مآ انفقتم من شيء ﴾ أي أنتم و أخصامكم و غيرهم ﴿ فهو يخلفه ج ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بسوء (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و احسن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فلولا .

أى لا غيره بدليل أن المنفق قد يجتهد كل الاجتهاد فى الإخلاف فلا ينفق، فدل ذلك على انه المختص بالإخلاف، و لأن هذا هو المعنى لا أنه ضمن الإخلاف لكل ما ينفق على أى وجه كان، قال مجاهد كما نقله الرازى فى اللوامع : إذا كان فى يد أحدكم شىء فليقتصد و لا يتأول الآية، فان الرزق مقسوم، و ما عال من اقتصد - كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا، و المعنى أنه قد دل الإخلاف على جميع الأشكال و الأضداد على أن الأمر فيه على غير ما ظننتم من الإسعاف به فى وقت موجب للاكرام على الدوام، و أن ذلك إنما هو لضمانه الرزق لكل أحد بحسب ما قسمه له على ما سبق به علمه و قدرته[1] حكمته، و تارة يكون إخلافه حسا و بالفعل، و تارة يكون معنى و بالقوة، بالترضية بتلك الحالة التى أدت إلى العدم، قال القشيرى : و هو[2] أتم من السرور بالموجود، و من ذلك الأنس بالله فى الخلوة، و لا يكون ذلك إلا مع التجريد[3] - انتهى. و المنفق بالاقتصاد داخل إن شاء الله تعالى تحت قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان : البخارى[4] و مسلم[5] عن ابى هريرة رضى الله عنه « قال الله تعالى : أنفق أنفق عليك » و ما روى الشيخان[6] و ابن حبان فى صحيحه ايضا « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان[7] يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا، و يقول

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : هم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : التجديد. (٤) فى أبواب النفقات وغيرها (٥) فى أبواب الزكاة (٦) راجع أبواب الزكاة من صحيحيهما (٧) زيد فى الأصل : يقولان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

الآخر

الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفاء فهو خير الموسعين[1] ﴿ و هو خير الرزقين ﴾ أى الذين تعدونهم هذا العداد ممن يقيمهم "هو سبحانه"[2] لكم فتضيفون الرزق إليهم، فانهم وسائط لايقدرون إلا على ما قدرهم، و أما هو سبحانه فهو يوجد المعدوم، و يرزق من يطيعه و من يعصيه، و لايضيق ترزيقه بأحد، و لا يشغله فيه أحد عن أحد، بل يبعث فى كل يوم لكل أحد رزقه فى آن واحد كما ينشر عليهم نوره بالشمس فى آن واحـــد من غير توقيف لذلك على شيء من الأشياء غير ما سبق به العلم فى الأزل.

و لما أبطل شبهتهم فعلم بذلك أن الأمر كله له، و أنهم فى محل الخطر[3]، و كان قد بقى[4] من شبهتهم أنهم يقولون: نحن نعبد الملائكة فهم يشفعون لنا، و كان الأنبياء عليهم السلام لاينكرون أن الملائكة مقربون أبطل ما يتعلقون به منهم، و بين أنه لا أمر لهم و أنهم بريئون منهم، فقال عاطفا على " اذ الظلمون ": ﴿ و يوم يحشرهم[5] ﴾ أى نجمعهم جمعا / ٣٠٣
بكره بعد البعث. و عم التابع و المتبوع بقوله: ﴿ جميعا ﴾.

و لما كانت مواقف الحشر طويـــلة و زلازله مهولة قال: ﴿ ثم نقول[5] للملئكة ﴾ أى توبيخا للمشركين و إقناطا مما يرجون منهم من الشفاعة. و لما كانت العبادة لاتنفع إلا إذا كان المعبود راضيا بها و كانت خالصـــة، قال مبكتا للمشركين و موبخا ليكون هناك سؤال و جواب

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الواسعين (٢ - ٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: سبحانه هو (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النظر.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفى (٥) و قراءة حفص بالياء التحتانية.

فيكون التقريع أشد و الخجل به أعظم، و الخوف و الهوان أتم و ألزم، و يكون اقتصاص ذلك عظة للسامعين[1]، و زجرا للجاهلين، و تنبيها للغافلين. على طريق "أأنت قلت للناس اتخذوني [2]و امي الهين من دون الله[2]" الآيات: ﴿ اهؤلآء ﴾ أي الضالون؛ و أشار إلى أنه لاينفع من العبادة إلا ما كان خالصا فقال: ﴿ اياكم ﴾ أي خاصة ﴿ كانوا يعبدون ٥ ﴾ بأفعالهم الاختيارية و القسرية ليعلم أنهم [3]عبيد لكم[3] تستحقون عبادتهم، و[4] في التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على أنه لا يعتد من العبادة إلا بالخالص ﴿ قالوا ﴾ أي الملائكة متبرئين منهم مفتتحين بالتنزيه تخضعا بين يدي البراءة [5]خوفا من حلول السطوة[5]: ﴿ سبحنك ﴾ أي ننزهك تنزيها يليق بجلالك عن أن يستحق [أحد -[6]] غيرك أن يعبد.

و لما كانوا كارهين جدا لعبادتهم، و كانت فائدة العبادة الوصلة[7] بين العابد و المعبود قالوا: ﴿ انت ولينا ﴾ أي معبودنا الذي لا وصلة بيننا و بين أحد إلا بامره ﴿ من دونهم ج ﴾ [أي من أقرب منزلة لك من منازلهم منا. فأنت أقرب شيء إلينا في كل معاني الولاية من العلم والقدرة وغيرهما، فكيف نترك الأقرب الأقوى و نتولى الأبعد العاجز - [8]] . ليس بيننا وبينهم من [9] ولاية. بل عداوة. و كذا كل

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: السائلين (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣-٣) في ظ: عبيدكم (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: الموصلة (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط من ظ و م و مد.

من تقرب إلى شخص بمعصية الله يقسى الله قلبه عليه و يبغضه فيه فيجافيه[1] و يعاديه .

و لما كان[2] من يعمل لأحد عملا لم يأمر به و لم يرضه إنما[3] عمل[3] في الحقيقة للذي دعاه إلى ذلك العمل قالوا : ﴿ بل كانوا ﴾ بأفعالهم الاختيارية الموجبة للشرك ﴿يعبدون الجن ج﴾ أي إبليس و ذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضانا [بذلك - [4]]، و كانوا يدخلون في أجواف الأصنام و يخاطبونهم و يستجيرون بهم في الأماكن المخوفة، و من هذا [5] تعس عبد الدينار و عبد الدرهم[5] و عبد القطيفة ؛ ثم استأنفوا قولهم : ﴿ اكثرهم ﴾ أي الإنس ﴿بهم﴾ أي الجن ﴿ مؤمنون ه ﴾ أي راسخون في الإشراك [لا - [4]] يقصدون بعبادتهم غيرهم، و قليل منهم من يقصد بعبادته[6] بتزيين الجن [غيرهم - [7]] و هو غير راض بها، فهي في الحقيقة لمن زينها لهم من الجن، و هم مع ذلك يصدقون ما يرد عليهم من إخبارات الجن على ألسنة الكهان و غيرهم مع ما يرون فيها من الكذب في كثير من الأوقات .

و لما بطلت تمسكاتهم، و تقطعت تعلقاتهم، تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عنه تنديمهم بقوله بلسان العظمة : ﴿ فاليوم ﴾ أي يوم مخاطبتهم

---

(١) في مد : فيجانبه (٢) زيد في الأصل : كل، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : هو (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : تعس عبد الدرهم و عبد الدينار. (٦) في ظ : بعبادتهم (٧) زيد من م و مد .

بهذا التبكيت و هو يوم الحشر ﴿ لايملك ﴾ [أى -[1]] شيئا من الملك ﴿ بعضكم لبعض ﴾ أى من المقربين و المبعدين . و لما كان المدار على الخلاص و السياق للشفاعة ، قدم النفع فقال[2] : ﴿ نفعا ﴾ و أكمل الأمر بقوله : ﴿ ولا ضرا[4] ﴾ تحقيقا لقطع جميع الأسباب التى كانت فى دار التكليف من دار الجزاء الى المقصود فيها تمام إظهار العظمة لله وحده على أتم الوجوه .

و لما كان المعنى : فاليوم نسلب الخلائق ما كنا مكناهم منه فى الدنيا من التنافع و[3] التضارر . و تلاشى[3] / بذلك كل شيء سواه ، أثبت لنفسه /٣٠٤
المقدس ما ينبغى . فقال عاطفا على هذا الذى قدرته : ﴿ و نقول ﴾ أى فى ذلك الحال من غير إمهال [4]و لا إهمال[4] ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى بوضع العبادة فى غير موضعها و لاسيما من ضم إلى ذلك إنكار المعاد عند إدخالنا لهم النار : ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ و[5] لما لم يتقدم للعذاب وصف بترديد - كما تقدم فى السجدة - و لاغيره . كان المضاف [إليه -[6]] أحق بالوصف لأنه المصوب إليه بالتكذيب فقال : ﴿ التى كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ بها تكذبون ۝ ﴾ .

و لما أخبر أنهم ابوا الإيمان[7] بالقرآن ، المخبر بالغيب من أمر الرحمن

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و قال . (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التضار و يتلاش (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم ومد (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل و ظ : بالاخبار ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

الذى

الذى هدت إليه العقول، و شاهدت آثاره العيون. فى هذا الكلام المعجز، فتظافرت على ما أخبرت[1] به أدلة السمع و البصر و العقل، و ختم بأنهم آمنوا بالجن غيبا و عبدوهم من دون الله بما لم يدع إليه عقل و لا نقل، و صدقوهم من الإخبار بما إن صدقوا فى شيء منه خلطوا معه أكثر من مائة كذبة، و سلب أعظم من ادعوا أنهم استندوا[2] إليه[3] النفع و الضر، و أسند تعذيبهم إلى تكذيبهم، أتبعه الإخبار بأنهم لازموا الإصرار على ذلك الكفر و التكذيب بما كله صدق و حكم فقال: ﴿و اذا تتلى﴾ اى فى وقت من الأوقات من أىّ تال كان ﴿عليهم﴾ [اى خاصة لم يشركهم غيرهم ليقولوا: إنه المقصود بالتلاوة. فلا يلزمهم الاستماع -[4]] ﴿ءايتنا﴾ حال كونها ﴿بينت﴾ ما قالت شيئا إلا [5]ظهرت حقيته[5] ﴿قالوا﴾ [أى على الفور من غير تأمل لما حملهم على ذلك من حظ النفس -[6]]

و لما كان المستكبرون يرون ما للرسالة من الظهور، و للرسول من القبول، و أن أتباعهم قد ظهر لهم ذلك، فمالوا إليه بكلياتهم، اكدوا قولهم: ﴿ما هذآ﴾ [أى -[6]] التالى لها على ما فيه من السمت المعلم بأنه أصدق الخلق و أعلاهم همة و أبينهم نصيحة ﴿الا رجل﴾ أى مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم، و تزيدون [7]عليه أنتم[7] بالكثرة،

(١) فى ظ و م و مد: أخبر (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: استندوا. (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل: ظهر حقيقته، و فى ظ: ظهرت حقيقته (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتم عليه.

و لم يسندوا الفعل إليهم نفيا للغرض[1] عن أنفسهم و إلهابا للخاطبين فقالوا: ﴿ يريد ان يصدكم ﴾ أى بهذا الذى يتلوه ﴿ عما كان ﴾ [دائما - [2]] ﴿ يعبد ابآؤكم[4] ﴾ أى لا قصد له إلا ذلك لتكونوا له أتباعا، و ألهبوا السامعين بتصوير آبائهم بذكر "كان" و الفعل المضارع ملازمين للعبادة ليثبتوا على كفرهم بما لادليل عليه و لا شبهة و لا داع سوى التقليد.

و لما كانت أدلة الكتاب واضحة، خافوا عاقبتها فى قبول الأتباع لها، فجزموا بأنها كذب ليوقفوهم بذلك، فحكى ذلك عنهم سبحانه بقوله: ﴿ و قالوا ما هذآ ﴾ أى القرآن ﴿ الا افك ﴾ أى كذب مصروف عن وجهه ﴿ مفترى[5] ﴾ أى متعمد ما فيه من الصرف.

و لما كان فيه ما لايشك أحد فى حقيته، لبسوا عليهم بأنه خيال يوشك أن ينكشف إيقافا لهم إلى[3] وقت ما، فقال تعالى إخبارا عنهم: ﴿ و قال ﴾ و لما كان الحق قد يخفى، و لم يقيده بالبيان كما فعل فى الآيات، أظهر موضع الإضمار بيانا للوصف الحامل لهم على ذلك القول و هو التدليس، فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلت عليه العقول من حقية القرآن ﴿ للحق ﴾ أى الذى لا أثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه ﴿ لما جآءهم[5] ﴾ أى من غير أن يمهلوا النظر و لاتدبر[5] ليقال إن الداعى لهم إلى ما قالوا نوع شبهة عرضت لهم، بل أظهروا بالمسارعة إلى الطعن أنه مما لايتوقف فيه، و أكدوا لما تقدم من خوفهم على اتباعهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للعرض (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبديل (٥) فى ظ: فيقال.

ليخيلوهم[1] فقالوا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هذآ﴾ أى الثابت / الذى لايكون ٣٠٥ /
شىء أثبت منه ﴿الا سحر﴾ أى خيال لاحقيقة له ﴿مبين ه﴾ أى ظاهر العوار جدا، فهو ينادى على نفسه بذلك، فلا تغتروا بما فيه مما يميل النفوس و يؤثر فى القلوب، و لقد انصدّ لعمرى بهذا التلبيس - مع أن [فى - [3]] نسبتهم له إلى السحر الاعتراف بالعجز - بشر كثير برهة من الدهر حتى هدى الله بعضهم، و تمادى بالآخرين[4] الأمر حتى ماتوا على ضلالهم، مع أنه كان ينبغى لكل من رأى مبادرتهم و تحرقهم أن يعرف أنهم[5] متعرضون، لم يحملهم على ذلك إلا الحظوظ النفسانية، و العلق الشهوانية، قال الطفيل بن عمرو[6] الدوسى ذو النور[7] رضى الله عنه[8]: لقد أكثروا علىّ[9] فى أمره حتى حشوت[10] فى أذنىّ الكرسف خوفا من أن يخلص إلىّ شىء من كلامه فيفتننى، ثم أراد الله بى الخير فقلت: واثكل أمى[11] إنى و الله لبيب عاقل شاعر، و لى معرفة بتمييز[12] غث الكلام من سمينه، فما لى لا أسمع منه، فان كان حقا تبعته، و إن كان

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليخلوهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالآخر من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عامر - خطأ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذوالنون - خطأ (٨) راجع لخبره هذا طبقات ابن سعد ٤ / ١ / ١٧٥ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عليه. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حشوت (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتميز.

باطلا كنت منه على بصيرة - أو كما قال، قال[1]: فقصدت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: اعرض[2] عليّ ما جئت به، فلما عرضه عليّ بأبي هو و أمي ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه، فما[3] توقفت في أن أسلمت، ثم سأل النبي صلى الله عليه و سلم أن يدعو[4] الله له[4] [أن يعطيه - [5]] آية تعينه على قومه، فلما أشرف على حاضر[6] قومه كان له نور في جبهته، فخشي أن يظنوا أنها مثلة، فدعا بتحويله، فتحول في طرف سوطه، فأعانه الله على قومه [فأسلموا - [5]].

و لما بارزوا بهذا القول من غير أثارة [من - [5]] علم و لا خبر [من - [5]] سمع، بين ذلك معجبا من شأنهم، موضحا لعنادهم، بقوله مؤكدا إشارة إلى أن ما يجترؤن عليه من الأقوال التي لا سند لها إلا التقليد لا يكون إلا عن[1] كتاب أو رسول: ﴿ و مآ ﴾ أي قالوا ذلك و الحال أنا ما ﴿ ءاتينهم ﴾ أي هؤلاء العرب أصلا لأنه[7] لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب، و عبر بمظهر العظمة إشارة إلى أن هذا مقام خطر و موطن وعر جدا لأنه[8] أصل الدين، فلا يقنع فيه إلا بأمر عظيم، و أكد هـذا المعنى بقوله: ﴿ من كتب ﴾ بصيغة الجمع مع تأكيد النفي بالجار [قبل كتابك الجامع - [9]] ﴿ يدرسونها ﴾ أي يجددون

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: اعترض (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: فلما (٤ - ٤) في ظ و م و مد: له الله (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: خاصة (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: لانهم (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: إلا انه.
(٩) زيد من ظ و مد.

دراستها فى كل حين، فهى متظاهرة الدلالة باجتماعها على معنى واحد متواترة عندهم لا شبهة فى أمرها ليكون ذلك سببا للطعن[1] فى القرآن إذا خالف تلك الكتب ﴿و مآ ارسلنا﴾ أى إرسالا لا شبهة فيه [لمناسبته لما لنا من العظمة -[2]] ﴿ اليهم ﴾ [أى خاصة، بمعنى أن ذلك الرسول مأمور بهم بأعيانهم، فهم مقصودون بالذات، لا أنهم داخلون فى عموم، أو مقصودون من باب الأمر بالمعروف فى جميع الزمان الذى -[2]] ﴿ قبلك ﴾ أى [من قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة ليخرج إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام فانهما كانا فى بعض الزمان الماضى، أو أن المراد -[2]] فى الفترة بعد عيسى عليه السلام كما تقدم فى السجدة نقله عن ابن عباس و مقاتل، و يجوز أن يراد بعد إسماعيل عليه السلام لأن عيسى عليه السلام - و إن أرسل إلى العرب رسله - لم يكن مرسلا [إلا -[3]] إلى قومه، و إرساله إلى غيرهم إنما هو من باب الأمر بالمعروف، و شعيب عليه السلام إنما كانت رسالته إلى طائفة أو اثنتين منهم و [قد يقال -[2]] : الذى يدل عليه استغراق جميع الزمان الماضى بالتجريد عن الخافض أن المراد إنما هو نفى الإرسال بهذا الباطل الذى ادعوه لامطلق الإرسال، و أكد النفى بقوله: ﴿من نذيرٍ﴾ أى ليكون عندهم قول منه يغير[4] فى وجه[5] القرآن، فيكون حاملا لهم على الطعن.

و لما نفى موجب الطعن، ذكر المانع الموجب للاذعان[6] فقال:

---

(1) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للظن (2) زيد من ظ و مد (3) زيد من ظ و م و مد (4) من م و مد؛ و فى الأصل: يغير، و فى ظ: يعبر (5) فى ظ: وجهه (6) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاذهان.

﴿و كذب﴾ أى فعلوا ما فعلوا و الحال أنه قد كذب ﴿الذين من قبلهم لا﴾ ٣٠٦/ أى من قوم نوح و من بعدهم بادروا إلى ما بادر[1] / إليه هؤلاء، لأن التكذيب كان فى طباعهم لما عندهم من الجلافة و الكبر ﴿و ما بلغوا﴾ أى هؤلاء ﴿معشار مآ اتينهم﴾ أى عشرا صغيرا مما آتينا أولئك من القوة فى الأبدان و الأموال و المكنة [فى كل شىء –[2]] من العقول و طول الأعمار و الخلو من الشواغل ﴿فكذبوا﴾ [أى –[2]] بسبب ما طبعوا عليه من العناد، [و افرد الضمير كما هو حقه و نصا على أن النون فيما مضى للعظمة لا للجمع دفعا لتعنت متعنت فقال –[3]]: ﴿رسلى[4] قف﴾.

و لما كان اجتراؤهم على الرسل سبب إهلاكهم على أوجه عجيبة، صارت مثلا مضروبا باقيا ذكره إلى يوم القيامة و لم يغن عنهم فى دفع النقم ما بسط لهم من النعم، كان موضع أن يقال لرائيه أو لسامعه[5]: ﴿فكيف كان نكير ع﴾ [أى فيما كان له من الشدة التى هى كالجبلة –[3]] أى إنكارى على المكذبين لرسلى، ليكون السؤال تنبيها لهذا المسئول و داعيا له إلى الإذعان خوفا من أن يحل بـه ما حل بهم إن فعل مثل فعلهم [سواء كان الإنكار فى أدنى الوجوه كما أوقعناه سبيا من تعطيل الأسباب، أو أعلاها كما أنزلناه بقوم نوح عليه السلام و من شاكلهم

(١) من م و مد، و فى الأصل: بادروا، و العبارة من «بادروا» إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) فى م و مد: سامعه.

و صب العذاب و الاستئصال الوحيّ بالمصاب على ما أشارت إليه قراءتا حذف الياء و إثباتها ـ[1]] .

و لما أبطل شبههم[2] كلها ، و لينّ من عريكتهم بالتنبيه على التحذير ، فصاروا جديرين بقبول الوعظ ، [و كان مما رموه به ـ و حاشاه - الجنون و تعمد الكذب ـ[1]] ، أمره بالإقبال عليهم به[3] مخففا له لئلا ينفروا من طوله فقال : ﴿ قل ﴾ و أكده زيادة فى استجلابهم إلى الإقبال عليه فقال : ﴿ انمآ اعظكم بواحدة ج ﴾ أى فاسمعوا و لاتنفروا خوفا[4] من أن أملكم ؛ ثم استأنف قوله بيانا لها : ﴿ان تقوموا﴾ أى توجهوا نفوسكم إلى تعرف الحق ، و عبر بالقيام إشارة إلى الاجتهاد ﴿ لله ﴾ أى الذى لا أعظم منه على وجه الإخلاص و استحضار ما له من العظمة بما[5] له لديكم[5] من الإحسان [لا لإرادة المغالبة ـ[1]] حال كونكم ﴿ مثنى ﴾ أى اثنين اثنين ، [و قدمه إشارة إلى أن أغلب الناس ناقص العقل ـ[1]] ﴿ و فرادى ﴾ أى واحدا واحدا ، من وثق بنفسه فى رصانة عقله و أصالة رأيه قام وحده ليكون أصفى لسره ، و أعون على خلوص فكره ، و من خاف عليها ضم إليه آخر ليذكره إن نسى ، و يقومه إن زاغ . [6]و لما كان هذا القسم أكثر وجودا فى الناس قدمه[6] و لم يذكر غيرهما من الأقسام ، إشارة إلى أنهم إذا كانوا على هاتين الحالتين كان أجدر لهم

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : شبهتهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : خوفكم (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لديكم له (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بأن يعرفوا الحق من غير شائبة حظ مما يكون فى الجمع الكثير[1] من الجدال و اللفظ المانع من تهذيب الرأى و تثقيف[2] الفكر و تنقية المعانى.

و لما كان ما طلب منهم هذا لأجله عظيما جديرا بأن يهتم له هذا الاهتمام، أشار إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ثم تتفكروا قف﴾ أى تجتهدوا بعد التأنى و طول التروى فى الفكر فيما وسمتم به صاحبكم من أمر الجنون.

و لما كان بعده صلى الله عليه و سلم من هذا أمرا لايتمارى فيه، أستانف قوله [معينا بالتعبير بالصاحب -[3]] مؤكدا تكذيبا لهم و تنبيها[4] على ظهور مضمون هذا النفى: ﴿ما بصاحبكم﴾ أى الذى دعاكم إلى الله و قد بلوتموه صغيرا و يافعا وشابا وكهلا، وأعرق فى النفى بقوله: ﴿من جنة ط﴾ و خصها لأنها مما يمكن طروءه[5]، و لم يعرج على الكذب لأنه مما لا يمكن فيمن عاش بين أناس عمرا طويلا و دهرا دهيرا يصبحهم ليلا و نهارا صباحا و مساءا سرا و علنا فى السراء و الضراء، و هو أعلاهم همة [6]و أوفاهم مروءة، و أزكاهم خلائق و أظهرهم شمائل، و أبعدهم عن الأدناس ساحة[7] فى مطلق الكذب، فكيف بما يخالف أهواءهم فكيف بما ينسب إلى الله فكيف [8]وكلامه[8] الذى ينسب فيه إلى الكذب معجز بما فيه

(١) فى ظ: الكبير (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تثقيب (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ وم و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى «ساحة» ساقطة من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل: ساعة.
(٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بكلامه.

من

من الحكم و الأحكام، و البلاغة و المعاني التي أعيت الأفهام.

و لما ثبت بهذا إعلاما و إفهاما براءته[١] مما قذفوه به كله، حصر أمره / في النصيحة من الهلاك، فقال منبها على أن هذا الذي أتاهم به ٣٠٧/ لا يدعيه إلا أحد رجلين: إما مجنون أو صادق هو أكمل الرجال، و قد انتفى الأول فثبت الثاني: ﴿ إن ﴾ أي ما ﴿ هو ﴾ [أي المحدث عنه بعينه -[٢]] ﴿ الا نذير لكم ﴾ أي خاصا إنذاره و قصده الخلاص بكم، [و هول أمر العذاب بتصويره صورة من له آلة بطش محيطة بمن تقصده فقال -[٢]]: ﴿ بين يدي ﴾ [أي -[٣]] قبل حلول ﴿ عذاب شديد ه ﴾[٤] قاهر لا خلاص منه، إن لم ترجعوا إليه حل بكم سريعا، روى [البخاري -[٣]] عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥] قال: صعد النبي صلى الله عليه و سلم الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك، فقال: أرأيتم[٦] لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم او يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله عز و جل "تبت يدا ابي لهب و تب".

و لما انتفى عنه بهذا ما خيلوا[٧] به، بقي إمكان أن يكون لغرض أمر دنيوي فنفاه [بأمره -[٣]] بقوله: ﴿ قل ﴾ أي للكفرة: ﴿ ما ﴾

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: براة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد في ظ: اي (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٨ (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ارايتكم (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خيلوه.

أى مهما ﴿سالتكم من اجر﴾ أى على دعائى لكم ﴿فهو لكمْ﴾ لا أريد منه شيئا، و هو كناية عن أنى لا أسألكم على دعائى لكم إلى الله أجرا أصلا [1] بوجه من الوجوه. فاذا ثبت أن الدعاء ليس لغرض دنيوى، و أن الداعى أرجح الناس عقلا، ثبت أن الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الأخطار العظيمة إنما هو أمر الله الذى له الأمر كله. و لما كانوا يظنون به فى بعض ظنونهم أنه يريد أمرا دنيويا، أكد قوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿اجرى الا على الله ج﴾ أى الذى لا أعظم منه، فلا ينبغى لذى همة أن يبتغى شيئا إلا من عنده ﴿وهو﴾ اى و الحال أنه ﴿على كل شىء شهيد ه﴾ أى بالغ العلم بأحواله، فهو جدير بأن يهلك الظالم و يعلى كعب المطيع.

و لما لم يبق شىء يخدش فى أمر المبلغ، أتبعه تصحيح النقل جوابا لمن كأنه يقول: برئت ساحتك، فمن لنا بصحة مضامين ما تخبر؟ فقال مؤكدا لإنكارهم أن يكون ما يأتى به حق [معيدا الأمر بالقول، إشارة إلى أن كل كلام صدر دليل كاف مستقل بالدلالة على ما سبق له - [2]]: ﴿قل﴾ لمن أنكر التوحيد و الرسالة و الحشر [معبرا بما يقتضى العناية الموجبة لنصره على كل معاند - [2]]: ﴿ان ربى﴾ أى المحسن إلىّ بأنواع الإحسان، المبيض لوجهى عند الامتحان ﴿يقذف بالحق ع﴾ أى يرمى به فى إثبات جميع ذلك و غيره مما يريد رميا وحيا جدا لأنه غنى عن

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى صلا (٢) زيد من ظ و مد.

[1]تدبر أو تزو[1] أو تفكر فى تصحيح المعنى أو إصلاح اللوازم لأنه علام الغيوب، فيفضح من يريد إطفاء نوره فضيحة شديدة، و يزهق باطله[2] كما فعل فيما رميتمونى[3] به [و -[4]] فى التوحيد و[5] غيره [لا -[4]] كما فعلتم أنتم فى مبادرتكم إلى نصر الشرك و إلى ما وصفتمونى به و وصفتم ما جئت به، فلزمكم على ذلك أمور شنيعة منها الكذب الصريح، و لم[6] تقدروا أن تأتوا فى أمرى و لا فى شىء من ذلك بشىء يقبله ذو عقل أصلا.

و لما وصفه بنهاية العلم، أتبعه بعض آثاره فقال: ﴿قل جآء الحق﴾ أى الأمر الثابت الذى لايقدر شىء أن يزيله؛ و أكد تكذيبا لهم فى ظنهم أنهم يغلبون فقال: ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما ﴿يبدئ الباطل﴾ [أى الذى أنتم عليه و غيره فى كل حال حصل فيه تفريعه على مر الأيام ﴿و ما يعيد﴾ -[4]] بل[7] هو كالجماد لاحركة به أصلا، لأنه مهما نطق به صاحبه فى أمره بعد هذا البيان افتضح، فإن لم ترجعوا عنه طوعا رجعتم و أنتم صغرة كرها، و الحاصل أن هذا كناية عن هلاكه[8] بما يهز[8]

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تذبر او تورر - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الباطل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رمعنى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل: ف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا. (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايما يهذا.

النفس و يرفض الفكر بتمثيله بمن انقطعت حركته، و ذهبت قوته، حتى لا يرجى بوجه.

و لما لم يبق بعد هذا إلا أن يقولوا عنادا: 'أنت ضال'، ليس بك جنون و لا كذب، و لكنك قد عرض لك ما أضلك عن المحجة، قال:
٣٠٨/ ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المعاندين[٢] على سبيل الاستعطاف[٣] بما فى قولك من الإنصاف و تعليم الأدب: ﴿ان ضللت﴾ أى عن الطريق على سبيل الفرض ﴿ فانما اضل ﴾ و لما كان الله تعالى قد جعل العقل عقالا[٤] يمنع من الخطأ و ينهى عن الهوى، و كان الغلط لا يأتى إلا من شواغل النفس بشهواتها و حظوظها، فكان التقدير: بما فى نفسى من الشواغل الغافلة للعقل، قال مشيرا إلى ذلك: ﴿ على نفسى ج ﴾ أى لأن الضلال إذا استعلى على شيء ظهر أمره فيتبين عواره فيلزم عاره[٥]، و يصير صاحبه بحيث لا يدرى شيئا ينفع و لا يعيد. و لذلك يصير يفزع إلى السفه و المشاتمة كما وقع فى مذاهبكم كلها، لأن الله تعالى جعل العقول الصحيحة معيارا على ذلك. فمهما ذكرت طرق [الحق -[٦]] و حررت ظهر أمر الباطل و افتضح. [و لما كانت النفس منقادة بل متوامية نحو الباطل، عبر فى الضلال بالمجرد، و فى الهدى بالافتعال إشارة إلى أنه لا بد

(١ - ١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: انت هناك (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل: المعندون (٣) فى ظ: الاعطاف (٤) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل: عادة (٦) زيد من ظ و م و مد.

فيه

فيه من هاد و علاج ، و عبر بأداة الشك استعمالا الانصاف فقال -[1]]: ﴿ و ان اهتديت فبما ﴾ أي فاهتدائي انما[2] هو بما ﴿ يوحيٓ الىّ ربي ﴾ أي المحسن إليّ لا بغيره ؛ فلا يمكن فيه ضلال لأنه لا حظ فيه للنفس أصلا ، فلا يقدر أحد على شيء من طعن في شيء منه ، و هداي لنفسي . فالآية ظاهرها التنزل منه و باطنها إرشادهم إلى تسديدهم النظر و تقويمه و تهذيب[3] الفكر و تثقيفه[4] ، و هي من الاحتباك : حذف أولا كون الضلال من نفسه بما دل [عليه -[5]] ثانيا من أن الهدى من الوحي ، [و ثانيا -[5]] كون الهدى[6] له بما دل عليه من كون الضلال[7] عليه ، ثم علل الضلال و الهدى بقوله : ﴿ انه ﴾ أي ربي ﴿ سميع قريب ۝ ﴾ أي لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه ، فهو جدير بأن يفضحه كما فضحكم في جميع ما تدعونه و لا يبعد عليه شيء ليحتاج في إدراكه إلى تأخير لقطع مسافة أو نحوها ، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد ، و الآية إرشاد من الله تعالى إلى أنه و إن كان خلق للآدمي عقلا لا يضل و لا يزيغ ، لكنه حفه بقواطع من الشهوات و الحظوظ و الكسل و الفتور فلا يكاد يسلم منها إلا من عصمه الله[8] . فلما كان كذلك أنزل سبحانه كتبا هي العقل الخالص ، و أرسل رسلا جردهم من تلك القواطع ، فجعل اخلاقهم

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الاصل و م : فانما (٣) من ظ و م و مد ، و في الاصل : تهذيه (٤) من ظ و م و مد ، و في الاصل : تشقيقه (٥) زيد من م ومد (٦) من م و مد ، و في الأصل : المهدي (٧) العبارة من « من نفسه » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) ليس في ظ و م و مد .

شرائعهم، فعلى كل أحد أن يتبع رسله المتخلقين بكتبه متهما [عقله منابذا –[1]] رأيه كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم، ليكون[2] مؤمنا بالغيب حق الإيمان فيدخل فى قوله تعالى فى سورة فاطر " انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب[3] " و لا يكون متناوشا[4] بعد كشف الغطاء من مكان بعيد.

و لما أبطل شبههم[5] و ختم من صفاته بما يقتضى البطش بمن خالفه، قال عاطفا على[6] " و لو ترى اذ الظلمون ": ﴿ و لو ترى ﴾ أى تكون منك رؤية ﴿اذ فزعوا﴾ أى يفزعون بأخذنا فى الدنيا و الآخرة، و لكنه عبر بالماضى وكذا فى الأفعال الآتية بعد هذا لأن ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان و وجد لتحققه ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ذلك الفزع أنه لا ﴿فوت﴾ أى لهم منا لأنهم فى قبضتنا، لرأيت امرا مهولا و شأنا فظيعا، و حقر أمرهم بالبناء للمفعول فقال: ﴿ و اخذوا ﴾ أى عند الفزع من كل من نأمره بأخذهم سواء كان قبل الموت أو بعده. و لما كان القرب يسهل [أخذ –[1]] ما يراد أخذه قال: ﴿من مكان قريب ۝﴾ أى أخذا لا شىء أسهل منه فان الآخذ سبحانه قادر و ليس بينه و بين شىء مسافة، بل هو أقرب إليه من نفسه ﴿ و قالوآ ﴾ أى عند الأخذ و معاينة الثواب و العقاب: ﴿ آمنا به ع ﴾ أى الذى أريد منا الإيمان به

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ: فيكون (٣) آية ١٨ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مساوسا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شبهتهم. (٦) سقط من ظ.

و أيبناه، و الأقرب أن يكون [القرآن -[1]] الذى قالوا إنه إفك مفترى ﴿و أنّى﴾ أى و كيف و من أين ﴿لهم التناوش﴾ أى تناول / الإيمان / ٣٠٩
أو شيء من ثمراته، وكأنه عبر به لأنه يطلق على الرجوع، فكان المعنى أن ذلك بعد عليهم من جهة أنه لايمكن إلا برجوعهم إلى الدنيا التى هى دار العمل، و[2]أنّى لهم ذلك؟ و هو تمثيل[3] لحالهم - فى طلبهم أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا - بحال من يريد أن يتناول شيئا من علوه كما يتناوله الآخر من قدر ذراع تناولا سهلا لا نصب فيه، و مده أبو عمرو و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم[4] لهمزهم إياه فقيل: إن الهمز على الواو المضمومة كما همزت فى وجوه و وقتت[5] فيكون لفظه موافقا لمعناه، و الصحيح أنه ليس من هذا[6]، لأن شرط همز الواو المضمومة ضمة لازمة أن لايكون مدغما فيها إذا كانت وسطا كالتعود[7]، و أن لايصح فى الفعل نحو تناول و تعاون، و قد حكى عن أبى عمرو أن معناه بالهمز التناول من بعد، من قولهم: نأش - بالهمز - إذا أبطأ و تأخر، و النيش حركة فى إبطاء، و النأش أيضا: الأخذ، فيكون الهمز أصليا، و قرأه الباقون بالواو مثل التناول لفظا و معنى، فقراءة الواو المحضة تشير إلى أنهم يريدون تناولا سهلا مع[6] بعد المتناول فى المكان،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تمثيلهم (٤) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٩٧ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وقت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل و م: كالتعود.

و قراءة الهمز إلى أن إرادتهم تأخرت و أبطأت حتى فات وقتها، فجمعت إلى بعد المكان بعد الزمان.

و لما كان البعيد لا يمكن[١] الإنسان تناوله مع بعده قال: ﴿من مكان بعيد ج﴾ فانه بعد كشف الغطاء[٢] عند مجيء البأس لا ينفع الإيمان ﴿و قد﴾ [أي -[٣]] كيف لهم ذلك و الحال أنهم قد ﴿كفروا به﴾ أي بالذي طلب منهم أن يؤمنوا به أملا و جزاء ﴿من قبل ج﴾ أي في دار العمل ﴿و﴾ الحال أنهم حين كفرهم ﴿يقذفون﴾ في أمر ما دعوا إليه بما يرمون به[٤] من الكلام رميا سريعا جدا من غير تمهل و لا تدبر ﴿بالغيب﴾ [أي -[٣]] من مرجمات الظنون، و هي الشبهة التي تقدم إبطالها في هذه السورة و غيرها من استبعادهم البعث و غيره مما أخبر الله به.

و لما كان الشيء لا يمكن أن يصيب ما يقذفه و هو غائب عنه و لا سيما مع البعد قال معلما ببعدهم عن علم ما يقولون مع بعده جدا من حال من تكلموا فيه سواء كان القرآن أو النبي صلى الله عليه و سلم أو الحشر و[٤] الجنة و النار[٤]: ﴿من مكان بعيد ه﴾ و ذلك على الضد من قذف علام الغيوب فانه من مكان قريب فهو معلوم لازم للحق.

و لما أشار إلى بعد الإيمان منهم عند إرادتهم تناوله عند فوات أمره و علوه عنهم عند طعنهم فيه في دار العمل، ترجم حالتيهم في

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: او.

ذلك

ذلك على وجه يعم ثمرات الإيمان من دخول الجنان و رضى الرحمان بقوله: ﴿و حيل﴾ معبرا بصيغة المجهول مشيرا إلى أن حصول الحيلولة[1] بأسهل ما يكون و[2] لأن المنكى [لهم -[3]] نفس الحيلولة[1] لا كونها من شخص معين: ﴿بينهم و بين ما يشتهون﴾ أى يميلون إليه ميلا عظيما من تأثير طعنهم و قبول إيمانهم عند [رؤية -[4]] البأس و من حصول شىء من ثمراته لهم من حسن الثواب [كما يرى الإنسان منهم - و هو فى غمرات النار - مقعده فى الجنة، الذى كان يكون له لو آمن و لا يقدر على الوصول إليه بوجه، و إن خيل إليه الوصول فقصده فمنع منه كان أنكى -[4]] ﴿كما فعل﴾ [أى -[3]] بأيسر وجه ﴿بأشياعهم﴾ أى الذين كفروا مثلهم ﴿من قبل﴾ أى قبل [زمانهم -[3]] فان حالهم [كان -[5]] كحالهم فى الكفران و الإيمان، و السعادة و الخسران، و لم يختل أمرنا فى أمة من الأمم، بل كان كلما كذبت أمة رسولها أخذناها، فاذا أذقناهم بأسنا أذعنوا و خضعوا، فلم نقبل منهم ذلك، و لا نفعهم شيئا إلا بالكف عن إهلاكهم و لا بادراكهم لشىء من الخير بعد إهلاكهم "ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع و هو شهيد". ثم علل عدم الوصول إلى قصد[6] / فى كل من الحالتين بقوله مؤكدا لإنكارهم أن ٣١٠ /
يكون عندهم شىء من شك فى شىء[7] من أمرهم: ﴿انهم كانوا﴾ أى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحيولة (٢) سقطت الواو من ظ.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قصدهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شك.

فى دار القبول كونا هو كالجبلة لهم ﴿ فى شك ﴾ أى من جميع ما يخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء أو[1] غير ذلك ﴿ مريب ع ﴾ أى موقع [فى -[2]] الريبة، فهو بليغ فى بابه كما يقال: عجب عجيب، أو هو واقع فى الريب كما يقال: شعر شاعر، أى - ذو شعر، فكيف يقبلون او ينفذ طعنهم أو تحصل لهم ثمرة طيبة و هم على غير بصيرة فى شىء من أمرهم بل كانوا يشكون فى قدرتنا و عظمتنا، فاللائق بالحكمة أن نبين لهم العظمة بالعذاب [لهم -[2]] و الثواب لأحبابنا الذين عادوهم فينا فتبين أنهم يؤمنون [به -[2]] عند[3] ظهور الحمد أتم ظهور إما فى الآخرة او فى مقدماتها، فظهر سر الإفصاح بقوله "و له الحمد فى الآخرة" و انه حال سبحانه بينهم و بين ما يريدون، فتبين انه مالك كل شىء فصح ان له الحمد فى الاولى و فى كل حالة - و قد تعانق آخرها مع أولها، و التحم مقطعها بموصلها - و الله [4]سبحانه و تعالى هو [4]المستعان[4] و إليه المرجع و المآب[4].

* * * *

(1) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (2) زيد من ظ و م و مد.
(3) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد (4 - 4) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الخامس عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ = الخامس و العشرين من يناير سنة ١٩٨٠ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء السادس عشر باذن الله ومشيئته مستهلا بسورة الفاطر.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا بـه و يوفقنا لما يحبه ويرضاه، و هو المسئول لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية